

هذا

كتاب اتحاف الملوك الالبا * بتقدم الجمعيات في بلاد اوروبا * وهو مقدمه

تاريخ الامبراطور شرلكان * الذي كان عصره غرة في جبهة

الزمان * ابرزه من اللغة الفرنساوية * ونظمه

في سلك التواريخ العربية * راجي عفو الودود *

خليفة بن محمود * متخرج بمدرسة الالسن *

التي لا زال تعلم اللغات بها يحسن *

وهو الان رئيس فرقة ترجمة

الكتب الادبية * التي تبرز من

حيز الفرنساوية الى العربية *

احسن الله عاقبته * وجعل

الخير خاتمته * والمسلمين

امين

ولا شك ان فن الترجمة جبل صعب المرتقى * وسلوك شعب [illegible] *

يرى قلم البليغ فيه مغزلا * وذو الرمح في ميدانه اعزلا * [illegible] من يردى

قلمه عن معجزات البيان * وايات التبيان * يرى نفسه قليل البضاعة * عاطل

البراعة * وهيهات ان اخذ يستخرج من هذا الفن دره المكنون * من غير ان [illegible]

بصفقة مغبون * وقد اعترف بذلك من العلماء الماهرين من تمرن على التآليف

* وانواع التصانيف * واحاط علمه بالدانى والقاصى * [illegible] *

(راجع خطبة المؤلف سرار الذى ترجم تاريخ الامبراطور شرلكان

من اصله وهو اللغة الانكليزية الى اللغة الفرنساوية)

فلما علمت ان فن الترجمة بهذه المثابة لاسيما [illegible] الامبراطور شرلكان

من اصعب ما نظم فى سلوك [illegible] تواريخ الدول [illegible]

واقدم * ثم [illegible] تراجم * لان من ترجموا فى اللغات [illegible]

تشهد لهم بالذكا والالمعية * والفطانة بين البرية * ومع ذلك قد استصعبوه *

و بالدقة وصفوه * مع ان لغاتهم متشابهة لبعضها ولحروف واحدة فاذا عد

من ترجم من الانكليزية مثلا الى الفرنساوية على [illegible]

فى [illegible] * يكتبها على اصلها فى ترجمته * وتقرؤ وتفهم من غير صعوبة ولكن

عرفنى الرجاء والامل * واسعفت الخطا والزلل * حيث كان لى [illegible] ارجع اليه *

[illegible] فى هذا الشان اعول عليه * كيف لا وهو الحبيب الاديب *

الالمعى [illegible] من سوابق [illegible] محمد [illegible] رفاعة افندى

رافع * لا زال [illegible]

الفرقدين * لاسيما [illegible]

من مشربه *

ان السلاح جميع الناس تحمله * وليس كل ذوات المخلب السبع

فلم تعقنى صعوبة هذا التاريخ * المشتمل على عبارات [illegible]

خصوصا مقدمته التى [illegible] اتحاف الملوك الالبا بتقدم الجمعيات

فى بلاد اوروبا

مدارس * وزينت بها مدارسه حتى اعتدل على ايك الطروس * تخرج منها
الشاعر والناثر * والكاتب الماهر * والبارع والطبيب * والمهندس اللبيب *
منهم من انتخب بالرتب السنية * ورقى بالمعارف المراقى العلية * فهو الآن
خريجه بالمدارس يلقى لغيره ما حصله * ومارسه وزاوله * والفرع ينمو بنمو الاصل
فان نباتها يزيد ثمار الامصار * وتكون عامرة الاقطار * حفظ الله ولى النعم
سلالته الزكية * وعشيرته الداورية * ولنا منهم ابراهيم * ابو رحيم * صاحب
السيف والتدبير * والمجد الاثير * بذى عزم اسكندر * فهو حرى ان يلقب
بابراهيم الاكبر * ما شرع الا وظفر * وما توجه الا ونصر * وما شن الغارة
حينا * الا ونودى باقتحامك فحاسبينا * ولنا منها الماهر العباس * اذا تلاطمت
الناس بالناس * ولنا بسعيد السعد * اذا حل بناشئ من بعد * حسبهم
حسن الخصال * وحلم حليهم منيع المنال * وبحر محمد على * وطالع سعده
جلى * والكل يتنافسون فى معالى الفضل * ومعالم العدل

ولما كانت مدرسة الالسن تدرس بها كليات علوم عربية وافرنجية وكنت
قد بذلت فيها الهمة * وكان لى فى التحصيل رغبة جمة * حويت ما قرئ بتلك
المدرسة من معقول وآداب * ومنقول مما تتزين به الباب الطلاب * وحصلت
بها من عروض وميزان * ومعان وبيان * ما تتحلى به ابكار الاذهان * حتى
استوجب الثناء الجميل من خوجات تلك المدرسة الاعلام * من عرب
واعجام * وقلدت بوظيفة خوجة فى اللغة الفرنساويه * بتلك المدرسة البهية *
وامرت بترجمة عدة كتب فى علم الحقوق الطبيعية * وفى العلوم الجغرافية
والتربية وترجمت كذلك تأليفا عزيزا * وان كان وجيزا * سميته تنوير
المشرق * بعلم المنطق * طبع ونشر * وبالقبول ظفر * وترجم ايضا من
العربية للغة التركية * ثم امرت بترجمة تاريخ ايمبراطور انخفضت له الرقاب
فى عصره * واستقل من بين ملوك الافرنج فى امره * وهو الايمبراطور شرلكان *
شاع امره فى كل مكان * حتى ان الوقائع الكبيرة التى حصلت مدة حكمه لم تزل
مذكورة فى حالة اوروبا الى الآن

ولا شك

ر لدى العمل * كان اذا الف الا نرجح كتابا ترغب فيه النفوس * وتنشرح له
ار البراعة في رياض الطروس * وتنجلي به عندهم آفاق المعارف *
كشف شموس العوارف * تروى انوا آره حياض العقول * وتجلوا صوا آره
وب والمجهول * فلما رأى تاريخ الامبراطور شرلكان المذكور المقدمة
شهر ما بين البلاد * سنة (١٧٦٩) من الميلاد * فاز بين الكتب التاريخية
عصر * واثنى عليه عندهم علماء العصر * وكتب الشهير ولتير الى مؤلف
برتسون وكان قد ارسل اليه نسخة من هذا التاريخ تقريضا وهو (قد
صلني منذ اربعة ايام هديتكم النفيسة التي شرفتني بوصولها الي * وورودها
ني * وكنت وقتئذ اخشى فقد بصري بسبب نزلة شديدة طالت بي فلما
فقت على معانيها * وفهمت ما فيها * حل بي الفرح * وزال عن قلبي الترح
نصرفت عني الهموم * وايقنت انك والمؤلف هوم * حريان حقيقة بتأليف
تاريخ وانت فصيح و بذلك جدير * فلي الاغراض و بهانم تحرير * وها انا
جعلت نفسي في سلك اهالي اوروبا التأدية ما يجب لك من المدح والاكرام
التبجيل والاحترام انتهى وانير)
فانظر كيف كتب له هذا الفيلسوف العظيم الذي عاب في زمنه على المتقدمين
والمتأخرين حتى ترى مؤلفاته مشحونة بالتنكيت على سائر الامم سواء كانوا
متدينين او متبربرين وهو الذي فك بلاد اوروبا باسرها من ربقة الاستعباد
وانتشلها من اعماق الجهالات * واخرجها من آفاق الضلالات *
وقد اتحف روبرتسون ايضا بعلامات الشرف والتبجيل من كل فريق وقبيل
* حين الف هذا الكتاب حتى ان عدة من الاكدميات (جمعيات اكابر ارباب
العلوم والفنون) اعتنت بجلبه * ورحبت به * لتجده من زمرة اعضائها
وتجعله فردا بين علمائها * وأتى اليه وزير دولة الموسقو بتشريف من طرف
اكدمية تخت هذه الدولة يشهد له بالمجد والفضل * ودقة العقل * وأتى
اليه هذا الوزير ايضا بعلبة مرصعة بالجواهر من طرف الامبراطورة
كاترينه ملكة الموسقو وكان امرها عجيبا في معرفة قيمة جميع انواع الكتب

وكان الباعث [illegible] اذ [illegible] وفقت ان سودت ترجمة هذا الكتاب هو المرحوم
[illegible] اربين طواه الدهر * ولم يبق الا ذكره غره فى جبين العصر * كان يحب العلم
واصحابه * والفضل واربابه * وكان يعرف قيمة الكتب الغريبة والقريبة
فبادر الى قبوله * واثنى عليه فى قوله * وقدمه الى الاعتاب الكريمة فامر
بطبعه * لعموم نفعه * ووعدت بان اغترف من بحور ولى النعم العطاء الجليل *
والجراية الجميل * الا انه نشبت به المنية فى اثناء ذلك * واخذ اليأس يسدد
علينا كل المسالك * لكن بينما كانت اشعة الرجاء تودع النفس * وتنفصل عنه
كما انفصل الآن من امس * دعى الى ادارة المدارس من هو ادرى بالرياسة *
واحرى بالكياسة * كيف لا وهو حضرة ادهم بيك جامع مخدرات حميد
الخصال * وتاج الفضل والكمال * فاظهر علانية الشرف * حتى قيل فاق
الخلف السلف * فحقق لنا الظنون * والغائب عن العيون

وقد ترجم هذا الكتاب الى اعظم اللغات الافرنجية * كالنمساوية
والفرنساوية * وكفى بذلك ناشئا عن اهميته * وعلو قيمته * ولا شك ان اللغة
العربية به احرى * اذ هى ام اللغات الكبرى * خصوصا وكنت ارغب
الرغبة التامة فى تعريبه لانى اعلم انى لم اسبق بترجمة مثله كيف وقد جمع بين
غرضين مهمين احدهما تاريخ الايمپراطور شرلكان والثانى كشف القناع
عن الحوادث العظيمة والانقلابات الجسيمة التى حصلت فى قسم عظيم من
اقسام الدنيا اعنى قسم اوروبا وكان فى افظع درجات التبربر والتخشن * ثم صار
فى اكمل درجات الرفاهية والتمدن * واسباب ذلك تقتبس من انوار الاتحاف
فغصت فى لجج بحوره * لصيد درر نحوره * ولعل ديارنا ان اطلعت عليه *
ووقفت على اسرار حقيقة ما فيه * تتعلق بالاسباب التى تمسكت بها البلدان
الاخرى فاخرجتها من حيز الغفلة * وتبادر الى سلوك سبل الفلاح والتقدم
لتعود كما كانت اعظم ملة * لان التواريخ انما هى موعظة للعاقل * وهداية
من الجيل الماضى للقابل

هذا ومؤلف التاريخ المذكور هو روبرتسون الانكليزى شهير بين الملل *

و يقرب من قالب اللغات الاعجمية * لان المترجم يلزمه ان يكون امينا
للاصل فى تركيبه * وضمه وترتيبه * والفرع ان لم يقف اثر اصله * فلا ان نجح
فى فعله * وربما راعيت ادنى ملايمة بين التشبيهات * واوجه الاستعارات *
ولكن عدلت عن كل تشبيه فى الاصل يكون اعجميا محضا * فبدلت بعضا
وحسنت بعضا * فجاء هذا الكتاب بعون الله خاليا عما يشينه * مشتملا على
ما يزينه * راقت رياضه وحياضه * وخمائله وغياضه * يتبختر بين الكتب
المترجمة فى هذا الشان كالعروس * رافلا فى ابهى ملبوس * يبارز فى ميدان
كتب التاريخ القديم والجديد * بقلب صنديد * يحتاج اليه من اراد الرشد
فى المسالك * لئلا يضل فى ليل التاريخ الحالك * وهو ايضا مهم لمن اراد معرفة
ادارة الممالك والقوانين السياسية اصولا وفروعا * يتخذه اهل الفضل فى هذا
الشان دروعا * جمع الكثير فى القليل بطريق عذب * لا تسأم منه نفس ولا يجد
قلب * بل هو دواء الب كل بلحى عروف * ولو ذعى يهفوف * جمع فوائد كبيرة *
وفرائد كثيرة * جدير باممعان النظر * وقدح الفكر * ممن اراد الاطلاع على
طروسه * او رام رشف كؤوسه * لانه دقيق فى اصله * فربما يحتاج او قف
عند التوقف فى حله * وبالجملة ففيه غاية الارب * لكل فاضل كامل الادب *
وعليه فى كتب التاريخ الاعتماد * فالارتياد الارتياد * لابد ان عرفت
بديع دقائقه * ووقفت على كنوز حقائقه * شهدت بما قلت * وعليه عولت *
وها هو الآن قادم على محضر مشحون بالخاص والعام * فيه رد بدل
الامام الف امام * اعنى انه عرضة لان يطلع عليه الناحل والناقد * والجاهل
والنافع * وعند الامتحان * يكرم المرء او يهان
ولنذكر لك الآن خطبة المؤلف لكى تعلم القصد منه * فلا تحول عنه * قال
اذا طالع الانسان تاريخ بلاده لا يجد به زمنا الا ويرغب فيه ولو من بعض
الوجوه لان جميع الوقائع التى تفهمه شيأ فى شان تقدم وطنه وشرائعه
وقوانينه واخلاقه تستميله كل الميل وتكون مطمح نظره جديرة بقدح فكره
بل كذلك ما هو غيرهم من تلك الوقائع يثير رغبته كما هى عادة البشر * واما من

بانها آية فلما قرأت تاريخ شمر اسكان المذكور اضطربت ومالت * ومن العجب
قالت ان هذا التاريخ سمير طريقي * وفي الاسفار رفيقي * فلا اسام ابدا
من القرآءة فيه ولا اتحول * لاسيما الجزء الاول (الجزء الاول هو اتحاف
الملوك الالبا)

هذا ولا يخفى ان مؤلف كتابنا قد شنع على الدولة العثمانية ووصفها بالظلم والجور
وعدم الانتظام كما هو مبوب له بصحيفة (١٧٥) من اتحاف الملوك الالبا
وبرهن على ذلك في آخر عقد جمان التوضيح مع انه خلي الاغراض لا يؤسس
رأيه على مجرد قول العامة لاسيما وقد قال بصحيفة (٣٤٤) في عقد جمان
التوضيح حين تكلم على قوانين فرانسا (وهذا الامر انما هو بحسب ما ظهر لي
ولست جازما به كما هي عادتي اذا عرضت للكلام على قوانين الملل الاجنبية)
فلا اعلم ما الداعي له الى ذم الدولة العثمانية والجزم بانها خالية كما يقول عن
الانتظام * رديئة الترتيب والاحكام * مع ان هذا غير الحق حيث خالف فيه
جماهير من ابناء ملته النصرانية فبنيت على قول هؤلاء العلماء وحررت
بعض صحيفات ناشئة عن عين الحقيقة وضممتها في آخر اتحاف الملوك الالبا
وحيث ان الكتاب فيه اسماء رجال او بلاد او غيرها تصعب قرآءتها مع الضبط
استحسنت لاجل بيانها ان ارتب الصعب من هذه الاسماء على حروف الهجا
في معجم مخصوص جعلته خاتمة

والمأمول ممن قرأ فيه ان يضرب صفحا عما يظهر له من القصور في ترجمتي
لان اللغة العربية بمعزل عن اللغات الافرنجية فلزم لي معاناة اين * ومكابدة
مشاق من حين الى حين * لاجل ان آتي بمقابل الفاظ يصعب وجود مقابل
لها في العربية يكون مطابقا لمعناها * ومؤديا لجميع مفادها وفحواها *
حتى انه ربما ورد على بعض الفاظ لم اجد لها مقابلا بالكلية فبلفظها الاصلي
ذكرتها * و بجملة اعتراضية فسرتها * ومع ذلك فقد حاولت مجاراة عبارات
الاصل كل المحاولة * وزاولتها كل المزاولة * ولذا كانت بعض العبارات
في ترجمتي على نسق يبعد من بعض الوجوه عن قالب الفصاحة العربية

وتقرب

الآن فى دواوين اوروبا

وعلى ذلك يمكن ان يقال ان القرن الذى حكم فيه الامبراطور شرلكان هو اول زمن حسن به شان السياسة فى بلاد اوروبا واخذ يسلك مسلكا جديدا * ولما الفت هذا الكتاب اهتممت بان جعلته مقدمة لتاريخ اوروبا مدة العصر الذى اعقب حكومة شرلكان ولما رأيت ان مؤلفى السير لم يذكروا لهذا الامبراطور فى تآليفهم سوى افعاله وصفاته الذاتية ورأيت ان جميع المؤرخين لم يذكروا من وقائعه الا ما نشأ عنه تأثيرات وقتية فى بلاد مخصوصة تجنبت ذلك وعزمت على ان لا اذكر فى تاريخى هذا من حوادث حكومة شرلكان سوى الوقائع الكبيرة التى عم تأثيرها بين البلدان حتى انها لم تزل الى الآن مؤثرة فى حالة اوروبا

ولما كنت اعلم ان من قرأ تاريخ شرلكان لا يستفيد منه فائدة تامة الا اذا كان له المام بالحالة التى كانت عليها بلاد اوروبا قبل حكم هذا الامبراطور جعلت له مقدمة تمهد لقارئه طريقا يسلكه فى هذا الغرض وذكرت فى تلك المقدمة مع الايضاح جميع الوقائع والحوادث التى كانت سببا فى التغيرات المتوالية التى اعترت حالة اوروبا السياسية من حين انقراض الدولة الرومانية الى ابتداء القرن السادس عشر وسميتها تقدم الجمعيات ببلاد اوروبا (قد راعيت هذا الوضع فسميتها اتحاف الملوك الالبا * بتقدم الجمعيات فى بلاد اوروبا) وذلك لانى اودعت فيها تقدمات الجمعية الافرنجية فى حسن شأنها فيما يخص تدبير البلاد الداخلى ونشر الامن والراحة فيها وما يخص القوى العسكرية الملية اللازمة لتحصيل الاعمال والمشروعات الخارجية وبينت فى تلك المقدمة ايضا القوانين والاصول السياسية التى كانت بالدول الكبيرة من اوروبا فى اوائل حكم شرلكان

وقد أدى بى هذا الغرض الاخير الى مباحث جدلية عديدة تكاد ان تكون من خصوصيات الاصولى او الجدلى لا من خصوصيات المؤرخ فجعلت هذه المباحث قسما مستقلا برأسه ذيلت به المجلد الاول من تاريخ شرلكان

اخذ يطالع تاريخ الملل الاجنبية فتفتر همته وتقل رغبته خصوصا وقد كثرت كتب التاريخ فى بلاد اوروبا واتسعت دائرة تأليفها بسبب البراعة والتقدم الذى حصل لكافة الناس فى المعارف منذ قرنين وبسبب معرفة فن الطبع واسباب اخرى معلومة بحيث ان حياة الانسان لقصرها لا تكفى لمطالعة تلك الكتب ولا قرآتها بمجرد قرآءة

وبالنظر لذلك ينبغى ان الناس المكلفين بادارة الدواوين والمصالح العامة بل ومن هم متفرغون لهذا الشان وللبحث عنه بالخصوص يقتصرون على ان يعرفوا بوجه الاجمال الوقائع البعيدة الاجنبية ويكتفون من معرفة التاريخ بمطالعة تاريخ الزمن الذى التأمت فيه ممالك اوروبا ببعضها وصارت مشروعات كل دولة تسرى فى بقية الدول فتؤثر فى سياساتها وادارة مصالحها وبناء على ذلك يلزم تعيين الحدود التى تبين تلك الازمان عن بعضها فاقول انه قد سبق زمن لم يكن فيه بين الممالك سوى ارتباطات هينة * ومداخلات غير بينة * حتى ان كل مملكة منها كان لها تاريخ بخصوصها ثم حصل عقب هذا الزمن ان صارت كل ملة من امم اوروبا ترغب فى وقائع من بجوارها من الملل العظيمة وهذا الزمن الاخير هو الذى يلزم بيانه ولهذا القصد الاخير شرعت فى تأليف تاريخ الايمبراطور شرلكان لما ان فى مدة حكمه تجدد بين ممالك اوروبا مذهب سياسى متسع الدائرة بحيث انه من مدة حكمه اخذت كل دولة مرتبة معلومة بين الدول لم تزل تشغلها من ذلك الوقت مع شديد ثبات وكبير حصول زيادة عما يتبادر لمن اطلع على التقلبات والتغيرات المهولة الناشئة عن الفتن الكثيرة الداخلية والحروب الكبيرة الخارجية التى حصلت فى ذلك الوقت * فترى الحوادث العظيمة التى حصلت اذ ذاك لم تنقطع الى الآن مدخليتها فى حالة الممالك الافرنجية حتى ان الاصول السياسية التى ترتبت عليها لم تزل مؤثرة تأثيرا عظيما فى حالتنا الراهنة وترتب على تلك الحوادث ايضا الصول كالميزان للتعادل بين الممالك وبعضها ولم تزل هذه الاصول تؤثر فى المصالح والاعمال السياسية التى تنعقد

بعد امعان النظر رأيت ان استكشاف امر تلك وتجارتهم ومهمة خليها في سياسات اوروبا من الاشياء المهمة الجسيمة بحيث لا يصح ان اتكلم عليها بوجه موجز اذ ليس لذلك فائدة كافية فلا تتشوق اليه النفس بهذه المثابة * واذا تكلمت على هذا الامر كما ينبغي ووفيت به حق التوفية اوقعني في الاقتضاب * وجرني الى اسهاب واطناب لا يليق ذكره بهذا المختصر فابيت ذلك لاذكره في تاريخ مخصوص سأشرع في تأليفه ان حظي تاريخ شرلكان هذا بالقبول * وفاز ببلوغ المأمول

ولكن لا يخفى ان هذه الاشياء التي حذفتها من تاريخ شرلكان المتماشي بمعزل عن الغرض الاصلي * ومع ان مواد هذا التاريخ ضيقة اطن ان من تأمل فيه وعرف موضوعه كما بينته آنفا يجد دروسا جمة بحيث يعد من اعظم المشروعات الصعبة ولطالما كانت تحدثني نفسي بان هذا امر خطب بعيد على مثلي ولكن كنت واثقا بانه يكون له نفع كبير وفضل شهير فصممت على تأليفه ولم التفت لعائق ورد على البال * وقام بنفسه كل امر ترجع الى الآمال * وهو الآن داخل في محكمة العموم * يطلع عليه الامام والمأموم * والامتحان محك الانسان * وها انا الحاكم به منتظر * وفي امري متحير * ملازم الادب والصمت * لا انفك عن نميرا السكت * فاذا حكم بشيء لا اسأل عن سببه ولا اتفوه بكلمة عقبه انتهى.

وقد كرمشاد سماحة الاديب اللبيب * والنجيب الاديب * سوزار الذي الذي ترجم هذا التاريخ من اللغة الانكليزية الى اللغة الفرنساوية وتممه من ترجمته الى العربية ليسوغ لي بذلك الاعتذار حيث اعتذر هذا العالم بصعوبة فن الترجمة خصوصا في مثل هذا الكتاب مع انه قد فاز بمنصب كاتب سر الاكدمية اي ديوان العلماء وهو منصب لا يرقى اليه الا كل شهير بالاستيار جدير * صار فن التأليف من ضرورياته * والتصنيف من عاداته * قال لا شك ان زمن حكم الايمبراطور شرلكان هو اعظم زمن ذكر في تواريخ اوروبا من منذ انقراض جمهورية الرومان ولذا كان لا يقوم بواجبه الاسلاف

وسميتها براهين والتوضيح (راعيت هذه التسمية فسميت تلك المباحث عقد جمان التوضيح * بالبرهان الصحيح) واظن ان بعض الناس لا يعتني بهذه المباحث ولا يلتفت اليها حق الالتفات ولكن لا شك انه يوجد اناس اخرون يعتنون بها كل الاعتناء بل ويعدون انها الجزء الاهم من كتابنا هذا

وذلك لاني اتيت في تلك المباحث بأخذ الوقائع التي ذكرتها في تاريخي هذا وذكرت عبارات المؤلفين الذين وثقت بهم واعتمدت عليهم او مفاد عباراتهم ودققت الغاية ولو في الاشياء الدنية بحيث انه اذا صح للانسان الفخر بكونه قد قرأ كتبا جسيمة * واطلع على تآليف عظيمة * اقول ان من تأمل في المؤلفات العديدة التي نقلت عنها يتراءى له اني اتباهى وافخر بكثرتها لاسيما وهي مشتملة على كتب كثيرة ما كان يخطر ببالي ان انظر في ورقاتها * ولا اشغل فكرتي بالتأمل في صفحاتها * لولا ان حملني على ذلك اثبات الوقائع التي ذكرتها في تأليفي هذا والبحث عن تحقيق مسائله مع غاية الاهتمام * ليأتي على وفق المرام

وحيث ادتني تلك المباحث غالبا الى ان اسلك طرقا غير الجادة قل من يطرقها من المصنفين اضطررت الى ان احيل قارئ كتابي على المؤلفين الذين تبعتهم ونسجت على منوالهم وقد ظهر لي ان هذه الطرق لازمة كل اللزوم لتأكيد الوقائع التي بنيت عليها براهيني ولارشاد المؤلفين الذين يريدون ان يقتدوا بي في طريقي التي سلكتها فيسهل عليهم البحث عما يحتاجون اليه من غير ان يخيب سعيهم * ولا يكون سدى جهدهم

ولا شك ان من قرأ كتابي هذا وكان فطنا ذا خبرة ودراية يرى اني قد تركت جزأ كان من اللازم ذكره ولذلك رأيت انه يجب علي بيان سبب ترك هذا الامر المهم فاقول اني لم اتعرض لذكر فتح بلاد مكسيك و بلاد پرو ولا لذكر استيطان القبائل الاسبانيولية بالاراضي القارة من امريكة و بجزائرها لاني كنت عزمت اولا على ان اطنب كثيرا في شرح تلك الوقائع الكبيرة

ان مجرد القصد بذلك انما هو ان احتفي بذكرى اليوم الذي ترجمه لي من
قرأ في ترجمتي وعثر فيها على ما ارتكبه المرار العديدة من السهو بل ومن الغلط
والخطاء الكبير نعم ان هذا مقصود لي لكن الحق ان الغرض الاصلي من ذلك
هو اني خشيت ان من قرأ في ترجمتي ينسب الى المؤلف ما هو بريء منه مما هو مجرد
قصوري وعجزي ولا حاجة الى الاطناب في مدحي لهذا الكتاب المستطاب
فان اعظم شيء يمكنني مدحه به هو اني ترجمته ولكن يجب علي ان لا اضرب
صفحا عن تخصيص المقدمة بالمدح مع دخولها في العموم حيث ظهر لي
انها من اعظم المؤلفات النفيسة التي ظهرت في عصرنا هذا اذ كشفت
لنا القناع عن امر مجهول الحال * تفرق في جهته عقول
الرجال وفيه لا تحسن المجال * على انه لا يمكن لكتاب
آخر ان يفيدنا اكثر منه فاقول انه لا احد
من الفلاسفة المحققين استعمل
ملكته في امر احسن من
ذلك * او انفع مما هنالك

...في مادة التاريخ كاتب * مثل امره الشهير روبرتسون
الانكليزي واى انسان يدقق ما جرى * وبهذا المقصد ادرى * ولكن كان
يرمل [illegible] اعجب مني وابرع * واسر واسرع *
ثم ماد عانى روبرتسون بنفسه الى ترجمة كتابه فاغرانى بوثوقه بى فى مثل هذا
الامر المهم فلبيت دعوته ولكن تأسفت على انه لم يكن لى اقتدار على ان
ارقى بقصده بوجه يكون اهلا لمثل كتابه * وجديرا باطلاع من قرأ فيه
من طلابه

ولكن اظن انى قد اتيت فى ترجمتى بمعنى الاصل من غير تغيير ولا تبديل *
وحافظت على سلوك سبيل الاستقامة والانصاف وعدم التحامل كما سلكه
المؤلف الذى هو فى تأليفه يمتاز بهذه الصفات اكثر من غيرها ولكن لم يمكنى
ان آتى فى العبارة بالرقة والتنميق وغير ذلك مما يباهى به الانكليز فى تاليفهم *
ولا يخفى ان التاليف باللغة الفرنساوية صعب جدا لا سيما اذا الف الانسان
بهذه اللغة ما كان حسن الخطاب * عكر المشرب * لا يجذب القلب نعم اذا ترجم
الانسان نبذة من كتب الفصاحة والآداب * او ترجم شيأ من الاشعار
التى يحورها بغرص اولو الالباب * ربما يؤثر فيه ما اودعه المصنف الاصلى
من التصورات المستميلة للقلب فتصير للمترجم كانشائه ويكون مطلق
التصرف فى نثره او شعره * حرا فى عباراته لا اسيرا لغيره * فيعبر عنها برونقها
الاصلى او برونق اخر طريف * وتنميق بديع لطيف * بخلاف ما اذا ترجم تأليفا
من المطولات * مقصورا على حكايات * لا حماس فيها * ولا مغناطيس
لمعانيها * فهو مجبور على ان ينسج على منوال الاصل فى التصورات والمعانى
* بل وان يرسم صورة التركيب والمبانى * الى ان قال
وكثير من المؤلفين العظام اذا ألفوا استعطفوا * واذا ترجموا اعجموا * منهم
المؤلف بوالووت فانه كان فى تأليفه سهل التركيب بليغ القلم فصيح العبارة
واذا تاملت فى بعض تراجمه تراها غير صحيحة وترى كوكب بيانه افل * ونسيج
يراعه اختل * واذا نظر انسان الى ما اوردته فى شأن صعوبة فن الترجمة فهم

صحيفه

(فهرسه)

كتاب اتحاف الملوك الالباء بتقدم الجمعيات فى اوربا	صحيفه
خطبة الكتاب	٢
ديباجة معينة على قراءة التاريخ	٣
القسم الاول فى ذكر التقدم الذى حصل فى اوربا بالنسبة الى الحكومة الداخلية والقوانين والآداب	١٦
مطلب تأثيرات قوة الرومانيين فى حالة اوربا	١٧
مطلب الاتلاف الذى ترتب على فتوحات الرومانيين	١٧
مطلب المنافع التى ترتبت على ذلك	١٧
مطلب النتائج الرديئة التى نشأت عن الدولة الرومانية	١٨
مطلب اغارة الامم الخشنية	١٨
مطلب حالة البلاد التى خرج منها هؤلاء الامم المتبربرون	١٩
مطلب اسباب الاغارة الاولى	٢٠
مطلب علة اقامتهم فى البلاد التى فتحوها	٢٠
مطلب الاسباب التى بها ضعفت المملكة الرومانية	٢١
مطلب الاحوال التى اعانت الامم المتبربرة على الفوز والنجاح	٢٢
مطلب التخريب الصادر من الامم الخشنية فى بلاد اوربا	٢٤
مطلب التغيرات العمومية التى حصلت فى اوربا عن فتوحات هذه الامم الخشنية	٢٥
مطلب استنتاج حكومات اوربا من هذا الاختلال العمومى	٢٥
مطلب الاصول التى اسس عليها الامم استيطانهم فى اوربا	٢٦
مطلب ترتيب الحكومة الالتزامية على التدريج عند هؤلاء الامم	٢٧
مطلب كون الحماية الاهلية هى المقصد الاصلى من الحكومة الالتزامية	٢٧

صحيفة

صحيفه

مطلب ايضاح المشكل من الاشراف

مطلب زيادة عدد العساكر المنتظمة

مطلب زيادة ايرادات المملكة

مطلب [illegible] التي [illegible]

[illegible] كلا [illegible]

مطلب [illegible] الممالك [illegible]

مطلب كتساب [illegible] الحكومة [illegible]

[illegible]

مطلب في الوسائط التي [illegible] لاجل [illegible]

[illegible] دائرة [illegible]

مطلب تقوية الشركة الملوكية [illegible]

مطلب [illegible]

[illegible]

مطلب [illegible] واقعة [illegible]

مطلب [illegible]

[illegible]

مطلب [illegible]

مطلب تأثير [illegible]

مطلب في كرى [illegible]

في التعبيرات التي حصلت في الادارة

مطلب وسائط التي تجعل [illegible] لاجل [illegible]

مطلب صحيراه

مطلب صباحه

صحيفه

صحيفه

صحيفة

صحيفه

صحيفه

صحيفه

بيان الخطا والصواب من كتاب اتحاف الملوك الالبا بتقدم الجمعيات في اوربا

خطا	صواب	صحيفه	سطر
الجنا	الجنان	٣	٥
سلك لشك	سلك الشك	٥	١٣
و يتبع هواه	ولا يتبع هواها	٦	١٩
يرجع وبجودة	يرجع بجودة	٧	١٨
الاعصره بخلاف	الااهل عصره		
هل من	بخلاف من	٩	١١
كون نهر رومه	كون نهر رومة	١٠	١٧
تاريخ الاعيان	خارج الاعيان	١٣	١١
الائتلاف الذي	الائتلاف الذي	١٧	بالهامش
من الامم ذهـ عن	من الامم بل ذهب ذلك عن	١٨	١٥
السابق ازيد من هذا	السابق كما هي في هذا	١٩	٢٤
التي استولوا	التي استولت	٢١	١١
فكان يأخذ	فكانت تؤخذ	٢٢	٨
ولا يرجع	ولا ترجع	٢٢	٨
من الدراهم	من الاموال	٢٣	١٥
صارت عاقبة	فصارت عاقبة	٢٣	١٥
وتنهزم	أو تنهزم	٢٣	٨
اوبها	وبها	٢٤	١١
مستولين	مستولين	٢٥	٧
الكثيرا الحاصل	الكثير الحاصل	٢٥	١٣
وقعت في ظلام	اوقعت في ظلام		
الجهالة وخفيت	الجهالة الخ		

صحيفه

خطا	صواب	صحيفه	سطر
يعارض فى ظلمها انسان	محترمة	٣	٢
تكن بالطبيعة فى المملكه	تكن ملايمة للحكومه		
الالتراسية لكونهم لم تمكن	الالتراسية ولعدم تمكن	١٠	٢٠
من هذا الزمن	ومن هذا الزمن	٢٥	١
وجميع تواريخ	ترى جميع تواريخ	٣٠	١٢
من مثل	من مثل	٣	
نتائج انحلال نظام	مانشأ عنه من نظام سامى		
الحكم البشرى	تقدمات العقل البشرى	٣٠	١
ودينهم الذى اتبعوه	والدين النصرانى على		
واعتادوا العمل به	حسب زعمهم	٣٢	٨
لان اعمالهم	مع ان اعمالهم	٣٢	٩
ازالته محبة القوانين	ازالته القوانين	٣٢	٢٢
والحالة التى	وهى الحالة التى	٣٣	١
وعظيم اخلاقهم	واخلاقهم	٣٣	٢
وقد	ولذا	٣٣	٣
الذوق السليم والاخلاق	الذوق والاخلاق		
المستقيمة لتى هى	الذى هو	٣٣	١٠
لم يأخذ فى الزيادة	لم يأخذ الا فى الزيادة	٣٣	١٥
وترتب بدله	وترتب بدله	٣٣	١٨
فى مقابلة الذخائر	فى مقابلة اجسام القديسين الموتى		
والعبادات الهزلية	وغير ذلك من العوائد المقدسة	٣٤	٢١
كوسينة	كومشينة	٣٥	٢٠
تحت المملكة	تخت المملكة	٣٦	٥
حتى ان عدة من الترتيبات	لانها كانت بعيدة عن		

خطا	صواب	صحيفه	سطر
فيها الملل التى يلزمنا	البدعية وفى ذلك		
ان نبحث عن اصول	الجهالة يلزمنا		
ترتيبها ونكشف	ان نبحث عن		
آثارها الاصلية	اصول حكومات		
ومابقى منها من	اوربا والقوانين		
الاحكام والقوانين	الموجودة		
الجارية فى اوربا التى	الآن		
هى ناتجة عنها	فيها	٣٥	٢١
لان انيد فائدة على	لان اذكر تفصيلا		
تقدم الدولة وعلى	تقدم الدولة		
اخلاق	واخلاق	٣٦	٣
كل ملة بخصوصها	كل ملة بخصوصها		
لان هذا مذكور	من الملل التى سأذكرها		
فى التاريخ الآتى	فى هذا التاريخ	٣٦	٣
الامم الساكنة بالشمال	الامم الشمالية	٣٦	٥
الذين خرجوا منها احياء	الذين لم يقتلوهم	٣٧	١٤
وعسكر	وعسكرى	٣٨	١٠
وكان لامراء جميع	وكان الامراء		
الاقاليم الذين يدفعون	اولا يدم عليهم		
المرتب من اراضى ينعم	الملك باراضى		
بها الملك عليهم ومتى	ومتى	٣٨	٢١
ذمام	زمام	٣٩	٢٤
التى كانت فى مبدئها	التى كان		
حبريةمحترمة لايمكن ان	منشأوها الظلم		

خطا	صواب	صحيفه	سطر
لكن كانت اجتهاداتهم الاولية ضعيفة	لان اجتهاداتهم الاولية كانت ضعيفة	٦٠	١٧
اصلا استقلال القضا عن الشرف	اصل استقلال الاشراف بالقضا	٦٣	بالهامش
نتايج	نتائج	٦٣	٢٤
محاكة	محاكمه	٦٤	٩
بكتسب	يكتسب	٧٢	١٣
فى اوربا	فى اوربا	٧٣	٢٠
فكثيرا	فكثيرا	٩٠	٢٣
تقضية	تقضيه	٩٢	١٨
لاراضى	لاراض	١٠٧	١١
اراضى	اراض	١١٠	٢١
بها فى تحصيل	بها تحصيل	١١٥	١٧
ويجعلوادار	ويجعلوادار	١٣٤	٢٣
بعض مبانى	بعض مبان	١٣٧	١٨
كان انقضاه	كان انقضاه	١٣٨	٨
اهالى اوربا	اهالى اوربا	١٦١	٩
احدثه	احدثه	١٦٨	١٨
اضيف	اضيق	١٧١	٩
مطلب تجديد	مطلب تحديد	١٧٦	بالهامش
ويوسعها وكان ذا	ويوسعها انا	١٧٧	٢٣
التفاصيل	التفاصيل	١٨٤	١٣
التابع الملتزم	التابع لملتزم	٢٠٢	١٢
المطلعة	المطلقة	٢٠٥	٨

خطا	صواب	صحيفه	سطر
البعيدة عن اوربا المحيطة	اوربا ومحاطة بالملل		
بالملل الحربية او المقواة	الحربية المقواة	٣٦	٨
كانت دائما	فكانت دائما	٣٦	١٠
باراضي	باراض	٣٦	١٨
كان وجود	وكان وجود	٣٦	٢٤
الاسلام واكتسبوا من	الاسلام بحيث ان من اطلع		
اخلاقهم الحميدة	على اخلاقهم الحميدة لابدان		
ما اكتسبوا اذلا	يكتسب منها فائدة جليلة فلم	٣٧	١٤
اختلاط العساكر	اخلاط العساكر	٣٧	٢٣
اكثر مما قاسوه	مثل ما قاسوه	٣٩	١٢
كتب من القوانين	بعض من الوثائق	٣٩	[illegible]
هذه القوانين	هذه الوثائق	٤٠	٢٠
لكون حكومتهم	فكانوا يحكمون		
بلغت الغاية في الظلم	فيها كيف شاؤا	٤٠	٢٤
الطبيعة	الطبيعية	٤٠	٢٥
الخامس عشر	الحادي عشر	٤١	١٩
جميعة	جمعية	٤١	٢١
حرة لا يمكن	حرة اذ بموجبها لا يمكن	٤٥	٢٤
الاستقراطي	الارستقراطي	٤٦	١٩
والاحكام	والحكام	٤٩	١٥
للتفاقم	للتفاقم	٥٢	٧
المعاداة الزمانية الوقتية	المعاداة انقطاعا وقتيا	٥٣	١٣
مطلب العيون	مطلب العيوب	٥٤	بالهامش
المتهم بها	المتهم بها	٥٥	١٧

خطا	صواب	صحيفه	سطر
تكفى	يكفى	[illegible]	٣
ولاعزر	ولاعذر	٣٢٨	٢٣
فنزقت بمشورة	فتوقفت مشورة	٣٢٩	٢١
[illegible] ديوان	منع ديوان	٣٤٥	١٢
مسطيلة	مستطيلة	٣٤٨	٢٣
وسطران ثروة	ومطران ثروة	٣٥٠	١٣
فحاج	فحتاج	٣٦٠	٢٣
بل واجبة	بل واجبه	٣٦٦	١٠
من لا يفعل	من لا يفعل	٣٦٨	١
عن الجبابى	عن الجانى	٣٦٩	٦
توسبينك	بوسبيك	٣٧٤	٣
من تعد	من تعدى	٣٧٧	١٥
اوقع بينة	اوقع بينه	٣٧٨	١
أن يصغ	ان يصغى	٣٧٨	٧
يحضروه	يحضرونه	٣٧٩	٢١
ثانى	ثان	٣٧٩	٣
ان تحصل	ان تحصل	٣٨١	٢٠
من الظالم	من الظالم	٣٨٢	١٢
ودعى	ودعا	٣٨٢	٤
يشهدون عليك	يشهدون لك	٣٨٤	١٧
يعذر	يعزر	٣٨٤	٢٤

خطا	صواب	صحيفه	سطر
فديه	بنداء	٢٠٨	١٥
شجميه ن	بجميه من	٢٠٨	١٥
قونتذامونيس ردونة	قونتيقونيس وقونتية	٢٠٨	٢٣
وترليه انيه	وترلدا رانيه	٢٠٩	٢١
واشله كثيرة	واشلته كثيرة	٢٠٩	٢٤
كوندران	كوزاد	٢١١	٩
لم يتكنى	لم يمكنى	٢١٥	٣
ويمكنه	او يمكنه	٢١٧	٧
وافناء	واقتناء	٢٣٣	٨
الفرنساوية	الفرنساوية	٢٤٦	١٨
والاجما	بالاعمام	٢٥٧	[illegible]
كان محرمة	كانت محترمة	٢٦٠	٣
لتدوق	لتذوق	٢٦٠	٢٤
الخوريين	الخوريين	٢٦١	١١
يوس سرا	يوس صدرس	٢٦٤	٢١
سبب ان	سبب كانت	٢٦٤	٢٢
اويعاقبوا	ويعاقبوا	٢٦٤	٢٤
فايطلوا	فابطلوا	٢٦٦	١٢
بونتوس هونوس	بونتوس هونوروس	٢٧٦	١٥
الدعاوى والى	الدعاوى الى	٢٨٥	١٨
لاوامر البا	لاوامر البابا	٢٩٦	٩
باكستير	سيبكستير	٣٠٠	١
بغرض بعض	بفرض بعض	٣٠٤	١٣
لاتفوق من الاعما	لاتفيق من الاغماء	٣١٢	١٣

الجلية الذى فاق عصره على زمن الخلفاء العباسية فاحيى ما كان مندرسا من الآداب والفنون واظهر ما كان كامنا مستورا عن العيون لا زالت اجنحة النعم على ابوابه مقصورة وآفات الهم باعتاب اعدائه محصورة ولا زالت عساكره مؤيدة منصورة وحكومته مشيدة واعداؤه مقهورة ولا برحت دواوين مملكته زاهية زاهرة لا سيما ديوان المدارس بملاحظة مديره مختار بيك المفخم امين (اما بعد) فيقول راجى رحمة الملك الودود عبده خليفة محمود هذه ترجمة لطيفة لمقدمة منيفة فى ذكر تقدم الجمعية فى البلاد الافرنجية مترجمة من الانكليزية الى الفرنساوية حازت عند الافرنج كمال الشهرة وظفرت من كتب التاريخ بالنصرة ودخلت فى غالب اللغات فكان ادخالها فى اللغة العربية من اعظم المهمات لا سيما وان الخديوى الاعظم الذى يسلك مسالك حسن التربية والتمدن يرغب فى الاطلاع على مثل هذه التواريخ ويروم تعليم اهالى مملكته واطلاعهم على هذه المنافع فلهذا اخذت فى تعريبها بكمال تنقيحها وتهذيبها وسميتها اتحاف الملوك الالبا بتقدم الجمعيات فى اوربا وحيث انها باللغة الفرنساوية من مستصعبات التآليف ومختصرات التصانيف استعنت فى تذليل صعابها وكشف نقابها بمراجعة من يسابق القلم فى مدحه ووصفه قصير ومن اتى فى مدحه بابدع مقال فانما اتى باليسير من كثير حضرة رفاعة افندى مدير مدرسة الالسن حيث انه توفق والمادة [illegible] لدى [illegible] كان خير ترجمة لا سيما من امثالى حيث انه لم يكن لى فى مدرسة الالسن غير يسير فى اشتغالى ببساتين اللغتين فالحمد لله الذى جعل مشروعاتى الى الدعم ناجحة ومقاصده راجحة والله الموفق وبه الاعانة

ديباجة

معينا على قرآءة التاريخ ملخصة من كتاب انموذج العلوم التاريخية حد سيسيرون التاريخ بانه شاهد الازمنة نور الحقيقة مدرسة الحياة رسول السلف الى الخلف انتهى ولا بأس بان يراد فى التعريف استاذ الملوك والرعايا

اتحاف الملوك الالبا

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد المن جعل التواريخ تذكرة لما مضى من الزمان وجعلها مشتملة على سير
كل امة ورسولها او رعية وسلطان ولولاها لتشتتت الوقائع وغرقت الحوادث
في بحار النسيان وصارت نسيا منسيا عند كل انسان فسبحانه من اله
خلق الانسان وميزه بالعرفان وجعل لسانه ترجمان الجنان وخصه بالحكمة
وعلو الهمة وجعل مظهر ذلك بعض البلدان فشرف آسيا بفخار الرسالة
والنبوة والكرم والفتوة ثم خص الآن اوربا بفخار علوم المعاش النافعة
وفنون التربية الساطعة واخرج اهلها من حيز الخشنية الى الحضارة المدنية
وجعلهم ارباب علوم وصناعات سنية وصلاة وسلاما على سيدنا محمد وعلى اله
واصحابه البررة الكرام وامته المفضلين على غيرهم من امم الانام امة ترغب
في تاريخها الافاضل لكونه يستمد منه انواع الفضائل ثم الدعاء لولي النعم

داون وقبيوس بيكتوروبيرون ومن هنا يفهم ان مبدأ تاريخ الاجتماع
الانسانى هو مبدأ التاريخ يعنى زمن وجود النوع الانسانى بتقرب لاصل
الفطرة وعدم تقدمه فى التربية والتمدن هو [illegible] ذلك زمن [illegible]
فى مباديه وطفوليته ولكن هذا التاريخ مع عدم [illegible] مباقور [illegible]
ومنشأ للاعتبارات

فبذلك نشأت [illegible] بعد قليل من الزمن وكثرت المخالطات والمعاشرات
بين الامم وسادر العقلاء فى طرق جديدة [illegible] وكتب المؤرخون
تواريخ الحروب الى شئ [illegible] ارتقع [illegible] بين [illegible] كان اصحاب هذا
التاريخ اولى باسم المؤرخين حقيقة لان من تقدمهم انما هو اقرب للتسمية به
على سبيل المجاز ولم يظهر هردوط ابو التاريخ الا بعد حروب اكرسه واكرسيس
ملك العجم فى بلاد اليونان فكان هذا المؤرخ لشدة محبته وكثرة سروره يحاول
معرفة اصل الامم التى يريد ذكرها فى كتابه ويحاول التعرف على الامم الغابرة
ويبحث عنها فى كتب المتقدمين مع غاية التجرد وامعان التعقل والتفكر فلذلك
كان به افتتاح العصر الثانى للتاريخ اى زمنه الثانى على انه يمكن تسميته بالزمن
الاول حيث به استحق تقييد الوقائع على هذه الكيفية اسم التاريخ ولكن
لما كان لسائر الامم فى زمن جاهليتهم تاريخ كثير الاوهام احتاج الامر
ان يعبر عن هذا التاريخ باول عصر او اول قرن من الطفولية [illegible]
[illegible]
ثم ان هردوط وطوقيديد [illegible]
حالته وطبيعته بالنسبة للتاريخ [illegible] الا ان ايرادها ذكرها
كانت اول بقعة تخرج منها كبار المؤرخين [illegible]
المشحونة بالحكمة والفلسفة التى ادركها الانسان تذكر بها هذه البلاد
فكان فى تلك البقاع اليونانية هردوط يقص عليهم السير فى المحافل وكانوا
يميلون الى سماع العبارات السلسة الالفاظ اكثر من ميلهم الى غريب المعانى
فلهذا كان ذلك المؤرخ يضطر فى بعض الاحيان الى الاضرار بالمعانى

بمعلمهم ولم يتطرق الى العلوم المعمرة على ممر الايام بعد ان مكث مدة مديدة عن رواسخ القدم فلما اتسعت الافكار واخذت الحوادث فى الكثرة والانتشار واحتاجت الى التقييد والاعتبار ظهرت فيه المؤلفات العظيمة والمصنفات الحسنة لتربط الازمان والناس بالاماكن والآثار وتذكر ما مضى اتم تذكار

ولا يجهل انسان ان الحوادث الاولية التى جرت فى الاحقاب الخالية والاعصار الماضية لم يقف احد الى الآن على حقيقتها مع كثرة بحث المتأخرين عنها وتشوقهم الى معرفتها ولم يظهر منها الا يسير اخذ من كلام الشعراء مما لا يفى بالمرام ولا يشفى غليل العلماء الاعلام كبعض حكايات فى الاخلاق والعوائد او فى الحروب وحماسة الشجعان مع قلة الفوائد واما الوقائع المهمة التى حصل بها تغيير عظيم على ظهر الارض واستمرت آثارها وقتا ما الى يوم العرض فانها بقيت الى الآن مجهولة الاصول والاسباب منطوية فى سرادق الشك والارتياب ولما كان اوميروس اول شعراء اليونان كان بالضرورة اول مؤرخ لرمان من شعره عرفنا بعض شئ بالنسبة الى ارض الروم واناطولى والى الآن لم نعرف وقائع هذه الجهات حق المعرفة وربما استمرت عدة قرون على هذه الحالة حتى ييسر الله سبحانه وتعالى بالوقوف على ما يدل عليها اوضح دلالة على ان ما تحدث به الشعراء من الوقائع وانشدوه فى اشعارهم السواطع فانما هو محض حكايات غير صحيحة الروايات وهى فى الغالب عرضة للتغيير والتبديل فاحتيج فى اثباتها الى دلائل يمكن الاعتماد عليها والوثوق بها فيحتج اليها وهذا بعينه هو اصل ظهور علم التاريخ

وكان المؤرخون فى اول الزمان لا يتعلقون الا بغرض سهل وذلك انهم حذر الضياع كانوا يؤرخون الحادثة بالمكان والزمن والاشخاص ويهملون ذكر ارتباط الوقائع بعضها ببعض والنسبة بين الامم والدول وكيفية الاختلاط الواقع بينهم وان كان هذا الاختلاط فى ذلك الزمن لم يبلغ درجة كمال فكان من المؤرخين بهذه المثابة من اليونان فرقيد وهيلانيكوس ومن الروما نيين

ان يحاكى فى تصنيفاته المورخ فلهون من المتأخرين

وهذا كثير بالنسبة لذلك الزمان الا انه يمكن ان يعاب على التاريخ فى ذلك العصر بانه كان منظورا فيه الى مقتضيات الاحوال اوالى حالة الاخلاق والعوائد وطبائع اهل ذلك الزمن ومثل هذا يقال ايضا فى تاريخ الرومانيين فاى فائده للمؤرخ اذا حاد عن طريق الانصاف واهمل حكايات الوقايع والحوادث كما حصلت وجرت ومال الى غرض نفسانى من الاغراض فرأى جميع ما ظهر فى وطنه حقا سواء كان كذلك فى الواقع اولا فاستصوب جميع الحروب والغارات الواقعة من اهل بلاده على غيرهم من البلاد ومدح حربه وذم الاعداء وبخس بهم وحسن معايب جماعته ورفع محاسن من عاداهم وجعل رذيلة اهل بلاده فضيلة اذا انسبب عن هذه الرذيلة توسيع مملكتهم وهذا عيب عام لسائر المؤرخين من الاقدمين حتى كان كتاب التاريخ انما هو ديوان مدح لبلاد مؤلفه فالمورخ يكتب تاريخه وهو مستحضر لوصف كونه من البلاد وكون هذا التاريخ لها وكان ينبغى له ان يقطع النظر عن ذلك ولا يرى فى نفسه الا كونه فيلسوفا حكيما يعلم الناس ويفيدهم فلا يكون فى آرائه معرضا ولا متحاملا ثم ان هذا كله يستدعى وجود مورخ مجرد عن الاوهام الفاسدة والوساوس الكاسدة التى تمرن عليها الانسان من صغره فلذلك كان وجود مؤلف منصف نادرا بين المتاحرين بلاغرابة فى ذلك بالنسبة

[illegible]

وبلاغتهم [illegible] ولا يحط بشانهم ولا ينافى شهرتهم بالفضل لما انهم [illegible] عرض التاريخ فى مثل ذلك العصر الذى هو اول العصر المتقدم [illegible] فيهم جميع شروط صفات المورخ فقدروا احسنها [illegible] وجعلها باقية على ممر الايام .

ولم يعرف قدر التاريخ ولا تبين لمقاماته الاقوى العقل بمدارس الفلسفة والاداب فان ايغور وتاوفنف اللذان لم يبق منهن مصنفا تهما شئ بل بقى الثناء عليهما

التاريخية وربما حكى بعض خرافات تسهيلهم لكونها تجر لمدحهم وربما كسا هذه الخرافات ثوب تحسين فى العبارة يسبى عقل الفصيح حتى ان سيسرون افصح الخطباء كثيرا ما تعجب من ذلك حين وقوفه عليه فانه فى تلك الزمن كان علم التاريخ لم يوضع ويدون ولكن كانت الحوادث قبل ان تنقل وتروى تمتحن وتقابل ويبحث عن ربط بعضها ببعض وكانت القصص والسير تذكر بوجه صحيح على سبيل الاستصواب والانكار فترضى العقل وتتسع بها دائرة الادراك فاستازهد الزمن ببعض تقدم فى التاريخ ولاح على وجه ذلك العصر سيمة انوار الثلاثة المورخين الذين نقشوا فيه طباعهم حيث كانوا ازينته وذلك ان هردوط كان يميل فى تاريخه الى العبارات الشعرية وطوقيديد يسلك فيها طريق الجد والفلسفة واما اغزينفون فانه كان يأتى كذلك على طريق الجد والفلسفة لكن مزينة تجذب القلوب وتستميل الالباب فبهذا كان التاريخ فى كتبهم اشبه بان يكون غير مقصود قصدا اوليا بل كان تابعا للفصاحة والتعميق فى العباره فكان جل اغراضهم انما هو اظهار فضائلهم فى صناعة الانشاء فلذلك كان التاريخ مقصورا على مجرد الوقائع والاشياء يعنى يبعث الكاتب على ان يؤديه بما يقدر عليه من فصيح العبارات وقد سبق لسان التاريخ اخذ فى التقدم من ذلك الوقت والحق ان تقدمه كان حقيقيا لا ظاهريا وذلك انك ترى فى كتب طوقيديد ان الغريب البعيد عن العقل ابدل بالاقرب للصواب المعضد بالادلة وان كان هردوط تبع هوى نفسه فى ميلها لمجرد الحكاية فان طوقيديد كان يملك نفسه ويتبع هواها بل يضبطها فى المعنى الذى يريد حكايته واما اغزينفون فانه كان يصنع للتاريخ كانه مدرسة للفضيلة والحكمة ولا يستحى من تادية الغرض المقصود منه لكونه غرضا حميدا فلذلك كان سيسيرون يسميه امير المورخين وملك الحكوميين واما نحن معاشر المتأخرين فلا نرى انه حرى بهذا الاسم لكونه فاته اغلب مهمات التاريخ بل انما يشهد بانه اول من جعل ذلك الفن مدرسة للملوك ومحلا للاداب وهو اول من استحق من مورخى المتقدمين

ووقائعهم حتى الاخبار بالاهم بوليب فانه كان مشغولا بعد الرومانيين
ومعاينا للحروب الواقعة بين اهل قرطاجنة واهل رومة فتيسر له وما
ان يبحث عن اختلاف سياسات هاتين الجمهوريتين وعن الفرق
بينهما واما تاسيت فانه كتب تاريخه في عصر فشت فيه
الفواحش فلذلك شرع في كتابه على عموم [illegible] وعلى ما يرذل
الانسان مما كان شرحه في دفتر وقائعه يعني تاثير اخلاق زمن
وطبعه في المؤرخين وما قيل في انشاء التاريخ يقال في انشاد الشعر
فان الشاعر اذا كان [illegible] عدوة
العاطلة وزخرفها حتى [illegible] وجبل
وان كانت العامة شبيهة به وذلك ان من يكتب ما شاهده في قرنه الذي
هو فيه فلا يعجب الا عصره بخلاف هل من يقطع النظر عن الوقت ويقصد
افادة اهالي القرون الآتية على تعاقبها فلا يقع مرامه بهجران بل تكون
متداولة على ممر الازمان

فلا زال التاريخ باحذف الانتشار الى ذلك الوقت ويهتم كل مؤرخ بزيادة
عمن قدمه من المؤرخين وهو في كتب بوليب قد ارتفع الى اقصى درجات
السياسة ثم بعد ذلك ذهب رونقه مرة واحدة ثم احدث في الانتعاش عند
الرومانيين وذلك لان حروف الهجاء التي لليونانيين لم يستعملوها في مدة
[illegible]
[illegible] التي في طبيعته مجرد
دفاتر تقييده للوقائع لا كتب تاريخ حقيقية ولم يزل التاريخ في مدة سالسته
يابس العبارة وليس له فضل في اتيانه كيف الا الاختصار والايضاح خاليا عن
عما ينتظره السامع من المناسبات ولم يكثر اكابر المؤرخين الا في زمن التمدن
والترقي في درجات الحضارة والتربية والرفاهية في بلاد اليونان حيث كان
التاريخ مؤلفا للمدارس الفصاحة كان له بهجة عظيمة ومنفعة لتربية التلامذة
وتاديبهم فلما تجدد التاريخ بمدينة رومة ظهر بها في حالة من يبس العبارة

لعصلهما ودد كرا كان فعل هردوط وطوقيديد واغريقون اوصاف الناس والوقائع بالنظر للافراد والاشخاص ولم يقف احدمنهم على معرفة البواعث الحاملة على الفعل ولا الآثار المترتبة على ذلك وفاتهم جميعا المواعظ والاعتبارات التى تنشأ عن الحوادث وانفرد بوليب بهذه المزية ووضع الحكمة فى التاريخ ومن المستغرب انه عند الامتين العظيمتين من القدماء وهما اليونان والرومانيون لم يظهر المؤرخون الحكميون الاعقب المؤرخين من الخطباء واهل الفصاحة وذلك لانه احتيج على تداول الايام الى جعل الحوادث التاريخية عرضة للنظر فيها وامتحان اسبابها ومسبباتها وفى الحقيقة قد جرت عادة الله تعالى ان يكون التصور والتخيل قبل التفكر والتعقل وان الانسان يمكنه ان يصف الشئ ظاهرا قبل ان يقتدر على الوقوف على حقيقته فكان عصر المؤرخين الحكماء عقب عصر المؤرخين الفصحاء وكان بوليب احكم ممن تقدمه من المؤرخين وظهر له حقيقة الغرض المقصود من التاريخ وادرك اهميته وكذلك تاسيت المتأخر عن ادباء مدينة رومة فانه عرف الحقيقة احسن من سابقه وكل منهما اراد ان يسلك مسلكا جديدا فامعن النظر فى الغرض المطلوب وكان موجودا فى زمن رغب فيه فى معرفة الاشياء والتأليف فيها اكثر من الرغبة فى صناعة تنميق العبارة والاعتناء بحيلها البديعية ولكن كان بينهما فرق ظاهر وذلك ان بوليب كان ينظر للتاريخ من جهة السياسة ومصلحة الدولة بخلاف تاسيت فانه كان يعتبره ايضا من جهة الادب وحسن السلوك والسيرة وقد برهن بوليب على ان انقراض دولة القرطاجيين وعظم دولة الرومانيين انما نشأ عن الفرق الواقع بين احكام الدولتين الجمهوريتين وقوا بنهما حسنا ورداءة فبذلك اعتبر المتأخرون واتعظوا بنقل هذه الحكاية وروايتها

وهكذا كانت اخلاق الامم تؤثر فى المؤرخين طورا شيئا وطورا آخر على حسب الحال وتعاقب الازمان مثلا هردوط كان يقص على الحاضرين كتابه ويريد بذلك فى الاكثر ان يفتنهم برقة عبارته ويعجبهم وقل ان يقصد تعلمهم

مؤرخي الرومانيين بل متى تكلموا على حروباتهم وبينهم واحتالوا [illegible]
اكتسبوه بوجه من هذه الاوجه اعتبار كسب حلال شريف الاستحقاق
وللمناظرين لهم من قومهم وتدبيرهم علامات شهدوا انها لهم [illegible]
الدنيا ويحكمون اهل الارض جميعا فاعتقدوا وكان ذلك الاعتقاد عن
عواطفهم ان كل اقليم تعلموا [illegible] كما اثر الاملاك
والعقارات [illegible]
[illegible] المسوره [illegible] رومانيه والرعية وذكر الخصومات التي [illegible]
بعيدا عن الانصاف وذلك لانه [illegible] آحاد الرعية ليسوا
خارجين عن الرومانيين واما بين الرومانيين والعرب فهي بمعنى واحد فاليونان
والرومانيون [illegible] كانوا رجالا واما من عداهم من الامم فانهم [illegible] اعجام
لا يعدون برومانى ويحتاج التنبيه الى شيء آخر وهو انه [illegible] يوجد
عند المؤرخين من المتقدمين والمتأخرين حب الطائفة والملة والجنس وهذا
كان سببا لكون المؤرخ مغرضا فاذا كان المؤرخ مثلا من طائفة الاشراف كان
مذهبه في كتابه الميل الى طريقة تحكيم الاكابر وتوليتهم لامور الدولة في مدينة
رومة في المخاصمات الواقعة بين مشورة الرومانيين المسماة السناتو وبين
الرعية اقروا ابطال [illegible] عدم عدل المشورة وكونها متولعة بالامور
[illegible] ويكون اهلها [illegible]
[illegible]
على [illegible] بالاعتياد على [illegible]
[illegible] الميل الى حكم الشرع [illegible] الاغراض [illegible]
[illegible] متعلق بالمؤرخ [illegible] اغراض [illegible]
الموجود في زمنها [illegible] المؤرخ
[illegible] وهي عدم العرض والعلم [illegible]
ولا طائفة ومن لا [illegible]
انه لا مذهب له الا مذهب [illegible]

وخفيت تأليفات الرومانيين لاد اليونان ودخلت بمدينة رومة علومهم
وفنونهم وظهر بها نموذج تاريخهم بحيث سولت للرومانيين ان ينسجوا
على منوال الكتب الصحيحة التي تداولوها فاكتسبت مؤلفاتهم التاريخية
اكثر من التواريخ اليونانية غرابة بقي بها بعض من الاختلال الناشئ عن
اختلاف العوائد والاخلاق فكان التاريخ في هذا العصر الذي هو احد
عصري التاريخ عند الرومانيين مشتملا على الفصاحة والبلاغة وكان اول من
نسج على هذا المنوال المؤرخ سالوستيوس ثم بعده ظهر المؤلف تيتليوس وبذل
جهده وصرف همته في فصاحة العبارة وبلاغة المحاورات والتخيلات التي سمح
بها فكره وقد عبنا على مؤرخي اليونانيين بانهم كانوا يجارون اوهام زمنهم
ويسايرون بدع اعصرهم ويستحسنون جميع ما حصل من اهل بلادهم
ويذمون ما عداه وهذا حري بان يسمى حب النفس والملة ولا يليق تسميته
حب الوطن وهذا الخلق لم ينفك عن غيرها عند الرومانيين فان ميلهم الى اظهار
كرم اصلهم وثبات مجدهم جعلهم يذكرون في تواريخهم انواع الخرافات
ولم يذكروا ما اوجب عيبهم في السير فيرقون الحوادث بما يناسب
هوى النفس بدليل ما في كتب تيتليوس من الوقائع كحكاية الذئبة التي رضعت
رومولوس الذي هو وحده مؤسس مدينة رومة وحكاية
كون هزيمة المسمى ... التي كانت في ذلك الزمان ... السفينة
التي كانت تجرها بمنطقتها ومن الغرائب ان المؤرخ تاسيت كان يعتقد ذلك
فهذه الاوهام التي لا تليق الا بالعوام هي مما يعاب على المؤرخين الفضلاء
في ذلك الزمان ويلام عليهم بعدم ردها والمبالغة عليها ويقال ان سبب ذلك
محبة النفس والملة وللتاريخ في ذلك الزمان ايضا آفة اخرى وهي محبة النفس
السياسية عند الرومانيين اي محبة سياسة مملكته دون غيرها ولذا ان من اراد
ان لا يكون متحاملا ولا متعسفا بل تابعا في تاريخه منهج الحق والانصاف
يحتم عليه ان يغلب اوهام العامة ولا يتمسك بها بل اذا اراد ان يتكلم على جميع
الامم فانهم متصفون بذاته جميع الامم كل على اوطانه ولم يكن بتلك المشابهة

الى صميم القلب ولا يضل فى سيره اليه ولكن يعاب على هذا المؤرخ بنكتة واحدة وهى انه فى اقتصاره على ذكر قلوب الناس فرض ان مسائل التاريخ ووقائعه معلومة تفصيلا قبل تأليفه فحققها من غير ان يفصلها فاذا قرأ الانسان تاريخه وحده من غير ان يطلع على غيره من كتب المؤرخين ربما صعب عليه فهم عبارته وغاية الامر انا نسلم ان الانسان الواحد لا يمكنه انه يتصف بالصفات اللازمة لكمال التاريخ ويحوز صفات المؤرخ ومع ذلك فلا ينكر ان تاسيت اتصف باهم الصفات واعتنى بجعل التاريخ مدرسة ادب وسلوك يذكره فى كتبه [illegible] بالمكنه فيها من المدح

فلما ضعفت رومة نفسها كما ضعف اهل اليونان قبلها رجع التاريخ الى ما كان عليه من الخشونة لم يكترث الناظرون لها بكتابة التاريخ وبقى الامر على ذلك الى ان رجع الناس الى الاشتغال بالعلوم فما وجدوا الا فى بلاد اليونان وفى خراب السلطنة الاخيرة كتبا تاريخية مقيدة بمجرد الازمنة واغلبها مجرد عن الفضل وانما اخذوها وحصلوها العدم وجود غيرها مما يدل على حال العصر المسمى بالعصر الاوسط وهو مدة عظيمة من الزمن ضاعت فيها العلوم التاريخية ولم ينشأ فيها الا رسوم ناقصة آل امرها الى ارشاد متأخرى المؤرخين الى معرفة بعض شىء من مجهولات تلك الازمان ولما [illegible] اهم الشغل [illegible]

[illegible]

من الا[illegible] وتذكر عاداتهم [illegible] حيث كان يستوى عندهم معرفة اصل بقائهم على الخمول فى المدة الماضية وعدم معرفة اصل ذلك فصاروا يسألون ويبحثون عن اصلهم وعن آبائهم واجدادهم وما حصل لهم وكيف كانت احكامهم وعوائدهم وحالة معاشهم

وهذا هو اصل التاريخ الجديد الذى اتسع باتساع العلوم ومع ذلك فلم يظهر فيه من المؤرخين من يضاهى مؤرخى المتقدمين ولكن اذا لم يكن من المؤرخين مثل هؤلاء فان قواعد علم التاريخ قد برعت وتبحر فيها اكثر من المتقدمين

للمؤرخ الكامل ومن ذكرناه من المورخين يوجد في كل فرد منهم بعض هذه
الصفات ويفقد منه البعض وتوفر هذه الشروط باسرها في مورخ واحد ليس
الا انموذجا ومثالا وجوده في الاذهان اسهل من وجوده في خارج الاعيان
فاذا كلفت انسانا ان يجمع بين فصاحة هيرودوط واغزينفون وتيتليوه
وتشبيهاتهم ومجازاتهم وقوة معاني طوقيديد وحماسة عباراته واتساع ادراك
بوليب وحكمته وفلسفته وان يضم لذلك ادب تاسيت واستقامته وحسن
سلوكه فان هذا تكليف بما لا يطاق لان الطبع البشري وان كان يميل الى الكمال
في مقصده فهو قاصر في وسائله ووسائطه ومع ذلك فلا ينبغي للانسان ان
يشكل على ما ذكرناه لانه يعدم امكان النسج على هذا المنوال الذي
لا وجود له الا في الخيال بل يشرع في تجربة نفسه فيه كما ان المصور يحاول
في تصويره امورا تخييلية لم تظهر صورتها في تاريخ الاعيان وليس لها
وجود الا في مجرد الذهن وبعد عصر اغسطوس لم يتقدم التاريخ زيادة
عما اسلفنا بل بالنظر الى بعض الاشياء كان دون تقدمه عند اليونانيين فان
بوليب وحده هو الذي احدث دون مورخي اليونانيين في التاريخ حماسا عظيما
عند اليونان بادخال نوع السياسة فيه وزاد تاسيت عند الرومانيين حماسا
آخر وتقدما ثانيا حيث جدد فيه تاريخا ادبيا اذ كر حسن السير والاخلاق
فهو الذي فاجس قلوب البشر كشف القناع عن مداراة الملك تيبر الشنيعة
وحيلته وازال الغطاء عن جبر الملك نيرون وقساوته وبلادة اقلودس وغباوته
وهو الذي عرف الفضيلة والرذيلة ووصفهما باوصاف مطابقة لما في الواقع
مشتملة على الحماسة وكان قلمه مناسبا للمعنى المقصود بالكلام فكان ينفر
النفس عن الرذيلة ويرغبها في الفضيلة بعبارته المستحسنة المناسبة للمقام
الموفية بالمرام وقد ظهر لتاسيت ان التاريخ المشتمل على مجرد تحسين
العبارة وسلاستها لا يفيد في الغرض المقصود من التاريخ شيأ فلذلك سلك
في عبارته التوسط في الخطابة والانشاء ولم يشم من كلامه رايحة المداهنة
والتملق بل ذكر الحقيقة خالصة من غير زخرفة لجزمه بان الصدق يصل وحده

اول وذلك انه ينبغي للمؤرخ انه لا يغير مذهبه وان يكون في حالة واحدة في رأيه
ولكن الاحوال تختلف كما هو مشاهد مثلا عند القدماء كان التاريخ مقتصرا
على ذكر امة واحدة بالذات ويتكلم على غيرها بالعرض ففي زمن
الرومانيين لم تكن الدنيا كلها الا مملكة واحدة ولا توجد في ذلك الزمن
السياسة الخارجية الا قليلا وليس الامر كذلك في زمن المتأخرين فان
الدول المختلفة في الاحكام والرايات متحدة في الاعتبار وملاحظة التساوي
فينبغي للمؤرخ حينئذ اختبار سياستها وذكر اوصاف اخلاقها وعوائدها
وان كان ينبغي للمؤرخ [illegible] فالتاريخ [illegible]
ذكر اختلاف عوائد كل من الرومانيين و[illegible] واحكامهم دون
التعرض لمن عداهم واما الآن [illegible] هذا الشيء
لانه اذا [illegible] جميع من عداها فاذا شرع
انسان في تأدية جميع ذلك [illegible] الى بسط الكلام
في التاريخ والى [illegible] الاستيعاب فان هذا
شيء لا ينفد ولا يتم [illegible] الكلام على الازمنة الجديدة وما بقي
من الازمنة القديمة [illegible] متعلقا
بالازمنة القديمة لكونه [illegible] بعدنا عن الازمنة
القديمة [illegible] ان لا نسأل في شأنها التفاصيل كثيرة في الوقائع التي مضت
[illegible]
ان التاريخ الجديد يحتاج [illegible] حتى يتم
شأنه وهذا يكون [illegible] على وجه [illegible] ومن يستغني من أرخ
في القديم ويتخلص من تلك الورطة [illegible] وحيث امكنه الجمع بين الزمن
القديم والجديد مع عدم الاخلال بالمقصود وانفرد بالاختصار وحسن
الترتيب وبلاغة العبارة ووفى بالوقائع التاريخية والديانية فتاريخه عظيم
متعلق بالديانات فذكر علم التاريخ من منذ زمن المتقدمين وحكاية تقدمه من
ذلك الزمن الى الآن امر صعب ويحتاج لتطويل وبالجملة فكلما بعد التاريخ

وان كان فى اجراء الاحكام وتطبيق القواعد دونهم فانا نحسن خير امتهم ما ينبغى فعله وهذا يتولد عن عدة اسباب وقبل نسبة ذلك لعدم كفاية المعرفة ينبغى ان نبحث عن كون ذلك كما حصل من فقد المعرفة اللازمة حصل من عجز السياسة وعدم اسعافها ولكن قبل المبادرة بايراد هذه المشكلة ينبغى لنا ان نبحث عن سير علم التاريخ فى هذه المدة الجديدة التى يرجع فيها الى مباديه وهذه هى المرة السادسة لصعف التاريخ

فنقول ان قدماء مؤرخى الافرنج لم يعرفوا قبل هذه المدة ما حقيقة التاريخ وما يلازمه فان مؤلفاتهم كانت خالية عن النظام والترتيب لا يفهم منها غرض واضح لكون عبارتها قاصرة مفيدة ما عهدوه من الحوادث او ما وقع قبيل عصرهم فكان ما سطروه اعلا واحسن مما ننتقده فى اوائل المؤرخين والان مضى زمن طويل قبل ان يظهر هذا التاريخ الذى لم يذكر الازمنة والوقائع واشهر المؤرخين من اهل هذا الزمان غروسيردا كونه هو اصل من كتب التاريخ فى ذلك الزمان وهو الذى كتب تاريخ فرانسا والانكليز وغيرهم والى الآن يستحسن صورة تاليفه الخالصة المشحونة بالفوائد ففى ذكره آداب قدماء الافرنج نبه على اشياء غريبة تدل على ان اول تاريخ الافرنج وابتداءه قبل ابتداء تاريخ القدماء ولكن هذا لا يكفى فى نسبة تاريخ الاعصر الماضية الى تاريخ الافرنج ومقابلة ابهام غرض المتأخرين لاشكاله اوجب صعوبه اصناف المشروعات التاريخية فلهذا استحسن الافرنج البحث عن الاشياء ومعرفتها وكان هذا جزأ من علم التاريخ فكثرت فروعه وتشعبت عنه شعب كثيرة وظهرت صعوبته فلذلك تعرض بعض المؤرخين مثل المؤرخ ميلون ومتفيكرون وبتان وغيرهم للكشف عن علم الازمان واضطروا الى المناقضة والمنازعة فى الازمنة ليحققوا ما ظهر فيها من الاوهام التى بها يجهل الانسان هذا الفن وهذا هو السبب فى كون المتأخرين من مؤرخى الافرنج حصل لهم عاقة عن حكاية نفس السير والاوصاف بالمنازعة فى الازمنة والامكنة فيضيعون الزمن فى هذه المنازعة ويتركون القصص والظاهر من

والقوانين والآداب

تأثير [illegible] الروماني في حالة اوربا

اعلم انه حصل تغيران عظيمان في الحالة السياسية والاخلاق الملية لاوربة احدهما نشأ عن تقدم المملكة الرومانية في الشوكة والآخر [illegible] هذه المملكة ايضا وذلك لان التولع بالفتوحات لما وصل بالجيش الروماني الى خلف جبال الالب رأى سائر البلاد التي دخلها مسكونة بامم متوحشة متبربرة كان الرومانيون يسمونهم [illegible] لكنها كانت مستقلة بنفسها فكانت لافراطها في الشجاعة تحامي عن ارضها [illegible] بقوة عجيبة ومقاومة غريبة لكن حسن تربية الرومانيين في التعليم العسكري كان هو السبب في نصرتهم على هؤلاء الامم لا كثرة شجاعتهم ومع ذلك لم تكن هؤلاء الامم مثل سكان آسيا الذين هم كالنساء في الارتخاء وتزيد الهمة بحيث انهم بمجرد غلبتهم في واقعة واحدة سلموا انفسهم ورقابهم لاعدائهم بل كانوا يأخذون السلاح بهمة وشجاعة خالية عن التعليم العسكري ولكن لما كانوا ارباب همة عالية حاملة لهم على حب الحرية والتولع بالاستقلال قامت تلك الهمة عندهم مقام الفنون الحربية والتدبيرات العسكرية في مدة هذه الحروب الطويلة التي [illegible] الامم كان [illegible] يحاربون لاجل الدولة والمناصب الا [illegible] لاجل الحرية وكانت ولايات اوربا العظيمة قد تهدمت على التعاقب [illegible] الاهالي [illegible] في ميدان الحرب [illegible]

[illegible]

تحت طاعة الدولة الرومانية

الخلاف الذي ترتب على فتوحات الرومانيين

وبعد ان حرب الرومانيون بلاد [illegible] وشرعوا في ادخال [illegible] فيها فرتبوا في الاقاليم المفتوحة عن قرب [illegible] الحكام [illegible] لكنه كان منتظما مستمرا على حالة واحدة يحفظ الراحة العامة ويبيد المصلحة الاهلية واعطوا الرعايا تلك الاقاليم الجديدة [illegible] وعلومهم ولغتهم واخلاقهم وهذا [illegible] ما كانوا عليه من الحرية

المنافع التي ترتبت على ذلك

ثم ان اوربا بعد ان كابدت تلك المصائب الكبيرة وقاست شدائدها شرعت تستريح وتتقوى على

من الناس والاشياء كان ذا صفة معايرة لما تقدم فانه يترك ما كان قليل النفع ولا يذكر الا الاشياء الصحيحة المفيدة وقد قدمت فلسفة القرن الثامن عشر من الميلاد التاريخ تقدما حقيقيا باسلوكها مسلكا آخر وذلك انهم رأوا ترتيب الملك والسلطنة على الكتب المطولة التي لا تتكلم الا على اشياء لا يبحث عنها المتأخرون فمثال الفلاسفة المتأخرين ولتير فانه سلك مسلك الاختصار في كتابه المسمى بجميل الطوائف واخلاقهم وكتاب منتسكيو المسمى سبب عظم دولة الرومانيين وانقراضها فهذان المؤلفان بينا انه ينبغي ترك التدقيق الذي يعطل تقدم التاريخ وهما اول من نسج على منوال التاريخ الفلسفي ومن هذا الوقت الذي هو عصرنا هذا تغير سلوك التعليم التاريخي تغيرا عظيما

وللتاريخ غرضان ان يحب الانسان اهل زمانه وان يعلمهم التاريخ ولا يميل الفلاسفة الا للغرض الثاني ويعجبهم ان المؤرخين في هذا العصر يبذلون جهدهم فيه وممن امتاز منهم في ذلك ولتير وروبرتسون ومن له ذوق سليم مثلهما انما ينظر اختلاف الاخلاق والعوائد والآراء والمذاهب بل وغرائب النوع البشري ويسألون عن اوائل اجتماعات الامم وما كانت عليه احكامهم واصولهم ولغاتهم وصنايعهم الاولية ومعايشهم واختلاف عقولهم وماهي المضار والمنافع المترتبة على اختلاف السياسات وما اصل قوة الامم وغناهم على اختلاف ذلك وما عقل مشاهير الناس وخصالهم الحميدة والذميمة التي اثرت في اهل بلادهم وما سبب تقدم التمدن والصنايع والعلوم فهذا هو غرض العصر الذي نحن فيه وهو ما يسمى بالتاريخ الفلسفي او الادبي ومن اغراضه اختلاط الامم بعضها ببعض بالنسبة للروابط السياسية والتجارات والاحكام ومحبة الجنس لجنسه وقد ادى هذا الغرض مؤلف كتابنا هذا حيث ذكر فيه تقدم الجمعيات التي حصلت في اوربا من منذ خراب المملكة الرومانية الى ابتداء القرن السادس عشر ورتبه على ثلاثة اقسام .

القسم الاول

في ذكر التقدم الذي حصل في اوربا بالنسبة الى الحكومة الداخلية

والقوانين

وبادرت بتدمير المملكة حتى كأنه تولد فيها ملل جديدة نزلت من اقاليم
مجهولة لينتقموا من الرومانيين فى نظير سوء صنيعهم مع الناس وكانت هذه
الامم الخشنية ساكنة باقاليم مختلفة من المانيا ولم تدخل اصلا فى قبضة
الرومانيين بل كانت مشتتة فى تلك الاقاليم الواسعة التى هى فى شمال اوربا
وفى الشمال الغربى من ولايات آسيا وهى الآن مسكونة بالدانيمرقية
والاسوجية واللاهة والروسية والتتار الذين لم يعرف حالهم وتاريخهم قبل
هذه الاغارة على المملكة الرومانية وجميع ما نعرفه فى شأنهم انما جاءنا من طرف
الرومانيين ومن حيث ان الرومانيين لم يتوغلوا فى داخل تلك البلاد العقيمة التى
لا ينتج بها زرع لم يتركوا لنا الا تفاصيل ناقصة جدا تتعلق بحال تلك الامم
القديمة التى كانت تسكنها وكانت هذه الامم متبربرة متوحشة ليس عندها
شئ من الفنون والكتب ولم يكن لها زمن ولا رغبة فى البحث على الوقائع
الماضية ولعلها يمكن ان لها بعض معرفة فى كونها تتذكر بعض وقائع
جديدة حديثة الوقوع واما الازمنة الخالية المتقدمة فكانت عندهم نسيا
منسيا وربما غيروها بحكايات باطلة واضافوا اليها خرافات عاطلة

حالة البلاد التى خرج منها هؤلاء الامم المتبربرة

وكثرة عدد هؤلاء الامم الخشنيين الذين تغلبوا بالتعاقب على المملكة الرومانية
من ابتداء القرن الرابع الى تدمير مملكة الرومانيين تدل الناس على ان البلاد التى
خرجوا منها كانت ممتلئة بالسكان وذهبوا فى اسباب تلك الكثرة فى مذاهب
شتى وجعلوا هذه البلاد منبع الجنس البشرى ولكن اذا تأملنا فى كون الاراضى
المسكونة بهؤلاء الامم عجيبة الامتداد مغطاة فى اعظمها بالغابات والبطائح
وفى ان اعظم القبائل المتبربرة الساكنة بها كانت معايشهم بالصيد والمرعى
وفى ان هاتين الصفتين يلزم معهما مسافات كثيرة من الارض لاجل تعيش
عدد قليل من السكان وفى انه لم يكن بين هذه الامم احد يعرف شيئا من الفنون
ولا من الصنايع التى بدونها لا يحصل التقدم ظهر لنا بالبداهة ان الاراضى التى
كانوا يسكنونها لم تكن معمورة فى الزمن السابق ازيد من هذا الزمن مع انها
الآن اقل عمارة وسكانا من باقى اقسام اوربا وآسيا بكثير

التدريج فحسنت مزارعها وقربت وزادت الاهالى وتكاثرت وتجدد فيها من الخيرات ما يجبر فى بعض المواضع خلل الحرب وافساده

النتائج الرديئة التى نشأت عن الدولة الرومانية

ولكن هذه الدولة كانت بعيدة جدا عن كونها تتكفل بالراحة وسعادة الامم وتعين على تقدم العقل البشرى فى المعارف وكانت الملل المغلوبة قد تجردت عن سلاحها وسلمته للغالبين وكانت مضبوطة ممسوكة من طرف الغالبين بعساكر مستأجرة لاجل مشاهدة جميع حركاتها وكانت الاقاليم المختلفة متروكة للحكام الذين كانوا ينهبونها بلا قصاص فجميع اموالها اخذت بالفرن المجاورة للحد وكانت تلك الاموال المسلوبة توزع من غير عدل ولا انصاف وكان حمل ذلك ثقيلا جدا على الرعايا حتى ان الرجال الماهرين فى الصنائع التزموا ان يتركوا اوطانهم ويذهبوا ليبحثوا عن السعادة فى مدينة بعيدة يعتادون فيها على طاعتهم طاعة كاملة وتسليمهم امورهم تسليما كليا وارشادهم فى جميع اعمالهم لملك فاعل مختار يتصرف فيهم كيف شاء فبهذه المثابة التى على تلك الحالة التى ينتج منها فساد العقول لم يمكن لهذه الامم ان تحفظ شأنها وعظمها ومحبتها للاستقلال وما كان عليه اسلافها من محبة الحرية والحرب التى اكتسبوها عن غيرهم من الامم ذهب عن هؤلاء الخلف وانقرض بدخولهم فى الرق والخدمة ففقدوا عاداتهم القديمة واقتدارهم على تنظيم امورهم واعمالهم بانفسهم فاحكام مملكة رومة كاحكام غيرها من عظيم الممالك الاخرى اضعفت النوع البشرى وجعلته خبيثا بعد ان كان طيب الاصل شريف العنصر

اغارة الامم الخشنية

ولم يمكن لهذه الجمعية ان تعيش على مثل تلك الحالة زمنا طويلا فان الدولة الرومانية مع ما كانت عليه من المنظر الاكمل والترتيب الاجمل كان لها من العيوب ما يفضى بها الى انحلال انتظامها فكان هذا الداء يعظم ويكبر حتى تكامل فسادها بانشائهم فيها تغييرات جديدة وقوانين معيبة لو خليت ونفسها لتكفلت بخراب المملكة من غير قوة اجنبية ولكن اغارة الغوطيين والونداليين والهونيين وغيرهم من الخشنيين اسرعت فى حصول هذه الواقعة

حتى ان [illegible] في تلك الاضطرابات الاخيرة وعند [illegible] مكانت

الا لاداعى بتركونها اسكنها على [illegible] البلاد

البعيدة جدا وكانت كل امة [illegible] الاقاليم شديدة [illegible] وكانوا

كالسيل يتزايدون دائما ويهدمون جميع ما يجدونه في طريقهم ومن الغارة

الاولى حصل ان الامم الحسنية [illegible] في اقل من

قرنين قد اغاروا على [illegible] وكذلك [illegible] البلاد [illegible]

و [illegible]

الى الشرق الرومانيون في [illegible]

قرون عديدة [illegible]

الاسباب في [illegible] المملكة الرومانية

ثم ان [illegible] اسباب مختلفة [illegible]

[illegible] نجاح [illegible] الى ان استولوا على المملكة الرومانية [illegible]

الرومانية [illegible]

السياسية وقوة [illegible]

امبراطورها كانت عليه الجمهورية [illegible] القديمة [illegible]

اتخذت [illegible] العسكرية [illegible] على التدريج [illegible]

الرومانية في القرن الرابع واحساس ان [illegible] بالكلية [illegible]

الجمهورية [illegible] التي انتصرت كل [illegible]

[illegible]

[illegible]

الذين دخلوا في العسكرية [illegible] الجامكية ولكن [illegible] كانوا

يخدمون بمجرد الجامكية كانوا ضعافا [illegible] يعفون انفسهم

لتعب الخدم العسكرية بل شكوا من ثقل اسلحتهم [illegible] عنهم حتى افضى

بهم ذلك الى تركها لكونهم لم يمكنهم حملها والعساكر المشاة الذين كانوا سابقا

قوة الجيش الروماني صاروا مستحقرين حتى كانت عساكر الازمنة المتأخرة

مثل النساء في الارتخاء لا يعرفون تنظيما ولا تعلما كان لا يمكنهم السفر الى

ولكن الاحوال التي جعلت اهالي الامم الخشنية قليلة اعانهم على
الميل الى الحروب وقرب قلوبهم وذلك انهم من شدة برد اقليمهم وقحط اراضيهم
اعتادوا اشغالا تزيد قوة جسمهم وروحهم وتمرنوا على المعيشة التي يستمرون
بها على دوام العمل فاحتقروا من الاشغال ما عدا الحرب فقصدوا الحروب
وانجروا انصباء بحريتهم العسكرية مع قوة عظيمة وغيرة واجتهاد يحسب ان
الناس المرتحين ببلدهم بانتمدن التنظيم لا يمكنهم ادراك ذلك اصلا

اسباب الاغارة الاولى

والاغارة الاولى الواقعة من هؤلاء الامم في ارض المملكة الرومانية كانت
ناشئة عن محبة السلب لا انها ناشئة عن ارادة صناعة ترتيب جديد فهيجهم
بعض رؤساء جاسرين على اخذ الاسلحة فخرجوا من غاباتهم وهجموا على
الاقاليم التي بحدود اراضيهم مع شدة الحدة التي لا تطاق فقتلوا جميع من رام
ان يصادمهم في الحرب وسلبوا امتعة الاهالي المعيسة وحرقوا بالحرق
والانهب كل بلدة صادفوها وعادوا الى غاباتهم منصورين على اعدائهم ومعهم
عدة من الاسرى ثم ان نجاحهم وما جلبوه من الغنائم وتخطيطهم البلاد
المزروعة احسن من بلادهم ومدحهم لها بسبب ما وجدوه بها من الاموال
وغيرها مما يغوي كل ذلك حرض اطماع امم اخرى اخلاط مثلهم فذهبوا
الى حدود الرومانيين وحربوها

اقامتهم في البلاد التي فتحوها

ولما خربت الاقاليم المتصلة بالحدود مما وقع من كثرة الاغارات ولم يبق بها
للنهب شيء اصلا بادرت الامم الخشنية بالدخول الى داخل المملكة ورأوا
ان في رجوعهم على اعقابهم صعوبة وخطرا عظيما فاستحسنوا الاستيطان
بتلك الاراضي التي استولوا عليها وانقطعت بعد ذلك هذه الاغارات القصيرة
التي ارهبت المملكة وغيرت رونقها ولكن ربما كان يخشى على المملكة
مصيبة اخوف جدا من تلك الاغارات فان كثيرا من الجموع المتسلحين ذهبوا
باولادهم ونسائهم وعبيدهم ومواشيهم ودخلوا كالمهاجرين لينشئوا عن
مساكن جديدة وذلك لعدم تعلق هؤلاء الامم الذين لا مدن لهم اصلا بل
ولا محل معين بالاراضي [illegible]

واما حالة الملل الخشنية فانها كانت مغايرة لحالة الملل الرومانية من كل وجه
فكان الميل الى الحرب فيها محفوظا بجميع قوته وكانت رؤساؤهم ارباب
شجاعة وجسارة عظيمة جدا وكانوا يجهلون الامور التى كانت بها دخول
الرومانيين وبطبيعة قوانينهم العسكرية كان يمكنهم بالسهولة ان يجندوا
جيوشا عديدة للحرب تكفيهم من غير ان يحتاجوا الكثير نفقة وكثرة
مصاريف بخلاف الجيوش الرومانية التى كانت تحفظ حدود المملكة فانها
لدناءتها وفتور همتها كانت تخشى من اغارة الاعداء عليها ثم تهرب حين
اقدامهم عليها وتنهزم فى اول مصادمة فكان الملوك يضطرون الى ان
يستأجروا جموع الكثيرة من الامم الخشنية ليقاوموا الطوائف التى كانت تأتى
لتحريك الاغارات الجديدة ولكن هذه الطريقة الخطرة عوضا عن كونها
تؤخر زوال المملكة بادرت بزوالها وذلك لان الجيوش المستأجرة بادرت
بتوجيه السلاح الى الدولة الرومانية التى كانوا مستخدمين فيها واحسنوا حمل
السلاح اكثر مما كانوا سابقا لانهم لما خدموا فى الجيوش الرومانية تعلموا
تنظيمات الحرب وفنونها التى كانت باقية الاثر دائما عند الرومانيين فازدادت
بتلك المعرفة قوتهم الطبيعية وصاروا لشدة شجاعتهم لا يمكن لاحد
ادخالهم تحت حكمه

وهذه الاسباب المختلفة بانضمامها الى عدة اسباب اخر اعانت على امرار
تقدم الملل التى خربت المملكة الرومانية ودمرتها [illegible] كثير
لانهم خربوا سائر المواضع بالهدم ونهبوا الاهالى بسفك دمائهم حتى
صارت كالامواج وذلك لان الامم المتمدنة التى كانت تأخذ الاسلحة بالتوالى
انما كانت مهيجة فقط باسباب السياسات او الاحتراس اما لان يحذروا
من خطر كان يروعهم او لينصروا عن انفسهم بعض وقائع مترقبة فكانوا
يقدمون على الحرب بلا همة وحماس وكانت المحاربة الصادرة منهم مجردة
عن الارهاب والازعاج بخلاف الخشنيين فانهم لم يعرفوا هذه الرقة بل كانوا
يشرعون فى الحرب مع الشدة والعنفوان وكانت عاقبة امره عندهم

الحرب الا اذا اعطوهم خيلا ولكن هذا الجيش الذى كان مستحقرا عندهم هو الذى كان مستأمنا وحده على محافظة المملكة من الاعدآء وغيرة الظلم منعت عن الاهالى حمل الاسلحة فكانت الرعايا المظلومة محرومة من الوسائط فلم يكن عندها قدرة على دفع العدو ولا ميل الى الحماية عن انفسها ممن كانت تخافه لان حالتها لا يمكن اصلا ان تصير اسوأ مما هى عليه وكان كلما ضعف التعليم العسكرى ينقص على التدريج ايراد المملكة وعظم ميلهم للاسراف فى الزينة المشرقية ومفاخرها حتى اشتد ذلك فى الديوان الايمبراطورى فكان يأخذ الاموال العظيمة ويذهب بها لشرآء نفائس الهند ولا يرجع اصلا وكذلك الاعانات العظيمة التى كانت تدفعها الدولة للملل المتبربرة كان يضيع فيها مقدار من الدراهم اعظم من ذلك وكذلك الاقاليم التى بالحدود خربت بالاغارات المتواترة التى كانت تقع من هؤلاء الامم الخشنين وصارت عن قريب عاجزة عن كونها تدفع الخراج المعتاد واما اموال الدنيا التى كانت مجموعة من مذ ازمان طويلة فى تخت الدولة الرومانية صارت عاقبة امرها ان ذهبت هباء منثورا فكما انها جاءت بكثرة انقلت عنها الى غيرها وفتحت لها ابواب اخرى فصارت كالبحر الذى تحول ماؤه الى الخلجان وصار نازحا ففقدت المملكة حينئذ القوة والشجاعة اللازمة لها لاجل الحماية عن نفسها ولم تقتبس شيأ من اتساع ارضها وعن قريب تعطلت جميع وسائطها وصارت دولتها العظيمة مضمحلة على التدريج حتى اشرفت على الدمار والايمبراطرة الذين كانوا يحكمون باحكام مطلقة التصرف تلبسوا بالزخارف المشرقية وتشبثوا بفتور الهمة وتكسر الاخلاق وصاروا لا يخرجون من قصورهم ويجهلوا الحروب واهملوا الاشتغال وصاروا تحت طاعة النسآء بل واغراض الطواشية والوزرآء ارباب الجبن والخيانة وكان بروعهم اقل قليل من الخلل ومن الاحوال التى تحتاج لكبير مشقة ومعاناة فى المشاور والاعمال وكانوا لا يظهرون فى كل شئ الا التردد الكامل الذى يدل على الخوف والحماقة

الاحوال التى اعانت الامم المتبربرة على الفوز والنجاح

هؤلاء الامم الخشنة باسم [illegible] الاقاليم [illegible]

[illegible] والنوقان والمصائب المحزنة التي صورها [illegible]

[illegible]

ولكن لا شئ يفيد بأعظم هذه الفتوحات الحربية اي رتبه من الامم الخشنة [illegible]

اكثر من الاطلاع على التغيرات العمومية التي حصلت [illegible] نزعت

الامم في [illegible] في القرن السادس وذلك لان [illegible] كانوا [illegible]

[illegible] ولين على الاقاليم الخصبة الذي [illegible]

استولت على [illegible] الهون على [illegible] وكذلك

[illegible] من الفرنقة والومبردية استولوا على [illegible] الاقاليم المتصلة بالحدود

ايضا ولم يوجد على الارض من احكام الروماني وسياستهم وفنونهم

وآدابهم الا ما [illegible] بهذه البلاد [illegible] جديدة [illegible] المملكة

واستعوا [illegible] وملابس ولغة جديدة وكانت [illegible] وللبلاد اسماء

غير اسمائها السابقة والتغيير الكثير الحاصل بالسرعة ولو كان في [illegible]

هذه الاشياء المختلفة لم يكن اجراؤه من غير اهلاك قدماء هذه البلاد ولا يمكن

للفاتح الاعظم المهاب ان يتعدى ذلك من غير هذه الواسطة [illegible]

العمومي الذي حصل بسلطان امم [illegible] في دوله اوربا [illegible] هو برهان

قاطع على التلف الحاصل في البلاد وهو اعظم دلالة من [illegible]

[illegible]

التي وقعت من [illegible] من آخر نصف

كرة الارض الى آخر النصف الآخر

وهذه التغيرات العمومية وقعت في ظلام الجهالة وتخبيب بها الملل التي

يلزمنا ان نبحث عن اصول ترتيبها ونكشف آثارها الاصلية وما بقي منها

من الاحكام والقوانين الجارية الآن في اوربا التي هي ناتجة عنها في فتوحات

هؤلاء الامم اراد المؤرخون بالدول المختلفة من اوربا ان يبحثوا عن اصل

تنظيمات بلادهم وعوائدهم وانها ناشئة لهم من اهالي بلادهم القدماء

[illegible] عمومية التي حصلت في اوربا عند فتوحات هذه الامم الخشنة

استنتاج حكومات اوربا من هذا الاختلال العمومي

الافتراس بالاعداء وكانوا يجتهدون فى ان يحلوا باعدائهم من المصائب والنكبات كل ماقدروا عليه وكان لايسكن غضبهم الشديد الابذبح هؤلاء الامم وتخريب منازلهم كما ان الوحشيين القاطنين بامريقة يسلكون فى حروبهم مثل هذه الطريقة الى الآن وبهذه الحروب الوحشية كانت الامم التى تسكن شمال اوربا وشمال آسيا تأتى من بلادها للهجوم على المملكة الرومانية

التخريب الصادر من الامم الخشنة فى بلاد اوربا

فكانوا كلما يتوجهون الى محل تخوض اقدامهم فى الدماء التى سفكوها لانهم كانوا يذبحون كل من صادفوه فى طريقهم ويهدمون كل بلدة رأوها ولا يحترمون احدا اصلا سوآء كان من ذوى المقام كالقسيسين والشيوخ اولا كالنساء وكل مافاتهم نهبه فى الاغارة الاولى اخذوه فى الاغارة الثانية حتى اكتسبوا مكسبا عظيما وصارت الاقاليم التى كانت خصبة معمورة جدا خربة خالية عن الانيس والجليس اوبها بعض خرابات من المدن اوالقرى المهدومة يأوى اليها عدد قليل من الامم الفقيرة التى نجت بالصدفة او لكون سيف الاعدآء امتنع من الذبح وفر هؤلاء تركهم لعودة اخرى والفاتحون الاول الذين توطنوا فى البلاد التى هدموها ونفاهم وطردهم منها الفاتحون المستجدون الذين جاؤا من الاقطار البعيدة جدا عن الدول المتمدنة والمتصفون بشدة الطمع والتوحش وصارت اوربا حينئذ عرضة للمصائب المتجددة الى ان فرغت بلاد الشمال من هذه الامم الكثيرة الخارجة من بلادهم بالكلية حتى صارت لاياتى منها احد لخلوها وعدم استيطانها والقحط والطاعون اللذان هما دائما من حزب الحرب نشأ منهما اتلاف جسيم وافساد عظيم فتعست بذلك اوربا تعاسة شديدة واشتد الهول على جميع الاهالى واذا اردنا ذكر الازمنة التى حصل فيها اشد التعب للجنس البشرى فانه يلزم ان نذكر ما مضى من موت الملك تيودوس الى ظهور المملكة اللمبردية فى ايطاليا لان المؤلفين الموجودين فى هذه الاعصر ان خطوا هذه الوقائع الناشئة عن الخراب وسفك دماء الناس لم يمكنهم ان يعبروا عنها بعبارات لائقة بها لكونها مهولة ولم يفصحوا بغاية الافصاح عنها وانما سموا روساء

ترتيب الحكومة الالتزامية على النموذج عند هؤلاء الامم

واما ما فى بعض التواريخ المخترعة فانه لايجدى نفعا لجهل مؤلفيها
بحقيقة قصد التاريخ وعدم معرفتهم بمادته

ولكن وجد عندهم تقسيم جديد لتلك الاراضى له اصول اخرى واخلاق
جديدة فنشأ منه عن قريب نوع من الحكومة مجهول الى ذلك الزمن يسمى
الان باسم المذهب السيادى اى طريقة الحكومة الالتزامية ومع ان الملل
الخشنية الذين جددوا هذه الحكومة سكنوا فى ازمنة مختلفة البلاد التى
فتحوها وخرجوا من الاقاليم المتباينة المختلفة اللغات والرؤساء فان السياسات
الالتزامية دخلت مع قليل من الاختلاف فى جميع اوربا وهذه المطابقة العجيبة
حملت بعض المؤلفين على اعتقاد ان جميع هذه الملل ليست فى الاصل الا ملة
واحدة كثيرة الاختلافات الظاهرية ومن الصواب انا نبحث عن سبب هذه
المطابقة والاتفاق ولو فى حالتهم بعد التمدن وفى اخلاقهم الاصلية وعن
احوالهم حين استيلائهم على البلاد التى صاروا اسادتها وملتزميها فنقول

تمرين الحماية الاهلية هى المقصد الاصلى من الحكومة الالتزامية

كان الفاتحون لاوربا مشتغلين بحماية ما فتحوه ولم يكن خوفهم عليها
من خصوص الاهالى القدماء الذين خرجوا منها احياء فقط بل كانوا يحامون
عنها ايضا من الاغارات المخوفة التى ربما كانت تصدر من الطوائف الهمل التى
كانت تهجم على البلاد وتنهب العباد فكان اعظم اهتمامهم فى البحث عن
وسائط كونهم يحامون عن انفسهم والظاهر ان هذا هو القصد فى تقسيمهم الارض
الداخل [illegible]
الحربية حين كانوا فى عائلتهم وبريتهم [illegible] بطريقة
ضيقة الترتيب شديدة قوانين وان سقط [illegible] حقوقه
الخاصة به ليتمتع بالاذن العظيم فكل من اخذ قسما من تقسيمات تلك الاراضى
المفتتحة لزمه جبرا مجاهدة الاعداء فكانت الخدمة العسكرية شرطا به يأخذ
الانسان استحقاقه من الارض ولما لم يكن على هذه الاملاك شئ آخر غير ذلك
الشرط وهو الحرب كانت المجاهدة عند هؤلاء الطوائف من قبيل المناصب
الجالبة للمنافع والمشرفة لصاحبها وكان الملك الذى هو امير الجيش يقود الملل

ولكن الظاهر انهم فى بحثهم هذا لم يصرفوا همتهم وجميع اجتهادهم مما تحتاجه ضرورة هذه المادة ولا اتصدى لان افيد فائدة على تقدم الدولة وعلى اخلاق كل ملة بخصوصها الان هذا مذكور فى التاريخ الاتى ولكن لاجل فهم حال دولة اوربا من ابتداء القرن السادس عشر يلزم ان نمهد ذلك بذكر ازمنة قبل ذلك وتبيين احوال الامم الساكنة بالشمال فى زمن استيطانهم الاول فى البلاد التى تغلبوا عليها ومن الضرورى ان الانسان يتبع التمدن الذى وقع من الملل الخشنية فى قليل من الزمن ويلاحظ الاصول والوقائع العمومية التى كانت سببا فى التقدم والبراعة الصادرة من هذه الملل فى الحكومة والاخلاق الى ابتداء الزمن الذى حكم فيه قرلوس الخامس المسمى شرلكان

الاصول التى اسس عليها الامم استيطانهم فى اوربا

ولما صار بعض الامم المحكومين بالظلم والجور فاتحين للبلاد كانت فتوحاتهم لم تنفع الا لتوسيع دولة الظلم والجور ولكن الجيوش المجتمعة من الامم الحرة ارادت ان تفتح البلاد لنفسها لا لرؤسائها فهى التى دمرت الدولة الرومانية ومكثت فى اقاليمها المختلفة ولم تكن الحرية قاصرة على الملل المختلفة التى خرجت من شمال اوربا الذى هو دائما ماوى الحرية بل كان مثلهم فيها ايضا الهونس واللان الذين كانوا قاطنين فى بعض الاقاليم التى كانت عند الناس من البلاد المستعبدة بالطبع فانهم كانوا يتمتعون بدرجة من الاستقلال والحرية التى يظهر منها انه لا امتزاج بحاله الاجتماع والتأنس وبالطاعة اللازمة لحفظ هذا الاجتماع فكانت هذه الامم تتبع الرئيس الذى كان يوصلهم لفتوحات المحال الجديدة ولم يكن ذهابه بهم للفتوح قهرا عنهم بل بالاختيار فليسوا كالعساكر الذين يجبرون على السير بل هم كالمتطوعين بذلك الذين وهبوا انفسهم لمصاحبته لكونهم ارادوا ذلك فكانوا يعتبرون فتوحاتهم كملك مشترك شائع بينهم كل واحد منهم له فيه نصيب بحيث ان كل واحد منهم اعان على الاستيلاء عليها وبذل جهده فيها ويعسر علينا ان نبين بيانا صحيحا على اى وجه وباى طريقة وزعوا على انفسهم الاراضى التى كانوا تغلبوا عليها الا انا لانعرف فى ذلك اثارا من آثار اهالى اوربا منسوبا الى ذلك التاريخ البعيد

التي اعطتها الاهالى لانفسهم وصارت تلك العلامة التميزية الشخصية
لاباءهم في نظير ماوقع منهم من عظائم الامور متوارثة بين الاهل والعشيرة
تنتقل كالالتزام منهم الى اعقابهم
ثم ان هؤلاء الامراء العظام بعد ان امنوا بذلك على املاكهم وارثهم
ومناصبهم المتوارثة ادت بهم الاحكام الالتزامية والقوانين السيادية التى تميل
دائما الى الاستقلال بنفسها الى ان صاروا يحنون الى كانت مؤسسة على الطاعة
عن المزايا السلطانية الجديدة فشرعوا في مشروعات خطرة توصلوا بها الى ان نالوا
قوة ان يحكموا بالاحكام السلطانية في اراضيهم من غير معارض في المعاملات
والجنايات وان يرخص لهم ضرب المعاملة وان تكون لهم مزية عقد الصلح
واشهار الحرب مع اعدائهم فضاع معظم الطاعة السياسية ولم يبق الاصورة
الطاعة الالتزامية ومن اشراف الناس من اكتسب قوة شديدة وانفة واحتقر
العهود التى تربطه ان يصير من جملة الرعايا ورام ان يكون مستقلا بنفسه ورفض
بتاج المشيخة كغيره من الاعيان فصارت المملكة المعتبرة بتمامها واتساعها
منقسمة الى عدة امارات بقدر ما كان عندهم من الملتزمين الادنياء وتفرعت
اسباب الاختلال والغيرة من كل جهة حتى اوقدت نيران الحروب وولايات
اوروبا التى حصلت بها هذه الاختلافات التى سفكت بها كثيرا من الدماء وصارت
في الخراب وفي الحرب الدائم كان بها كثير من الحصون والقلاع المشيدة للبناء
لاجل الاحتـ[illegible] والجما[illegible] [illegible] الاستحكامات
[illegible] احتلال حكم [illegible] ما [illegible] قامت قلة
الفروسية الاجنبية وتسلط احتلال [illegible] اعيان الناس وامرائهم الذين هم
الترتيب مقام الراحة والامن [illegible] ارتقاء وتجرد الملك
القسم الاكبر والانفع للمملكة فانهم صاروا [illegible] القوانين النافعة
عن معظم خصايصه فصار لاقوة له على اجراء ولا عمل المذنبين ولم
وتنفيذها فكان لايقدر على الذب عن البريء ولا على معاقبة المذنبين ولم
لم يكن للاشراف ذمام يمنعهم عن ارتكاب الاشياء الرديئة عدم بعضهم بعضا
بدوام الحروب وظلموا رعاياهم واساؤا الادب على ملكهم ولكون هذه المصائب

للحرب رئيسهم على رياسة تلك العصبة النازلة فيلزم ان يكون سهمه من الارض
اعظم الاسهم ومن ثم كانت له كمال مجازاة بها من يتبعه ويخدمه ويجلب
اليه احزابا واحبابا بارضه ولهذا القصد كان يفرق ارضه فكل من كان ياخذ
قسما يلزمه ان يدخل في العسكرية ويحامي عنه ولذا كان يتبعه في الحرب عدة
رجال كل على حسب اتساع نصيبه من الارض وكان كبار الامراء يقلدون
الملك في ذلك فيقسمون حصصهم من الارض على اتباعهم بالشرط المتقدم
فكانت حينئذ المملكة السيادية الالتزامية اشد شبها بحكومة عسكرية من
شبهها بحكومة مدنية فكان الجيش المنصور يحيط بالبلاد التي تغلب عليها وكل
ارضي مطيع لاميره كان داخلا تحت طاعة التعليم الجهادي والضبط والربط
وكان لفظ رجل وعسكر مترادفين على معنى واحد وكان كل صاحب
ارض متقلدا بالسلاح مستمرا تحت طاعة رئيسه وكان يلزمه ان ينزل
الحرب لقتال الاعداء العمومية

كون الحكومة الالتزامية مخلة بترتيب الجمعية الداخلية

وهذا المذهب السيادي الالتزامي وان كان صالحا لكونه يحامي عن
الجمعيات ويذب عنها ان تعرض لها من الدول الغريبة الا انه مع ذلك كان مخلا
بما يلزم للترتيب العمومي والراحة الداخلية وكانت هذه الحكومة وان بلغت
في كمال الشكل ما بلغت فهي مشتملة على اصول الخلل والفساد الذي حصل
في جميع اجزاء المذهب السيادي حتى نشأ عنه خراب المخزن وكان ارتباط
الاجتماع الداخلي ضعيفا جدا وكانت منابع الخلل في انتظام الاحكام
لا تعد ولا تحصى وكانت اقسام القوانين الملكية والجمهورية غير
متوازنة بقوة متوسطة معادلة بل كانت متنافرة الاحكام فاذا دخل حكم من
احداهما على حكم من الاخرى حصل النزاع والمناقضة وكان لامراء جميع
الاقاليم الذين يدفعون المرتب من اراضي ينعم بها الملك عليهم ومتى اراد انتزاعها
منهم فعل قتالوا بشوكتهم ان هذه الاراضي تكون لهم التزاما مدة حياتهم
وصاروا اقرب للعصيان في تصييرها متوارثة لذراريهم ولما حملهم الطمع
الفاحش الخارج عن حد العقل على التغلب على القاب الشرف لقبوا بها

كون الآثار التي ترتبت عن هذه المعيشة انحصرت بالعلوم والفنون

باسبابها ومسبباتها ونتايجها .
ويمكن ان يضاف الى هذه الافاعيل المشومة التي نتجت من منع الحكم الالترامي تنايج انحلال نظام الحكم البشري وذلك لان جميع الامم مادامت لم تتمتع بمملكة منتظمة يأمن فيها الانسان على نفسه فانه لا يمكن لها ان تشتغل بالعلوم والفنون وتظهر ذوقها وتحسن اخلاقها الان زمن الفتن والظلم والنهب الذي ذكرته آنفا لا يمكن ان يكون معينا على تتميم العلوم والتأنس والتعيش والاجتماع البشري ولم يمض قرن من مدة سكنى هذه الامم الخشنية في البلاد المفتوحة الاوروسوم المعارف والآداب التي انشأها الرومانيون في اوربا دارسة منسية لاذكر لها عندهم فاهملوا وفقدوا علوم الفصاحة التي هي آلة لازمة غير منفكة عنها وكذلك هجروا عدة فنون تكون سببا في انتظام المعيشة وصلاحها وكانوا في هذه الازمنة المشومة لا يعرفون اسماء علوم الادب ولا اسماء الفلسفة واذا كانوا يشتغلون ببعض هذه الآداب فانما كانوا يستعملونها في الاشياء الحقيرة لا فيما شأنها ان تستعمل فيه وكانت اعيانهم المتقلدون بالوظائف المهمة امييز لا يعرفون القراءة ولا الكتابة وكذلك كان كثير من القسيسين لا يفهمون الخطب التي كانوا ملزومين بتلاوتها عن ظهر القلب دائما بل كان بعضهم لا يحسن القراءة وكانت روايات الوقايع الماضية منسية عندهم ضائعة لا وجود لها الا في التواريخ المملوءة من الوقايع والحوادث السالفة والحركات الباطلة [illegible] الى مرات باقاليم اوربا المختلفة وتركها لا يعمر بهر لا يدرون [illegible] عنها عادات فاسدة مخالفة للعادات القديمة ولما تجردت هذه الامم عن الحرية والحمية والغيرة وتعذرت عندهم ممارسة العلوم وقعوا في ظلمات الجهل وسكنت اوربا مدة اربعمائة سنة لا يظهر منها احد من المصنفين يكون متأهلا لان ينتفع بقراءة كتابه وحريا بان يشتهر بفصاحة العبارات وغرابة المعاني فلم يخترعوا في مدة هذا التاريخ اختراعا يكون نافعا مفيدا للجمعية تتشرف به تلك الاعصر

مدخلية الحكومة الالترامية في الامور الدينية

وفسد الدين النصراني المعينة قوانينه وترتيباته في الكتب المقدسة بالتدقيق

بلغت الساية تقوت على ممر الايام حيث طال عليها الزمن فصارت صورة هذه الحكومة التى كانت فى مبدئها جبرية محترمة لا يمكن ان يعارض فى ظلمها انسان

ضعف المملكة الالترامية فى الاعمال الخارجية

فهذا ما وقع فى اوربا من القرن السابع الى الحادى عشر بالنسبة الى تدبير المملكة الداخلى فسائر الاعمال التى صنعتها الممالك المختلفة خارج المملكة فى ذلك الوقت كانت بالضرورة ضعيفة جدا فكيف يتصور ان المملكة الممزقة بالفتن والفشل والمحرومة من منفعة عمومية ومصلحة مشتركة يتأتى لها ان تجمع قوتها مع كونها محرومة ايضا من رئيس محترم يرشدها لصلاحها وسلوكها وان تتحرك بالقوة وتعمل الاعمال الشديدة فان الحروب التى وقعت فى اوربا فى هذا الزمن لم تكن مهمة ولا حاسمة للنزاع بالوقائع العجيبة بل كانت فى الحقيقة اشبه بها باغارات ارباب الصيال والنهب لا بالاعمال الصادرة عن الجنود المنتظمة وكان كل ملتزم متصدر امام اتباعه يستعمل بعض مشروعات حربية مخصوصة اما لتحصيل ما طمع فيه لنفسه او للانتقام من عدوه فكشفت حينئذ المملكة المفرقة فى البطالة واذا عملت ما تقدر عليه مما فى جهدها اطلع الناس على عجزها ونظروا قلة جهدها نعم وقع من كرلوس مانوس المسمى شرلمانيه انه جمع لوفور عقله هذه الجمعيات المشتتة فى جمعية واحدة وصاروا على قلب رجل واحد كانهم عضو واحد واعاد فى المملكة النشاط والقوة التى ميزت مدة مملكته على غيرها وصيرت تلك الوقائع اهلا لتعجب اهل القرون المستنيرة بالمعارف والعلوم ولكن هذه الحالة التى نشأت من القوة والاتحاد لم تكن بالطبيعة فى المملكة الالترامية لكونها لم تمكث الا مدة قليلة وعند موت هذا الامير صار مذهبه الواسع المؤسس على الجراءة الذى كان رتبه متروكا لكونه لم يعضد بالحماسة والحمية التى كانت فى اتباعه قوية ثم اضمحلت وتمزقت مملكته الى عدة ممالك حتى صارت عرضة للمصائب والفتن واختلال الحكم ولا زالت تتزايد من هذا الزمن الى القرن الحادى عشر وجميع تواريخ الملل الافرنجية ممتلئة بحكايات الوقائع العظيمة والحروب الدائمة لكنها قليلة الجدوى

الصعبة جدا زمام يمنع فساد حالة الجمعية البشرية والحالة التى فقد فيها
الناس استقلالهم وعظيم اخلاقهم الاصلية قبل ان يصلوا الى درجة التمدن
التى فيها احساس العدل والشرف وقد اختص تاريخ الازمنة التى تكلم عليها
بعدة اعمال كثيرة يتعجب منها القارى ويعدها من الامور الشنيعة لا توجد
فى غيره من تواريخ اوربا واذا كشفنا فى تاريخ غرغوار التورسانى وفى تاريخ
المؤلفين الذين فى عصره وجدنا فيهما شيا كثيرا من اوصاف الجبر ونكث
العهد والانتقامات المهيجة للنفس مما لا يصدق به العقل

شروح الحكومة والاخلاق فى الكمال من القرن الحادى عشر

ولكن يوجد على قول مؤرخ فصيح مطلع على التواريخ يسمى هرمة ان
الانسان اذا وصل الى حضيض الانحطاط او الى اوج الارتفاع فانه يرجع الى
الضد ولما اعترى الحكومة عيوب فى صورتها وتدبيرها نشأ عنها فى الجمعية
الخلل الذى لا يطاق ولا يصح ابقاؤه فبحثت المصلحة العمومية عن بعض
علاجات تزيل بها هذا الضرر وكان يمكن للناس ان تهمل زمنا طويلا بعض
المضار والظلم او تتحمل ذلك لكن متى بلغ الظلم الى درجة عالية فانه لا يمكن
للجمعية الا ابطاله او تهلك وظلم الحكومة السيادية بانضمامه الى فساد الذوق
السليم والاخلاق المستقيمة التى هى نتيجة هذه الحكومة لم يأخذ فى الزيادة مدة
سنين كثيرة والظاهر انه وصل فى آخر القرن الحادى عشر الى اقصى درجة فى
الزيادة وبعد ذلك اخذ سير الحكومة واخلاقها فى التناقص ويمكننا ان نصعد الى
ذكر سبب الوقائع التى [illegible]
الادب وانتظام القوانين

وليس من اللازم فى البحث عن الوقائع واسبابها ان نتبع بالصحة ترتيب
الازمان التى تخص التواريخ بل الاهم والاحسن ان ننبه على ارتباطها
وتعلقاتها ببعضها وكيف ان الواقعة نشأت عنها واقعة اخرى بمداخلتها
القوية وقد تبعنا الى الآن تقدم الجهالات المتزايدة المتتابعة التى سترت اوربا
زمنا طويلا وهذا اوان ذكر شعاعات ضياء العلوم والتقدمات التدريجية
التى وصلنا بها الى هذه الدرجة من العلوم التى نحن عليها الان

الذى لا يقبل التغيير والتبديل وانقلب فى هذه القرون المجهولة الحال الى بدع خشنية ولما دخلت الملل الخشنية فى الدين النصرانى لم تغير مشربها فى العبادة وانما غيرت معبودها فكانت تبحث عما يرضى الاله الحق سبحانه وتعالى بوسائل قليلة الاختلاف مما كانت تستعمله سابقا لتسكين غضب آلهتها الباطلة التى كانت تعبدها وعوضا عن كونها تعمل بعمل اهل الخير والفضيلة الذى يكون به الانسان محبوبا عند خالقه المكمل للنفوس كانت تظن انها وفت جميع التكاليف حيث دققت فى حفظ البدع والاحتفالات الفاسدة * ودينهم الذى اتبعوه واعتادوا العمل به لم يكن كبير شئ لان اعمالهم الدينية التى كانوا يظنون انها تجلب لهم رضا الاله الحق سبحانه وتعالى كانت لا تصدر الا عن الخشنيين الذين تخيلوا مثل هذه الامور واحدثوها وتلك الامور الفاسدة والعقائد الكاسدة تعد من النقائص فى حق الذات العلية ومن العيوب فى من يعمل بها من البشر ثم ان الملك كرلوس مانوس فى فرانسا والفريدوس الاكبر فى انكلتيره بحثا عن تشتيت ظلام هذا الجهل وتوصلا الى ان يدخلا بين الرعايا بعضا من المعارف ولكن منع من تلك القوة والترتيب موانع عظيمة بسبب اهل ذلك العصر وموت هذين الاميرين كان سببا فى انغماس هذه الملل فى بحار الجهالة اكثر مما كانت عليه

ثم ان سكان اوربا كانوا يجهلون فى هذه الاعصار المشومة ما كانت تحسن به الاعصار المتمدنة من الفنون بل كان لا وجود عندهم للفضيلة المميزة للامم الخشنية وكانت قوة النفس واحساس مقامها والشجاعة فى المشروعات والتجلد لتنفيذ الامر واقتحام الاخطار واستحقار الموت كل هذه الفضائل كانت مختصة بطبيعة الامم التى لم تصل الى درجة التمدن ولكن هى نتايج المساواة والاستقلال الذى ازالته محبة القوانين الالتزامية فى سائر الاماكن كان محبة الاستيلاء والحكم افسدت ارباب الشرف وثقل الاستعباد سحق منه الامم والاحساسات الشريفة التى كان يستدعيها التساوى محيت بالكلية ولم يبق مانع يمنع اقساوة الوحشية والافتراس وكذلك لم يوجد الشهوات النفسانية

دخالة الحكومة الالتزامية فى احوال الناس ونفسانيتهم

من القدس ما وقع لهم من الشدائد وما اقتحموا من الاخطار وبالغوا في الجور
والظلم الذي وقع لهم من معاملة الاتراك الرديئة

اتقاد روح [illegible] الصليبية

وبينما عقول الناس كانت حينئذ مستعدة لحماية الدين واذا براهب ذي حمية
دينية خطر له ان يجمع سائر قوات النصارى ويحزبها على المسلمين ليطردهم
قهرا من ارض القدس فكانت غيرته وحميته سببا في انجاز تلك الشروعات
الغريبة وهذا الراهب هو المسمى بطرس ارميطه وهو من دعاة دين النصرانية
المجاهدين فسافر وصورة المصلوب في يده وصار ينتقل من اقليم الى آخر حتى
هيج الملوك والرعايا على الشروع في الحرب المقدس واضرم بوعظه في جميع
العقول نيران الحمية النصرانية ممن كان يجيبه وفي مجمع مدينة بليزانسه الذي
كان يحضره اكثر من ثلاثين الف شخص ان قصد هذا الراهب كان الهاما الهيا
ووحيا ربانيا ولما عرضوا ذلك على مجمع قليرمونت الذي [illegible] عقده
على الاثر بكثير صاح جميع الناس قائلين هذا اقتضاء الله فانتشرت هذه الحمية
النفسية بين سائر الناس على اختلاف مراتبهم ولم تختص بالاشراف والسادات
الموجودين في هذا العصر بالسير للجهاد مع رعاياهم لكونهم فتنوا وحدهم
بجسارة هذه التجريدة الحربية بل كان فيها ايضا عدة اشخاص من ارباب
الخمول وعدم الميل الى الخصام ومن القسيسين على اختلاف مراتبهم بل ومن
النساء والصبيان ايضا فتعدى كلهم لهذا الحرب لكونهم كانوا يرونه شريفا
كالعبادة [illegible] في هذا العصر [illegible] في هذه
الغزوة كان ستة ملايين من الاوربيين [illegible] تحتها
كل من تقدم لهذا الحرب المقدس [illegible] اهل الصليب وقالت
الاميرة المسماة كومينه يظهر ان اوربا انتزعت من مواطنها لتنصب بثقلها
على اسيا ولم تذهب نشوة هذه الحمية الدينية بعد زمن يسير بل اشتد انها
استمرت زمنا طويلا حتى سئم منها وصارت ذميمة فكانت اوربا [illegible] همها
ان ليس لها غرض آخر الا فتح ارض القدس ومحافظتها ولم تزل تبعث
على التعاقب جيوشا عديدة

ما تم من مجاهدة اهل الصليب مع اهل الاسلام من تغيرات الحكومة والاخلاق

ومجاهدة اهل الصليب مع اهل الاسلام لاجل ان يأخذوا ارض القدس يظهر انها اول حادثة اخرجت اوربا من بحر الغفلة التى كانت هى منغمسة فيه مدة احقاب طويلة ولذلك كانت حادثة على تحصيل بعض تغييرات فى حكوماتهم واخلاقهم ولا بأس باحترام الاماكن المشهورة بكونها مسكنا لبعض الافاضل المشاهير او ميادين لبعض اعمال مشهورة وحوادث مأثورة وهذا الاصل هو منبع العبادة المرتقة التى حملت النصارى من ابتداء القرون الاولى على الرغبة فى زيارة البلاد التى عينها الهم الله سبحانه وتعالى لاجل وراثة بنى اسرائيل ولان فيها عيسى ابن مريم الذى بعث للجنس البشرى ومثل هذا الحج العظيم لابد له من الاسراف وكثرة التعب وشدة الخطر فصار التقديس عندهم افضل كل ما اشتمل على الاخطار لانهم يعتقدون انه مكفر لعظائم سيأتهم

وفى آخر القرن العاشر وابتداء القرن الحادى عشر ظهر فى اوربا على حين غفلة رأى عظيم الشهر عند جميع الناس وازدادت به رغبة الحجاج المتعبدين على وجه عجيب وذلك الرأى هو انهم تخيلوا ان الالف سنة تكفى فى قيام الساعة على ما ذكره مارى حنا وهذا التحريف نشأ عنه خوف وفزع عظيم عند سائر النصارى حتى ان عدة اشخاص تركوا اموالهم واملاكهم وعيالاتهم واحبابهم وذهبوا بالسرعة الى بلاد القدس لظنهم ان عيسى ابن مريم يظهر فيها حالا للحكم بين الناس وكان الخلفاء المذكورون بالمعارف فى مدة ما كانت بلاد القدس تحت حكمهم يعينون النصارى على الذهاب الى مدينة القدس لما ان ذلك عندهم كان نوعا من التجارة ذا ربح عظيم وكان يدخل فى بلادهم كثير من النقود فى مقابلة الذخائر والعبادات الجزئية ولكن لما فتحت دولة الاتراك بلاد الشام فى اثناء القرن الحادى عشر وجد الحجاج انفسهم عرضة للتنقيص واساءة الادب من هذه الامم المفترسة وقد صادف هذا الانقلاب الزمن الذى وقع فيه الفزع المخوف الذى هو انتظار قيام الساعة الذى صير الزيارات كثيرة عديدة فنشأ عنه الحزن وعموم الغضب فى سائر بلاد الافرنج وذكر الحجاج الذين عادوا

[illegible] طليطلة [illegible] عظم سلطان [illegible] وكانت
متمتعة بكثير من [illegible] بعض اشياء من [illegible]
[illegible] العلوم [illegible] الشرق [illegible]
عظيمة جدا وكانت [illegible]
وكانت مدينة القسطنطينية وحدها تحرز [illegible] بلاد اوروبا [illegible]
من بلاد الهند [illegible] العرب [illegible] على عدة
اقاليم من [illegible]
[illegible] الى سبيل [illegible]
[illegible] فرق اوربا [illegible] الصليب [illegible]
في [illegible] العلوم والفنون التي [illegible] على تحصيلها في الديار
الاسلامية ومع ان مؤرخي اهل الصليب لم [illegible] الجمعيات
الشرقية واخلاقها وكان اعلمهم لاميل له ولا رغبة عنده في كونه
يرصد ما يراه ويكتبه فقد وصفوا لنا اوصافا عجيبة في مروءة الملك صلاح الدين
وكرمه وكذلك مروءة وكرم غيره من امراء الاسلام واكتسبوا من اخلاقهم
الحميدة ما اكتسبوا اذ لا يمكن لاهل الصليب ان يجروا مثل هذه البلاد
المشتملة على القوانين والعوايد المختلفة من غير ان يكتسبوا من علومها
ومعارفها شيأ جديدا فبهذا اتسعت اطلاعهم وضعفت اوهامهم وتصورت
[illegible]
عليه من الاخلاق [illegible] وكانت
هذه التاثيرات قوية جدا حتى انهم لم [illegible] حين رجوعهم الى
اوطانهم ومسقط رؤسهم وكان من منذ قرنين بين اهل المشرق والمغرب
تجارة دائمة وكانت الجيوش تتجدد عندهم دائما وتتردد من اوربا الى آسيا
واما اختلاط العساكر المجتمعة من الجهات المختلفة فكانت ترجع الى محالها
مستصحبة للعادات التي اكتسبتها في مدة طويلة من الاراضي العربية
ولهذا شوهد بعد زمن قليل من ابتداء محاربة اهل الصليب ظهور

وابتدأت [illegible] الاولى التي [illegible] شجاعته

[illegible] بالشرق والشام

[illegible] اورثت [illegible]

[illegible] الاختلاط الذي [illegible] الحروب الاسلام على مدينة

قسطنطينية التي كانت تحت المملكة النصرانية في المشرق ودامت في مدة

نصف قرن دار اقامة القوة المذكورة وذراريه وهذه الشدة العديدة المعهودة

التي نشأت عن المصادمة الاولى الواقعة من النصارى صيرت فتوحاتهم الاولى

[illegible] ولكن صعب عليهم جدا فيما بعد حفظ تلك الفتوحات حتى ان

عدم الترتيبات البعيدة عن اوربا المحيطة بالملل الحربية والمقواة بالحمية

الدينية التي لحقها شجاعة المجاهدين كانت دائما عرضة للخراب وقبل انتهاء

القرن الثالث عشر سنة ١٢٩١ خرج النصارى مطرودين مما كان تحت

ايديهم من ممالك سابقة بعد ان كانت صرفوا في فتوحاتها اموالا كثيرة وهلك

بسببها من الرجال عدة ملايين حيث ان هذا المشروع الذي لم تجتمع الملل

الافرنجية بقاطبتها كاجتماعها [illegible] حتى استولوا عليه مع الشجاعة والتجالد

هو الآن معدود من الجنون البشري الظاهر

وهذه الحروب وان كانت من باب الحمق والعنف الا انه نشأ عنها نتائج سعيدة

لم تكن ممكنة عندهم بل كانت لا تخطر ولا تتوقع وذلك ان ارباب الصليب

مروا في سيرهم جهة بلاد القدس باراضي نضرة من حسن زراعتها اكثر

من اراضيهم وبدول متمدنة اكثر من تمدن دولهم وكانوا يجتمعون في مبدء امرهم

في ايطاليا وكانت مدينة البندقية وجنوة وبيزة ومدن اخرى شرعت تجتهد

في التجارة واشتغلت بالتأدب وسلوك طريق العمران بعد ذلك ذهب اهل

الصليب بحرا الى ولاية دلماسيا وساروا منها برا الى مدينة القسطنطينية وكانت

الدولة المشرقية الرومانية بتمامها خالية عن الميل الى الحرب والجهاد مدة

احقاب طويلة كان وجور الحكام الخارج جدا قد محق من تلك الدول جميع

الفضائل العمومية ولكن مدينة القسطنطينية التي هي دار مملكة تلك الدولة

[illegible] المشاهدة تحسن الاخلاق باوروبا

من هذه الصليب يكون تحت حماية الكنيسة التي كانت تامن [illegible]
ان الفرس تحت حمايتها في هذه المدة المقدسة [illegible]
المشاجرات والشرور الخصوصية التي لم تزل الى ذلك [illegible]
الترتيب والصلح من جميع الدول الافرنجية [illegible]
بالكلية

وادارة العدل شرعت [illegible]
هي [illegible] طريق ترتيب [illegible]
[illegible]

تاثير محاربة اهل الصليب في التجا[illegible]

والآثار التي نشأت عن المحاربات [illegible] ذكرناها
فان العساكر الاول الذين جعلوا انفسهم تحت حكم بيرق الصليب وكانوا مع
بطرس لوميت وغودفرواد وبوليون وصاروا الى قسطنطينية [illegible]
وبلاد المجر وقاسوا من طول السفر اكثر مما قاسوه من توحش اهالي هذه البلاد
وافتراسهم ولما تمت الجيوش التي رتبت بعدهم ذلك وكانت متمرنة بتجربيات
الاول احترسوا من كونهم يمشون في الطريق التي مشت فيها تلك الجيوش
وارادوا ان يسافروا في البحر وكان من ان يقعوا في هذا الخطر [illegible] اهالي
مدينة البنادقة وجنوية وبيزه مراكب [illegible]
ذلك [illegible] عظيمة ومع [illegible] الامر [illegible]
[illegible]
[illegible]
فكانت السفن [illegible] ما يلزم لها
فكان هذا النوع من التجارة [illegible]
عساكر المحاربين من النجاح منافع عظيمة جدا للمدن التجارية ويوجد الى الآن
كتب من القوانين التي اعطيت بها البنادقة واهل بيزة والجنوية الخصائص
التجارية في المحال الافرنجية المتخذة للتجارة والاقامة في آسيا فكانت جميع
بضائعهم سالمة من سائر المكوس وكانوا قد اعطوا لارباب التجارة املاكا

تحسينات كثيرة في دواوين الامرآء وزينات جميلة في المحافل العامة والمجامع المدنية وترفهات جليلة في الاعياد والمواسم ومجامع المسرات حتى صارت حكاية الحوادث محبوبة لديهم وانتشرت دائرتها في جميع بلاد اوروبا شيأ فشيأ فالفضل في تمدن الافرنج لهذه الغزوات التي هي من اعجوبات الحماقة والبدع لا نهاية السبب في دخول اوائل انوار المعارف التي اذهبت على التدريج ظلام الجهل والخشونة ولكن لم تظهر آثار المحاربات النافعة ونتايجها الا مع التراخي والمهلة فان تأثيرها في حالة ملكية الاراضي وتمكنهم من التصرف فيها صار اقوى واعظم مما كان ولما عزم الامرآء من اهل الصليب على التوجه الى بلاد القدس راؤا انهم محتاجون لمصاريف كثيرة في هذه الغزوة الكبيرة لتظهر فيها رياستهم على اتباعهم وعلو مقامهم عنهم ولكن لما لم يسوغ لهم اصطلاح مذهبهم الالتزامي ان يجعلوا على رعاياهم غرامات كثيرة لم يعتادوا على دفعها لم يجدوا سبيلا لما احتاجوه من تلك المصاريف الا بيع اراضيهم ولما كانت عقولهم مملوءة بالتصورات الوهمية التي كانوا ينتظرون حصولها بعد الفتوحات التي عزموا على عملها في آسيا برغبة عظيمة صيرت غيرها من شهواتهم غير مرغوب فيه رلاميهتم به تركوا عقاراتهم وباعوها عن طيب نفس بثمن بخس ليذهبوا بصفة المهاجرين للجهد عن الاستيطان في البلاد المجهولة هذا ولم يتفق لاحد من عظماء ملوك اوروبا انه دخل في المحاربة الاولى بل ارادوا كلهم ان ينتهزوا الفرصة في ان يجمعوا بقليل من المصاريف اراضي جديدة ويضموها الى رعاياهم الخصوصية وكان ايضا الذامات في هذا الحرب المقدس احد من الامرآء العظام ولم يترك وارثا آلت التزاماته لملكالهم فزادت بذلك املاكهم وقويت شوكتهم وكذلك حكومتهم السلطانية وانجبر ما كان فيها من الضعف بسبب كثرة الملتزمين وحصل لهم ايضا بسبب غيبة جماعة من اتباعهم ارباب الشوكة المعتادين على الزام ملوكهم ان يحكموا بينهم بقوانين رتبوها لهم فرصة أن يوسعوا تصرفهم ومزاياهم ازيد مما كانوا عليه ولنذكر زيادة على ما سبق انه كان عندهم ان كل

تأثير حرب اهل الصليب في الامن على الاملاك

[illegible] يجري [illegible] ان يتصرفوا في [illegible] صنائعهم [illegible] الوصية

ولا [illegible] شاهدة حياتهم ولا ان [illegible] [illegible] [illegible]

بعد شهر الا اذن من ملوكهم وكانوا ايضا [illegible] في فصل خصومة

لا يمكنهم اتمامها على وجه يصلح لان ذلك كان يرجع [illegible] الذي كانت محكمته

مرجعا لجميع الاحكام ان يكتسب ما يرد عليه من [illegible] وكان

الملتزم يكلف [illegible] بانواع [illegible] [illegible] بل كان [illegible]

[illegible] بالقتل والقصاص [illegible] [illegible] في [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

المتوسطة على التشديد والظلم [illegible] الحكومة

العسكرية كانت [illegible] [illegible] على اختلافها

ولكن لما شرعت مدن ايطاليا في الالتفات الى اعتبار ترتيب [illegible] جماعات

الصنعة بحيث يمكنها ان تخرج [illegible] [illegible] ان تخرج

من تحت [illegible] الملتزمين الذين كانوا [illegible] وان ترتب لانفسها حكومة [illegible]

على الحرية والمساواة [illegible] الناس على [illegible] وتقوية الفنون والصنائع

عندهم * وسلاطين المانيا [illegible] الذين كانوا [illegible] [illegible]

وكانت اوطانهم بعيدة عن ايطاليا لم يكن [illegible] [illegible]

[illegible] كانت [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] روابط [illegible] المعاهدة

والمحالفة بحيث [illegible] بموجب قوانين [illegible]

باتفاق عمومي من اهالي [illegible] حقوقا بانتصاب

امام [illegible] والاتفاق [illegible] من السلاطين

الذين فرحوا بكونهم باعوها باغلى ثمن حيث انهم كانوا غير قادرين على حمايتها

والامتناع من اعطائها [illegible] المدن ما اخذها من [illegible] الامر [illegible]

من الضواحي والرساتيق التي بجوانبي بعض المدن البحرية واعطوهم في بعض
اخر كثيرا من البيوت والحارات العظيمة وكان لهم ايضا بموجب هذه القوانين
خصوصية كونهم يجرون الاحكام على مقتضى القوانين وينصبوا قضاة لفصل
الخصومات الواقعة من ارباب التجارة الذين تحت حمايتهم ومن الذين كانوا
مستوطنين في داخل البلاد التي اعطوها لهم ولما تغلب المحاربون من اهل
الصليب على مدينة القسطنطينية اجلسوا واحدا منهم على كرسي المملكة
المشرقية فاغتنمت دولة ايطاليا فرصة هذه الانقلابات وذلك لان البنادقة
الذين كانوا في هذه الحروب وكان لهم فيها معاونات بحثوا بمجرد تمامها
عن استجلاب منافعها لانفسهم فاستولوا على قسم من اقسام مورة في بلاد
اليونان وعلى بعض جزائر خصبة جدا من جزائر بحر الروم وكانت عدة فروع
مهمة جدا من التجارة مخصوصة الى ذلك الزمن بالقسطنطينية فنقلوها الى
البنادقة وجنوه وبيزه فكانت الوقائع المختلفة المسببة عن الحرب الدينية
تحت باب عدة منابع جديدة من الغناء والكنوز التجارية بمجرد دخولها
في مدن ايطاليا ذات التجارة وانضمامها الى القانون الاتي ذكره اعانت
على ترتيب استقلالهم وحريتهم على قاعدة متينة جدا

عانة ترتيب التجارات على تقدم الحكومة

وفي هذا الزمن بعينه صارت المدن جمعيات بوليتيقية واستفادت كونها
حكومة بلدية وهذا التغير هو اقوى الاسباب التي ادخلت اصول انتظام
المملكة والسياسات والفنون في اوربا

وكانت الحكومة السيادية الالتزامية قد استحالت الى الظلم فكان جور
اشرافهم لا يطاق لتجاوزه الحد حتى انهم اكرهوا الرعايا على الخدمة
والاستعباد الحقيقي وكذا من بقي من الناس الذين كانوا يسمونهم باسم الاحرار
لم يكونوا الطف حالة من هؤلاء الرعايا بل كانوا امثالهم في الرقية ولم يكن هذا الظلم
خاصا بسكان الخلاء والارياف بل كان عاما لمن كان من الاهالي فلاجل الاشراف
حتى صارت المدن والقرى مجبورة على شراء حمايتها لكون حكومتهم بلغت
الغاية في الظلم وذلك ان الاهالي كانوا ممنوعين من حقوقهم الطبيعية اللازمة

[illegible]

الجمعية المدنية

[illegible]

والحرية [illegible]

حكومات اوربا [illegible]

على [illegible] حقيقة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

القوى المدنية

ولما [illegible] من قوة [illegible]

في شوكة السلطة وما كانت الحكومات الاستبدادية خالية عن الجيوش

ومهاجمتهم وزيادة النعما العظيمة التى نشأت فى ايطاليا من حرابة اهل الصليب مع اهل المشرق حثت جميع الناس على انواع من الفتن والعصيان واحدثت شهوات عمومية وجبة لمحبة الحرية والاستقلال حتى انه فى اواخر الغزوة الصليبية الاخيرة اشترت جميع المدن العظيمة الايطالية من امرائها كثيرا من الخصايص والمزايا

ادخال الحرية فى فرانسا وغيرها من باقى ممالك اوربا

وهذه الحالة الجديدة بمجرد وقوعها فى ايطاليا شرعت فى الدخول فى فرانسا واجتهد لويز لوغرس اى السمين فى احداث قوة جديدة لتعادل قوة الملتزمين التابعين له الذين كانوا غالبا يلزمونه بما يستحسنونه من القوانين فبداله قبل غيره ان يتم بخصايص وحقوق جديدة على المدن التى فى التزاماته الخاصة وبهذه المزايا المسماة بعاونة الجمعية البلدية اعتق الاهالى وابطل جميع علامات الاسترقاق وجعلهم جمعيات وصيرهم محكومين بمجالس وقضاة ومحكام اتخذوهم بانفسهم وجعل لهؤلاء القضاة حقا فى ان يديروا اراضيهم ادارة شرعية وسياسية وان يعينوا الشروط والغرامات وان يعملوا عساكر المدينة ويقودوهم ويحضروا طاب السلطان لهم ويسيروهم للحرب تحت اوامر الضابط المعين بديوان المدينة فهذا ما رتبه لويز فى التزاماته واقتدى به فى ذلك الملتزمون فاعطوا اعطاء مزايا مشابهة لها فى التزاماتهم ولما بددت اموالهم العظيمة التى صرفوها فى حرب بلاد القدس بادروا بسلوك طرق جديدة ليحصل لهم شئ من الاموال فباعوا قوانين ناسية الحرية ومع كون حكومة الجمعية المرتبة مخالفة لاصولهم السياسية ومضادة لقدرتهم كانت ضرورتهم الحالية حاملة لهم على عدم الاكتراث بما يترتب على ذلك من بعد من الاخطار البعيدة وفيما دون قرنين بطل الرق فى اغلب قرى فرانسا التى كانت محرومة الى ذلك الوقت من الحرية والحكومة الشرعية والخصايص فصاروا بذلك جمعيات مستقلة واحرارا وفى ذلك الزمن ايضا شرعت مدن المانيا العظيمة فى كونها تنسج على منوالها وتستقل بنفسها وترتب حريتها التى هى اساس لما هم عليه من الحرية الآن فانتشرت هذه الطريقة حالا فى اوربا ودخلت

[illegible]

[illegible] تسموا ايضا الحرية [illegible]

[illegible] المذهب الانكرى [illegible]

الجديد ولابد مع العرامات الا بعد [illegible]

مجلسه يتفق [illegible] على [illegible]

[illegible]

وحاجاتهم

وكان الامر [illegible] قانون [illegible]

فى مجلس الملك العالى ويشتركوا مع الملتزمين [illegible]

وكان الملتزم الذى هو سيد الامر [illegible] صاحب الالتزام [illegible] كونه

المالك الحقيقى فى الاراضى التى اعطى منفعتها [illegible]

الالتزامات فيما بعد وراثية كانت تلك العادة بضاجاريه باقية فكان [illegible]

منظورا بانه وصى على من كان مقيما بارض التزامه وكانت [illegible]

العمومية لكل ملة على اى اسم تسمت به على اختلاف الملل [illegible]

خصوص الملتزمين والقسيسين اصحاب الرتب وكانوا [illegible] المدرجة [illegible]

وكانت المدن التى فى التزام الملك او فى التزام احد من الرعايا محتاجة لحماية الملتزم

[illegible] منه ولذلكن [illegible]

الدخول فى مجـ [illegible]

لكن وجدنا [illegible]

اقساما [illegible] مستقلة [illegible] عن القانون [illegible]

بالحقوق المنسوبة الى الامر [illegible] هذه الحقوق [illegible]

تقول رأيها فى عمل القانون الجديد وفى اعطاء [illegible] والاموال [illegible]

من اللازم المهم ان مثل هذه الخصوصية تجعل المدن المتعددة على [illegible]

حكومة داخلية حرة لا يمكن بدون رأيها ترتيب جديد ولا اخذ [illegible] من

الرعايا على سبيل القودة لاعانة الدولة وما اكتسبوه من الاموال [illegible]

المشاة المنتظمة كان ملوكها عاجزين عن المحاربة الا بالعساكر التى تعطيها لهم اتباعهم الذين كانوا امرا على جفالك ملوكهم وكانوا دائما يرغبون فى استقلال انفسهم وفى الخروج عن الطاعة ولم يكن ايضا للملوك فيما سلف اسباب اخرى تساعدهم على مصاريف المصالح العامة الا ما كان يعطيه لهم هؤلاء الاتباع مع التقتير والنفور فلما رخص لارباب الجمعية الجديدة ان يحملوا السلاح لحماية انفسهم كان ذلك دواء الداء الاول بحيث كان يمكن للملك ان يجد جنودا مستقلة غير منسوبة لاحد من الامراء المتزمين وكذلك لما رأت اهالى المدن ان الملوك الذين منوا عليهم بالحرية والذب عن خصوصياتهم حيث ابعدوا عنهم ظلم المتردين ازدادت محبتهم فيهم فكانوا دائما يمدونهم بالاموال حتى نشأ عن ذلك قوة الدولة وشوكتها فكان هذا دواء الداء الثانى

وقد نشأ عن التمتع بالحرية تغيرات سعيدة فى مراتب الجمعيات المدنية ورفعتها بحيث انهم فى اقرب زمن خرجوا عما كانوا عليه من الاحوال القديمة كالبلادة والبطالة حيث كانوا سابقا مربوطين بالعار والاسترقاق وقويت رغبتهم فى الصنايع واهتموا بشأن التجارة واخذوا فى اظهار رونقها وتكاثرت الاهالى على التدريج وبالجملة فهذه المدن التى مكثت مدة طويلة محلا للفقر والظلم ظهر بها الغنا والاستقلال وجرت رؤيتهم الى التجمل والرفاهية الذى يتبعه الزينة عادة ومع ان هذه الزينة كانت غير مألوفة للذوق فنتج منها كثير من الآداب والظرف فى اخلاقهم واحوالهم ونشأ عن تلك التغيرات تغيرات اخرى فى الحكومة وذلك ان الضبط والربط اخذا فى التحسن كما ازداد عمران المدن بالاهالى وكثرت بينهم المعاشرات والمخالطات فاستشعروا بضرورة ترتيب قوانين جديدة وفهموا ان من المهم لاجل طمأنينة الجمعية البلدية العمل بها مع التدقيق والمواظبة وان من خالفها يعاقب بالسرعة اشد العقوبة فنشو هذه القوانين وتهذيب الاخلاق وجعل الناس درجات قد تولدت فى المدن ثم انتشرت فى سائر اقسام الجمعيات الاخرى

ابدا صنايع وغيرها

ارباب الالتزام يأذنون باصولها [illegible]

بحسن الترتيب ونتائج العموم بالبصائر [illegible]

و[illegible] الانظار جميع الناس [illegible]

الافرنجية واحكامها [illegible] هذه الشريعة [illegible]

ارباب القوانين [illegible] كانت سببا في [illegible]

[illegible] في دول اوربا [illegible]

[illegible] والاعتبار [illegible]

[illegible]

ومما اعاقت [illegible]

امكان الارباب المشتغلين بالزراعات في ان يسلكوا الطريق [illegible] الاعتاق

وذلك ان رعاع الرعايا مدة بقاء المملكة الالتزامية على [illegible]

الاسترقاق كما سبق انهم كانوا ارقاء تابعين [illegible]

يزرعونها فكان للمالك ان يتصرف فيهم مع الارض بالبيع [illegible]

وكانت قواعد المذهب الالتزامي تابى اعتاق مثل هؤلاء [illegible]

قوانينهم العامة انه لا يؤذن للملتزم المباشر ان يتصرف [illegible]

ذلك بصاحب الالتزام الذي انعم عليه به وان الاعتاقات الصادرة [illegible]

[illegible] لا تعتبر لمخالفتها القوانين فاذا كانت صحة الاعتاق [illegible]

[illegible] الذي [illegible]

[illegible]

[illegible] باخذ [illegible] على سبيل الترقي [illegible]

منه وهكذا حتى يصل الى صاحب الالتزام الحقيقي الذي [illegible]

الكيفية الطويلة المشكلة كانت سببا في تقليل اجراء الاعتاق [illegible] الارقاء

المستخدمون اوسع حيث انهم اذا اعتقوا باشر [illegible] ذلك [illegible]

عليهم لكون ساداتهم مطلق التصرف فيهم بخلاف المستعبدين [illegible]

فانهم كانوا تابعين لارباب الالتزام فكانوا اسوأ حالا من [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

خولت الوكلاء ان يحضروا في [illegible] بالعدد [illegible]

[illegible]

[illegible] العظمة بسبب تجارة قوية وبعمل وكلاء المدن كانوا [illegible]

[illegible] وفي معادلة قوة الاشراف الظالمين وتسهيل ترتيب [illegible]

[illegible] لاجل هذا انعقد في الديوان المسمى بسورة العموم الاهلية وكلاء

[illegible] كانت قد ترتبت [illegible] واما في المانيا فان امراء

[illegible] السلطانية (الامبراطورية) والتزاما بها جعلت وكلاء المدن مساوين

[illegible] ديوان الخزانة [illegible] طلبوا

[illegible] المشورة [illegible] مخصوص ليكونوا [illegible] على حدتهم يسطون

[illegible] في المشورة وقد نالوا [illegible]

[illegible] دخول وكلاء المدن في مجالس [illegible]

[illegible] ومن اربابها كثير من المنافع في الدولة [illegible]

[illegible] عن حكومة الاعيان بانضمام [illegible] الاهالي

[illegible] ذلك ان الملة التي لم يكن لها الى ذلك العهد وكلاء اصبحت لها حامين

[illegible] تكفلوا بالتيقظ لحفظ حقوقها وخصوصياتها وكذلك

[illegible] الشوكة المتوسطة التي هي القوانين بين الملك والاشراف حتى صار كل

[illegible] اليها عند الحاجة وهذه الشوكة قد ابطلت على حين غفلة ظلم الملك

[illegible] الاشراف [illegible] اعتبار وكلاء المدن ونفذت كلمتهم وقويت

[illegible] في الحكومة [illegible] القوانين [illegible] الاول وانفت

[illegible] على خراب شعوذة وصار مالكا للاراضى التى كانت سابقا تجبروا على
زراعتها لمنفعة غيره وصار فى آخر الامر [illegible] وقد عدمت [illegible] هذه [illegible]
الالقاب البشرية واخفضها فى الناس [illegible] بالكلية
بالكلية وفتحت الاعتاقات طريقا جديدا [illegible] المعتقين واتساع
معايشهم ورغبتهم فى الاسواق وارتفاع [illegible] عما كانوا عليه وقوت نشاطهم
وذكاء قريحتهم [illegible] الطائفة [illegible] الناس التى لم يكن بها سابقا
وجود سياسى بل كان وجودها بالنسبة لارباب الدول والاحكام [illegible]
لكونهم كانت كناية عن آلات صناعة صارت [illegible] مشتغلة فى [illegible]
الاهالى حينئذ لجمعية بانفسها وامر [illegible]
والوسايط المختلفة التى سلكوها لادخال الانتظام والمساواة والقوة فى تدبير
فصل الخصومات ساعدتهم على تحسين الجمعية التمدنية وتكميلها [illegible] عندنا
ان نعين مع الصحة طريقة ادارة الاقضية عند الملل الحشنية المختلفة التى
انتشرت فى الدولة الرومانية واذا كنا نحكم بموجب [illegible] صورة الحكومة
الجارية عندهم وبما نفهم من طبيعة الجمعية فان هذا يودينا الى ان نعتقد
ان قوة القضاة والاحكام كانت محدودة جدا [illegible] ارباب تصرف
[illegible] فلذا كان الاحاد يتمتعون بالحرية الاستقلال الواسع جدا [illegible]
الآن [illegible] الحكامات ولا [illegible] هذه الارتسامات [illegible] الحال [illegible]
على [illegible]
[illegible]
[illegible]
انتظام الجمعية [illegible] المعروف [illegible]
طرف الدولة عن قصاص الذنوب التى [illegible] الجمعية [illegible] واعتبار
عقاب المذنبين كانه عبرة عمومية لزجر غيرهم كان ذلك لا يمكن ان يصدر لا عن
اصول حكومة منتظمة لا عن مثل حكومة هؤلاء الحشنيين الذين
لا يفهمون ذلك حتى يعملوا على مقتضاه فكانوا لا يعتبرون القضاة والحكام

بالحرية الا بالمشقة السابقة
والحرية والاستقلال اللذان اكتسبهما قسم من الرعايا بترتيبات الجمعيات البلدية الهما القسم الآخر رغبة قوية تجددا في ان ينال مثل هذه المزايا والخصوصيات ولما استعظم الملتزمون المنافع العظيمة التى استخرجوها لانفسهم مما تحلوا عنه اول مرة رخصوا الاتباعهم فى خصوصيات جديدة فلذلك كثر عندهم الاعتاق وصار معتادا فاشتغل ملوك فرانسا بتصيير الاعتاق عاما لما الضرورة الجأتهم لذلك ولكونهم ارادوا اضعاف قوة الاشراف وصدرت من الملك لويز العاشر واخيه فيليبش اوامر نصها ان الانسان حر من اصل طرته ومن حيث ان المملكة تسمى مملكة الافرنك (اى الاحرار) فينبغى ن يتحقق فيها مدلول هذا الاسم فلذلك امرنا ان يتم بالاعتاق على جميع من فى الولايات على شروط متضمنة للعدل والانصاف انتهى فنفذت تلك الاوامر السلطانية حالا فى حكومة الملك الخاصة به ثم ان ذلك حث اغلب الاشراف على ان ينسجوا على منوال الملك خصوصا مع ما ينشأ عن الاعتاق من الاموال الجسيمة فبادروا باعتاق مستعبديهم وصار اغلب اقاليم فرانسا الياس من الاسترقاق
الحكومة الجمهورية التى كانت قد ترتبت فى مدن ايطاليا العظيمة سرت فيها اصول حكومة مخالفة جدا لاصول المذهب الالتزامى ولما تقوت هذه الاصول باسباب المساواة التى تقدمت بكثرة التجارة اعانت على ادخال عادة الاعتاق عند قدماء المستعبدين المسمين پردوو والى حرية الاسارى فى بعض اقاليم المانيا اعتقوا الاشخاص الذين كانوا فى هذا النوع من الاستعباد وفى بعض آخر صارت احوالهم مبنية على السهولة عما كانت عليه سابقا وازدادت الرغبة فى الحرية فى بلاد الانكليز وصار اسم الاسترقاق يختفى نسيا منسيا من نفسه من غير ان يصدر فى شأنه نهى شرعى
ل هذا التغيير العظيم الذى حصل فى صفة معظم الرعايا نشأ عنه فى اقرب من نتايج مهمة جدا حتى صار الزارع مستعدا للاشتغال فى الارض لنفسه

نه بتصرفهم فى تأديب ... ذنب ارتكبه ... تدعو ... على ذلك

لاضرار ... من الحد ... من العقاب

بهذا الحل او اخذ ... الا ...

المتمدنة لاسيما قدماء المصريين وغيرهم من المتمدنين الذين

رومانية كان عندهم اجتهاد فى البحث عن الذنوب وعقوباتها

اه ... وامتادة ... وماداموا محافظين على

م العظيمة ... منقسمين الى قبائل ... عديدة منهم

بالجنايات لانكاد ... على ان ... هذه المداهب اوبها

انتقلت هذه الامم ... الى ... التى كانت فتحتها

صارت حكومات ... وازدادت عندهم اسباب

ة التى اعانت على تقوية النزاع بينهم واتساع ... وتوارثها

جديد ... القصاص ... ما كانت عليه الى ذلك الوقت من

مى احكام ... الشخصية ... القوانين ... العادلة

النافرون المتكبرون المعتادون على الانتقام بانفسهم ... من

ان يتنازلوا عن الحق الذى كانوا محافظين عليه كانه ... خاصة

ة على استقلالهم ... لكن ... الا بالامر ...

... والتشاغل المجردين من القرد لم تكن ... الاجرام

الا ... الا ... الى ... الاحكام

... الاحاد ... يتعادون

كام من غير ... فكان اذا اخطر ... يرون ان بعض

... فى حقه او تعدى عليه فى اموال ... ركب مع اتباعه

بنفسه وكذلك خصمه كان يتسلح مثله ليدافع عن نفسه

ن الفريقين ان يرفع الامر للقوانين التى لم تمكنها حمايتهم لعدم

احد منهما ان يحكم فى خصومته النفسانية التى يريد تجهيزها

المحاكم الشرعية البطيئة بل كان يسارع الى فصل الخصومة

كون هذه الامم المتقدمة ... لا ... الحرب السخصية

امنياء على سيف العدل بل كان هذا السيف في ايدي آحاد
كانوا يقلدون الاحكام اي انسان وكان حسب الاتفاق وجر
هو السبب في البحث عن الذنوب والمعاقبة عليها والظلوم و
له الحق في ان يتمتع بسلطته ويسعى في معاقبة من تعدى عليه او
الطريقة الخشنية التي نكاد ان تباين كل اصول جمعيات الت
سببا في اختلال التنظيم وانحلال الترتيب * وكثرة الظلم بانصما
العميق اعانت على تلك الطريقة وعلى تضييق تدبير الحكم
وجعلت العمل بها على حسب الاهواء وتنوع الآراء فكثت ا
والاحكام مدة قرون يبحثون عن دواء لهذه المصائب ال
للاقضية والاحكام ديوانا ثابتا منتظما فاسسوا الاجل توفيـ
قوانين ترجع الى ثلاث وسائط اصلية بحيث لو جمع توضيحها
ذلك احد المباحث النافعة جدا في تاريخ الجمعية السياسية بين ا
الواسطة الاولى اول عمل بهم اعان على ترتيب المساواة في
والاحكام هو ابطال الحقوق الخشنية التي كانت بزعم الآحاد
وهي محاربة بعضهم بعضا لا بعصمهم للدولة وقوتهم لا بقوة الد
من الطبيعي للانسان ان يدفع المضار عن نفسه ويبحث عن ا
ظلمه كما ان من طبيعته ايضا الاعتراف بما للناس عليه من الم
الجمعية باقية على حالة جهالتها الفطرية الاولية فاول صفة نفسا
يرى انها من حقه الذاتي له لا يضيعه كما لا يضيع الحق الا ار
فلم يظن المتوحشون ان حقهم فقط هو انتقام المضار التي تصيبهم
بل ضموا الى ذلك اعتقاد ان ينتقموا من العدو لاهاليهم واحبابهم
واصحابهم الذين ربطهم بهم العرض والنسب ارتباطا اكيدا وليس
منهم في اصول الجمعية السياسية الا تصورات جاهلية خشنية
كان يتأثر تأثرا عظيما بحاسيات الالفة الاهلية وبالواجبات ا
مخالطات القرابة وعلاقات النسب فكان اقل خسارة او عيب

آ الحرب
صة
ها

الناس من
م الاولية
القضايا
م والقصاص

[illegible] وعيار [illegible] مشاحراتهم [illegible]

حين [illegible] الملك مجبورا على حرب [illegible]

[illegible] على ان يسطو بواسطة قوتهم [illegible]

النصرانية وانعقدت عدة مجالس قسيسية [illegible] عن حروب

الخصوصية ودعوا باللعنة على كل من يتجاسر على [illegible] الجمعية واستمر

على العمل بآراء [illegible] هؤلاء مجبورين [illegible] بالدين

لاجل احتساب توحش [illegible]

[illegible] بالاهامات والمسامات [illegible]

على [illegible] وامروا الناس [illegible]

الحروب لانتقام من بعضهم [illegible]

[illegible] على النصرانية [illegible] اعضا [illegible] اجتماع [illegible]

مع القوة القسيسية وان كان [illegible] في عقول تلك

القرون المتوحشة السانجة [illegible] لرعاية الرتبة

بحصول المهادنة ومنع الحرب مدة [illegible] الاعمال الصالحة

العظيمة واستمر الاشراف على حفظ [illegible] الخطرة [illegible] طاعة بعض

القوانين المرتبة لابطال [illegible] وابطال [illegible]

[illegible] على ان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] واستغووا [illegible]

تأثير [illegible] التربيب [illegible]

لتأثير الحكومة السلطانية [illegible] التي اقامت

[illegible] ولاصحية للحكومة [illegible]

بالسيف ويدخل في ذلك المشاجرة اهل كل من الخصمين واتباعهما ولا يمكنهم التخلص عن الاعانة حتى ان كل من امتنع منهم من الدخول مع الفريق الذي ينسب اليه فقد فضح نفسه وعرضها الالام العقوبات الجارية عندهم

التتايج الشنيعة الصادرة عن هذه العادة

فصارت حينئذ ممالك اوربا المختلفة غنيمة عدة قرون للحروب الداخلية التي اضطرمت نارها بالعداوة بين الآحاد واستمرت مع القوة الطبيعية عند اناس كانت اخلاقهم وحشية وشهواتهم شديدة وكان التزام كل بارون جزا من الارض مستقلا بنفسه مفترقا عن التزام جيرانه فكان ذلك دائما سببا للتنافر بين الملتزمين المختلفين والشرور المضرة تتشعب في سائر الجهات حتى توصل الناس الى ان يعينوا اشكل هذه الحروب المخصوصة وقوانينها بطريقة صحيحة وهذه القوانين صارت قسما من مذهب القضايا والاحكام حتى كانها موسسة على بعض الحقوق الطبيعية للانسان او على القانون الاصلي للجمعية التمدنية

استعمال وسايط مختلفة لاجل ابطالها

والمصائب التي كانت تجذب هذه المعاداة الدائمة صيرت الضرر عموميا متسعا جدا بحيث انهم صاروا مجبورين في الاخر على كونهم يبحثون له عن علاج يبطله وحاول الامراء بوسايط مختلفة كونهم ينزعون من ايدي الاشراف ما كانوا يدعونه لانفسهم من المزايا الشنيعة ولم يكن هناك ملك من ملوكهم الا كان متولعا بابطال العادة التي صيرت حكمه كالعدم فقد نهى شرلمانيا الذي هو كرلوس الاكبر بقانون صريح عن هذه الحروب الخصوصية قائلا انها بدعة شيطانية يختل بها انتظام الجمعية وراحتها ولكن لم ينقطع بذلك عرقها لان الحكومة الواحدة وان بلغت في القوة ما بلغت لا يمكن ان تبطل عادة متمكنة قديمة وخلفا شرلمانيا الضعفا المتعاقبون عوضا عن كونهم يجرون هذا النهي ويقررونه لم يعالجوا هذا الداء الا بدواء هين حيث امروا بانه لا يباح لاحد الحرب الا بعد ان يراسل اهالي خصمه واتباعه ويدعوهم للقتال وبانه اذا وقع ذنب صغير وكان سببا في حرب خصوصي فان المظلوم المتعدي

والجنايات وفي جميع الصور التي لم يقم المدعى عليه برهانا واضحا يخلص

المتهم منها محصورة في المحكمة وتحليفه على سلامته مما اتهم به [illegible] على [illegible] ما اتهم

به عن نفسه فانه يبرأ على سبيل [illegible]

الا لاخفاء الحق ودرء العقوبات وبهذا كان [illegible] سنة بحيث [illegible]

معارضة الخائنات فلما جربوا الاحوال [illegible] بالضرورة من مثل

هذه العادة وارادوا ان يزيلوها اخترعوا القرائن لاجل [illegible]

ان الايمان تكون جبرا على درس الانسان بكيفية تخص [illegible]

من الجاري على الخلف وان كانت عند الكيفية من قبيل [illegible]

وكانت اعانة ذلك على دفع هذا الخطر معينة [illegible]

الكيفية التي كانت في مبدء الامر تحسانها [illegible] فسادت بالتدريج

وتبيانوا نوايبها فكان كل من لا يخشى الكذب لا يمكنه ان يكث [illegible] بلا

محجوز باليمين عن مراده فلاحظ ذلك عاجلا ارباب [illegible] والقوانين

فبحثوا عن طريقة جديدة [illegible] باليمين [illegible] رتبوا

ان يحضر المتهم [illegible] عدة رجال احرار من جيرانه او اقاربه لاجل تأكيد

زيادة صدق الذين يحلفون انهم يعلمون صدق ما قاله المظلوم وكان هؤلاء

الشهود يسمون المزكين المقدسين للمتهم من الذنب وكان يختلف عددهم كثرة

وقلة على حسب عظم الدعوى او طبيعة الجناية المتهم بها حتى انه في بعض

الصور [illegible] ارباب التزكية [illegible] لاجل [illegible]

[illegible]

تحكم في اوروبا مدة قرون [illegible]

كون الانسان لا يرخص له ان يترك [illegible] الذي يكون [illegible]

او من يكون بينه وبينه قرابة الا مع المسبة والعار وهتك العرض فكان كل

من تجاسر حينئذ على مخالفة القوانين يجد من ينضم اليه ويتعصب معه

لاجل حمايته والذب عنه ويسلك معه انفع الطرق له فلم تفد عادة التزكية

السابقة في منع الحنث والكذب والغش الا مجرد الامن الظاهري فقط وكانت

الخصومات كان عادة اخرى فاسدة من عوايد الجاهلية فتركها شاعد على
التدريج فى ادخال انتظام الضبط والربط فى الجمعية بحيث يؤمن به على انتظام
التربية العام والراحة الخصوصية دفعة واحدة وقبل ذلك كان حق الحرب
الخصوصى بين الخصمين بفصله السلاح وكان النزاع بين شخصين منزلا منزلة
النزاع بين ملتين وكان فصل الدعاوى بالقتال الشرعى الذى انتشر
فيما بعد فى جميع بلاد اوروبا قد ابطل العدل فى المحاكم ولم يرتب قانون للاحكام
الشرعية الا القوة والصدفة ومن المعلوم ان العقود والعهود عند الملل المتمدنة
تسجل بالكتابة وتقديم هذه الكتابة بعد اقامة الدعوى يكفى فى اثبات
الحق وتحديد ماوقع الاتفاق عليه بين المتعاقدين مع الضبط واما عند
الامم الجهلة الخشنية الذين يندر عندهم معرفة القراءة والكتابة وان اتصف
عندهم شخص بذلك كان جديرا بوصف عالم فكان لا يكتب الا المشارطات
التى تقع بين الامراء والملوك وكذلك المزايا والقوانين التى كانوا يعطونها
لرعاياهم والوثائق الخصوصية الشائعة وكان اغلب مصالح المعيشة العامة
لاتحصل الا بالاتفاقات السماعية وكان يصعب فى كثير من الدعاوى المدنية
ان يجد الانسان براهين كافية فى قمع الخصمين بل ربما كان الكذب والغش
متقوين بالامل فى عدم القصاص وكانت الحيرة كبيرة جدا فى الجنايات
التى القصد منها تحقيق الدعوى او ابطال التهمة ولم يكن يوجد بين هؤلاء الامم
الخشنين الملم بحقيقة البراهين الشرعية ولا بما يترتب عليها فكيف يمكنهم
على وجه الضبط تعيين البينة المقبولة التى يلزم القاضى ان يبحث عنها وكيف
يمكنهم ان يميزوا بين الوقائع التى لابد فيها من الوقوف على الحقيقة واليقين
والوقائع التى يكفى فى اثباتها مقتضيات الاحوال وكيف يمكنهم المقابلة بين
عدة شهادات متناقضة والوقوف على درجاتها والاخذ بالاقوى منها فان مثل
هذه الابحاث والتدقيقات ادق واصعب من ان تدركها عقول ارباب هذه
الاعصر ذات الجهالة والخشونة فلاجل ابطال هذه الموانع ادخلوا فى المحاكم
طريقة فى اقامة الدعوى اسهل من الاولى لاجل اصلاح المدنية الداخلية

مطلب
العيوب فى اقامة
الدعاوى الشرعية

والجنايات

الله تعالى على تدبير العالم بأمره بأحكام معينة دائمة عمومية حملهم ذلك
على اعتقادهم في سائر الاحوال التي يرون فيها منافعهم وثمراتهم النفسانية
عظيمة في اعينهم انه يجب على الله تعالى ان يتقدم بنفسه على وجه واضح
هو هدى للبرئ من المسيء ويلزم لاجل ازالة هذا الخطأ الفاحش عن اوهام
العامة كثير من المعارف والاطلاع على اسرار الكائنات لان جميع الاوهام
والتصورات التي تحكمت في اوربا مدة قرون الجهالة قوت هذا الخطأ
الفاحش واكدته بدلا عن كونها تمحوه وتبطله وفي مدة عدة قرون كان الدين
عبارة عن اعتقاد سير كثير من القديسين الذين كانت اسماؤهم تدون
في الريجات الرومانية فكان بها يكبر حجم الكتب وتصير ضخمة وقد اهتم البابات
وجمعيات القناصل بان جميع الخرافات المشتملة على خوارق العادات لهؤلاء
القديسين تنتظم في سلك المعتبرات الصحيحة الاجماعية وكانت تلك الخرافات
هي المقصود الاعظم من تعليم الكهنة للامم وقبلت الامم منهم ذلك مع
الاستحسان وعدم النظر فيه بل ركنوا اليه بمحض التقليد من غير برهان
فاعتاد الناس على اعتقاد ان القوانين الطبيعية يمكن تعليقها او خرمها
ولو لاغراض واهية وجعلوا الامور الجزئية الطبيعية خارقة للعادة لمقصد
الهي ولم يجعلوها من قبيل انتظام ناموس العالم الطبيعي وان اجراءها صادر
عن قوانين عمومية لا يختل نظامها فصارت الاوهام تتولد عن بعضها
ولا يستغرب من يعتقد ان الله سبحانه وتعالى يخرق العادة في امور غير مهمة
كرامة لاصفيائه ان يعتقد انه تعالى لا يمتنع من ان يخرقها في امور
مهمة جدا

مطلب تقوية التولع بالعسكرية ترتيب فصل الدعوى بالقتال

والتولع بالعسكرية الذي مكث في اوربا مدة القرون التي تكلمنا عليها
ساعد ايضا مع الآراء الباطلة على ترتيب شكل فصل الدعاوى بالقتال
فكان الشريف منهم مستعدا دائما لان يثبت بحد سيفه ما ينطق به وهذا
هو اعظم الدرجات لحفظ العرض وكان الاشراف الممتازون يظهرون
عظمهم وفخرهم في حماية حقوقهم بقوة اسلحتهم وفي انتقامهم

المحاكم الشرعية كما استمرت على الحكم بتلك العادة والوثوق بكلام المزكين في كل واقعة من وقائع النزاع التي تدعو الى ايمان المزكين المحاسبين يظهر ان حكم القضاة بها خال عن الانصاف فينشأ عنه نفور عموم الناس وعدم قبولهم له بهذه الصورة

مطلب بيان كون هذه المظالم نشأ عنها ان الله تعالى الهمهم طريقة اخرى رأوا انه هو الذي يقضي في الدعاوى

وكان قدماء الافرنج يتأثرون من تلك المضار ويجهلون دواءها ولا يعلمون طريق تجديد قوانين احسن منها في القضاء والاحكام ثم انهم ظنوا انهم الهموا طريقة مطردة قوية في تمييز الحق من الباطل والاحتراس من الكذب وهي انهم جعلوا الله سبحانه وتعالى قاضيا في خصوماتهم وفوضوا الامر في قضاء جناياتهم اليه لحكمته وعدله ففي بعض صور كان المتهم لاجل البرهنة على صدقه وبراءته يصنع على رؤس الاشهاد امتحانات خطرة مهولة جدا ككونه يغمس ذراعه في ماء شديد الحرارة او يحمل بيده مكشوفة قطعة حديد محماة بالنار او يمشي غير منتعل على قضبان الحديد الملتهب بالنار وفي بعض آخر كان يستدعي خصمه لحرابة غريبة وكانت جميع هذه الامور

مطلب حرب فصل الخصومات

المختلفة جارية عندهم باحتفالات دينية وكان امناء الدين هم رؤساء تلك الاحتفالات وكانوا يتضرعون الى الله تعالى في حماية البرئ وفضيحة المذنب وكان المتهمون الذين يرضون بتلك الامور السابقة من غير ان يصيبهم منها مكروه او يخرجون من المعركة منصورين سالمين منها تثبت عندهم براءتهم ويسمى ذلك حكم الله تعالى وقضاءه

مطلب كون ادخال هذه العوايد في القضايا الشرعية اعان في القرون المتوسطة على الاوهام الفاسدة

ولا يوجد في جميع القوانين الشنيعة المتولدة من ضعف العقل البشري اشنع من القانون الذي يحمل الانسان على تفويض قضاء مهماته واموره وعرضه الى مثل تلك الامور مما يقع بالصدفة والاتفاق والقوة والحيلة والشعبذيات فهل هناك احمق ممن يسلك تلك المسالك ولكن كان عندهم مقتضيات احوال تدل على ان هؤلاء الامم الجهلة في اوربا كان لهم شبهة في كونهم يعتقدون ان هذه الطريقة الغير المبينة كانها الهام من الله تعالى واظهار لارادته وذلك ان البشر لما لم يكن في طاقتهم ان يعرفوا كيفية اقتدار

ولما انتشرت طريقة القتال الشرعي على التدريج كثيرها من طرق الظلم
صارت بالسرعة عادة عند جميع الناس اكابر واصاغر وكادت ان تكون في
سائر احوال المخاصمة ولما كان لا يمكن للقسيسين والنساء والاولاد الصغار
والشيوخ وذوي العاهات ان يتجاسروا على اخذ الاسلحة ليحاموا بانفسهم
عن حقوقهم الخاصة بهم اما لعجزهم عن ذلك او لحيائهم منه او لكون تلك
الطريقة من باب الظلم صاروا مجبورين على ان يبحثوا لهم عن شجعان محامين
يبارزون في الميدان بدلا عنهم اما لداعي المحبة او لكونه يعود على البدل
من ذلك منفعة ومصلحة وكان من المالوف لهم طبيعة ان يجعلوا الاجراء تلك
الطريقة حيث كانوا يعتقدون انها قضاء الهي اجراه الله تعالى على حد السيف
وتنتهي به المشاجرات في الامور المهمة العظيمة وكان تنظيم القوانين المتعلقة
بتلك الطريقة بموجب اوامر الامراء وكانت وقائع تلك الطريقة يشرحها
فقهاؤهم ويتحرون فيها الصدق ويوضحونها اتم توضيح ومع ذلك ربما اشتمل هذا
الشرح والتوضيح على بعض اوهام فاسدة وترهات كاسدة وكانت معرفة هذه
القوانين والاحتفالات والوقوف على حقيقتها هي العلم الفريد الذي
كان يتمدح به الاشراف الذين يحسنون القتال او الذين يرغبون في تعلمه
واكتسابه

وهذه الطريقة الوحشية ابطلت بالكلية في اقرب زمن عقب ظهور القضاء
في سائر الدعاوي المدنية والجنايات وصارت القوة [illegible]
محاكم القضاة واتسع [illegible] بالكلية [illegible] الاستقامة
والاصلاح او صار فليست اللازم للقاضي من قوة البدن ومهارة تدبير الاسلحة
واحكام القتال بها وصار استعمال الشجاعة والجراءة والشطارة دون البحث
في فصل الدعاوي اشد ابتداء من ظهور الحق ووضوح البراهين فصار من
المستحيل عند كل انسان ان لا يتعلم المعارف العسكرية التي هي من اعلى المنافع
واجل المهمات

ولما كان كل من القوة والحيلة لازما جدا في المقاتلة التي كانوا مجبورين فيها على

بانفسهم ممن تعدى عليهم فى خصايصهم واملاكهم وتعلقاتهم
وكانت الاقضية والاحكام بهذا القتال الشرعى تناسب هذه الاصول
وتلايم طريقة الشرف واحواله وكان كل انسان مكلفا بحماية شرفه ونفسه
وان يبرهن بشجاعته على صحة ما ادعاه فبهذا يامن على عرضه فى المستقبل
وبالجملة فهذه الطريقة العجيبة فى فصل الدعاوى انتظمت عندهم فى سلك
الامور النافعة فى السياسات المهمة المبنية على قانون الحكمة وذلك انه من
حين اجرآئها فى المحاكم صارت الاقضية بالماء والنار والامتحانات الاخرى
المبنية على الاوهام الفاسدة فى حيز النسيان اولم يعملوا بها الا فى المشاجرات
التى تقع بين رعاع الناس وصار فصل الخصومات بالقتال مرخصا فى اوربا
ومرعوبا فيه فى جميع بلادها على حد سوا ولم يقتصروا على هذه الطريقة فى
مادة الوقائع المشتبهة التى وقع فيها النزاع بل كانوا يحكمون بها ايضا فى مسائل
الاحكام الشرعية والعلوم الرياضية فكانت معتبرة عندهم كانها واسطة
فى كشف الحقيقة والوقوف عليها وكانوا يرونها اشرف وارجح من البحث عن
الحقائق واقامة البراهين العقلية ولم تكن تلك الطريقة ايضا مقصورة على
الخصمين اللذين هيجت عقولهما حرارة المنازعة بينهما على ان يتداعيا للقتال
ليبرهن كل بالسيف على برآءته بل كذلك الشهود الذين لم تكن لهم مصلحة فى
الدعوى وانما دعوا لاجل الاخبار بالحق بموجب القوانين التى كان حقها ان
تحامى عنهم كانوا معرضين كارباب الدعوى لخطر كون المشهود عليه يطلبهم
فى الميدان وملزومين بان يحاموا بواسطة اسلحتهم عن تصحيح شهادتهم ولكن
الذى كان يجعل هذه الطريقة فاسدة غير ملايمة للعقل هو ان وظيفة القاضى
والحاكم الذى ينفذها لم تمنع عنه الدخول فيها كغيره وذلك لان القاضى كان
اذا شرع فى ابدآء رأيه ربما قطع عليه احد الخصمين كلامه وشنع عليه فى
الخطاب واتهمه باخذ الرشوة واساء الادب عليه ودعاه ليثبت رأيه فى ميدان
الحرب فلا يمكنه ان يمتنع من ذلك الا من بعد ان يدنس عرضه بعدم ظهوره
فى الميدان مع خصمه

وكانوا يميلون بالطبع الى طريقة المقاتلة القديمة فلم يمكن هذا الملك ان ينشر ما
احدثه فى جميع المملكة ولكن بعض البارونات قبل ترتيبه بالطوع والاختيار
وشنع ارباب المحاكم على هذه الطريقة الخشنية وشرعوا فى ذمها واللوم على من
عمل بها ولكن لما كان الاشراف يرون انهم من غير هذه الطريقة لا يكون لهم
شرف ولا عرض اخذتهم شدة الحمية فلم يروا ابطالها حيث انها مزية من
خصايص طائفتهم ولما لم يمكن لخلفاء سنت لويز ان يدخلوهم تحت حكمهم لقوة
شوكتهم لم يقتصروا على التساهل فى تلك المادة بل اباحوا بالكلية ما كان ابطله
الملك سنت لويز واما بلاد اوروبا الاخرى فكان شرافها فى القوة والذب عن
تلك الطريقة كالاخرين بل قهروا ملوكهم على ان يحلوا لهم عنها ويتركوها
لهم ولكن جميع الامرا الذين اظهروا الثبات والمعارف لم يقطعوا نظرهم اصلا
عن هذا المقصد السياسى بل ما زالت تصدر اوامرهم لابطال تلك الطريقة
غير ان ما قدمناه من ان هؤلاء الاشراف كانوا يزعمون ان لهم الحق فى الحروب
الخصوصية هو بعمومه شامل لتلك الطريقة فمجرد نشر القوانين واظهار
الاحكام لا يكفى فى ابطال عادة فاسدة ولو كانت بديهية الفساد لا سيما اذا كانت
مالوفة للناس من مدة طويلة ومتقوية بموافقتها لاخلاق القرن الذى ظهرت
فيه بل يلزم لابطال مثل هذه العادة ان تتغير آرا الناس وينشأ فى الدول قوة
جديدة قابلة لمقاومة قوة تلك العادة والانتصار عليها وقد حصل فى اوروبا شىء
مشابه لذلك حين شرعت المعارف تسخو فى عقول الناس [illegible]
الجمعية فى استكمالها وهو انه تجردت [illegible]
تكونت عندهم شوكة جديدة يمكنها ان تقاوم قوة جميع العادات التى كانت
سببا فى استقلال الاشراف فصار كل من هاتين القوتين المتضادتين يصادم
الاخرى واستمرا على ذلك عدة قرون وفى بعض الاحيان كان يظهر للقوانين
والاصول الجديدة تقدمات على غيرها ولكن العوايد القديمة اخذت بعد ذلك
فى القوة فلذلك كانت طريقة المقاتلة الشرعية وان اخذت فى التناقص على
التدريج وصارت قليلة الاستعمال فى اغلب البلاد يوجد منها بقايا الى القرن

اثبات حقوقهم الخاصة بهم كلزومهما فى الحروب التى يمانعون بها عن الوطن
كان تحصيل هاتين الصفتين او تكميلهما هو اعظم طرق التربية واهم اعمالهم
المعاشية فبذلك صارت المحاكم التى كان من حقها ان تعوّد الامم على الطاعة
واحترام احكام القوانين مساعدة على زيادة خشونة الأخلاق وعلمتهم
ان برواز القوة هى الحاكم المتصرف فى اظهار البرئ من المتهم والظالم من
المظلوم

الوسايط المختلفة التى ابدوها لابطال هذه الطريقة

ومع ان هذه الطريقة الحربية فى فصل الدعاوى كانت جارية معمولا بها فان
نهاية مضرتها كانت بينة عند جميع الناس حتى عند الامم الخشنين وعند
المحاربين الذين اتخذوها عادة لهم فمن مبدء هذه الطريقة قام القسيسون على
ابطالها محتجين بانها مخالفة لدين النصارى وغير موافقة لانتظام الملك والشرع
ولكن الاصول والشهوات التى كانت منشأ هذه الطريقة كانت متسلطنة
على اهل ذلك العصر متمكنة من قلوبهم بحيث ان تشديد القسيسين الذى
لو كان فى امور اخرى لافزع هؤلاء الامم وارهبهم لم ينتج منه شئ من التأثير
وذلك لان هذا الضرر كان داءً عضالا متمكنا جدا بحيث لا ينفعه علاج بل
استمر على الزيادة بالتدريج فاضطرت قوة التشريع والترتيب الى ابطال تلك
الطريقة وقطع عرقها ولكن الملوك الذين كانت قدرتهم ضيقة محدودة شرعوا
فى ابطالها او تقليلها بالحيلة ولكن كانت اجتهاداتهم الاولية ضعيفة
جدا فاول قانون عمل فى اوروبا لابطال تلك الطريقة رتبه هنرى الأول ملك
الانكليز ونهى فيه عن العمل بها فى الدعاوى المدنية التى يكون النزاع فيها على
قدر معلوم عينه الملك المذكور واباح العمل بها فيما زاد على ذلك وتابعه على
ذلك لويز السابع ملك فرانسا حيث رتب قانونا نظير ذلك فى الاحكام واما سنت
لويز الذى كان له فى الشرائع معارف اعلا جدا من سائر معارف عصره فانه بحث
عن وسايط ترتيب قوانين اكمل واعظم مما عندهما وان يستبدل تلك الطريقة
بطريقة شرعية بالبراهين ولكن ما رتبه فى هذا المقصد لم يجر العمل به الا فى
التزاماته فقط لان عظماء اتباعه فى تلك المملكة كانوا يتمتعون بحكومة مستقلة

لذلك عن دوقية فادخلوا اولا بعض وسايط في المجادلات والتخاصم وتلك
الوسايط بواسطة ارشاد صاحب الحق الى الصواب اراد التصريح بتحبيب المظلوم
على ان يقبل العوض من الظالم وان يترك كل ما كان عازما عليه من الاضرار
ولكن هؤلاء الاقوام الذين توسطوا في هذا الشان لما لم يكن لهم مدخل
في الحكومة الشرعية ولا علوم تامة في بنائها وتوسد عليه الانقياد الخصمين
لهم بالطوع والاختيار ولزم بعد ذلك بقليل من ثبات قصد وتمكين قوتهم لاجل
اجراء احكامهم ولزم لهؤلاء الامم الحربيين ان يجعلوا هذه المناصب المهمة
لرؤسائهم الملتزمين لكونهم اعتادوا احكامهم واتخذوا اطاعتهم واعتقدوا
شجاعتهم واستعدادهم بحيث يكون حينئذ كل رئيس حاكما في زمن الحرب
وقاضيا في زمن الصلح ويكون كل بارون مرشدا اتباعه في الحرب وقاضيا
بينهم بالعدل في قصره ووطنه وايضا لما كان هؤلاء الملتزمون مستغنين بالكبر
[illegible] نصيبهم حيث كانوا يستنكفون ان يدخلوا تحت حكومة اخرى
ويخضعوا لقانون آخر ولكن لم يمكن لاحدهم في زمن الفتن ان يجري وظيفة
القاضي من غير ان يعرض نفسه لكثير من الحيرة بل ولعظيم الخطر فكان
الانسان حينئذ لا يجاري على هذه الوظيفة الا اذا كانت له قوة على حماية
احد الخصمين من صيال خصمه وتعاليه عليه وعلى جبر الآخر على الانقياد
لما تعينه القضاة من الجزاء على حسب ذنبه فكان هذا سببا في كون القضاة
يفرضون على من يقع منه الاذى للمظلوم سيما عند [illegible] من كل منهم
احدهما للقاضي والآخر للمظلوم [illegible] القاضي لا يدمن [illegible]
كالمبلغ المعد للمظلوم صلحا

مطلب تقدمات هذه المرية وعواقبها الرديئة

ومنشأ عن اجتماع عدة اسباب طبيعية ملايمة لاخلاق المال المنقاده للحكومة
الالتزامية ولحال سياستها ان محاكم الملتزمين الخصوصية على اراضيهم
قد ترتبت في كل ممالكه ولم يكتفوا بترتيبها على هذا الوجه بل بحثوا الاجل
مصلحتهم الخصوصية وطمعهم عن حفظ ترتيب هذه المحاكم واتساعها *
واختصاص السادات بحق الحكم على اتباعهم ليس لمجرد ان عدمه يخل

السادس عشر حسبما ذكر في تواريخ فرانسا والانكليز فلما اضمحلت تلك البقايا صارت اشكال تدبير الاقضية والاحكام منتظمة وصار فصل الدعاوى جاريا على قوانين معينة مشهورة صارت سطالعتها اعظم مقاصد القضاة واهمها ولما بطلت بالكلية تلك الطريقة التي كانت سببا اصليا في خشونة الاخلاق شوهد ان اهالي اوربا يسارعون الى التمدن والآداب التي تميزوا بها الآن

مطلب في كون اقامة الدعاوى في محاكم الملوك بعد فصلها في محاكم الملتزمين اعانت على تدبير الاقضية والاحكام

وهذه العملية اخرى مثل السابقة في الاهمية ساعدت في تنظيم تدبير الاقضية والاحكام واستقامتها وقوتها اكثر من الاولى وتلك العملية هي ان الدعاوى التي نصلت بمحاكم الملتزمين يرخص في اقامتها ثانيا بمحاكم الملوك واعجب شئ في مشروعات الاشراف التي تجاسروا بها في حكوماتهم الالتزامية على خرم قوانين الملوك هو كونهم يزعمون ان لهم الحق في فصل الدعاوى في محاكمهم وانه ينتهي لهم الحكم في سائر الدعاوى المدنية والجنايات وعند الملل الاخرى شوهد ان الرعايا ينازعون مع امرائهم ويبحثون عن تقوية شوكتهم وتوسيع خصايصهم ولكن لم يوجد في تاريخ الدعاوى والمشاجرات حتى مثل هذا زعمه الاشراف ونالوه فلابد وان عقولهم واخلاقهم كان بها بعض غرائب

مطلب واستقلال القضا من الشرف

عجيبة الهمتهم هذا التصور وحملتهم على هذا الزعم وادعاء تلك المزايا وعند الامم الخشنية الذين فتحوا اقاليم الدولة الرومانية المختلفة وتبوؤا فيها دولا جديدة كان الميل الى الانتقام شهوة شديدة جدا بحيث لا يمنعهم عنها مانع ولم تؤثر في ابطالها حكومة القوانين الا على وجه ضعيف وكان قد بقي من عوائدهم القديمة ان كل مظلوم يعتقد ان له الحق في كونه يجد في طلب عدوه حتى يعاقبه بنفسه وينتقم منه اشد الانتقام او يأخذ منه شيأ عوضا عما عمله فيه من الاساءة ولكن ما دامت هذه الامم الخشنية مستمرة على ان تقضي لنفسها بنفسها في دعاويها الخاصة بها فلابد من دوام البغضاء بينها مع شدة الحقد فكان جبرهم وحقدهم غير متناه ولا محدود بحد فنتج من ذلك نتايج غير موافقة لراحة الجمعية وحسن ترتيبها فصاروا مجبورين آخرا على ان يبحثوا

اتفق [illegible] الطريق [illegible] لا صاف

فاحس جميع الملوك بعض [illegible] وكانوا [illegible]
يصعب جدا [illegible] عن [illegible] او [illegible] الاشراف [illegible]
علية بحيث لا يمكن لاحد ان يجاسر [illegible] على تحرير [illegible]
الحقوق والاملاك التي [illegible] الى [illegible]
ما فقدوه [illegible] في المختلفة [illegible]
لاحد [illegible] الاصلاح [illegible] كره [illegible]
في دون اورب [illegible] قد بدل [illegible] الاقى [illegible]
البارونات حيث لم يأتوا اليهم الا في [illegible] المهمة [illegible]
امر المصالح المهمة لقضاء الدولة [illegible] دعاوى [illegible]
الحديثة [illegible] البارونات [illegible]
لم يكترثوا به بل زعموا ان قضاتهم عير [illegible] المولك على ان يرتبوا
لهم قوانين يعلمون فيها بانهم مختصون في القضاء في الدعاوى المهمة
ولكن ترتيب الملوك اختصاصهم بالحكم في المصالح المهمة قد اثمر بعض اعمال
نافعة حصلت بالفعل واخرى انفع منها صارت قريبة الحصول وذلك ان هذا
الترتيب حمل الناس على الالتفات الى ان هنالك محاكم اخرى غير محاكم البارونات
فاعتادوا على [illegible] شان [illegible] على [illegible]
[illegible]
[illegible] استعدوا [illegible]
في محاكم البارونات محاكم الملوك وكان مادامت طريقة القتال الشرعي باقية
على قوتها الاصلية [illegible] لم يمكن للدعوى التي وصلت [illegible]
ان تتحول الى محكمة اخرى وكانوا [illegible] امر الدعوى المفصولة بهذه
الطريقة الى الله تعالى وهو يظهر اثر ارادته الازلية فيما يترتب على هذا القتال
وكانوا يعدون من الكفر الشك في عدل هذا الحكم الالهي ولكن عند
ما اخذت هذه الطريقة الحشنية في التناقص عند الناس وقل التمسك بها

بمقامهم وشرفهم بل لكونه ايضا كان مساويا فى جلب فزاع كبير من محصولاتهم السنوية ولولا ذلك الفزع الذى جلبوه لما امكنهم غالبا حفظ مناصبهم فلا عجب فى كونهم يبذلون جهدهم دائما مع القوة والثبات فى المحاماة عن هذه المزية المهمة

وقد نشأ عن ذلك الترتيب ان كل مملكة من اوروبا صارت منقسمة الى عدة حكومات التزامية متميزة عن بعضها بقدر من كان فيها من البارونات ارباب الشوكة والقوة وكان اتباعهم في سائر الزمن صلحا او حربا لا يكادون يعرفون حكما آخر غير حكم ساداتهم اصحاب التزاماتهم فكان اتباع كل سيد لا يقبلون امرا الا منه ولا يتداعون الا فى محاكمه وكانت الارتباطات التى ربطت هذه الجمعيات المخصوصة ببعضها تتقوى وتتأكد يوما فيوما بخلاف ارتباطات الاجتماع العمومى فانها ضعفت فى تلك الحكومات بل بطلت وقد بذل الاشراف جهدهم فى ترتيب قوانين تساعد على تقوية مزاياهم وثباتها وحفظها من البطلان والفساد * ولاجل قطع عرق تعلق محاكم الملتزمين بالمحاكم الملوكية وابطال كونها تحت حكمها ولو فى الظاهر جبروا الملوك على ان يمنعوا جميع قضاتهم من الدخول فى اراضى الملتزمين ومن اجراء شئ من احكامهم فيها فكان اذا اراد بعض القضاة الملوكية ان يجرى احكامه على احد من اتباع الملتزمين احتقارا او تعديا فان هؤلاء الاتباع لا يجدون لذلك حيلة الا كونهم يتركون الممانعة عن مزاياهم ويشكون لملتزمهم فكان هذا الملتزم يطلب حق اتباعه وجبر خلل العيب الذى لحقهم فمن ثم كانت حكومة هؤلاء القضاة لا تتجاوز الحدود الضيقة للالتزامات الملوكية فعوضا عن انتظام الضبط والربط فى سائر المحاكم المنقادة لقانون كى تعمل به فى اجراء احكامها شوهد ان فى كل حكومة التزامية محاكم كثيرة كانت احكامها مبنية على عوائد مستحسنة عندهم واشكال مختلفة فكانت مصادمة المحاكم الملوكية والالتزامية لبعضها تؤخر فى اغلب الاوقات اجراء القوانين والعمل بها فتشل هذه الاحكام المتنوعة المبنية على اغراض الحكام وهوى

انفسهم

والطمأنينة والاحترام العام فعند ذلك ترك الامم محاكم البارونات وقوانينهم
التى كانت على مقتضى اغراضهم وبادروا برفع دعاويهم وخصوماتهم الى
القضاة ارباب القريحة الذكية الذين كانوا فى قبول الرشوة اقل من قضاة
البارونات وانتخبهم الملك ليحكموا باسمه نيابة عنه فصار الملوك حينئذ رؤساء
الامارة دفعة واحدة وصار لهم الحق فى الحكم بالعدل على رعاياهم بل فى بعض
الممالك ترك البارونات قوانينهم ومحاكمهم لكونها صارت محتقرة وفى بعض
آخر صارت احكامهم على اراضيهم معطلة بالقوانين التى رتبها الامراء لشدة
ظلم تلك الاحكام واجحافها بل صدرت اوامر بتركها بالكلية فلما صار تدبير
الاقضية والاحكام ناشئا عن اصل واحد لا يصدر عن غيره انتشر عاجلا
فى سائر البلاد مع الانتظام والاتحاد

وطريقة الاحكام الشرعية المنتظمة التى صارت محترمة فى المحاكم القسيسية
ساعدت مساعدة عجيبة فى تقدم مزايا علم الاقضية والاحكام واذا نظرنا
الى تلك الاحكام الشرعية من جهة السياسة سواء كانت آلة يتوصل بها
القسيسون الى التغلب على ما ليس من حقوقهم بحيث يجعلون لهم دخلا
فى الشوكة والاحكام التى لا تعنيهم ولا تعلق لها بوظائفهم كما انها لا تلائم
سياسة الحكومة الملوكية او كانت كالسبب الاصلى لطمع البابات
الذى اضعف المملكة عدة قرون وكاد ان يغير على حرية جميع اوروبا وجدنا
انه حتى اعتبارها كانها من اكبر التحسينات المقبولة التى كانت تنتج لنفع
سعادة الامم المتمدنة واما ان لم نعتبرها الا كقانون من القوانين المتعلقة بحقوق
الاشخاص واملاكهم ولم نلتفت الا لما ينشأ عنها من الثمرات والمزايا فانه
يكون لها حكم آخر وفق مما تقدم وفى ازمنة الجهل والتقليد كان القسيسون
محترمين احتراما ناشئا عن اوهام ذلك العصر الفاسدة ولما شرع الامم الخشنيون
الذين اغاروا على المملكة الرومانية كانهم جراد منتشر فى ان يتمسكوا بدين
النصرانية وجدوا شوكة القسيسين قوية وان لهم تصرفا مطلقا فحملهم
ذلك على ان يظهروا لهؤلاء المرشدين المستجدين التعظيم والطاعة والانقياد

مطلب
تقدم النظم القسيسى

رغب الملوك اتباع البارونات فى العمل بالقوانين الملوكية عند شكواهم من
قضاتهم ومع ذلك فطريقة طلب التحقيق لم تترتب الا بالبطئ والتدريج
والمهلة فالدعاوى الاول التى طلبت للحكم فيها بمحاكم الملوك كان سبب
طلبها لذلك اما امتناع محاكم البارونات من الحكم فيها او اهمالهم اياها
وحيث كان طلب هذه الدعاوى للمحاكم الملوكية جاريا على مقتضى اصول
المتبوعية والتابعية المنصوصة فى المذهب الالتزامى لم يمكن للاشراف
ان يعارضوا فى الاذعان للعمل بهذه العادة عندهم الا قليلا ولكن لما اعقب
طلب هذه الدعاوى الذى كان سببه الامتناع او الاهمال دعاوى اخرى كان
السبب فى طلبها ادعاء ظلم الحكم الاول الصادر عن البارونات فهم الاشراف
ان هذه العادة الحادثه ان صارت عامة عند جميع الناس لم يبق لهم من القوة
الا صورتها وان الاقضية الشرعية بتمامها تكون مقصورة على المحاكم التى
لها الحق فى طلب التحقيق فانتشر عاجلا الحزن بين البارونات واستدعوا
للملوك فى رفع هذه الحادثة قائلين انها من باب التغلب على حقوقهم وكان
الملوك فى عدة ممالك من اوربا يتعاطون دائما اسباب تحصيل مقاصدهم نعم
كانوا فى بعض الاحوال يضطرون الى تعليق اجراء تلك المقاصد حتى يظهروا انهم
تركوها رأسا اذا وجدوا عصبة ذات شوكة قوية عليهم بحيث لا تمكنهم مقاومتها
ومع ذلك كانوا اذا وجدوا فرصة بضعف تلك الشوكة رجعوا الى البحث عن
اسباب اجرائها مع بذل الهمة فيها ولما لم يكن للاقضية الملوكية فى مبدء الامر
دار معينة لاقامة الدعاوى ولا زمن معين لاجتماع جمعياتهم واجراء العدل
فى الاحكام عين الامراء للدعاوى على اختلافها محاكم مخصوصة فى امكنة
معينة وازمنة كذلك من السنة لاجل اجراء احكامهم وانتخبوا قضاة اعظم
وافقه وانجب من قضاة محاكم البارونات واعلوا مناصبهم ورفعوا مجالسهم
وجعلوا لها رونقا اعظم من رونق مناصب البارونات وبحثوا عن الاسباب
التى يحصل منها فى اقضيتهم زيادة الانتظام عن اقضية البارونات وكثرة
الضبط فى الاحكام فنشأ عن ذلك كله لمحاكم المملكة كثير من الامن

[illegible] الاحكام [illegible]

[illegible] اعطيت [illegible] على وجه [illegible]

صارت اصول القانون الفرنسيسي [illegible]

من الاحكام المتقدمة [illegible] الدعوى [illegible]

المدنية وذلك ان تلك الاحكام [illegible] كانت [illegible]

البارونات ان [illegible]

[illegible] قوانين معينة [illegible]

الاحكام المدنية [illegible] بحث [illegible] الدعوى [illegible]

[illegible]

الجور واما الاحكام الفرنسيسية فكانت [illegible] في مادة [illegible] اجرات باصول

العدل والتثبت بالشهود ومن مشاهير احكامهم السياسية انه كان اذا وقع [illegible]

خطأ في حكم بارون له الحكم [illegible] الرأي وظهر الحق لا يمكن نقضه ولا يجوز رفع

الدعوى الى محكمة عليا بخلاف القانون الفرنسيسي فانه جعل المحاكم مختلفة

الدرجة بحيث يمكن للدعوى الواحدة ان ترفع بالتدريج من محكمة الى اعلى

منها على حسب طلب احد المتداعيين حتى [illegible] محكمة عليا [illegible]

[illegible]

[illegible] الاحكام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] على [illegible]

واملاكه مناقضة ومخالفة لاصول الاحكام [illegible] المدنية التي [illegible] كانت

في اوربا عدة قرون حيث ان تلك القوانين منتخبة من قوانين المحاكم الفرنسيسية

ومقتبسة من قواعدها فلما تمسك الاهالي باحكام محاكم الفرنسيسين المبنية على

الحكمة والعدل حملهم ذلك على معرفة انه يلزمهم نبذ قوانين البارونات

الجهادية واشتغالهم بمحوها وازالتها

الذين كانوا اساتذة قسيسى دينهم القديم واعتقدوا انهم منزهون عن
النقائص ومقدسون كما ان طائفتهم كذلك وراوا ان من الاكفر ادخالهم
تحت احكامهم البشرية واما القسيسون فانهم لم يهملوا فى اغتنام المنافع التى
كان يمكنهم تحصيلها من غباوة هؤلاء الامم فحددوا محاكم ليذبوا بها عما ينقص
عليهم فى انفسهم او وظائفهم واموالهم حتى انهم شرعوا فى استقلالهم عن
حكم القضاة المتمدنين وكادوا يستقلون عنهم بالكلية وتماما بل جعلوا
بحيلهم وتحجباتهم هذه المزية عامة لكل من ينتمى اليهم ووسعوا احكامهم
الى وقائع وصور كثيرة وصار اغلب الدعاوى من وظائف المحاكم القسيسية
تجرى عليها احكامها

مطلب
كون صورة الفقه القسيسى اكمل من الفقه السياسى المدنى

ولاجل الحكم على هؤلاء الاقوام بحمل هذا الجور والتغلب على تلك الحقوق بلا
مخالفة ولا سآمة كان من الضرورى ان الانسان يقمعهم بفتاوى قسيسية
كاملة فى تدبير الاقضية والاحكام ولذلك هذا الامر صعبا فى زمن كان يمكن
فيه للقسيسين ان يعتدوا على كل شئ بلا معارض ومانع وكان الشئ اليسير
من المعارف الذى كان يستعمل لارشاد الامم فى تلك الازمنة المظلمة الخالية
من المعارف خاصا بالقسيسين فكانوا هم الحاملين للمعارف والمستأثرين
عليها او كانوا وحدهم هم الذين اعتادوا على قراءتها وتعقلها بارادتهم كريها
ويستخرجون منها البراهين والاشياء المهمة وكان عندهم بقايا الفقه والآداب
القديمة التى كانت محفوظة بالروايات او مرسومة فى الكتب التى سلمت من
ايدى الامم الخشنية وبموجب قواعد هذا المذهب القديم رتبوا دستور
قوانين موافقا لاصول العدل الطبيعية ولما كانوا مسترشدين بالقوانين الثابتة
المعروفة عينوا اشكال محاكمهم ووضعوا فى احكامها الاتفاق والاتحاد
وكان عندهم القوة اللازمة لردع من تعرض لهتك حرمتها فكان حكم
القسس باخراج انسان من دائرة الدين وغضبهم عليه اشد عقابا من عقاب
حكام السياسة الذين كان يمكنهم اجراؤها فى احكامهم
فليس من العجيب ان الاحكام القسيسية صارت هى المقبولة المحترمة عند

[illegible]

[illegible]

[illegible] بمقتضى [illegible]

للدافع و[illegible] في تعيين الدول والاشكال [illegible] كما ان تنسيق طرقها

واحكامها على [illegible] عن تحصيل هذا المقصد [illegible] في معظم الامم

وجدوا في طلبه مع [illegible]

قبل [illegible] في عشر [illegible] دستور [illegible]

[illegible] ترتيب [illegible]

لاثبات [illegible]

تحصيلها وتحسينها [illegible] التي لم تصدر الا عن معرفة

الفقه الروماني وقد تلقى بعض بلاد اوربا الحقوق الرومانية بالقبول

ليستعملوها بدلا عن شرائع مدنية في جميع الاحوال التي لم ينص فيها بهذه

الشرائع كان يحكم فيها على موجب اصول تلك الحقوق الرومانية وكان بعض

الامم يمزجون الفقه الروماني والاصول السياسية بقوانين البلاد وكان

كل منهم [illegible] على تكميل شرع شرائع وترتيب

التوطين [illegible] الاحكام وان [illegible]

[illegible] في [illegible] الاقسام [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] بعض [illegible] على الوصول

لدرجة [illegible] بالوظائف المختلفة التي [illegible] تقتضيه [illegible] جمعية

المتعددة واما الامم الخشنة فلم يكن عندهم الا صنعة واحدة شريفة وهي

فن العسكرية فمنتهى ادراك العقل البشري عندهم اكتساب القوة والنشاط

الذي تحتاج اليه التعليمات العسكرية ولما كانت الاشغال من اصلها خفيفة

قليلة كان لا يلزم الانسان لاجل تحصيلها ان يتبع المطالعات في الكتب

[illegible] الحقوق [illegible]

مطلب
كون ممارسة الحقوق الرومانية اعانت على نشر بعض معارف اصح مما كان اولا تتعلق بالاقضية الشرعية واحكام الدولة

وهنالك سبب آخر ساعد فى تحلية الناس بعض معارف صحيحة اوسع دائرة من
غيرها تتعلق بالاقضية الشرعية واحكام الدولة وهو الاطلاع على الحقوق
الرومانية وذلك ان من جملة المصائب التى جاءت عقب انتشار الامم الحشنيين
وتخريبهم للبلاد حادثة مهولة وهى ابطال الحقوق الرومانية واندثارها وكان
المقصود الاعظم من تلك الحقوق ادخال اهل الدنيا باسرهم تحت حكم الامة
الرومانية وكانت قوانين هذه الامة المدنية منابذة بالكلية لاخلاق امم
الشمال الحربيين وعقائدهم لما ان تلك القوانين كانت مؤسسة على قواعد
اجنبية لاتليق بالامم الخشنية وانما هى ملايمة لحالة تمدنية لاتخطر ببال مثل
هؤلاء الطوائف الحشنية فلذلك صار الفقه الرومانى فى جميع الاماكن التى
نزلت بها الامم الخشنية نسيا منسيا ومكث على ذلك عدة قرون وهو محجوب
بالقوانين الخشنية العجيبة التى لا معنى لها وكانت لا تستحق ما اطلقه عليها
اهل اوربا من اسم قوانين وفى نحو منتصف القرن الثانى عشر عثر اتفاقا
فى ايطاليا على كتاب من كتب قوانين جوستنيانوس فتقدمت حالة الجمعية
السياسية حينئذ بعض تقدمات عظيمة جدا وبتجاريب التى حصلت فى القرون
العديدة وسعت عقول الناس فى شأن هذه التقدمات فصاروا يتعجبون جدا
حيث اطلعوا على هذا المذهب القانونى الذى عجزت اسلافهم عن ترتيب مثله
ومع انه لم يكن عندهم من المعارف ما يكفى فى كسبهم من العلوم القديمة الميل
الى الفلسفة الحقيقية والعلوم النظرية ولم يكن لهم طاقة على ادراك حلاوة
تأليف الآداب وبلاغتها ومعرفة معانيها كانت لهم معارف كافية فى ان
يحكموا بفضل هذا المذهب القانونى الذى كان محتويا على جميع الاحكام
اللازمة لوقائع الناس على اختلاف احوالهم واعمارهم مع العدل والاصابة
والتدقيق واما اولوا المعرفة بالعلوم الادبية فانهم بذلوا همتهم مع الغيرة
والاجتهاد فى مطالعة هذا العلم الجديد وبعد ظهور هذا الكتاب القانونى
بسنوات قلائل ترتب فى اغلب ممالك اوربا مدرسون للقانون التمدنى وامروا
بقراءته فى المحافل العامة

مطلب
الحالات التى اوقعت القانون الرومانى فى زوايا الاهمال

مطلب
الاسباب التى اعانت على معرفة هذا المذهب

[illegible] ان انتشاره وشهرته زمن [illegible] ومرتبة في اشرف من
كان له [illegible] والاحترام ونفوذ الكلمة في [illegible]
التشريفات التي كانت الى ذلك الوقت مقصورة على ارباب [illegible]
معارفهم او خدمتهم وقلدوهم المناصب العلية وما يتبع ذلك من [illegible]
والاحترام فنشأ بين عامة [illegible] حرية [illegible]
وصارت [illegible] الناس [illegible]
[illegible]
[illegible]
وانفصال [illegible] المترتبة عليه [illegible] من [illegible]
والمكافأة

وبمجرد ما رتبت على التدريج في اوربا هذه التعبيرات المهمة [illegible]
الجمعية وتدبير الاقضية والاحكام شرع الشرف يكسب صفات عقلية
وخصالا كريمة وكان ذلك ناشئا عن الامارة المسماة شوفالري التي كان ترتيبها
عندهم لا معنى له وكانه ناشئ عن الاعراض والشهوات النفسانية والجنون غير
انه كان نتيجة طبيعية اقتضتها احوال [illegible] في ذلك الوقت وهو الذي حسن
اخلاق اهالي اوربا بخلاف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible] في بلاد [illegible]
حمل غيرهم على ان يقصدوا [illegible] المظلومين في اوربا فهذا الشئ
بمفرده هو الذي كان حمل وبعث هؤلاء [illegible] الخاطرين بانفسهم
على الشجاعة والنشاط حين كان استيلاء المسلمين على ارض القدس
تماما وانتهاية جمع الجيوش لحرب الصليب ثم ان قطع عرق ايذاء الاقوياء
واعانة الضعفاء المساكين وتخليص الاسرى وحماية النساء والانتقام
لهن وللايتام والقسيسين وسائر من لا يمكنهم حمل الاسلحة للذب عن انفسهم

التصورات العقلية
والاخلاق الكريمة التي
نشأت عن التوسع
بالامارة

الادبية هكذا كانت حالة اوربا مدة قرون فكان الرجل العظيم المقدم من حين ولادته للعسكرية ويرغب فيها دون غيرها من سائر الصنايع لا يتعلم من العلوم الا علم الحرب فكانت رياضاته وحركاته على طبق الحركات العسكرية حتى ان طبيعة القاضى الذى كان ينسب للاشراف دون غيرهم لم تكن ترغب فى معارف تفوق عن المعارف التى يمكن ان يكتسبها العساكر من غير ممارسة الكتب الادبية * والذى كان البارونات يرونه لازما ضروريا فى اجراء الاحكام على مقتضى العدل والانصاف انما هو كناية عن جمعهم عدة عوايد من الآثار القديمة التى وصلت لهم بالرواية والتواتر وصارت متداولة محترمة معمولا بها على تداول الايام وعن كونهم يعينون بموجب رسوم معينة مخصوصة ما يلزم للمحاربة وما يترتب عليها وهل ذلك موافق للقوانين العسكرية اولا

مطلب
النتائج التى نشأت
الجمعية من هذا
التغيير

ولكن لما عينوا ورا اقامة الدعاوى الشرعية بالقواعد وقننوا القوانين التى يحكم على مقتضاها صارت الاحكام الشرعية من ذلك الوقت علما لا يمكن تحصيله الا بالممارسة والتعليم والتجربة والخدمة فى المحاكم ومواطن اقامة الدعاوى الشرعية ولم يكن عند الاشراف الذين كانوا لا يتولعون الا بالحرب ولا يعرفون من الكتابة الا ما قل وقت يشرعون فيه فى الاشتغال بتعلم هذا الفقه وكانوا لا يرغبون فيه لكونه كان ثقيلا عليهم ومنابذا للحرب الذى كان اهم بغيتهم لانهم كانوا يرونه لا يليق بمقامهم فتركوا بالتدريج الوظائف التى كانت لهم فى المحاكم حيث كان جهلهم بالاحكام يعرضهم الى الاحتقار فى هذه المحاكم فصاروا يسأمون من سماع الدعاوى المشكلة التى لا يمكنهم فهم تفاصيلها فلزمهم حينئذ ان يعتمدوا على اناس تمرنوا على دراسة علوم المبادى ومعرفة القوانين فيما يتعلق بالفتوى وبث الاحكام الشرعية اللازمة للحكم فى المشاجرات كما يعتمد عليهم ايضا فى اجراء الاحكام والبحث عن كيفية اقامة الدعاوى وتحقيقها فمثل هذه الطائفة التى لزم الناس جميعا السعى اليها دائما لاستفتائها واخذ آرائها فى سائر الاشياء المهمة وكانت آراؤها يتم بها

[illegible] احيان يورث ارباب الحمية غيرة عسكرية تحملهم على مشروعات ذميمة
لا يأذن بها العقل ومع ذلك فكان يساعد على ان يطبع فى قلوبهم عناصر الكرم
وشرف النفس وهذه العناصر كانت تتقوى بما يوجب الشفقة ولين القلب
واما الاعمال الخارقة للعادة المبنية على الجبر والقسارة صادرة من الامة
الرحالة النزالة التى كانت تحوب الدنيا للبحث عن الوقائع فانها كانت
معلومة مشهورة [illegible] بعض الناس والاشتهار بها [illegible]
[illegible] بعض [illegible] النظر فيما ترتب عليها من النتائج [illegible]
ويمكن ان هذا الترتيب [illegible] الظاهر [illegible]
[illegible] البشرى له الفضل فى [illegible] تحسينات الرفاهية وتشريف
العرض والمروءة التى تحمل الانسان [illegible] الجانب ولو فى حال قوته [illegible]
اكبر اعدائه وهى التى ميزت الاخلاق الجديدة من الاخلاق [illegible]
وفى مدة القرن الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر كانت
الصفات الحميدة التى طبعتها الامارة فى قلوب الناس [illegible] فى اخلاقهم
وسلوكهم واتمكنها من قلوبهم اتم تمكن [illegible] آثار تلك الامارة بعد
اضمحلالها ونزولها عن درجة الاعتبار [illegible] واستمرت لانه [illegible]
فى التاريخ الذى [illegible] فى تأليفه [illegible] مهمة [illegible] مشروعات
[illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible] عن [illegible] الامارة [illegible]
الاول يرغب كثيرا فى الانحياز بان يكون من زمرة امراء [illegible]
ولذلك كان يميل الى اظهار الجسارة التامة والشجاعة الوافرة فى الحروب وعلو
الشان والرفق فى الصلح وكانت شهرته بتلك الصفات الحميدة سببا لاحقا لقرينه
الذى كان فاتر الهمة ساكن القلب على ان يغير حلمه الغريزى
وخلقه الطبيعى رغبة فى مساواة فرنسيس فى شىء من انواع البطش ولين
الجانب

وكذلك جبر خلل العيوب وازالة التعدى كل ذلك كان اهلا لحمل البيكزادات على استعمال القوة والشجاعة والخصال الحميدة وكانت المروءة والشجاعة والعدل والشرف من خصوصيات الامارة وحيث كان الدين فى ذلك الزمن له دخل فى جميع الاشياء من القوانين والصفات النفسية كان يمد هذه الصفات المذكورة ايضا بنوع من الحمية حتى وصلت الى هذا الافراط العجيب الذى يتعجب منه الآن وصار الاهالى يستعدون للدخول فى مرتبة الامارة الشو والربه باعمال وتمرينات شاقة جدا فكان كل من اراد الارتقاء الى هذه المرتبة دخل فيها بابهة واحتفال عظيم مع مراعاة لديانة فكان لا يوجد احد من البيكزادات الا و يستدعى التشريف لنفسه بالدخول فى زمرة ارباب الامارة لانها كانت درجة ممتازة تكاد ان تفوق درجة السلطنة وكان الملوك يفتخرون بتقليدهم بيك زاده ايا كان

مطلب
الاعمال السعيدة التى نشأت عن هذا الترتيب

وهذا الترتيب العجيب الذى كان مجمعا للشجاعة والفتوة والديانة التى امتزجت ببعضها وصارت كالشئ الواحد كانت ملايمته للرغبة فى شرف الحرب والمهارة عجيبة جدا وصار عن قريب له تأثير غريب فى الاخلاق ولما تحلى ارباب هذه الامارة بالمروءة والشجاعة صارت الحرابة قايلة الجبر والمساوة وقد تهذبت الاخلاق وحسنت حين كان الرفق معتبرا كانه اعظم صفات هؤلاء الامراء واخذ كل من الحمية والظلم فى النقص والانحطاط عندما رتبوا قانونا لمعاقبة مرتكبهما او لتهديد من اراد القدوم عليهما وصار الاحترام الصحيح للصدق والاستقامة الصحيحة فى الوفاء بالوعد كلاهما اعظم الصفات المميزة للبيكزادات لان هذه الامارة كانت عندهم معتبرة كانها مدرسة لاكتساب الشرف فلهذا المعنى كان ينبغى لمن اراد الدخول فيها ان يكون على اعلا درجة من الاستقامة واجتناب مالا يليق

ثم ان كلا من استحسان صفات هذه الامارة وبهجتها والرغبة فيها بانضمامه الى اعتبار اربابها ومزاياهم وعلو شانهم فى جميع اقسام اوروبا كان فى بعض

وتفرغوا بكليتهم الى اشياء جدلية

ولكن تفرغ اهالى اوربا اولا للعلوم الادبية والفلسفة كان بطريق رديئة جدا غير مستقيمة وكان سلوك الامم فى ذلك كسلوك الاحاد دريئا وذلك انهم فى مبدء الامر تمكنت منهم القوى التخيلية قبل ان تمرن قواهم العقلية وتتدرب على قواعد العلوم النظرية فكانوا يشتغلون بالشعر قبل الفلسفة وكان استشعارهم شديدا وتأثرهم قويا بحيث كانوا يحسنون وصف الاشياء وتخطيطها على وجه بليغ بديع وان لم يكن عندهم من العلوم العقلية ولا من علم الميزان الا شئ يسير فكانوا ينسجون على منوال اوميروس وهزيودوس (شاعران) قبل ان يتشبثوا بحكمة تاليس وسقراط (من الفلاسفة) ولكن لسوء حظ الآداب لم يسلكوا المسالك التى تقتضيها الطبيعة بل صرفوا همتهم بالكلية والجزئية الى ما فوق الطبيعيات حتى توغلوا فيها وفى العلوم النظرية الصعبة المسائل فبمجرد استيطانهم فى البلاد التى فتحوها اعتنقوا الدين النصرانية ولكن لم يتلقوه كما هو ولم يسلكوا على منهاج قواعده بحيث يفهمونها على اصلها وحقيقتها وذلك ان عدة من الواثقين بانفسهم مزجوا هذا الدين السهل الكثير الفائدة بتدقيقات فلسفية بزعمهم باطن الدين ورموزه السرية وتحرى مشكلات خارجة عن طوق العقل البشرى فصارت هذه التدقيقات الفلسفية [illegible] من الديانة النصرانية بل صارت كانها جزء الاهم [illegible]
[illegible] بزعمهم [illegible] ثمرة
[illegible] تدقيق العقول حين اخذت فى التقوية ثانيا فى اوربا هى علم الالهيات التى كانت تقرر فى المدارس وكانت مشحونة بالاطناب فى المناقشات وبذكر الفرق بين امور دقيقة لا طاقة للعقول البشرية على الجولان فيها

وما كانت هذه الحالة وحدها سببا فى اضلال عقول هؤلاء الناس وسلوكهم سبيل الغى حين اخذوا ثانيا فى ممارستهم وتمرنهم على هذه الامور التى كانوا

مطلب
اثر تقدمات العقل التأثير التام فى الاخلاق

وتقدمات العقل وممارسة العلوم كلاهما اعان كثيرا فى تغيير اخلاق ملل اوربا وادخل عندهم ما هم متميزون به الآن عن غيرهم من الادب والذوق والتمدن نعم الرومانيون بعد انقراض دولتهم فقدوا فى الحقيقة ميل كونهم ينسجون على منوال اسلافهم فى تحصيل انواع من الكمال والظرف يبنى عليها من يأتى بعدهم من الامم والاجيال ولكن مازال باقيا عندهم محبة الاداب وممارسة الفنون مع غاية الاجتهاد وكمال الاشتغال واما الامم الخشنيون فكانوا بعيدين عن ادراك محاسن هذه الكمالات والرفاهية اما لجهلهم بها او لاستحقارهم اياها لقصور عقولهم ان تصل الى مزاولة تصور الاشياء الممدوحة الحسية والمعنوية ومعرفة مقدارها فلم يكن عندهم الاحتياج والرغبة اللذان هما السبب فى شغل الفكرة وحركة العقل ولما كانوا لا يعرفون فضل الفنون ولا منفعتها اجتهدوا فى ابطال شعائرها بقدر ما اجتهد خلفهم فى اظهارها وحفظها ٭ وما حصل من المصائب العظيمة الناشئة عن استيطان الامم الخشنيين فى المملكة الرومانية والتقلبات العديدة المهولة التى وقعت فى الممالك التى جددوها وعيوب صورة حكومتهم التى كانوا رتبوها كل ذلك كان سببا فى منع تولد الذوق وممارسة العلوم واوجب اشتغالهم بالحروب وعدم راحتهم واوقع اوربا فى اودية الجهالات كما تقدم ذكره آنفا ولكن الوقائع والقوانين المختلفة التى ذكرنا تاريخها انتجت بالتعاقب فى الجمعية تغيرات دائمة وتقلبات مستمرة فبمجرد ان حصلت لهم الراحة الناشئة عن التقلب الذى كان سببا فى استقلال بعض ملل اوربا واكتسابها الحرية وبمجرد ما عرف اهل جمعية اوربا قيمة المنافع الناشئة عن التجارة والانتظام العام وامن كل انسان على نفسه شرعت عقولهم فى ايقاظ قواهم الخاملة وقدح زناد افكارهم التى كانت نارها مخبوة وسلكت مسلكا جديدا فبذل الناس جهدهم فى اشغال عظيمة وتفتيشات مهمة لم تسبق لهم بها معرفة بل ولا خطرت ببالهم قبل ذلك اصلا ففى اواخر القرن الحادى عشر خرجت عقولهم من لجج الغفلة الغزيرة التى مكثت منغمسة سابحة فيها زمنا طويلا

وتفرغوا

[illegible] ايضا اسماء [illegible] من [illegible]

[illegible] ترخص لها في انه لا يحرث عليها من [illegible]

[illegible] ورخص [illegible] تحكم اربابها بانفسهم [illegible]

وارجع على المدرسين والطلبة بحقوق [illegible]

حسب ما يليق به ومكافأة احترموا القضاة [illegible] الاسلام

[illegible] بحيث تكون ثمرة لاربابها على حسب [illegible]

[illegible] معارف حالة الترقي في درجات [illegible]

[illegible] لكان ثمرة في غيرها [illegible]

ايضا فكان العلم في حد ذاته مفتقرا الى جمعيات [illegible]

العلو الدرجات [illegible] التي فبانضمام [illegible] المزايا والمظاهر اليها صار يذهب الى

مجامع العلم والمدارس عدد لا يحصى ومقدار لا يستقصى من الطلبة لان

جميع الناس كانوا يسعون مع المبادرة الى الدخول في هذا السبيل الجديد

الذي كان يوصل الى الثروة وحوز مراتب العلا والامتياز

وقائع احوال عاقت ثمرة تقدم هذه المعارف

ومع هذا النشاط العظيم والاجتهاد الكامل الصادر عن نوادر العقول

البشرية في حالة عنفوانها في مبادئ امرها لم ينتج عن ذلك كله المقدمات المهمة

التي كانت تؤمل منها وذلك انه طرأت حالة اخرى سيئة اوقفت ثمرات هذا

السعي والاجتهاد وهي ان جميع لغات اوربا كانت مدة هذا القرن الذي

نتكلم عليه [illegible] محرفة عن الفصاحة والبلاغة خالية من اللطف

والظرافة وما كان احد يتصدى الى [illegible] لتكميلها ولا تحسينها فاعتقد

القسيسون للشرائع والاصول الدينية كلها اللغة اللاطينية وقد قضت

العادة التي توازي حكمها الاحكام الشرعية بان الآداب تكتب وتدرس

بهذه اللغة فترتب على ذلك ان جميع العلوم التي كانت تقرأ في القرن الثاني عشر

والثالث عشر صار تعليمها وتعلمها بهذه اللغة وجميع ما الف من الكتب

في هذه العلوم كان بها ايضا فظنوا ان الامور الشريفة اذا رقمت او قرئت باللغة

الدارجة على السنة العامة حصل لها اهانة فبتلك الاوهام الفاسدة كانت

قد تركوها مدة احقاب بل ثم اسباب أخر وذلك ان اغلب من اعانوا على احياء العلوم الادبية فى القرن الثانى عشر والثالث عشر واهتموا باعادة معالمها كانوا قد اكتسبوا المعارف والاصول الفلسفية اما من اليونان الذين كانوا بمملكة الروم بالقسطنطينية واما من عرب اسبانيا وافريقية ومن المعلوم ان علوم هاتين الامتين (اليونان والعرب) كانت قد فسدت بسبب افراطهم فى التدقيق فان اليونان كانوا قد جعلوا علم الالهيات مذهبا مشتملا على قواعد نظرية تحتاج لغاية الفكر والتدقيق وعلى مباحث خلافية لا يقف الانسان لها على حد ولا حقيقة واما العرب فقد افسدوا علوم الفلسفة بالتدقيقات الفاسدة التى اطاطوها بها ولا يخفى ان هذه العلوم التى كان الغرض الاهتداء بها لا ينشأ عنها سوى الحيد عن الحق والسداد والميل عن سبيل الرشاد فبذلك ضلت عقول اول من اشتغلوا بالفلسفة وصارت غريقة فى بحور المعانى المستصعبة والمباحث المشكلة من غير ان تعلم لها حدا تقف عليه * وعوضا عن كونهم يدعون فكرتهم على قدر طاقتها الطبيعية ويشغلونها بالامور الاختراعية الابتداعية التى تهذب ذوقهم وتوسع عقولهم وبها تعظم دائرة اوهامهم كالاشتغال بالفنون المستظرفة التى هى زينة الحياة وسلوة الهموم تركوا انفسهم صابا لاعتماد على آراء من كان قبلهم وبالاقتداء بهم فاتعبوا قوة قرائحهم وفطنتهم فى تدقيقات فلسفية هوسية لا تجدى الا التعب

ومع كون هذه الامور النظرية غير نافعة فى شئ ولا مصيبة كانت لكونها جديدة تحث العقول على الاجتهاد وتزيدها رغبة بسبب جرأتها وغزارتها ومع ان هذه الامور كانت لا تستميل قلبا ولا تلذ عقلا كان يرغب فيها كثيرا وكانت الناس على غاية الاعتناء بمزاولتها فلم يتفق اصلا فى الاعصر المنورة بمصابيح العلوم ان الفلسفة الصحيحة المقبولة قد اعتنى بممارستها ومزاولتها مع الغيرة والنشاط اكثر من هذا وذلك انه فتح حينئذ فى جميع امهات الكنائس واغلب الديور الكبيرة مكاتب على نسق المكاتب التى كان انشأها الملك

[illegible] الاخلاق و [illegible]

[illegible] انتظام تام ويأمن كل انسان على نفسه [illegible]

من الامم المتبربرين عند استيطانهم بالمملكة الرومانية هو انقطاع [illegible]
امم ما التي كان انقسم بينها الرومانيون حتى تفرقوا [illegible] وقد صارت
اوربا منقسمة الى عدة دول مختلفة مكثت مدة من القرون متباعدة عن
بعضها حتى كادت المخالطة بينها تنعدم بالكلية وكانت جميع التجارة [illegible]
بارباب الصيال حتى كان يخشى من الملاحة وكان اذا وصل احد من ارباب
الملاحة الى مينة في بلدة غريبة لا يجد فيها احدا [illegible]
اذا استغاث حيث كان الناس كالوحوش [illegible]
المخالطة بين سكان الاقسام المتباعدة عن بعضها ولو في ذلك [illegible]
الصعوبة وكانت الاسفار الطويلة [illegible]
الخطرة اذ يخشى فيها من تعرض ارباب الصيال [illegible]
ومن ظلم الاشراف الذين كانت تخشى سطوتهم [illegible]
كانوا يرتكبونه من سيء الاعمال فلما كانت هذه الموانع حاصلة في جميع بلاد
اوربا اضطر سكان كل اقليم ان لا يخرجوا [illegible]
اهاليهم يجهلون البلاد البعيدة عنهم فلا يعرفون [illegible]
[illegible]

ولكن [illegible]
الناس بها وتجددت [illegible]
ان الرغبة في الفنون وتقديس محصولات بلاد المشرق [illegible]
في قلوب الايطاليين بسبب العلاقات والمعاشرات التي كانت بينهم وبين
مدينة القسطنطينية وغيرها من سائر مدن مملكة اليونان فانتقل منهم
معارف هذه الفنون والمحصولات الى امم اخرى مجاورة لبلادهم (ايضا [illegible])
ولكن لم تكن التجارة حينئذ الا ضيقة هينة حتى ان العلاقات التي كانت
بين الدول المختلفة كانت قليلة جدا وانما ازدادت بسبب حروب اهل الصليب

دائرة المعارف والعلوم ضيقة جدا وكان لا يسوغ لاحد ان ينتظم فى سلك
طائفة الاحبار والحكماء الا اذا كان صاحب معارف جيدة وكانت ابواب
العلم والحكمة تغلق عن عوام الناس فاضطرت الى ان تمكث محرومة من
الانوار مغموسة فى ظلمات الجهالة كما كانت

مطلب
تأثير المعارف فى الاخلاق

ومع ان هذه الاعاقة قد اضعفت تأثير المعارف وضيقت دائرتها حتى لم يمكن
نشرها واذاعتها بين الناس فلا شك ان تقدمات المعارف والعلوم يجب عدها
من جملة الاسباب الاصلية التى نشأ عنها تغيير الاخلاق عند اهالى اوربا
وذلك ان الرغبة التى كانت للناس فى البحث عن كل شئ كما ذكرنا وان كانت
جارية على اصول فاسدة الا انها حثت الناس على الاشتغال بالحرف
والصنايع وتنبهت بها العقول الى النشاط والتمرن فتيقظ الناس الى ان بذلوا
قواهم فى اشياء وجدوها نافعة مرغوبة وتعودوا بذلك على اشغال صالحة
لان تلطف اخلاقهم وتحسنها وتكسبهم الذوق وحب الفضائل التى
تمتاز بها الملل البارعة فى مطالعة العلوم وممارستها مع النجاح

مطلب
تأثير التجارة فى الاخلاق والحكومة

ومما اعان على هذا الشان ايضا التجارات التى كانت فى ذلك الوقت آخذة
فى اسباب التقدم والازدياد وذلك انها ساعدت فى تهذيب اخلاق اوربا
وادخلت بها احكاما عظيمة خالصة وسياسة منتظمة واصولا سهلة مشتملة
على الرأفة بخلق الله تعالى وفى مبدء امر الجمعية كان احتياج الناس قليلا
وكذلك كانت مرغوباتهم يسيرة حتى انهم كانوا يكتفون بالمحصولات
الطبيعية الخارجة من اقطارهم واقاليمهم وبما كان فى طاقتهم عمله من
محصول صنايعهم وحرفهم الخشنية وكانوا يقنعون بذلك بحيث لا يفضل
منهم شئ فيعطوه لسواهم ولا ينقص لهم شئ فيضطروا لسؤال الغير فيه
فكانت كل بلدة صغيرة تقتات بما حولها من الاملاك والاراضى ولكونها
مكتفية بذلك كانت لا تعرف ما حولها من البلاد او كانت تعرفها ولكن بينها
وبينها مشاجرة ومنازعة فلا يحصل التئام ومعاشرة بالكلية وذلك
ان الائتلاف والمخالطة بين امم مختلفة يستلزم اولا كونهم متقدمين فى شأن

[illegible]

[illegible]

ولما كان الالمانيون [illegible] التجارة مع [illegible]

[illegible] في القرن [illegible]

وفيه ان [illegible] وكانت [illegible]

[illegible] هؤلاء الامم [illegible] التجارة [illegible]

[illegible] التي صارت [illegible]

اليهم ويخشون بأسها ويخافون [illegible] على كونهم [illegible]
على المحبة

وقد رتب ارباب هذه المعاهدة القوية الشوكة اول صورة للتجارة وهي التي
كانت معروفة في القرون الوسطى وقد ساروا على سلوكها عاملين فيها
بالقوانين المرتبة في مشوراتهم العمومية وصاروا يرسلون [illegible] لبلاد اوربا

[illegible] ... أوربا
[illegible] ... وملكت
[illegible] ... وان لم يكن
[illegible]
[illegible] ... الروس ... [illegible]
[illegible] ... لم تكن مقصودة منه وهو [illegible]
على التجارة [illegible] في هذه الحروب
التي [illegible] ... ايطاليا
[illegible] ... من سائر ... اوربا [illegible]
[illegible]
[illegible] ... الشرق والآن

مطلب اكتشاف ابو ... وهي بيت الابرة

[illegible] ... اكتشفت ... الابرة اي بيت الابرة
التي [illegible]
[illegible] ... بعضهم من بعض

مطلب تقدم التجارة عند الايطاليين

وكانت [illegible] ايطاليا في هذا العصر التجارة المنتظمة بين [illegible] والمشرق
[illegible] الى هذه الدول جميع المحصولات الهندية
النفيسة [illegible] متنوعة الانواع
[illegible] وبرعت وعظمت صنايعها [illegible] واشتهر [illegible] حتى انهم
اخترعوا فروعا جديدة من الصنائع ونقلوا من المشرق الى بلادهم عدة من
المواليد الطبيعية المتولدة في الاقطار التي هي اعدل حرارة من بلادهم
[illegible] فيها محصولات هذه المواليد المنقولة
التي [illegible] تجارة كثيرة الربح والفائدة وغنم الايطاليون
[illegible] ما كانوا يجلبونه من اسيا من البضائع او مما هو نتيجة صنعة
ايديهم فانهم كانوا يبيعونها لغيرهم من امم اوربا بكسب عظيم حيث كان هؤلاء
الامم حينئذ آخذين في اسباب التمدن والرفاهية بعد أن كان ذلك مجهولا

من تمام الفلتات للاستيطان بمملكته وانشأ قوانين مستحسنة صالحة
لتقوية التجارة وضبطها فتجددت الحركة بهمته وبرز الصرف وتفرعت
عقول الرعايا الانكليزية لكثرة التجارة [illegible]
ارتقوا بها على درجة بين الملل ذات التجارة والصنائع

حاشية عن تقدمات التجارة [illegible] الجنيه [illegible]

ثم ان هذه التقدمات التجارية [illegible] قد حدثت [illegible] بين الامم
وان كانت ضعيفة قليلة بالنسبة للتقدمات التي حصلت منذ قرنين
الا انها كانت عظيمة عجيبة بالنسبة لما [illegible] عشر
ولا يخفى انه لابد ان ينشأ عن هذا الاصلاح [illegible] تجربة
كان مبدء اضمحلال الاوهام والاعتقادات الفاسدة التي كانت سببا قويا
في انفصال الملل عن بعضها وفتح [illegible] العداوة والبغضاء بينها وحسنت
اخلاق الناس ولطفت وتقرب الناس بعضهم [illegible] حتى صار بينهم الاتحاد [illegible]
واقوى ميثاق يكون بين الانام وهو معاونة بعضهم بعضا عند لزوم ذلك
وقضاء الحاجات لبعضهم وبذلك استعدوا للصلح وتحصيل الاطمئنان
لما انه ترتب في كل مملكة طائفة من اهاليها وهي طائفة التجارة راغبة من
نفسها في حفظ الامن والاطمئنان العمومي لكونه يعود عليها بالنفع وكان
كلما ازداد الميل الى التجارة في مملكة انتعشت حكومتها وساعدت على ذلك
وعقدت مع الحكومات الاخر المعاهدات [illegible] وعقدت
[illegible]
[illegible] العصر
[illegible] وكانت التجارة [illegible] عند امة من امم اوربا على
اختلاف [illegible] على الالتفات مع غاية الجد الى الاشياء التي تحمل الامم
المتمدنة على التخلق بالاخلاق المختلفة التي اقتبستها من اربابها

انتهى القسم الاول

القسم الثاني في تقدم الجمعية باعمال القوة الملية اللازمة للمصالح الخارجية

وبعد ... ... تزا ... ... تقدمها مدينة ابروجة
من الا ... ان ... بها تجار ايضا ... كانت التجارة فيها دائمة
... ... يأتون بالحبوب الهندية الى تلك المدن وكذلك
تجار ... ... ايطاليا ويستعوضون عنها البضائع الجسيمة النافعة
... ... من ... وما يقتاضه التجار المتعاهدون من الذخائر
ويحملونه في سفن ... او ينقلونه في الانهر الكبيرة ليدخلوا
في ... المانيا

مطلب
... تجارة ... البلاد الواطية

وبهذه ... والمعاملة ... التي كانت بين اهالي شمال اوربا
... ... انهم يحتاجون لبعضهم لا محالة وانه لا استغناء لامة
عن ... ... البلاد الواطية رواج التجارة ونفاقها وزهوها
... ... مع الجهد والاعتناء التام بتكميل فروع فبريقتي
... ... اللتين اشتهرت بهما البلاد الواطية منذ عصر
الملك كرلوس ماين ... دائرتهما ايضا وحيث ان مدينة ابروجة كانت
... مركز التجارات والمعاملات بين التجار ... وتجار المدن
المتعاهدة ... اخذ ... في التجارة مع كل من هاتين البلدتين
... ابروجة فاتسعت ... التجارة وتقدمت ... حتى صار الاخذ
والعطاء ... ... بينهم وصار بها اقليم ... وما اتصل به
من الاقاليم المجاورة له اغنى بلاد اوربا واعمرها واحسنها زراعة

مطلب
تقدم التجارة في انكلترة

ولما رأى ايدوارد الثالث ملك الانكليز حالة تلك الاقاليم البائنة بثمار التجارة
تعجب كل العجب ثم ادرك سبب ذلك ووقف على حقيقته فاخذ من وقته
في تحصيل الوسائط التي تتقوى بها الصنايع بين رعاياه بعد ان كانوا يجهلون
ان بلادهم بسبب وضعها اقرب لذلك من غيرها كما كانوا لا يعرفون منبع
الغنى الذي لا بد ان يعم جزيرتهم ذات يوم فكانوا بذلك يهملون التجارة بالكلية
ولا يحدثون اصلاح تقليد الروش التي رتبت بالبلاد الاجنبية مع ان موادها
والاتها كانت مخرجة من عندهم فدعا الملك ايدوارد عدة شغالين وصنايعية

على [illegible] ويستقيم [illegible] ويرجعها [illegible] وجود شخص [illegible] امامه كحاكم مطلق
تصرف فاعل مختار ازاء [illegible] حكومة [illegible] ذات [illegible]
وقد شوهد في ممالك المشرق المتسعة ما هو من قبيل الصورة الاولى يعني
الحكومة المطلقة التصرف وذلك ان اوامر الحاكم بها محترمة مسموعة
الى اقصى اقاليم دولته [illegible] طلب حزبا من رعاياه [illegible] كان سائرا الى ان
يدخل تحت ظل رايته [illegible] شورة [illegible] الى [illegible] القرابين
والانتظام [illegible] على ما هي عليه الآن [illegible] حيث
[illegible] الحذق والتلطيف وتوصل الى مقصوده باجراء [illegible]
[illegible] الحكام والفرامين الملوكية مع حسن التدبير [illegible] امكنه ان يجمع
جميع قوى مملكته بالسهولة [illegible] المشروعات العظيمة التي [illegible]
[illegible] المواطنة

مطلب
تضييق قدرة الملوك [illegible] تضييقا [illegible]

ولكن في ابتداء القرن الخامس عشر كان قانون الحكومة في جميع ممالك
اوربا بعيدا جدا عن رسوم هاتين الصورتين السابقتين وذلك لان بعض
الملوك كانوا قد وسعوا حدود [illegible] من ذلك الا انه [illegible] بعض اختلاسات
[illegible] عليهم [illegible] على اقتضاء [illegible] الاشراف وحقوقهم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] اشغالهم
[illegible] جميع حركات الملوك مع شدة الغيرة
والاحترام [illegible] فكان هذا يمنع الملوك من [illegible] وكانت الاشراف
تتدارك [illegible] مقاصدهم التي كانوا [illegible] اتساع حكومتهم وتعطيلها
وتسعى في خيبتها وعدم نجاحها

مطلب
قلة ايراداتهم جدا

وكانت ايرادات الملوك المعتادة قليلة بحيث لا تكفي لمصاريف مشروع

مطلب في ان ... قد اكتسبت درجة كمال عظيمة

[illegible] على الحروب ... ترتيبات وتنظيمات التي اعانت بقوة
مساعيها على تحسين اخلاق جميع ممالك اوروبا على التدريج وعلى انشاء
حكوماتهم المنتظمة وبقى عليها ان تتولى [illegible] على حالة الجمعية
والاخلاق [illegible] في ابتداء القرن الخامس عشر ثم رجعت تلك ايضا الى حالة
اهالي اوروبا سابقا قبل ذلك حين حرب الامم الخشنين مملكة الرومانيين
واستوطنوا بالبلاد التي فتحوها تحجبت من التقدمات العظيمة التي حصلها
الناس في شأن السياسة والاتساع والتأنس وحسن الاخلاق

مطلب في ان ... كانت مختلفة ... القرون ...

ومع ذلك فكانت الحكومة في ذلك القرن المتقدم بعيدة عن ان تصل الى
درجة الكمال والتمكن التي بها يتيسر للممالك المتسعة ان تجرى وتجمع جميع
ما عندها من [illegible] وان تواظب مع الثبات والاستمرار على جميع
ما تتعاطاه من المشروعات المهمة حتى تتم بالنجاح نعم يسهل على اهل
القبائل الصغيرة ان يتعاهدوا ويتعاونوا بما يقدرون عليه وذلك لانهم
لم يحملهم على ما يشرعون فيه الا الاحوال الحاضرة مما يرونه نصب
اعينهم من غير ان يشغلوا فكرهم بشيء من التبصر في العواقب والمستقبل
ولا يحول فكرهم في المآل ولا يخطر ببالهم ما يتعب انظار الامم المتمدنة فعند
القبيلة [illegible] ونار انتهابها تلتهب نيران الغيظ في قلوب جميع
اهلها حتى [illegible] ترمى عليه القبيلة باسرها واذا انتصرت ملة على اخرى
مخاصمة لها تنشأ الغيرة عند الامم المنافسة لها فالعداوة تنتقل الى جميع
نفوس الملة وجميع اعضاء جمعيتهم يتحزبون مع الغيرة والرغبة ويكونون على
قلب رجل واحد ويبادرون الى ميدان الحرب اما لقصد انتقامهم او لمجرد
الامتياز والشهرة هذا حال القبائل والملل الصغيرة واما في البلاد العظيمة
الاتساع كما كانت ممالك اوروبا في ابتداء القرن الخامس عشر فان اعضاء كل
مملكة متباعدون الغاية عن بعضهم بحيث لا يحصل بينهم التردد والمخالطة
بكثرة ولا يمكنهم الشروع في امر مهم حتى يتفقوا عليه جميعا اتفاقا عموميا
ويتجهروا له باستعدادات عظيمة ومواد جسيمة ولذلك لا يمكن ان يحملهم

على

خيانة كالرومانيين ومن المعلوم ان سبب ابطال المشاة عند الرومانيين وتجديد
الخيالة بدلا عنهم انما هو ارتخاء العساكر وفتور همتهم حيث انهم [illegible] قد
على تحمل مشاق الخدمة العسكرية وما بعدهم [illegible] كانوا اشد [illegible] وعظم
سلوكا وسيرة فكانوا يحملون المشاة من غير [illegible] والظاهر ان احداث
الخيالة عندهم لم تكن اسست بمقاصد جديدة فكانت اوربا [illegible] عنهم
انما كان [illegible] وعظمهم وقت [illegible]
لما استنكفوا عن ان يختلطوا مدة الحرب مع من دونهم [illegible]
ان يكونوا ممتازين عن الغير مدة الحرب كما هم ممتازون مدة الصلح وممتازون
الرعية ايضا في انشاء الفرسان بحيث ان امارة الشوالرية وحضور
مواسم العاب التورنوا التي كان يحضرها الامير متسلطا من ارباب
الى [illegible] كانا على [illegible] بالشجاعة والقوة
والهيبة

فصار كل الناس من بعد يرغبون في ذلك بحيث ان جيوش اوربا في القرن
الثالث عشر والرابع عشر كانت كلها ان تكون فرسانا فكان لا يرضى احد
من الاشراف ان ينفرد [illegible] من غير فرس [illegible]
بحمل [illegible] ويحس بشأنه [illegible] الفرسان كانت تختص دون غيرها باسم
[illegible] والصنف [illegible]
[illegible]
[illegible]

ثم جميع ذلك الاحوال [illegible] اوربا [illegible] ترتيب امور
العسكرية [illegible] ان تتقوى في فنون الحربية فقد [illegible]
اوربا عن ان تستيقظ وتحترس من سلوك من يجاورهم من الدول وان تكون
على حذر من مقاصدهم وان يبحثوا عن انشاء قانون به يكون الامن [illegible]
وما كان يمكنهم ان يجمعوا امرهم ويتفق بعضهم على ترتيب ميزان عدل
بين الممالك بحيث لا يمكن به ان يحدث لاحد منها زيادة درجة ارتفاع وعلو

منهم فكانوا يضطرون الى ان يستعينوا برعاياهم فيما يحتاجون اليه من
الامدادات الجسيمة وكان الرعايا يعطونهم ذلك فى الغالب مع اشمئزاز نفوسهم
ولا يعطونهم ابدا ما يكفيهم

وبسبب قلة الايرادات كما ذكرناه كان لا يمكن الملوك ان يجهزوا لانفسهم للقتال
لا جيوشا غير صالحة لخدامة طويلة متعبة ولم يكن لهم عساكر صفوف
منتظمة متمرنة على الطاعة العسكرية والضبط والربط خبيرة بالفنون
الحربية بل انما كانت جيوشهم مركبة من العساكر التى كان
يرسلها اليهم اتباعهم على حسب شروط الامدادات العسكرية من انه
لا يجب على هؤلاء العساكر ان يمكثوا فى الغزوات الا مدة قصيرة ولا يمكن
جبرهم على ان يسافروا بعيدا عن مراكزهم المعتادة ولما كان تعلقهم بساداتهم
اكثر من تعلقهم بالملك غالبا كانوا يميلون الى ان يعارضوه ويناقضوه
فى مقاصده فضلا عن ان يساعدوه عليها او يعينوه على اجرائها ولو فرض
انهم فى غاية من الانقياد والطاعة لاحكام الملك تجدهم لعدم تعلمهم العسكرية
كالجمادات غير صالحين لان يوفوا بالغرض ويقعوا فى محذور مهم وسبب
ذلك ان القوى العسكرية التى تليق لفتوح البلاد وللمدافعة والذب عن
الحصون والقلاع هى العساكر المشاة لا غير حتى ان ما حصل للرومانيين من
النجاح والنصرة مدة الجمهورية كان صادرا فى الاغلب عن صفوف عساكر
المشاة وثباتهم وحسن ترتيبهم فلما نسى هؤلاء الامم فى زمن الملوك القياصرة
الاصول التى كانت وصلت سلفهم الى ان حكموا وتغلبوا على جميع البلاد
غيروا بالكلية طرائقهم ومذاهبهم العسكرية وصارت العساكر الخيالة مطمح
نظرهم واصل قواهم حيث كانوا لا يثقون الا بها فلذلك لم يمكنهم ان يقاوموا
مصادمة الامم الخشنيين الذين كانوا يقاتلون دائما على ارجلهم تقريبا من
غير صف ولا انتظام ولكن لم يتعظ هؤلاء الخشنيون مما جرى للرومانيين من
عجزهم بعد اهمالهم المشاة بل تركوا بعد استيطانهم بالبلاد التى فتحوها
عوايد آبائهم وجدودهم فى العسكرية ايضا وابدلوا عساكرهم المشاة بجيوش

ثم ان المشاجرات المؤدية للحروب المهولة التي حصلت بين مملكتي فرانسا
وانكلترة كان يتراآى ان الغرض منها شارلة انضمام هاتين المملكتين
وجعلهما تحت حكم ملك واحد ولاشك ان في مثل ذلك مضرة لباقي ممالك
اوروبا ومع ذلك فلم تهتم هذه الممالك بشيء مما يبطل هذا المشروع الخطر عليها
ولم تقترح طريق احتراس نافعة ناشئة عن حسن سياسة ملوكها وبديع
تدبيرها ثم ان دوق برغونيا ودوق بريطانيا قد دخلا في هذه المشاجرات
ولكن لم يتعرضا لذلك الا لاضطرارهما اليه لان اوضاع بلادهما كانت
لا تسوغ لهما ان يكونا خاليين عن الاغراض فكانا ينظران في اغلب
تداخلهما بفعل مافيه مصلحتهما وحفظ انفسهما بخصوص دون مافيه
مجانبة الخطر الذي كان يخشى منه على راحة اوروبا بتمامها وامن جميع
بلادها واما غيرهما من سائر حكام اوروبا فكانوا لا يشغلون بالهم بشيء من
ذلك وكان يستوي عندهم ظفر احد الفريقين المحاربين وانهزام الآخر
او كانوا يتوسطون في ذلك على وجه هين لا يجدي نفعا

مطلب حوادث سبانيا

ومع ان اقسام اسبانيا حين كانت منقسمة الى عدة ممالك منفصلة مستقلة
عن بعضها قد حصل فيها تقلبات وتعكيرات مستمرة عدة قرون وظهر فيها بعد
تغير الاحوال وتزايدها تدبير انضمام جميع هذه الممالك الى بعضها وصيرورتها
مملكة واحدة كبيرة لم تلتفت ملوك دول اوروبا الاخرين الى هذا التغيير [illegible] في
الممالك [illegible] تقرب
بالتدريج حتى صارت في قرب [illegible] جميع الممالك التي
بجوارها

مطلب حوادث المانيا

وفي اثناء التقلبات الشديدة التي حصلت في الامبراطورية الالمانية بسبب
ما حصل من المنازعات بين الرومانيين واشراف المانيا لتولع الاولين
بان يكون لهم نفوذ كلمة كما ان انفس اشراف المانيا كانت آبية مائلة للطمع
لم يمكن للبابات مع قوتهم ودسائسهم ولا للامبراطور ايا كان ولو الح في التوسل
والرجاء ان يستميلوا احدا من الملوك الآخرين ارباب الشوكة الذين كانوا

شوكة يترتب عليها الايذاء والاضرار بحرية غيرها واستقلالها فالظاهر ان ملل اوربا مكثت عدة قرون غير متحدة تكاد ان تكون بمعزل عن بعضها وندر أن كان بينها مخالطة بسبب مصلحة مشتركة فكل مملكة لا يهمها شأن غيرها من الممالك ولم يكن بين الملوك معاملات متسعة مستمرة بها يمكنهم ان يعرفوا مقاصد بعضهم ولم يكن يوجد في كل مملكة رسل ولا الجية مقيمون فى دار المملكة حتى يمكنهم ان يلاحظوا خفية جميع حركات الديوان وافعاله و يخبروا بها ملوكهم فى اسرع وقت وما كانت ملة من هذه الملل ترضى ان تشهر الحرب لرجاء نفع مغيب بعيد الحصول او للاحتراس من خطر مشكوك او ممكن الحصول فلا تهتم بمثل ذلك مالم تكن عرضة لاخطار عظيمة او لشئ يزرى بمقامها ولا يمكن دفعه بالتى هى احسن فاذا لم يمكنها ذلك ظنت من مصلحتها الدخول فى المشاجرة الحاصلة او البحث عن ان تجلب لنفسها بالخصوص ما تأمن به

ولكن من اراد ان يكتب تاريخ احدى الدول العظيمة ببلاد اوربا مدة هذين القرنين الاخيرين وهما الخامس عشر والسادس عشر يضطر ان يكتب تاريخ اوربا بتمامها وذلك لانه من ذلك الوقت صارت كل الدول متحدة على نسق ونظام واحد وملتئمة ببعضها غاية الالتئام بحيث صار لكل دولة منها رتبة معلومة وحركات كل واحدة تؤثر فى غيرها من سائر الدول ولهافيها مدخلية كافية وتعلق و يعمل بمقتضاها اذا لزم واما قبل القرن الخامس عشر فكانت مصالح الممالك لا تعلق لها ببعضها الا فى ماندر وكانت امور كل مملكه مخصوصة بها لا تتعداها الا اذا كثرت المشاجرات بسبب قرب الدول ومجاورتها لبعضها او اذا قويت الفتن والحروب بسبب غيرة وحمية ملية فكثيرا ما كان يحصل فى اى مملكة بعض حوادث مهمة وتقلبات عظيمة وكانت الممالك الاخرى تتفرج عليها تفرج الخلى عن الاغراض من غير توسط ولا ميل لاحد الحزبين ولا تخشى ابدا من ان يمسها شئ منها يعود عليها بالضرر

مطلب
قلة الاتحاد والالتئام التى كانت فى الدول المختلفة بين بعضها

منهما ولم يزل [illegible] حتى [illegible]
العام وحفظ الممالك من المتغلبين

ففي ايام الملك كرلوس الخامس (شرلكان) ظهر بالبال [illegible] حدوث
والقواعد التي تبنى عليها هذه القوانين [illegible] يجري العمل [illegible]
الوقت على الحكمة التي عضدت تلك القوانين [illegible] تثبت بحسن
القبول وبالتالي يرى ان نبحث عن الاسباب والمسببات التي [illegible] في تجديد
هذه القوانين السياسية التي هي اعظم ما تنعقد عليه [illegible]
لدى مقدمة لتاريخ كرلوس الخامس [illegible] تاريخ
بلاد اوربا

مطلب
كون اول حادثة في ذلك هي طرد الانكليز من الاراضي القارة

واول حادثة ترتب عليها بعض تغييرات عظيمة في شان مصالح اوربا هي
الحادثة التي بها انضمت الى مملكة فرانسا البلاد التي كانت لمملكة
انكلترة بالاراضي القارة وذلك ان الانكليز ما داموا حاكمين على عدة من
اخصب اقاليم فرانسا واغناها ومدخلين تحت رايتهم وفي عساكرهم مقدارا
كبيرا من شجعان سكان هذه المملكة كانوا يعدون انفسهم اقرانا للفرنساوية
لانهم اتباع لصاحب الارض التي اقتطعوها فكان لا يمكن لملوك فرانسا
ان يتجاسروا على الاخذ في شروع مهم ارصد فانهم كانوا دائما معوقين
عن مقاصدهم وما عزموا عليه [illegible] في جميع [illegible] باقاليم الذين
كانوا [illegible]
[illegible] في حقوقهم [illegible] عليهم
الدخول والجولان في فرانسا حتى يمكنهم ان يجردوا عليها جميع الجيوش التي
كان حقها ان تحامى عنها فكان هذا هو السبب في الفتور والتراخي الواقع
في المشاور الفرنساوية وضعف احكامها وعدم انجازها بشيء حتى ان فرانسا
بتجزيقها هذا وخوفها من هؤلاء الاعداء الخطرين اولي الشوكة لم يمكنها ان
تلحق درجتها الاصلية التي لها بين ممالك اوربا ولكن من حسن حظها بل
ومن حسن حظ انكلترة عجل الله تعالى بموت الملك هنري الخامس ملك انكلترة

حاكمين حينئذ ببلاد اوربا الى الدخول في تلك المشاجرات التي كانت بين
الرومانيين واشراف الالمان لان التوسط فيها اوسع وجوه الفرصة ومساعدة
الزمن بل ولو كان ذلك يعود عليهم بالمنفعة

مطلب
في بيان هذا الاهمال انما حصل من جهة الملوك لكن من ناحية كيفية الحكومة وحالتها التي كانت عليها

ولا ينبغي ان ننسب اهمال هؤلاء الملوك مع وجود الفرص العديدة النافعة
عدم معارفهم وقصور اذهانهم وعقولهم عن ادراك عواقب الحوادث
ونتائجها السياسية لان كل زمن انما كان فيه اناس لهم قابلية وقوة مدركة
بها يميزون الاحكام ويجرونها مع الفطنة وذكاء القريحة ولا شك ان ملوك
اوربا في ذلك العصر لم يكونوا عمياء ولا مغفلين حتى يجهلوا ما فيه نفعهم
وصلاحهم او يجهلوا ما فيه الامن العام او يعجزوا عن معرفة الوسائط التي بها
يمكنهم حفظ خصوص بلادهم والامن العام ولا ينبغي ان ننسب ذلك ايضا
الى اهمال هؤلاء الملوك ملاحظة بلادهم وسلوك طريق الاحتراس الذي به
يمكن لارباب السياسة من المتاخرين ان يتداركوا خصوصا مغبا وان يعارضوا
الدول ذات الشوكة القوية ان تتعدى على الدول الضعيفة حتى صارت كل
دولة تتحامى عن جميع حقوقها من جوار وعن استقلالها بحيث لا تستولي
دولة على اخرى وانما ينبغي ان ننسب ذلك الى عدم احكام القوانين
الداخلية ومجاوزة الحدود في الاحكام المدنية التي كانت الدول وقتئذ
فان هذا الخلل الداخلي كان هو السبب في عجز الملوك عن تحصيل الوسائط
التي كان يمكنهم بها ان ينفذوا اغراضهم على حسب ما كانت تقتضيه اراؤهم
واحوال المصالح في ذلك الوقت

مطلب
الوقائع التي حصلت في القرن الخامس عشر وبها ازداد اجتهاد الملوك وسعيهم وعظمت مشروعاتهم

ولكن قد حصل في اثناء القرن الخامس عشر عدة حوادث متعاقبة بها امكن
للسلاطين ان يتصرفوا تصرفا اوسع مما كانوا عليه في احكام دولهم وترتيب
قواتها العسكرية على نسق جديد وصار لهم اقتدار على ان ياخذوا
في مشروعات كبيرة مهمة وبهذه الحوادث نشأ بين الممالك مخالطات متواترة
ومداولات اكيدة في شأن مصالحها بين بعضها حتى اعتادت هذه الممالك
بالتدريج على ان تفعل شيئا الاعتبار بعضها واداها ذلك الى ان رتبت

... [illegible] لم يكن ... [illegible] مذهب ... [illegible] قوانين والترتيبات العسكرية
وكانت الحروب المستمرة ... [illegible] ... [illegible]
حيث انه كان لا يرخص لعساكر ان يكونوا ... حرب ... [illegible] الاعادة
الجارية وما كان يمكن جبرهم على ... [illegible] ... [illegible]
اكثرهم خيبة ... [illegible] ... شي من ... [illegible]
واللصوص ... [illegible] ... [illegible]
... [illegible] عليه فلاجل تحصيل جيوش ... [illegible]
... [illegible] فنون الحروب ... [illegible]
عساكر ... [illegible] ... من ... [illegible]
البلاد الاجنبية وحيث ان الحكومة ... [illegible] ... جميع
ما يكفي ... [illegible] جهة كان ... [illegible]
في آخر كل سفرة حربية او عند قرب عقد الصلح ولما كانت ... [illegible]
... [illegible] على مراعاة شي من قوانين ... [illegible] كانت في الغالب تؤذي
البلاد المحكمة ... [illegible] الحرث والنسل ... [illegible] بها من
الاتلاف ما يمكن للاعداء ان يفعلوه بها
ولا يخفى انه لو كان هذه الفرقة ... [illegible] الحرب ... [illegible]
على ... [illegible] الحركات العسكرية ... [illegible]
[illegible]
عاجزين ... [illegible]
الا ... وحكومة الامراء ... [illegible] المزايا الاشراف وحقوقهم حتى انه
مضت عدة قرون من غير ان يتجاسر ... [illegible] اورباء ... [illegible] وشوكة
واقتدار على ان يشرع في احداث هذا الامر ولكن حيث كان للملك كرلوس
السابع حينئذ شهرة عظيمة بما حصل له من النجاح في حروب الانكليز
ونصرة رعاياه الفرنساوية اجرى ما لم يتجاسر اسلافه على الشروع فيه لاسيما
وقد اعانه على ذلك آثار الخوف والرعب الذي قد كان طبع في قلوب رعاياه

فخلصت فرانسا مما حل بها من المصائب وزال عنها أن يرى كرسي مملكتها مشغولا بملك غريب * وبضعف من تولى بعده وهو هنرى السادس لصغر سنه وطول مدة قصوره وبالفتن التي حصلت في ديوان انكلترة وما نشأ عنها من الفشل وعدم الالتئام ساغ للفرنساوية أن يسترجعوا ما كانوا فقدوه حتى ان اشراف فرانسا ازدادت همتهم الطبيعية وسلكوا مسلك الحمية طمعا منهم ان تعجيل موت هنرى الخامس انما كان من الله تعالى شفقة عليهم حين تساعدهم الاقدار فصاروا ينزلون الى الحروب يقودهم البهاروساء بارعون اولو تجارب عظيمة وصار ملك الفرنساوية المتولى فى ذلك الوقت وهو كرلوس السابع يدبر مصالح المشورة مع الحكمة والذكاء التام حتى انه انتهز بهذه الفرصة أن اخذ من الانكليز فتوحاتهم الجديدة وجردهم ايضا لنشاطه عن ممالكهم القديمة وصارت اراضيهم فى اقرب وقت محصورة فى حدود ضيقة واقتصروا على بوغاز كلس وما حوله من الاراضى الصغيرة •

فلما زادت وعظمت شوكة فرنسا بانضمام هذه الاقاليم اليها اخذ ملوكها فى العزم على مقاصد كبيرة فى شأن تحسين قوانين السياسة الداخلية او المشروعات الخارجية وصاروا فى أقرب وقت مهابين عند مجاوريهم ممن كانوا يلاحظون اتم الملاحظة جميع حركات هؤلاء الملوك حيث كان ذلك مما يخص امنهم وطمانينتهم ومن وقتئذ صار لمملكة فرنسا مدخلية عظيمة وشوكة جديدة بين الممالك اورباسبب تمكن وضعها الطبيعى وانضمام جميع اراضيها ولا سيما بكثرة اهاليها وشجاعتهم وبالجملة فصارت اول مملكة اضرمت نيران الغيرة وارعبت ما حواليها من دول اوربا

ولا يخفى ان اخذ هذه الاقاليم من الانكليز وانضمامها الى فرنسا لم يكن بمفرده السبب فى نمو الشوكة الفرنساوية بل اعقب هذه الحادثة حادثة اخرى اعانت كثيرا فى تقوية مصالح هذه المملكة وتسهيل مشروعاتها وان كانت هذه الحادثة اقل اهتماما وظهورا من الاولى وذلك انه فى مدة هذه الحروب المهولة التى مكثت زمنا طويلا بين فرنسا وانكلترة ظهرت جميع العيوب والامور

[illegible] حكومة الاشراف [illegible] [illegible]

[illegible] وحرمه

[illegible] ان ترتيب مثل هذه الجيوش [illegible] [illegible]

[illegible] شديدا عند من يجرها من الملك [illegible] وقته في كل [illegible]

[illegible] او ربا ما عداه [illegible] [illegible]

[illegible] الحاجة [illegible] [illegible]

[illegible] ولابد لاجل حفظ [illegible] [illegible]

في ترتيب العساكر وتسييح على [illegible] [illegible]

[illegible] امرها بالتدريج [illegible] [illegible]

[illegible] الملوك [illegible] [illegible]

[illegible] واسعاف [illegible] لجميع الوسائط اللازمة الاهلية [illegible] يكون [illegible]

[illegible] المال [illegible] [illegible]

[illegible] كان [illegible] اول من [illegible] وهذه القوى العسكرية في [illegible]

[illegible] بها عن الاعمال [illegible] [illegible] الحكومة

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] وذلك [illegible] الاشراف [illegible]

[illegible] الحروب الطويلة التي حصلت [illegible]

[illegible] وحيث كان هؤلاء الاسراف [illegible] عن بلادهم [illegible]

[illegible] متراية [illegible] على ذلك [illegible] عيلات [illegible] منهم ولما كان

[illegible] ينتقل كذلك على التعاقب في اغلب اقاليم المملكة [illegible]

[illegible] صارت اراضي العيلات الاخرى وبلادهم عرضة لنهب الاعداء

من ايام حكومته اعدائهم الامكرينه حتى بانه يلزم في كل وقت الاحتراس من
الاذى ويلزم بذلك المحافظة على ابقاء عساكر محصورة كافية لحماية المملكة
من اغارة تقع من هؤلاء الاعداء فسرح جميع العساكر ما عداهم ولم يبق
منها سوى فرقة تقدر تسعة آلاف من الخيالة وستة عشر الفا من المشاة
وعين جهة تندفع فيها ماهياتهم ووزعهم بين ثغور مملكته وحصونها
على حسب ما اختاره واقتضاه رأيه وجعل عليهم ضباطا لاجل حكمهم
وتدبيرهم في العسكرية فصار اغلبهم الاشراف واكثرهم اعتبارا يبادر الى
الدخول في هذه الخدامة وفيها تعودوا على اتباع ملكهم والانقياد له وعلى
احترام اوامره ورتبتهم مرغوبا به وصاروا يعتبرونه كانه قسم الاستحقاق بينهم
يعرف منه ما يستحق كل منهم وانه ولى نعمتهم واما العساكر الغير المنتظمة التى
كان فيها الملتزمون من اتباعهم ويامرونهم باتباع اعلامهم والخدامة
تحت راياتهم فلم تكن تضاهى هذه العساكر الجديدة المنتظمة التى كانت
دائما حربية مستعدة للحروب بل فقدت جميع بهجتها ولم يبق لها شهرة
ورأى الحال ان ادارة الجيوش لا يعتبر فيها الا مقدار العساكر المنتظمة
التى توجد فيها حتى انه لم يمض قرن الا وصار الاشراف واتباعهم فى العسكرية
وان كانوا يجمعون بحسب الاصول القديمة ويقدمون الى الحرب
لا يعتبرون الا جموعا مضرة لا ينشأ عنهم الا مزاحمة العساكر المنتظمة
التى يحاربون معها وحل نظامها وترتيبها وصار ينظر اليهم بعين الاحتقار
جميع العساكر الجديدة المتعودة على تحمل مشاق التعليمات العسكرية
الصعبة والمداومة على معاناة متاعبها

وبترتيب هؤلاء العساكر المشاة الذين هم اول جيش منتظم نشأ فى اوربا
احدث الملك كرلوس السابع المتقدم تغييرا مهما عظيما فى مصالح الامم على
اختلافها وفى احوالها البولتيقية اى سياساتها فجرد الاشراف عن مزاياهم
وحقوقهم التى كانت ثابتة لهم من كونهم يقودون الجيوش دون غيرهم
وعما كانوا اكتسبوه بسبب ذلك من عظم الشوكة ونفوذ الكلمة واصحى

العديدة زادت شوكة كرلوس زيادة كبيرة واتسعت دائرة مرا[illegible]
وخرجت الحقوق الملوكية عن حدودها القديمة التي كانت محصورة فيها
وبعد ان كان اقل تصرفا وشوكة من جميع الملوك الذين حكموا قبله على
فرانسا صار في آخر سني حكمه صاحب صولة وتصرف عظيم لم يتمتع بهما
احد من اسلافه في عدة اعصر خلت قبله

وحيث ان آمال كرلوس المذكور كانت متعلقة بمحق الاشراف ولم يتيسر
تأتى بعد موته لابنه لويز الحادي عشر فتبع هذا الشخص تلك [illegible]
اكثر من ابيه ووفق اباه كذلك في النجاح وذلك ان لويز هذا كان ظالما جبارا
بالطبع فبعد جلوسه على كرسي المملكة بيسير اخذ في مقدمات تدل
على ان مقصوده الظفر بالرعية كي يصير مطلق التصرف ولما كان خاليا
جبارا لا شفقة عنده خاليا من اصول العدل والحياء صار لا يبالي بانواع
الغصب والتعدي ولم يمنعه عنه شرف ولا عار وان كانت تلك عادة ارباب
الطمع وكان يعرف من اين تؤكل الكتف ومن اين تستنفعه ولم يكن له باعث
على غرضه الحقيقي الا شيء واحد فكان له اقتدار على ان يتبعه مع الغيرة
والقوة التامة ويتعلق به تعلقا كليا بحيث لا يمكن ان يشتغل عنه بشيء آخر
ولا يعوق عنه ولو بالاخطار والاهوال

فكان احكامه اذا [illegible] مبنية على [illegible]
الاشراف [illegible]
في الغالب [illegible]
[illegible]
ومشروعاته وباغتهم على اجرائها واما الاشراف الذين كانت عادتهم [illegible]
الملك ومجالستهم ومنادمتهم وان يكونوا وزراءهم فقد اذاهم وكسر انوفهم
بحيث ان من لم يرض منهم ان يكون في طرف ديوان الملك الذي لم يكن لهم فيه
شيء من شوكتهم القديمة ولو شوكة صورية يجبر على ان يلزم قصره فيمكث فيه
نسيا منسيا لا يرد على فكرة احد

او سلب العساكر التى كان يستاجرها الملوك ولم يمكنهم فى بعض الاحيان ان يصرفوا لهم ماهياتهم المرتبة وزيادة على ذلك تخربت بقيام الفلاحين الذين كانوا يخرجون حينئذ عن طاعة الاشراف وكذلك اضطر الملوك اذ ذاك ان يسلكوا المسلك الردئ فى تغيير معيار النقود ونقص قيمتها دفعة واحدة لعدم انتظام مصالحهم ولكون المصلحة اقتضت ذلك فبهذا نقص ايراد الملتزمين الذى كان يرد لهم من الجرائم والغرامات السنوية وغيرها من الحقوق الالتزامية ونقص جدا فائض كل التزام عن محصولاته السابقة وفى مدة هذه الحروب التى كان فيها اكرام الاشراف يتنافسون فى القدوم على اقتحام الاخطار لتحصيل الرفعة والفخار انقرضت منهم عدة عيلات عظيمة وضمت التزاماتهم الى الدولة غيران بعضها وقع ميراثا للنساء فتقسم بينهن وبعضها صغر بما اقتطع منه للوقف على الكنائس اوتمزق بين الورثة يقتسمونه على حسب فروضهم

ثم ان الملك كرلوس السابع فرح بهذه الامارات الظاهرة التى تدل على اضمحلال شركة هؤلاء الاشراف الذين كان يريد تدميرهم لما ان ذلك كان على وفق مراده فاغتنم فرصة فترة الصلح بينه وبين الانكليز حيث اجتهد فى توسيع المزايا الملوكية مع ضعف الخصايص الارستقراطية ولكن حيث ان الاشراف كانوا قد نفعوه عن قرب بحيث لم يتقادم عهد ما فعلوه من الخدمة العظيمة فى حماية المملكة لم يمكنه ان يعاملهم الامع غاية الاحتراس والاحتياط ومع ذلك فبما اكتسبه من الصولة بانتصاره على الانكليز وضعف شوكة الاشراف وزوال قوتهم شرع فى مبدء الامر يغير الاحكام والقوانين من غير ان يعارضه احد منهم فى ذلك فكما انه رتب العساكر المنتظمة التى تكلمنا عليها سابقا كان ايضا اول ملك من ملوك فرانسا استقل برأيه من غير ان يستعين بمشورة المملكة وصدر امره باحداث امدادات على رعاياه وكان فيه اقتدار كاف فى كونه رتب دائما عدة مرتبات وقتية ... ذلك تطلب عند الحاجة اليها ولا تقبض الا نادرا وبهذه الوسايط

الملوكية فهم بترتيب فرقة عسكرية كافية لكي يأمن بها من قيام رعاياه
المتألمة منه في الباطن ولاجل تحصيل هذا المقصد اهتم بالعساكر التي كان قد
جمعها ابوه وجعلها مستعدة تحت الطلب واضاف اليها [illegible] آلاف من عساكر
السويسة وبحكمهم من ماله فصاروا بمهارتهم اعظم عساكر اوروبا
المشاة سطوة وشجاعة واحسنهم تعلما وتربية وضبطا وربما خمدت غيرته
الطبيعية التي هي من شأن الامة الطامعين على ان يأتي بقوة لعساكر
الاجانب المتاجرين الذين اعدهم للتقوية [illegible] وجعلهم انصاره واعوانا
لشوكته الجديدة حتى انه في اواخر سني حكمه جعل منهم [illegible]
في معسكر واحد تنتظر اوامره

ولما رأى انه يلزم له اموال كثيرة ومبالغ جسيمة لمصاريف هذه العساكر
الزائدة ومصاريف المشروعات التي كان يحدثها [illegible] لعدم
طمانينته اهتم بابقاء الحق الذي جعله ابوه لنفسه من ان له ان يستقل بجمع
مرتبات وفردبا وامره من غير احتياج الى رأي ارباب مشورة العموم
بل اهتم بتوسيعه والزيادة فيه تماما [illegible] عليه اولا فكانت ذلك منشأ
كافيا لما يحدث في المملكة من المصاريف

وكانت حقوقه وعزائمه وان بلغت ما بلغت [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
المستمدة منه فاستعمل الشوكة [illegible] ارباب [illegible]
على رأيه ثم افسد بعضهم بالاكرام وبعضهم بالتهديد [illegible]
من التغييرات الجديدة في كيفية المذاكرات في المشاورة [illegible] الكلمة العليا
على الجمعية بحيث ان ارباب الجمعية الذين كانوا قبله يذبون عن حقوق الامة
واملاكها صاروا من [illegible] يستعين بهم على اجراء مقاصده الظلمية

ولم يكتف هذا الملك ما صنعه مع الاشراف من المذلة وابطال نفوذ الكلمة
بمنعهم عن رياسة المصالح بل ضم الى الاحتقار الاساءة فبعد ان جردهم
عن مزاياهم وحقوقهم الذاتية اخذ في خفض طبقتهم بتمامها فجعلهم
كبقية الرعايا سواء بسواء فكان كل من له اقتدار على ان يتجاسر من اكابر
المتزمين على معارضة الملك في مقاصده او كان من سوء حظه في نفس الملك
منه شيء يشدد عليه بتشديد لم يكن سبق للاشراف مثله فكانت تقام دعاويهم
بمحاكم لم يكن لها حق الحكم على الاشراف فيحكم عليهم فيها بالعقاب
والعذاب الشديد من غير التفات الى حسبهم ونسبهم ولا حالهم وصبدء اصلهم
ومن حكم عليه بالقتل قتل قتلا شنيعا فلما تكرر عند الرعايا رؤية كبار
الاشراف مسجونين في الدواميس (هي حبوس تحت الارض مظلمة)
او موضوعين في اقفاص من حديد لينظرهم الخاص والعام ورؤية دمائهم
في ايدي الجلادين سقط اعتبارهم عندهم وصاروا لا يعتبرون ولا يهابون
الا شوكة الملك وسطوته التي اذلت من الاهالي كل عزيز عنيد ومحقت شوكة
كل جبار عنيد

ولما خاف هذا الملك ان شدة احكامه عليهم وكونهم على قلب رجل واحد
لمصلحة حفظ انفسهم ينشأ عنه تعصبهم وان يكونوا حزبا قويا يعارضه تحيل
في ان ينشر بينهم اسباب الفشل والفتن فاشتغل باضرام نيران العداوة القديمة
والمنافسة التي هي من طبائع اي حكومة التزامية والتي كانت اوقدتها
الغيرة واستمرت بين اعظم عيلات المملكة ولاجل نجاحه في هذا المقصد
استعمل جميع انواع الدسائس والحيل والمخادعة والتدليس التي اقتضتها
سياسته الخبيثة المبنية على التدليس والخيانة فحصل له في ذلك غاية النجاح
والظفر حتى انه في الشدائد التي كان يلزم فيها للاشراف الثبات واتفاق
الكلمة لم يظهر منهم فيها سوى الضعف والفشل الا في مبدء حكومة هذا
الملك فانهم اظهروا القوة والعزم

وفي مدة اشتغاله بتجريد الاشراف عن مزاياهم لازال يزيد شركته ومزاياه

[illegible] لاجل تقوية [illegible] وتوسيع دائرة [illegible] حقوقه

لكن كانت دوائره أكثر من [illegible]

في مشروعاته كما فعل [illegible] كان [illegible]

التام والنصرة في الانحطاط [illegible]

عند رعاياه وصادروا [illegible]

تغيير في القوانين القديمة من [illegible]

جمهور [illegible] جميع الأرض التي كانت محروثة [illegible]

[illegible] حق استيلاء على ذلك [illegible]

الأهالي [illegible] الغروب [illegible]

المدينة التي كان فيها الأشراف مظهر [illegible]

الحكومة الملوكية قد تلاشت [illegible]

في [illegible] الاحترام التام [illegible]

الشركة المعروفة حيث لم يمكن [illegible]

يدبر مقاصده مع الاحترام ويتوالى في اجرائها وكانت هذه المقاصد

كلها حسنة لائقة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والأحكام فيه جارية مع اثبات [illegible]

احدث بطريق خفي في قوانين [illegible] جميع [illegible]

من التغييرات وتوسيع [illegible]

لمن بعده ثروة عظيمة [illegible]

على أن يأخذ في المشروعات [illegible] ويجريها

وحيث لم يكن اذ ذاك في البلاد من يقدر على معارضة هذا الملك
في ظلمه وجوره استمر على حب الحروب الذي كان قد ترتب عليه اتعابه ولم يقتصر
عليه بل ادمن فيه حتى [illegible] سائر اهل عصره

وقد تكفل لويس الحادي عشر ايضا بزيادة شوكة الملك وسطوته بل وسع ممالكه
المكتسبة بان اضاف اليها بفتحها فلندرى اقليم روسيلون وآل اليه اقليم
بروفنسه بوصية ملكها كرلوس دنجو وبعد موت كرلس لوتمرير (اى المحارب)
تغلب قهرا على اقليمي برغونيا وارتواس اللذين كانا لهذا الملك ففي مدة
حكومة ذلك الملك رجع الى فرانسا جميع اقسامها القديمة وبسياسته الجافية
العرفية كسر اذناب الملتزمين بل جدد حكومة كادت ان تكون مطلقة
مستبدة تقرب مما هي من حكم اهل المشرق

ومع ان حكومة هذا الملك اسرت بحرية الرعايا فالقوة التي اكتسبها
ولو اسى في تدبيرها والاستبداد بالرأى المطلق الذي سعى في تحصيله لنفسه
لاجل تدبير مقاصده واتمامها كل ذلك اعان على تقوية ادارته وسعيه
[illegible] ومن ذلك انه قد سمع جميع دول اوروبا باستمرار وكان يلاحظ سائر
حركات ما يجاوره من الممالك ويتداخل في جميع مهمات امورها السياسية
[illegible] بدقة [illegible] وكانت عزماته سريعة الانجاز وعماله
قوية شديدة وكان دائما [illegible] يجمع عند الحاجة جميع قوى مملكته
و[illegible] يسيرها ويوجهها [illegible] وكانت شوكة سلفه من الملوك دائما مغلولة
ومضيقة بغيرة الاشراف واما من وقت حكمه فتمكن ملوك فرانسا من بلادهم
ووسعوا نفوذ كلمتهم في البلاد الاجنبية وصاروا يعزمون كل العزم
ويأخذون في مشروعات كبيرة في شأن الفتوح والتغلب على البلاد
واجروا حروبهم مع قوة عجيبة لم يحصل مثلها في بلاد اوروبا منذ ازمنة
مستطيلة

وكان [illegible] هذا الملك مغريا غيره بحيث ان كلا من ملوك اوروبا اقتدى به
في ذلك فبمجرد ما استوى هنرى السابع على كرسي مملكة انكلترة اخذ في خفض

كانت اول حادثة شهيرة بعد [illegible] في [illegible] اوربا هي زواج [illegible]

[illegible] التي انحصرت فيها وراثة عائلة [illegible] الملوكية [illegible]

المذكور وقد عرض قبل موته زواجها على عدة من الامراء وكان [illegible]

على عرضها عليهم تمكينهم باعانة [illegible] في مقاصده ومشروعاته التي كانت

تسوّل له نفسه لطاعته و[illegible] من عدم [illegible]

فكان هذا الزواج [illegible] كثيرين [illegible] الامر [illegible] فيه غلطة

عظيمة وهي اكتساب [illegible]

[illegible] التي كانت وقتئذ [illegible]

في [illegible] هذه الاشياء [illegible]

في هذه [illegible] جميع امراء [illegible] غرضها [illegible]

ان تختار بعلا

وكان [illegible] فرانسا [illegible] هذه الاميرة [illegible]

من تلك المملكة وفصلت عنها [illegible] هذا [illegible] عشر

على الرغبة في مصاهرتها [illegible] لا [illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

حيث كان عمرها عشرين سنة [illegible]

بانهم [illegible] ولا اختيار [illegible] حريتهم [illegible]

يخشون ان يقعوا تحت حكومة [illegible] وطغيانه وكانت [illegible] العوائق

شديدة بحيث لم يتفكر احد في غايتها او [illegible] عليها خلاف زواجها [illegible]

فكان [illegible] ذلك [illegible] من مارية الميل الى التزوج به

مطلب
تقوية الشوكة الملوكية في اسبانيا

وفي هذه تقدمت الشوكة الملوكية بتحصل في اسبانيا فاكتسب ملكها
شوكة عظيمة وكان ذلك من عدة اوجه انضمام مملكتي اراغون وقسطيلة
الى بعضهما بزواج الملك فرديننده بالملكة ايزابيلا وافتتوح افاخر لاقليم
غرناطة مدة حكمهما فان بهذا الفتوح انقرضت دولة الاسلام التي
كانت خطرة على هذه البلاد وقيادة الجيوش العظيمة التي كانت محفوظة
حينئذ على الدوام ومحضرة لتكميل هذه الغزوة وما كان من الحزم والثبات
في تدبير الملك وزوجته وادارتهما والحيلة التي عرفا بها ان لا يضيعا فرصة ما
في اضعاف الاشراف وتوسيع مزاياهما وحقوقهما فكل ذلك رفعهما
في الشوكة والصولة الى درجة لم ينلها احد من اسلافهما نعم هنالك عدة
اسباب سيأتي ذكرها في غير هذا المحل اعانت على بقاء الحكومة الالتزامية
وحفظها في مملكة اسبانيا وتأخرها فيها اكثر من مكثها في فرانسا وانكلترة
فانه في زمن تشابه في مملكة اسبانيا كان ملوك هاتين المملكتين اوسع
تصرفا من ملك اسبانيا ولكن جبر فرديننده وايزابيلا بعقلهما وتدبيرهما
ما كان فقديه من الشوكة والقدرة المطلقة وتحيلا كل التحيل في كونهما
يثبتان لانفسهما جميع حقوقهما الملوكية حتى بلغ منهما ذلك ان صار
فرديننده اهلا لان يتمم مع النجاح العجيب جميع الغزوات العظيمة التي شرع
فيها مع البلاد الاجنبية

مطلب
عدة حوادث امكن بها للملوك ان يجروا شوكتهم الجديدة التي كانوا اكتسبوها

وبينما كان الملوك يشتغلون بتوسيع دائرة المزايا والحقوق الملوكية وبتجهيز
الوسائط التي بها يمكنهم جمع قوى ممالكهم وادارتها كيف شاؤا اذ حصلت
عدة حوادث اعانتهم على اجراء شوكتهم الجديدة التي كانوا اكتسبوها حينئذ
فعما قليل تعددت المشروعات عظيمة ووقعت بينهم المشارطات والمصالحات
بحيث ان اغراض اعظم ملل اوروبا ومصالحهم صارت بالتدريج
مرتبطة ببعضها بروابط مشتركة وحدث بينهم على التدريج مذهب
سياسي عظيم حرض باقي الملل الاوروبية بعد قليل من الزمن على الانتباه
والتيقظ

اعناقهما بحضرتها

وبينما كان لويز يملك هذا الملك الذى لا يليق بمثله من عظماء الملوك
وتغلب به على برغونيا وارتوازة والمدن الموضوعة على شاطئ نهر السوم
اذ تشاورت اقاليم فلندرة مع الامبراطور فردريق الثالث وعقدوا نكاح
اميرتهم مارية على مكسيمليان ابن هذا الامبراطور ووارث بلاد اوستريا فصار
هذا الامير بحسبه والمنصب الامبراطورى الذى سيرثه [illegible] هذا
الزواج مشرفا لها ومع ذلك فبعد اراضيه الوراثية وعدم كثرة ايراداته جعل
شوكته فى بلادها واهيبته بها حتى كان لا يخشى باسه الانكليز فى شئ

مطلب
زواج [illegible] بمارية وارثة برغونيا سنة ١٤٧٧

فبهذا الامر العجيب وحيلة لويز العظيمة صارت عائلة النمسا مالكة لوراثة
عائلة برغونيا فكان انتقال هذه الوراثة اساسا للشوكة العظيمة التى انتهى
اليها الملك شرلكان (كرلوس الخامس) فبهذا وجد نفسه مالكا لاراضى
غنية اهلته للنجاح فى المشروعات الخطرة وهى حروبه مع فرانسا فظفر
بمقصوده وحصل له فيها غاية النجاح فعلم من ذلك ان لويز كما كان اول ملك
عرف ان يجمع قوى مملكة فرانسا وعساكرها الداخلية ويصيرها مهابة
عند سائر ممالك اوربا كان ايضا اول من اعلى دولة صارت خصما
لفرانسا حتى مكثت مدة قرنين وهى تحط الفرانسيس عن شأنهم وتعارضهم
وتمنعهم التقدم

مطلب
تأثير هذه الحادثة فى جملة اوربا

وهناك حادثة اخرى مهمة كان لها [illegible] القرن
الخامس عشر وهى غزوة كرلوس الثامن فى بلاد ايطاليا [illegible]
عظيمة مأثورة مخصوصة كالتى تكلمنا عليها آنفا وترتب عليها ايضا فى الاحكام
الملكية والقوانين العسكرية تغيرات بينة جدا اكثر من الاول حيث حملت
اوربا على ان تتصدى لمشروعات اخطر مما كان يفعل قبل ذلك وربطت
مصالح عدة دول مختلفة على وجه آكد مما كان سابقا وكان كرلوس المذكور
ضعيف الرأى والهمة الا انه كان سخيا ولعل سهولة ادارته ولطف سياسته
كانا سببا فى اعادة الملة الفرنساوية لانتعاشها كما كانت وقوة ادراكها بعد

مطلب
فى كون غزوة كرلوس الثامن فى بلاد ايطاليا هى السبب الثانى فى التغيرات التى حصلت فى بلاد اوربا

ولو حصل هذا الزواج لترتب عليه منع وقوع مخالفات عائلة برغونيا في ايدي دولة من اخصام الدولة الفرنساوية واتركة قوتها ونفوذها طوعا اوكرها للويز في نظير سعيه في زواجه بها املاكا ولكن حيث كان لويز متعودا منذ زمن طويل على سلوك طريق التعسف في سياسته المبنية على المخادعة لم يمكنه ان يميل لما هو مبني على السهولة والحكمة فكان يميل كثيرا الى المكر والخداع بحيث لم يتخذ ذلك وسيلة لمجرد تنفيذ اغراضه بل كان يجعله المقصود بالذات في جميع افعاله ومشروعاته فبضميمة هذا الاصل الى مذهبه في كونه لا يرتضي ان احدا من رعاياه يعظم ويعلو شانه بل ربما كان يكره عائلة برغونيا ويريد ظلمها واضعافها اهمل هذه الفرصة التي كان يمكن لادنى منه في النباهة والنشاط ان ينتهزها ويجني ثمارها فضل عن منهج الحق في ذلك وسلك سبيلا اوفق بطبعه وعقله

مطلب ما عزم عليه لويز الحادي عشر من الامور العجيبة في هذا الشان

فعزم لويز حينئذ على ان يتغلب بالجبر والقوة على اقاليم مارية التي آلت اليها من التزامات فرانسا الملوكية بل وعزم ايضا على ان يجول بالفتوح في التزامات هذه الاميرة ولا يقتصر على اخذ ما كان لمملكة فرانسا سابقا وكان في اثناء ذلك يسلك معها طرق الخداع ويلح عليها كثيرا في زواجها بالدوفين مع انه غير ممكن ثم اظهر في مدة ابرازه هذا المقصد واجرائه التحيل التام والتدبير العجيب فاكتسب بهذا الشهرة بمناقب الزور والكذب والخيانة والخداع مما يتعجب منه في تاريخ مثل هذا الملك فبمجرد موت ابيها كرلوس سريعا كر وشن الغارة على البلاد الواطية وفتحت له عدة من مدن الثغور بدفعه الرشا لحافظيها او باتفاقه مع اهاليها خفية ثم تشارط مع مارية مشارطة سرية مهمة فاظهرها لرعاياها ليبغضهم فيها وكان بينه وبين وزيريها مكاتبات سرية فيما لا ينبغي افشاؤه فأطلع ارباب مشورة فلندرة على مكاتبتهما فغضبوا جدا من خيانة هذين الوزيرين وامروا باقامة دعواهما حالا واذاقوهما اشد العذاب من غير ان يلتفتوا الى تضرع الاميرة ولم يرثوا لبكائها حيث كانت تعلم جميع ما وقع منهما واقرته فضربت

عموم ... [illegible] ... كيف يشاء ... وكان وسع اراضي ... [illegible]

من ازواجه بوارث ... بريطانيا الذي به ... كما عن هذا الاقليم الابريطاني

الذي هو اخر اقليم من الانقسامات الكبيرة بقي الى ذلك الوقت غير منضم

الى مملكة فرانسا فجمع كرلوس عاجلا جميع العساكر اللازمة لتجهيز هذا

المقصد وكان من ... شروعه في الامور الحربية مولعا باظهار نفسه

ببعض فتوحات ... فتح سنة ... [illegible] ... ذلك

انه ارجع اقليم روسيون ... ملك اسبانيا ... [illegible]

... [illegible] ... التي في اقليم ... [illegible]

ان لا يحصل ... كبير لفرانسا ... عساكره في ايطاليا

وكان تجهيز جيوش اوربا في ذلك الوقت اي القرن الخامس عشر مغايرا

بالكلية لما بيناه في تاريخ ... وذلك ان العساكر التي جهزها كرلوس

لتجهيز هذه الغزوة العظيمة كانت غايتها بلغت عشرين الفا ولكن ما ...

في نقل المدافع والامدادات ... وعلى اختلاف انواعها كان كثيرا جدا

بحيث يمكن مقابلته بالتجهيزات العظيمة التي تستدعيها حروب هذه

الاعصر الاخيرة

... الفرنساوية ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفرسان ... التي كانت ... [illegible]

... المشارطات المتتابعة التي لا ... مع ... [illegible]

المبنية على الحذاقة والمبالغة في ... [illegible]

كانت ... حروب ... مباحة لم يكن في مقابلتها

سفك دم احد

فحين بدا للايطاليين الخطر الذي هددهم نهضوا الى سلوك طريق التدليس

اضعاف ابيه لها بالظلم المنفر حتى كادت تتلاشى واخذ الاشراف ثانيا
فى التوغل بالخدمة العسكرية ورجعت لهم حميتهم الجبلية وبينما كان هذا
الملك الصغير قلقا مستعجلا فى كونه يشهر حكومته ببعض وقائع ساطعة
فكان متحيرا ومفكرا الى اى جهة يوجه عساكره اذا كثر التضرع والالحاح
عليه لويز سفورس الايطاليانى المتشبث بالامور البوليتيقية فى صرف همته
الى امر مخصوص استقر عليه امر الملك بعد اضطرابه لما ان لويز المذكور
كان من ذوى الاعتبار فى المعارف والتدبير وان كان متضحا بمعايبه
وذلك انه كان قد عزم على ان يعزل قريبه دوق ميلان من الحكومة ويتغلب
على بلاده ولكن كان يخشى تحزب امراء ايطاليا عليه واعانتهم لدوق ميلان
المذكور لما ان اغلبهم كان بينه وبينه لحمة النسب او المعاهدة فرأى انه لا بد له
من ناصر قوى الشوكة يعتمد عليه ويلتجئ اليه فالتمس ذلك من كرلوس الثامن
ملك فرانسا ولكن لم يطلعه على مقصوده الحقيقى وانما اظهر له انه يريد
توجه هذا الملك الى ايطاليا بعساكر عديدة ليتغلب على كرسى مملكة نابلى
حيث ان له فيه حقا يطالبه بكونه وارث عائلة انجو الملوكية وذلك لان حقوق
هذه العائلة فى مملكة نابلى كانت قد انتقلت من كرلوس دى انجو الذى هو
قونتة مينة و پروونسة الى الملك لويز السادس ولكن لما تملك لويز المذكور
من غير مهلة ولا تراخ جميع البلاد التى كانت تحت تصرف كرلوس حقيقة
لا بمجرد كونه له الحق فيها لم يلتفت الى ان يفتخر بان يتخذ له لقبا او صورياعلى
بلاد اخرى يحكمها ملك آخر من غير ان يطلبها منه احد فابى ان يتعرض
لذلك خشية ان يخاطر بنفسه فى مهالك السياسة الايطاليانية بخلاف ابنه
فانه لما كان دونه فى الحزم واجسر منه دخل مع العزم الشديد فى هذا المشروع
*ومن غير ان يلتفت الى ما عرضه له ارباب المشورة المجربون تجهز ليثبت
فى هذا المقصد ويجزه مع الهمة التامة

مطلب
سايطه التى تجهز بها
لعمل هذا المشروع

ولا شك ان كرلوس هذا كان عنده شوكة كافية فى مثل هذه الغزوة ونجاحه
فيها فانه ورث عن ابيه سطوة عظيمة وشوكة قوية بها كان حاكما متصرفا على

اعدم حزمه وضيع وقته بمدينة نابلى فى الاعياد والتهور واصر انه بلا طائل

تحته اى يشغل فكره بتخيل فتوح بلاد المشرق ويعترف بذلك اذ ضربت

عليه عصبة قوية من اغلب دول ايطاليا [illegible] مع دولة الامبراطور مكسيمليان

وفردیننده اراغون ونسبت هذه العصبة المختلفة ما بينها من المصالح

الخصوصية وعلقتها الى وقت آخر اجتمع تمامها على عدو تشترك كلها

فى عداوته لانه كان خطرا على كل دولة منها فكان هذا الاتحاد مزعجا

لكرلوس من الجهة [illegible] فرأى ان لا امان له الا [illegible] شاكلة [illegible]

[illegible] الدول المتعاهدة جيشها وكان [illegible] ان يتغلبوا

طريقه ويصدوه عن الخروج ولكن لما كانت [illegible] فرنسا [illegible]

تجبر قلة عددهم فتمكنوا بجيش الايطاليين وانتصروا عليهم نصرة فتحوا بها

لملكهم طريقا آمنة توصله الى مملكته وبهذا فقد كرلوس جميع فتوحاته

سريعا كما كان اكتسبها كذلك ورجعت طريقة حكومة ايطاليا الى

ما كانت عليه قبل هذه الغزوة

والظاهر ان ما نتج عن هذه المعاهدة السرية النجاح الناجع لانتزاع [illegible]

ملوك ايطاليا من سنة الغفلة واصلح [illegible] بانهم وارشدهم الى سلوك ما فيه

مصلحتهم بعد ان كانت تارة فرنسا [illegible] تهددتهم [illegible]

الدول المتعاهدة [illegible] على مصالح اوروبا اصول من التعهدات السياسية

التى [illegible]

اغراض خصوصية [illegible] ان ترفع

[illegible] الى درجة عالية [illegible] العمومية [illegible]

اهمية هذا الاصل العظيم المبتدع فى السياسة الذى هو كناية عن حفظ توزيع

القوة بين اعضاء جسم واحد مؤلف من دول اوروبا حفظا تاما مؤسسا على

الانصاف ففى مدة الحروب التى كانت مملكة ايطاليا ميدانها وفى اثناء

المشاحنات التى كادت ان تكون دائمة وكانت ناشئة عن ضعف رأى لويز

الثانى عشر وطمع فردیننده ملك اراغون ومكثت فى هذه البلاد من آخر

مطلب [illegible] ان مذهب [illegible] ظهر [illegible] بعدم [illegible] [illegible] اوروبا

الذي كانوا متعودين عليه فاستعملوا جميع وسايط الدسائس لاجل ابعاد
هذا الخطر المهول ولكن لم يحصل لهم بهذه الوسيلة النجاح الذي
كانوا يأملونه وحيث لم يكن لهم من القوى العسكرية الا عساكر مستأجرة
ذات جبن ورخاوة ولم تكن متعودة الا على الحروب الهزلية داخلهم الرعب
والخوف بمجرد منظر هذا الحرب الحق وظهر لهم انه لا يمكنهم مقاومة
شجاعة الفرنساوية وتجلدهم ففتحت ابواب فلورنسة وروسة وبيزة
لعساكر كرلوس بالسهولة من غير توقف * وقرب هذه الغارة المهولة
من بلاد نابلي ارعب ملك نابلي رعبا شديدا افضى به الى الموت ان صح
ما ذكره بعض المؤرخين وخلع من بعده المملكة بعلة الرعب وهرب الثالث
من بلاده عند قرب الاعداء من الحدود وسار كرلوس بعساكره من سفح
جبال آلپه الى نابلي مع غاية السرعة فلم يجد فيها من الموانع الا ما ندر
فسلكها كما يسلك بلاده وأخذ مع الراحة والسهولة مملكة نابلي ومن وقتئذ
صار يفزع منه ويهابه ملوك ايطاليا الآخرون وصار يرتب عليهم ماشاء
من الشرائع والقوانين

مطلب
ثمرة هذه الغزوة وبيان
منشأ مذهب التعادل
في الشوكة والقوة

فبذلك انتهت هذه الغزوة الشهيرة التي ينبغي ان تعتبر كانها ثمرة الشوكة
والقوة الجديدة التي اكتسبها ملوك اوروبا واخذوا في اجرائها وقد كانت
نتائج هذه الغزوة عظيمة بقدر ما كان نجاحها عجيبا وذلك ان الايطاليين
لما لم يمكنهم حجز هذا السواد العظيم الذي نزل بهم كسيل العرم تركوه
في مبدء الامر يجول في اراضيهم كما يشاء فلم يلبثوا برهة من الزمان
الا واستشعروا انه لا يوجد في ايطاليا دولة ايا ما كانت فيها اهلية لان تعد
قوى كافية لمقاومة قوى كرلوس الذي كان له اراضي واسعة وامارة ادة حربية
ذات شجاعة وحماسة ولكن خطر لهم ان دول ايطاليا يمكنها بالتعاهد
مع بعضها ان تفعل ما لا تفعله اي دولة على حدتها بل لا يمكن ان تشرع فيه
فبادروا الى هذه المعاهدة التي لم يبق لهم سواها في الخلوص من ربقة
اسر الفرنساوية او تخفيفه عنهم فبينما كان كرلوس المذكور ملك فرانسا

[illegible] العسكرية فى العساكر المشاة

و[من] ذلك الوقت صارت ملل اوروبا على اختلافها تتعارف الحرب مع عساكر قوية مستعدة اكثر مما كانت فى خدمة الملوك العسكرية فى اى مكان كان وصار لها اقتدار فى البلاد وحفظها بعد فتحها

ثم ان حروب ايطاليا التى وصلت بها اوروبا الى التغييرات التى تقدمت فى القوانين الحربية كانت اول [illegible] تعليمهم انه لابد للمشروعات العظيمة والحروب الطويلة من مصاريف جسيمة وعودهم على تحمل اثقال [illegible] ثم [من] غرامات اللازمة لتلك المشروعات [illegible] حكومة الاشراف والملتزمين باقية على شوكتها [illegible] اتباع هؤلاء الملتزمين يطلبهم الملك منهم عند الحاجة لهجوم على مملكة بجواره فيمكثون فى الحرب مدة قصيرة ليوفوا بما يجب عليهم من الحقوق لملكهم فى شان الخدمة العسكرية كانت مصاريف الحرب قليلة حيث انه كان يكفى للملك فى تجهيزهم مشروعاته اقل امداد يعطى له [illegible] صارت ايطاليا [illegible] عموم العساكر ملل اوروبا الذين كانوا يظهرون فيه بمظهر الابهة والفخار ويتنافسون فى القوة العسكرية [illegible] فنون الحرب [illegible] لزم لذلك تجديد غرامات [illegible] فى كل مملكة من ممالك اوروبا ليتيسر لهم [illegible] تحصيل [illegible] [illegible] [illegible] فى البلاد الاجنبية [illegible]

[illegible]

وكان عظمت اطماع الملوك وصاروا يا[خذ]ون فى مشروعات بعيدة جدا بحيث كانت [illegible] عليهم فى هذه الاحوال يجعلوا على الناس [illegible] وغرامات تقوم بالمصاريف التى كانت تستدعيها هذه المشروعات العجيبة فمن ذلك ان الملك كرلوس الثامن لما عزم على الاغارة على مملكة نابلى كانت المصاريف اللازمة لهذا المشروع تزيد بكثير على الغرامات العظيمة التى كانت تؤخذ

مطلب
[illegible] حروب ايطاليا
كانت [illegible]
الاجراءات العسكرية
[فى] دول اوروبا

ان افضل للسويسيين فى الفنون الحربية لكن لما ثبت لهم الفخار والشهرة
بمثل هذا النجاح وقع فى نفوسهم انهم بلغوا فى الشجاعة الدرجة القصوى
وانه لا يستغنى عنهم فى اى مشروع كان فطغوا وبغوا وعتوا عتوا كبيرا فعند
ذلك اشمازت منهم نفوس الملوك الذين كانوا يستأجرونهم لدفع الملمات
واشتغلوا بتحصيل وسايط تغنيهم عن هؤلاء الغرباء المستاجرين فبذل
كل ملك جهده فى استكمال عساكره المشاة الملية (اى الذين من ملته واهل
مملكته)

مطلب
ترتيب عساكر المشاة الملية ببلاد المانيا

فشرع ملوك المانيا فى تحصيل هذا الغرض وسهل عليهم بسبب صلاحية
رجالهم لان يكونوا من اقوياء العساكر لما فيهم من الشجاعة والتجلد ان غيروا
على وجه السرعة فى عساكرهم تغييرا صاروا به كفو السويسيين
فى الشجاعة والضبط والربط والمهارة العسكرية

مطلب
ترتيب مثل ذلك فى فرانسا

واما ملوك فرانسا فلزم لهم فى تحصيل ذلك ان يمكثوا زمنا طويلا ويبذلوا
جهدهم اكثر من ملوك المانيا حتى استمالوا عقول سلالهم الصعبة الى مثل هذه
التعليمات واعتنوا اعتناء تاما بترتيب قوانين توجب احترام العساكر فترتب
على ذلك انه منذ حكومة لويز الثانى عشر تنازل الاشراف عن دعاويهم
القديمة وسمحت نفوسهم بالدخول فى الخدمة العسكرية

مطلب
ترتيب ذلك فى اسبانيا

واما اهل اسبانيا فكانت حالتهم لا تاذن لهم ان يستعملوا غير عساكرهم الملية
فى جنوب ايطاليا الذى كان ميدانا لغزواتهم العظيمة فى هذه المملكة
ولم يقتصروا على اكتساب التعليمات العسكرية السويسية بل كملوها
بامور اخرى حيث نظموا فى سلك عساكرهم عساكر جديدة متسلحة بنوع
ثقيل من اسلحة النار (يقال له الزنبلك ويضرب بواسطة الفتيل) فبذلك ترتب
عندهم عساكر مشاة صار لها شهرة عظيمة وهيبة فى جميع اقطار اوربا حتى ان
الافرنج مكثوا يخشون بأسها ويتجنبون منها مدة مائة وخمسين سنة

مطلب
ترتيب ذلك فى ايطاليا

واما دول ايطاليا فتناقصت من عندها الخيالة شيأ فشيأ واخذت تنسج
على منوال من كان بجوارها من الممالك القوية الشوكة حتى حصروا قواهم

دولة في اوربا واعظمها ثروة بسبب اتساع تجارتها ومحصولات [illegible] النافعة المرغوب فيها ورواج أنفس البضائع المشرقية عندها حتى لم يكن يشركها احد فيها

فلما عظمت شوكة البنادقين وقع الخوف [illegible] في قلوب مجاوريهم [illegible] اعظم ملوك الافرنج يحسدهم على ثروتهم ونفوذهم [illegible] شق عليه ان يرى [illegible] هذه الجمهورية [illegible] تعظم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وعظم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في حزب [illegible] على اهل البنادقة [illegible] كان [illegible] [illegible] من البابات [illegible] كان يريد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في نفسه ما يكون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في انفس الآخرين حتى [illegible] [illegible] على [illegible] جمهورية [illegible] تعد من اخوف التعصبات [illegible] [illegible] في اوربا [illegible] [illegible] مقتضيات احوال اخرى لا حاجة لنا [illegible] ذكرها

وكان امبراطور [illegible] [illegible] فرانسا [illegible] [illegible] [illegible] هم رؤساء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وكان [illegible] منهم يأمل ان يكون له نصيب في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الاحتراسات لامن جمهوريتهم واقرض [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كان يعول عليه في حماية الجمهورية وتغلب [illegible] على جميع المدن التي [illegible] في الحكومة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] جميع المدن التي على سواحل كالابرو كان قد تغلب عليها البنادقة وقدم مكسيليان مع جيشه الى البنادقة من جهة واغار عليها الفرنساوية من جهة اخرى

[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible]

رفقته من مملكته نراه حتى انه قبل ان يصل الى ضواحى ايطاليا انفد ما كان
معه من الاموال والذخائر الواسعة التى كان جمعها من مملكته حين كان له
حقوق واسعة ومزايا كبيرة ولما كان لا يمكنه حينئذ ان يجعل على رعاياه
غرامات جديدة لما ان الغرامات التى كانت مضروبة عليهم كانت متجاوزة
للحد لم يجد وسيلة فى تنجيز عزيمته الا كونه يقترض من اهالى جنويزة
المبالغ التى كانت لازمة له فى استمراره على السير الى بلاد ايطاليا ولكن
لم يمكنه اقتراض ذلك منهم الا بربح جسيم وهو اثنان واربعون فى كل مائة
وكان معاصروه من الملوك بهذه المثابة ايضا فكانت ايراداتهم لا تفى
بمصاريفهم فمن ذلك الوقت اخذت الغرامات والجرائم فى الازدياد حتى
وصلت محصولاتها زمن الملك شرلكان فى كل مملكة من ممالك اوروبا الى
مبالغ جسيمة جدا حتى بالنسبة الى حالة آخر القرن الخامس عشر وكان
ذلك طريقا لافراط ملوك الاعصار المتأخرة فى الظلم فيها حتى وصلت الى
الدرجة التى عليها الآن

ومما ينبغى التنبيه عليه من الحوادث السياسية التى حصلت قبل حكومة
الملك شرلكان وكان لها دخل فى تغيير حالة اوروبا عصبة كمبريه وهى آخر
الحوادث المذكورة وكان مقصد جميع الملوك الذين كان لهم دخل فى هذه
العصبة اذلال جمهورية البنادقة وتقسيم اراضيها والتزاماتها

وكان منشأ تلك العصبة هو ان قانون البنادقة كان موضوعا على قواعد
متينة بحيث لم يعتره كبير تغيير منذ عدة قرون وكانت جمهورية البنادقة تدير
مصالحها فى تلك المدة على حسب قواعد سياسية مشحونة بالحكمة والثبات
واستمرت محافظة عليها ومواظبة على العمل بها من غير تغيير ولا تبديل
ففاقت بذلك غيرها من سائر دول اوروبا فوقانا كبيرا لما ان هذه الدول كانت
تتغير آراؤها واعمالها واشكال حكوماتها وكذلك من كان منوطا فيها
بالادارة والتدبير فبواسطة استمرار تلك الجمهورية على هذا المنوال امكنها
توسيع اراضيها وصارت فى اسرع وقت اعظم شوكة فى ايطاليا وصارت اغنى

على مملكة فرانسا ولكن صار لويز يدافع عن نفسه مع القوة والشجاعة
هذه العصبة المهولة الفجائية ووقعت المحاربة بينه و بينهم عدة مرات
في ايطاليا ونواحي اسبانيا و اقليم پيكارديا و كانت النصرة والخذلان
مترددين بين صفوف الفريقين ثم ضعفت قوته بكثرة اعدآئه و تساع
ابواب المحاربة التي كانت مفتوحة عليه و بحرمان مقرونة هذه العصبة
التي ... على ما عنده باضعاف وكان رؤساؤها
... المشاق فاضطر أن يعقد معهم عدة
مشارطات صلحية ويكف عن قتالهم فترك لهم جميع ما كان اكتسبه
في ايطاليا ما عدا امة ميلان و ... من قبيلة العظم من دوقية ميلان
ثم ان ما وقع في ذلك الزمن الذي هو زمن فتن و تقلبات من المداولات
و المعاهدات التي حصلت بين ملوك لم يكن بينهم قبل ذلك كبير اختلاط وارتباط
كان سببا في ازدياد الارتباط بين ملل اوروبا واتساع دآئرة المخالطة التي
ذكرت انها من جملة ما نشأ عن حوادث القرن الخامس عشر
وايضا لما عظمت مقاصد الملوك ومشروعاتهم وكانت الاراضي التي يتصدون
للاغارة عليها بعيدة وكانت حروبهم طويلة شديدة التعاند اضطروا
الى ان ... في المدة ... لم تكن في القرون الماضية قبلهم

مطلب كون هذه الحوادث ترتب عليها ازدياد المخالطات بين ملل اوروبا

... الحوادث الجسيمة التي امتاز بها الزمن الذي هو
... طمع ملوك ... وفرنسيس الاول
... اخرى وهي ان ممالك اوروبا كانت
اذ ذاك قد اكتسبت تقدما عظيما في العلوم والادارة الداخلية واكتسب
ملوكها شوكة بحيث صار لهم قدرة على ان يجمعوا من ممالكهم جميع العساكر
التي يحتاجون اليها للحروب في الاقطار الاجنبية فبذلك اتسعت دآئرة
مشروعاتهم الحربية وعظمت مساعيهم ومجهوداتهم اكثر مما كانت عليه
وكان اول ما جربوا فيه شوكتهم الجديدة التي اكتسبوها هي حروب ايطاليا
التي نشأ عنها أن صار كل منهم يدعي لنفسه خلاف ما يدعيه الآخر واثارت

مطلب كون الحوادث السابقة فتحت طريق الحوادث القرن السادس عشر

فلما رأى اهل البنادقة انهم محصورون بين هؤلاء الاعداء الكثيرين ولم يجدوا لهم حليفا يأخذ بناصرهم نزلوا عن دعوى الجسارة والعنفوان الى اليأس والقنوط وتركوا سائر البلاد التى كانت لهم فى الارض القارة وانحصروا فى داخل اسوار تحت ممالكهم حيث لم يجدوا ملجأ غيره رأيسوا من عداه من الحصون والمدن

ثم ان سرعة نجاح هؤلاء المتعصبين عادت عليهم بالضرر ودلك ان ارباب هذه العصبة كانوا على قلب رجل واحد قبل وقوع فريستهم فى ايديهم وعند الاغتيال عادوا الى ما كانوا عليه من النفرة والعداوة والبغضاء فلما رأى البنادقة ذلك علامات الفشل بين اعدائهم تنورت قلوبهم باشعة الامل والرجاء فاحيوا فى مشاورتهم بيت الحكمة واثبات الذين كان من شأنهم وسلكوا فيما سلكا جبروا به بعضا من جبره الخلل الذى لحقهم لفتور همتهم وعدم احتياطهم فاستردوا من اعدائهم بعض البلاد التى كانوا فقدوها واستمالوا خاطر البابا يولس الثانى وذلك انهم اعطوه بعض عطايا جليلة النفع ارضت الشهوات بالجملة ولم يزالوا فى المداهنة حتى توصلوا الى حل تلك العصبة التى كانت تحزب جمهوريتهم وتبيدها

والحج حليوس فى هذه العصبة التى دبرها بنفسه داخله الكبر والتعاظم طالما انه لا يشرع فى مشروع الا ويتم فعزم على ان يطرد من ايطاليا جميع الملوك الاجنبية فاستعمل جميع وسائطه السياسية لاجل تنجيز هذا الغرض الذى هو جدير بان يصدر عن مثل تلك القريحة الواسعة الجسورة فاغار اولا على الفرنساوية لانهم كانوا مبغوضين من عدة وجوه عند الايطاليين اكثر من غيرهم من الدول الاجنبية التى كان لها بلاد فى مملكة ايطاليا ولعظم مهارة هذا البابا وتحيلاته عرف أن يستميل قلوب اغلب الملوك الذين كانوا فى عصبة كمبريه الى أن يديروا اسلحتهم نحو لويز الثانى عشر الذى كان معهم فى تلك العصبة واستمال ايضا الملك هنرى الثامن وكان قريب عهد بالولاية على مملكة الانكليز الى اعانته على تنفيذ غرضه فاغار الملك المذكور

حل بينهم

حوادث اخرى نشأت من سياسة المتعصبين رطمعهم

عن [illegible] معرفة صحيحة بصور حكومات [illegible] وكيفية ترتيبها [illegible] علينا
جزء كبير من تاريخ هؤلاء الامم فلا نعرف منه [illegible] وما المؤرخون
الذين قصدوا التاريخ كل منهم بخصوصه فانهم لم يرسموا في كتبهم [illegible]
مرغوبا لاهل بلادهم وانهم [illegible] فائدة معتقدين ان اهل بلادهم يعرفون
حق المعرفة اخلاق وطباع [illegible] المخاطبة فلذلك لم يعرفوا التفصيل
ذلك تفصيلا [illegible] ولكن في غاية الاحتياج جمع الاسباب [illegible]
للوقائع التي ذكرها بخلاف ما [illegible] الذي يشتمل على [illegible]
متنوعة في بلاد مختلفة ولا [illegible] يبحث عن [illegible] تلك البلاد
وحالتها السياسية فان ذلك [illegible] ذلك لا محالة تكسب
من اطلع عليها ما يكون له به اقتدار على [illegible] معرفة صحيحة [illegible]
واحوالهم

ومع ذلك فلا يليق بهذا المختصر ان نفصل فيه جميع قوانين الحكومات
الخاصة بكل امة لان شرح ذلك يطول بل نقتصر على ذكر الامور [illegible] التي
تمتاز بها كل حكومة عن الاخرى فان ذلك غاية ما [illegible] وشرع هذا
الكتاب ونهايته [illegible] ما نحن شارعون فيه من [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
حكومة كل من اسبانيا [illegible] ايطاليا [illegible]
محكومة بامراء يلقبون بلقب الدوق

وكان اعظم حكام ايطاليا في المنصب واقدم هو البابا ولم يكن الاقل فيهم
بالنظر الى اتساع الاراضي وكان لاساقفة الكنيسة الكبرى او الاصلية

بين الملل المختلفة نيران الشقاق والفشل فكانت منشأ لمشاجرات وحروب عديدة ترتب عليها تقلبات عجيبة في جميع بلاد اوربا فمن ثم دلت جميع الامارات في اوائل القرن السادس عشر على ان هذا القرن تكثر به الحوادث العظيمة وتنتشر فيه اعلام الوقائع الجسيمة انتهى القسم الثاني

(القسم الثالث)

في الكلام على القوانين السياسية التي كانت في دول اوربا الكبيرة في ابتداء القرن السادس عشر

مطلب
بيان قوانين دول
اوربا كانت متباينة
... سياسيا

قد سبق لنا ذكر الوقائع الاصلية العظيمة التي بمدخليتها وتأثيرها في جميع دول اوربا اعانت على تكميل حكوماتها الداخلية وتحسينها وتوسيع دائرة اعمالها ومشروعاتها وازدياد عساكرها الملية ولم يبق علينا من الفوائد التي يتوصل بها قارئ كتابنا هذا الى مطالعة تاريخ شرلكان الا بيان القوانين واشكال الحكومات المدنية التي كانت عند من كان له شوكة قوية وتأثير كبير بعد هذا القرن من ملل اوربا ودولها فنذكرها الآن في هذا القسم مفصلة لكل ملة مع ما يختص بها من القوانين والحكومة المدنية

واعلم ان القوانين والوقائع التي سبق ذكرها وان كان يظهر منها انها توجب الاتحاد في اخلاق اهل اوربا لانها كانت تخرجهم من حيز الخشونة والتبربر الى التمدن والتأنس بطرق متحدة تقريبا الا انه طرأت عوارض اخرى ترتب عليها تباين كلي بين قوانينهم السياسية واختلاف في اشكال حكوماتهم المدنية بان صار لكل دولة حكومة خصوصية لا تشبه حكومة غيرها من الدول ونشأ عن هذا الاختلاف في الحكومات تغاير عظيم في اخلاقهم ومقاصدهم

مطلب
بيان لزوم معرفة
الحالة السياسية
لكل ... منذ
... حكومة شرلكان

ولا يخفى ان معرفة الحوادث الاخيرة ليست دون معرفة الحوادث السابقة في اللزوم بهم وان كان ما ذكرته لك من الحوادث والاسباب التي عم تأثيرها في احوال اوربا يعينك على ادراك منشأ المشابهة العظيمة التي ترى بين السياسات الداخلية والمشروعات العسكرية عند امم اوربا لكن اذا لم يكن

احبارا مهابين اولى شوكة حربية بحسب الظاهر فقط واما بالنظر لكونهم
ملوكا فلم يكونوا الا امراء ضعافا لشوكتهم في الواقع ثم قد [illegible]
في مبدء امرهم باستعمال وسائط توصلهم الى توسيع اراضيهم [illegible]
استعملوها في توسيع حكامهم وافتاآتهم فحصلوا على الامبراطور قسطنطين
حتى أمدهم بعطية من عنده وكذلك كرلوس ماوس ولودويان [illegible]
بعطية اخرى [illegible] التغلب على بعض مدن [illegible]
ولم يستفيدوا من هذه الوسيلة الا الدعاية الكاذبة [illegible] بخلاف
ما [illegible] الذين [illegible]
اعتقاد حسن وما أسند اليهم [illegible] فانه كان [illegible]
واتسعت به اراضيهم اتساعا عظيما

ولكن لما اشتغلوا بتوسيع اراضيهم تفرعوا لذلك بالكلية ولم [illegible]
شوكتهم بحيث يكون اتساعها واتساع اراضيهم على حد سواء [illegible] على
ان عساكر كل ايالة من ايطاليا صاروا تحت طاعة حكامهم [illegible] التقلبات
والفتن التي حصلت في القرون السابقة [illegible] الاشراف ورؤساء
العصب الاهلية على حكومة عدة [illegible] المدن الاصلية [illegible]
وتبرا فيها عساكر [illegible] عن استقلالهم
[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible] بسبب شوكة الحكام [illegible]
الرومانيين [illegible] البابا في نفس مدينة رومة [illegible]
في القرن الثاني عشر رأي جديد شاع عند كافة الناس وتمكن من عقولهم وهو
انه حيث كانت وظائف القسيسين لا تتعلق الا بمحض الديانة ولا دخل لها
فيما عدا ذلك فلا ينبغي ان يكون لهم شيء من الاملاك والالتزامات وليس لهم
حق في الافتاء والحكم بل يكونون على منهاج اسلافهم الذين هم اهل الكنيسة

ضعف شوكة [illegible] في اراضي [illegible]

[illegible] بسبب [illegible] الاشراف الرومانيين

شركة مساوية لشوكة البابا وربما كان لهم نوع امتياز فى المقام بسبب شرف الكنيسة التى هى تحت رياستهم وان لم يكن لهم خصايص ومزايا حقيقية الا ما يكتسبونه بفضل معارفهم اوزيادة تقوى يقتدى بها *

مطلب
اصل شوكة البابا وازديادها

وحيث ان مدينة رومة كانت دهرا طويلا وهى كرسى الامبراطورية الرومانية وتحت الدنيا بتمامها كان لاساقفتها امتياز وشرف على غيرهم فحظوا من الاحترام والتعظيم بالحظ الاوفر ولكنهم مكثوا عدة قرون من غير ان يكون لهم مزية اخرى او يدعوا لانفسهم مزية غير مزية الشرف التى توصلوا بها شيأ فشيأ الى أن صار لهم فى عقول الناس تأثير قوى بحيث صارت جميع اوربا منقادة لهم وتقبل احكامهم وتأخذها قضية مسلمة فادعوا ان احكامهم وافتاآتهم تكون على كافة الناس لانهم رؤساء الدين وانهم معصومون من الخطاء فى الاحكام لانهم خلفاء مارى بطرس مع ان هذه الدعوى محض هوس ومخالفة لاصول دين النصرانية غيرانهم لما كان عصرهم عصر جهالة واهله قد طمست بصائرهم فيذعنون لكل ما يدعونه شيدوا على هذا الاساس مبانى دعواهم ووسعوا دائرتها جدا حتى صار امرهم عجيبا فكان ما يستقر عليه رأيهم فى المذاكرات القسيسية كأنه تنزيل من حكيم حميد ولم تكن شركتهم مقصورة على مثل هذه الامور من احكام وافتاآت وغير ذلك بل كانوا يعزلون الملوك ويرخصون للرعايا فيما يجب عليهم لملوكهم من الطاعة ويعطلون مصالح الممالك بحيث لم يكن فى اوربا مملكة الا واضطربت وتعكرت من اطماعهم ولا كرسى الا وارتج من افعالهم ولا سلك الا وتزلزلت اقدامه من شوكتهم

مطلب
كون اراضى البابات لم تكن كافية لتأييد افتاآتهم الدينية

ولم يبق للبابات فى تصيير كلمتهم نافذة بالكلية وتخريبهم للحكومات المدنية ليشيدوا حكومتهم على آثارها واطلالها الا ان يحصلوا شوكة دنيوية تكفى فى تعضيد احكامهم الدينية ولكن من سعادة البشر كانت اراضى البابات ضيقة جدا حين كانت احكامهم وافتاآتهم واسعة جدا حتى كان يظهر منها انها بلغت اعلى الدرجات فكانوا يرون من بعيد

أن يدخلوا تحت طاعة الباس سلم اليهم البابات زمام حكومة تحتهم و [illegible]
قد تصدوا عدة مرات لمناقضة اوامر البابا الذي كان يحكم [illegible]
يستعدون لاشهار السلاح بمجرد ما يظهر لهم نه يستحصل [illegible] لا تكون على
وفق مرادهم اوامر يعود عليهم بادنى ضرر لاجل الذب عن حقوقهم [illegible]
ثم ظهر في اثناء القرن الرابع عشر رجل يقال له نقولة [illegible]
النسب صاحب فتن ودسائس جامع بين الطمع [illegible]
الفتنة بين اهل رومة فصدرت منها جميع الاشراف [illegible] جمهور [illegible]
وانتخبوه رئيسا عليها وجعلوا له الكلمة [illegible]
اسرعا في ابطال هذه الحكومة الجديدة واعادة الحكم الاول وكان كلما وقعت
فتنة عادت بالضعف على احكام البابات [illegible] وشوكتهم [illegible]
طيش الاهالي وفتنهم وميل الاشراف الى الاستقلال سببا في حصر شوكة
البابات وتضييق حكومتهم فلما ظهر اغريغوار السابع ومن بعده من البابات
ارباب الطمع نجزوا ما عجز عنه سلفهم من المشروعات العظيمة التي جعلتهم
مخوفين عند سائر الملوك والامبراطورية ولم يكن ذلك ناشئا عن قوة عسكرية
فيهم ولا عن اتساع شوكتهم [illegible] عن خوف ملوك اهل اوروبا من [illegible]
في اديانهم وعن دسائسهم [illegible] و [illegible]
[illegible]

وقد [illegible]
[illegible] وبقوا [illegible]
هذه المشروعات [illegible] ى طور [illegible] فادل
بسياسته الخداعية [illegible] الاشراف [illegible] عليهم وجعل البابات
مستقلين بالاحكام في دولهم [illegible] فاضاف باكثر طمعه
الى التزامات البابا التي بايطاليا التزامات اخرى كبيرة فبذلك صار
البابات على التدريج ملوكا ذوي شوكة قوية حتى انهم في عصر
شرلكان كان لهم من الاراضي والالتزامات اكثر مما يملكونه في عصرنا هذا

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الثاني [illegible]

الكبرى ولا ينتظرون فى معيشاتهم الا ما يأتى لهم من الارقاف والصدقات التى يتبرع بها الاهالى فبادر الى قبول هذا الرأى وتعضيده والعمل به جميع من كان يعلم طمع القسيسين وبخلهم واجتهادهم على وجه مذموم فى تحصيل الثروة وتقوية الشوكة وذلك ان بارونات الرومانيين الذين ذاقوا ألم ظلم القسيسين وزهقت نفوسهم من شدة جورهم سارعوا الى العمل بمقتضى ذلك الرأى وشرعوا فى تخليص رقابهم من ربقة الاسر لما وجدوه من صعوبة الاسترقاق وثقله عليهم فبحثوا عن احياء ميت حريتهم القديمة بكونهم رتبوا مشورة السنت وخصوها بالكلمة النافذة وكانت قوة الاجراء والتنفيذ تارة تناط بواحد من اكابر اربابها وتارة باثنين منهم وتارة بحاكم لقبوه بلقب بتريس (وهو عند اهل رومة لقب لذى الفضل والشرف والواضع له قسطنطين)

(سنة ١١٤١)

فعند ذلك بذل البابات وسعهم فى تعطيل ما لحق حكومتهم وشوكتهم من التغلب والتعدى عليها حتى ان واحدا منهم لما رأى ان مجهوداته لم تجد نفعا ولا طائل تحتها لحقه من الغم ما افضى به الى الهلاك وتجاسر آخر على الهجوم على ارباب مشورة السنت مع جماعة متسلحة فجرح فى المعركة جرحا كان سببا فى حتفه فبذلك انحطت درجة البابات واضمحلت شوكتهم ومكثوا مدة مستطيلة واحكامهم محصورة فى حدود ضيقة جدا فى جميع الاماكن حتى فى مدينة رومة التى هى دار اقامتهم وضاق بهم الامر حتى لو ارادوا أن يجروا حكما فى قضية واهية من غير اطلاع مشورة السنت لصعب عليهم ذلك

مطلب
ابطال شوكتهم ايضا من الاهالى من (سنة ١٣٠٨) الى (سنة ١٣٧٧)

ولم يكن ابطال شوكة البابات ناتجا عن خصوص تعدى اشراف الرومانيين عليهم بل نتج ايضا عما سلكه الاهالى من الفتن والدسائس وذلك انه فى القرن الرابع عشر اضطر البابات الى أن يهاجروا من مدينة رومة ويجعلوا دار اقامتهم مدينة اوينون فمكثوا بها سبعين سنة وكان اهل رومة يرون انفسهم انهم من نسل اناس فتحوا جميع الاقطار وشرعوا فيها القوانين والاحكام فاستنكفوا

بعده لا يشتغل الا بنقض ما رتبه سلفه

ولما كان القسيسون ناشئين في الصلح ومتعودين من صغرهم على هذه السياسة التي امكن بها لديوان رومة أن يوسع دائرة حكومته الدينية ويحافظ عليها كان البابات يسلكون مسلك تلك السياسة [illegible] ينافي مصالحهم الدنيوية فكانوا مستعدين لان [illegible] بطرق الحيل والخداع اكثر من [illegible] البابات [illegible] يعتمد عليه في ذلك حتى ان القرن السادس عشر [illegible] رومة [illegible] اعظم مدرسة يتعلم فيها هذا الفن

وحيث كانت الوظيفة القسيسية لا تأذن للبابات ان يكونوا رؤساء جيوش ولا ان يحكموا بانفسهم العساكر التي في اراضيهم لم يكن [illegible] رعاياهم على حمل الاسلحة فكانوا لا يستعملون في جميع حروبهم سوى [illegible] الاجانب او للمدافعة عن انفسهم الا العساكر المستأجرة

ومن المعلومات ان الملوك الذين لا يعقبون ذرية [illegible] لا يهتمون بشأن المصالح العامة [illegible] في مملكة وما كانت مدة البابات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] باحداث [illegible] عند اهل رومة [illegible] عامة [illegible] كانت مملكة مارى بطرس (اى مملكة البابات) اقبح ممالك [illegible] بالادارة وردائة الحكم ولو كان في البابات انسان عفيف كريم النفس لا امكنه في مدة حكمه مداواة داء مملكتهم الذي نشأ من الادارة القسيسية وجبر ما لحقها من الخلل الذي اشرنا بها لكن بقي هذا الداء من غير

وكانت بلادهم فى الزراعة وكثرة الاهالى احسن مماهى عليه الآن وكان لهم غرامات وجرآئم على جميع اقسام اوربا فكانوا يفوقون بها على ما جاورهم من الممالك فى الثروة والغنى وكانت تجمل فى وسعهم التصدى الى مشروعات عظيمة وتسهل عليهم تنجيزها فى اسرع وقت

مطلب خلل حكومة البابات

ومع ذلك فكانت حكومة البابات فى الواقع صالحة لاجرآء الفتاوى والاحكام الدينية اكثر من صلاحيتها لاجرآء المصالح الملوكية وحفظ الشوكة الدنيوية فكانت قوانين حكومتهم فيما يخص المصالح القسيسية او الدينية ثابتة مستمرة لا تتغير فكان كل من تولى من البابات يجرى على سنن من قبله لان التربية والعوائد القسيسية كانت متسلطنة فيهم بحيث كانت طبيعة كل انسان منهم تذهب الى ما يوافق طبيعة الوظيفة القسيسية وكان كل شخص منهم يؤثر مصلحة طائفة القسيسين على مصلحته الخصوصية فهذه الوظيفة وان كانت تتغير الايدى القابضة على زمامها لم يكن يعتريها تغيير ولا تبديل فى كيفية جريانها فكانت الادارة القسيسية دآئما على نهج واحد بخلاف غيرها من الحكومات فانها كانت حينئذ مضطربة لا تستقر على حالة واحدة فى قوانينها وتدبيراتها وكان هذا الثبات وعدم التغيير هو منشأ نجاحها فى مشروعاتها العظيمة التى لا تصل اليها اطماع غيرهم من الناس

ولكنهم لم يسلكوا هذا المسلك المستقيم فى حكوماتهم الدنيوية بل كانت كغيرها من الحكومات الاخرى فى تغير المقاصد والمشروعات على حسب اغراض متوليها ومصالحه الخصوصية ولما كان من القوانين الجارية ان لا يتقلد البابا منصبه الا اذا طعن فى السن طعنا بينا كان ولاة هذا المنصب يتغيرون عاجلا ولا يمكثون الا مدة قصيرة فمن ثم كان وفر خزائنهم واهيا لا يضاهى غيره فى الحكومات الاخر وذلك ان كل من تولى من البابات كان يشتغل فى مدة حكومته القصيرة بمصلحة نفسه فكان لا يعلق آماله الا بما فيه منفعة نفسه وعائلته غير ملتفت لمصلحة العامة وفى الغالب كان من يتولى

وخصايصهم فنقول ان القوانين المشروعة في هذا الشأن هي اعظم [illegible]
من القوانين وان وظائف الشورى و[illegible] التشريع واجراء الاحكام كانت [illegible]
على وجه حسن بحيث تعد من ملح السياسة واما [illegible]
بالرعايا المنقادين للقوانين تحت الحكومة [illegible] الا [illegible]
ارستوقراطيه مشتملة على التعسف و[illegible] حيث [illegible]
بتمامها في قبضة عدد يسير من اعضاء الجمهورية [illegible]
وطانه

مطلب
عيوب [illegible] الجمهورية [illegible] باعتبار الترتيبات العسكرية

و[illegible] ان [illegible] الحكومة [illegible] [illegible] كانوا لا يأمنون رعاياهم ولم يأذنوا لهم في [illegible] وانما كانوا [illegible] على تعلم فنون التجارة والصنائع وكانوا يستخدمونهم في [illegible]
ولا [illegible] في العساكر التي كانوا يستأجرونها [illegible]
كانت مستأجرة من الاجانب وكانت [illegible] العساكر لا تعطى [illegible]
خوفا من أن يصير لهم في العساكر [illegible]
اذا [illegible] على الرياسة [illegible] عليهم عند انقضاء
الحرب أن [illegible] الجمهورية
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من المعلوم [illegible]
مشورة [illegible] في وقت الحرب [illegible]
يسميان عندهم باسم [illegible] الحرب [illegible]
الفلمنكيين في الاعصر الاخيرة وكانت وظيفتهما ملاحظة حركات رئيس
الجيش وملازمته في سائر افعاله

ومن المعلوم ان الجمهورية [illegible] هذه القوانين مدنية كانت

دولتهم وصار يأخذ في الازدياد من قرن الى آخر حتى ادى الى انقراض دولتهم
بعد تقدمها وازديادها

مطلب
الاثر الذي [illegible] البابات من جمعهم بين الشركتين الدينية والدنيوية

وكان في حكومة ديوان رومة امر غريب جدير بالتنبيه عليه
وهو انه لما كانت الرياسة الدينية والرياسة الدنيوية مجتمعتين في رئيس واحد
كانت تعين احدهما الاخرى في جميع المشروعات وكان بينهما من الاتحاد
والارتباط ما لا يمكن معه انفصالهما في الخارج بل ولا في الذهن فكان
اذا اضطر ملك ما كان الى معارضة البابا في مشروعاته الدنيوية من حيث
كونه ملكا دنيويا منعه من القدوم على ذلك ما هو قائم بنفسه من اعتقاد
وجوب احترامه حيث انه رئيس الكنيسة وخليفة عيسى (عليه السلام)
واذا اتفق انه قدم على المعارضة والمشاحرة كان ذلك مع اشمئزاز نفسه ونفورها
خشية ان تفضي به المعارضة الى الوغل في الاساءة والاذاية وكان اذا ظهر له
من البابا الذي ميل الى الصلح بادر اليه واجتهد في حصوله لان في الغالب يكون
هو الطالب له من اول الامر ولو كانت شروطه صعبة جدا وكان علم البابات
ارباب الطمع بهذه المنفعة هو الحامل لهم على التصدي الى مشروعات خارجة
بحسب الظاهر عن حد العقل فمن ثم كانوا يعتقدون ان سائر ممالكهم
الدنيوية في تحصيل من هذه المشروعات يمكنهم تحصيله مع السهولة والشرف
باحترام الناس لمنصبهم الديني ولكن لما كثر فيما بعد اختلاطهم وتداخلهم
في مشاجرات الملوك وفي حروب اوروبا سواء كان ذلك لانفسهم اولاعانة غيرهم
اخذ ذلك الاحترام في التناقص حتى اضمحل بالكلية وسقطوا من
اعين الناس كما ستقف عليه في عدة وقائع نذكرها في تاريخنا هذا

مطلب
في بيان قوانين جمهورية البنادقة ونشأتها وتقدمها

وكانت جمهورية البنادقة بعد البابا اقوى ممالك ايطاليا ارتباطا بسائر اوروبا
ولا يخفى ان انعقاد هذه الجمهورية كان في مدة اغارة الهونيين في القرن
الخامس وان تخت مملكتها كان موضوعا وضعا غريبا حيث جعلوه في الجزائر
الصغيرة التي في جون البنادقة وان صورة قوانين ادارتها كانت اغرب
من ذلك واذا لم نعتبر في حكومة البنادقة الا ما يتعلق بمصالح الاشراف

لتهيئ الاموال عنده ويبحث عمن يقرضه شيأ فلا يجد وجدت هذه الجمهورية
من يقرضها جميع ما تحتاجه بفائض يسير وهو خمسة على كل مائة
واما قوانين فلورنسة فكانت مباينة بالكلية لقوانين البنادقة لانه تسلطن
فيها عدم الضبط والفتن التي تنشأ بالعادة عن الحكومة الدمقراطية اي جمهورية
الاهالي بخلاف البنادقيين فكانت جمهوريتهم أرستقراطية اي منوطة
احكامها بالاشراف فهي صعبة لا ينشأ عنها ذلك ولكن كانت فلورنسة
تجارية لا حربية فان قوانينها كانت مساعدة للتجارة وكان اهلها يميلون
اليها بالطبع حتى ان كوم دومدسيس الاول ابلغ في الثروة درجة عالية
[illegible] بتجارته وكان كريم النفس سخي اليد ذا خصال حميدة
صار له شأن عظيم عند اهل بلاده وتأثير كبير عند ارباب مشوراتهم فبذلك
آل امره الى أن تقلد رياسة جمهورية فلورنسة من غير ان يحدث ادنى تغيير
بل ابقى الدواوين وجروعها تحت ادارة من كان عليها من الحكام المختارين
بتقدم عائلاتهم وشهرتها وكان ذلك على حسب الاصول الجارية عندهم
فلم تتغير صورة الحكومة الجمهورية ولم يخرجه ذلك عن كونه من آحاد
الاهالي
ثم انتقل الى ذريته من بعده جزء عظيم من شوكته وكانت حالة فلورنسة
السياسية في [illegible] القرن الخامس عشر عرضة [illegible] شوكة
حكامها [illegible] لان الاهالي يميلون بها
ويميلون اليها [illegible] حكومتهم جمهورية عظيمة
في التبجح بمزاياها ولكنهم ارتضوا العائلة المحصورة أن تتولى ادارة
مصالحهم وأن تجري الاحكام على وجه بحيث تكاد أن تكون مطلقة
التصرف حتى كأنها تقلدت بالشوكة الملوكية
ثم ان غيرة عائلة مدسيس وولع اهل فلورنسة بالتجارة سهلا على الجمهورية
أن تجعل قواها العسكرية موازية للقوى العسكرية في سائر دول ايطاليا
وكان اغلب عساكر هذه الجمهورية التي تستعملها في حروبها وغزواتها

او عسكرية لا تصلح لفتح البلاد وكانت لا تنجح هذه الجمهورية فى مشروعاتها الحربية مادامت رعيتها ممنوعة من حمل السلاح واشرافها محروسة من رياسة العساكر وكان ينبغى لها أن تتعظ من هذا الامر وتعلم ان الغرض الاصلى من الحكومة انما هو حفظ الدولة والامن العام غير ان الجمهوريات وكذلك الملوك هم دائما عرضة لتسلطن الطمع فيهم وتمكنه منهم فان جمهورية البنادقة نسيت عيوب حكومتها وقوانينها ولم تلتفت الى مداواتها وعلقت آمالها بالفتوحات ولكن النكبة التى حلت بها فى الحرب عقب عصبة كمبريه دلتها على انه لا تسلك امة اياما كانت مسلكا يخالف كيفية حكومتها وادارتها الا ويحل بها النكال والوبال

[illegible] — تنظيم دواوينها الحربية والبحرية

وقد استبان من ذلك ان شوكة جمهورية البنادقة لم تكن ناشئة من قوة العسكرية وانما ذلك من تجارتها ومهارتها البحرية وذلك ان هذين الامرين كانا خاليين من الغيرة والحسد وليس فيهما ما يعود بالضرر على الحرية وكان الاشراف متفرغين بكليتهم الى التجارة والخدمة فى السفن الحربية حتى دخلوا فى زمرة التجار والقبطانات وزادوا ثروة وطنهم بمهارتهم فى التجارة والصنائع ووسعوا دائرة حكومتهم بقوتهم البحرية

[illegible] — اتساع تجارتها

وصارت تجارات جمهورية البنادقة كبيرا لا ينتهى حتى ان جميع دول اوربا كانت تحتاج اليها وتأخذ منها بضائع البلاد المشرقية ومحصولات ما احدثته من الورش او اتقنته منها على وجه لم يوجد له نظير فى سائر ممالك اوربا وقد اكسبت هذه التجارة البارعة تلك الجمهورية اعانات جسيمة سترت عيوب قوانينها التى تقدم ذكرها وجعلت فى وسعها أن تقوم بمصاريف جيوش عديدة تكافى جيوش اعدائها بل ولا تكترث بجيوش اعظم ممالك اوربا حتى انها فى مدة الحرب الذى وقع بينها وبين الملوك الذين كانوا فى عصبة كمبريه جمعت من الاموال مبالغ جسيمة جدا خارقة للعادة بحيث لو وجدت فى عصرنا هذا لتعجب منها غاية العجب ففى مدة ما كان ملك فرانسا يقضى ما عليه من فائض ما كان قد اضطر الى اقتراضه بالربح فى كل مائة اربعون وفى مدة ما كان الايمبراطور مكسيمليان

ذات القوى [illegible] باب سمرعة [illegible] ثم مات كرلوس الثامن [illegible] نابلي

وقد وقع في القرن الثالث عشر مشاجرات [illegible]

ووراثة [illegible] حكومة نابلي [illegible] [illegible]

طويلة وذلك انه [illegible] [illegible] [illegible]

يقال له مانفرود [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

سرير مملكة نابلي [illegible] [illegible]

بل [illegible] عدم اعترافهم [illegible] [illegible] [illegible]

يحاول [illegible] قرية [illegible] [illegible]

الغرض على كرلوس قوة [illegible] [illegible]

نابلي وسيسليا [illegible] من [illegible] [illegible] كرلوس [illegible]

في مشروعه [illegible] وذلك ان [illegible] قتل في واقعة كانت بينهما

وجلس كرلوس على سرير المملكة وتركه [illegible] [illegible] هذا [illegible]

اكتسبه حيث افضى به الظلم الى ان امر [illegible] بقتل [illegible] [illegible]

آخر [illegible] وارث تاج الملك وقد [illegible] هذا الامير الشاب [illegible]

على [illegible] مقامه [illegible] شأنه بحيث [illegible] [illegible]

يستحق ان لا يعامل بهذه المعاملة [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] هذا الامير [illegible] [illegible] [illegible] ثم [illegible]

الاساقفة [illegible] المنصب الملوكي وهي قتل الامير كورادين على أن [illegible]

السلاح [illegible] على المملكة [illegible] [illegible]

والمشاجرات بين [illegible] اراغون [illegible] في شأن [illegible] نابلي وبقيتا على [illegible]

نحو قرنين وفي اثناء [illegible] المشاجرات وانقش [illegible] بالخطايا والمآثم

التي لم يذكر مثلها المؤرخون في شأن مملكة اخرى [illegible] نابلي

(سنة [illegible])

من العساكر المستأجرة التى كان يأتى بها اليهم الرؤساء الايطاليانيون الذين تقدم ذكرهم بل كانت هذه الجمهورية تأخذ من هؤلاء الرؤساء على طرفيها

مطلب في قوانين مملكة نابلى

وكانت الحكومة الالتزامية فى مملكة نابلى التى اضيف اليها حكم جزيرة سيسليا كغيرها من حكومات ممالك اوربا فى العيوب والاختلال ثم زادت عيوبها وكثرا اختلالها كثرة بالغة لا تطاق بما حصل لهذه المملكة من الفتن الشديدة والتقلبات العديدة ولما كانت وراثة هذه المملكة مضطربة لا تثبت على حال واحد كان كرسيها فى الغالب مشغولا بملوك اجنبيين ورال ما كان فى قلوب اشرافها لعائلات ملوكهم من الارتباط والاحترام اللذين حصلت بهما المدافعة فى كثير من الممالك الالتزامية عن الحقوق والمزايا الملوكية وحمايتهما من تعسفات البارونات وزيادة على ذلك كان من يدعى ان له حقا فى تاج المملكة ويطمع فى حيازته يراعى اعراض من يحتاج اليه من البارونات الذين يرى ان اعانتهم له امر ضرورى لابدله منه فيزيد فى خصايصهم ومزاياهم هبات وافرة واقطاعات واسعة ويعينهم على مظالمهم الجائرة حتى ان الملك المتولى لا يمكنه أن يزيد شوكته او ينقص شوكة الاشراف الامع الخطر والمجازفة لوجود من ينازعه فى منصبه ويدعى استحقاق التاج الملوكى

فبمثل تلك الاسباب صارت مملكة نابلى اكثر ممالك اوربا فتنا وتقلبات وصار ملوكها اقل الملوك شوكة نعم ان الملك فرديننده الاول الذى كان تولى الحكم (سنة ١٤٦٨) اخذ فى اسباب خفض الاشراف واذلالهم على التدريج ثم جاء ولده من بعده فظن انه يمكنه اذلالهم من اول وهلة مرة واحدة فاهلك اقوى البارونات شوكة واعلاهم كلمة معتقدا ان ذلك يسهل عليه تنفيذ غرضه وتجاسر على ارتكاب هذا الفعل السيء الذميم الذى تكلم عليه المؤرخون ولم يترتب عليه ما كان يأمله من اذلالهم بل كان سببا فى اضطرام نار غضب الاشراف وشدة غيظهم وتقوية شوكتهم وعظم هولهم حتى ينبغى ان يكون

فرديناند وورثه ابنه شرلكان في مملكة [illegible] وممالك اسبانيا وحقه في مملكة نابلي
وان لم يكن خاليا بالكلية عما يوجب المنازعة والمعارضة الا انه لا اقل من
مساواته لحق الفرنساوية فيها

مطلب
حالة سياسة دوقية
ميلان

ثم ان دوقية ميلان لم يكن في قوانينها وترتيباتها السياسية شيء جدير بالذكر هنا
غير انه لما كانت وراثة هذه [illegible] هي السبب في اغلب الحروب التي
حصلت في بلاد ايطاليا [illegible] وجب الوقوف على [illegible]
المشاجرات والمنازعات [illegible] الحكومة [illegible]

مطلب
المشاجرات التي
حصلت في [illegible]
وراثة دوقية ميلان

انه في مدة المشاجرات الطويلة التي سكنت فيها [illegible]
منشأها حزبي [illegible] وجيبلين [illegible] عائلة ويسكونتي
نفوذ الكلمة عند اهل ميلان وذلك ان هذه العائلة لما كانت مرتبطة
بالحزب الامبراطوري وهو حزب جيبلين [illegible] الامبراطور على تعيينها
في خدمته بمنصب النيابة عنه في بلاد ايطاليا وجعل [illegible]
وانعم عليها امبراطور آخر حيث جعلها دوقية [illegible] ميلان وقطع
لها اراضيها التزاما متوارثا ولما [illegible] فرانسا [illegible]
بحكومته من [illegible] العديدة [illegible]
ما كان محتاجا اليه [illegible]
[illegible]
[illegible]
ويسكونتي [illegible]
السادس الذي لم يكن له [illegible]
(ولنتينة) التي [illegible]
عائلة ويسكونتي تزول الى [illegible]
ماري (سنة ١٤٤٧) وهو آخر الورثة من عائلة ويسكونتي ادعى هذه الدوقية
بعده جماعة يزعم كل منهم ان له الحق في وراثتها فادعى كرلوس دوق اورليان
ان له الحق فيها بموجب وثيقة نكاح امه ولنتينة ويسكونتي واظهر الفونس

دا آثار ما بين هراء هاتين العائلتين المتعاديتين ثم استقر الكرسى
بعد انقضاء حروب عديدة وبلية سفكت فيها دماء كثيرة لعائلة اراغون
ثم انتقل الى فرع زناء من فروع تلك العائلة

ولكن مادامت ذرية ملوك عائلة أنجو باقية لم تنقرض وتطلب حقها
فى مملكة نابلى ثم بعد فوتة مينة ورونسه الذى هو وارث تلك العائلة انتقل
الادعاء وطلب الحق فى تلك المملكة للويز الحادى عشر ومن بعده من ملوك
فرانسا فجاب كرلوس الثامن جبال ألبه كما اسلفناه قائدا جيشا جرارا عازما
على اثبات حقه فى المملكة المذكورة وكان هذا الجيش اكثر قوة وعددا
من الجيوش التى استعملها غيره من الملوك الذين ورث عنهم هذا الحق ومن
المعلوم ان نجاحه فى تلك الغزوة كان على وجه السرعة وكذلك قصر مدة
استيلائه على المملكة وذلك ان افردريق وهو وارث فرع الرباء من ملوك
اراغون عاد عاجلا الى الكرسى الذى طرده منه كرلوس الثامن فحزب كل
من لويز الثانى عشر ملك فرانسا وفرديننده وكان من عائلة أراغون لاسباب
اسبانية على افردريق لكن كل منهما يرى هذا الملك انما استولى على
مملكة نابلى بمحض التعدى والغصب واتفقا على اقتسام المملكة بينهما
فلما رأى افردريق انه لاطاقة له على مقاومة هذين الملكين المتحزبين عليه
لكونهما اقوى منه تخلى لهما عن مملكة نابلى فبعد أن كان لويز
وفرديننده متفقين ومرتبطين ببعضهما لاجل فتح تلك المملكة وقع بينهما
الفشل والشقاق عند اقتسامها واستحالت معاهدتهما عداوة وترتب
على هذا الشقاق الحرب بينهما وقد أظهر فى ذلك الحرب رجل يقال له
غونسلودوكوردو معارفه العسكرية التى قل أن يوجد مثلها وبها استحق
لقب الجنرال الاعظم فجرد الفرنساوية عن سائر ما كان لهم فى مملكة نابلى
وجعل فرديننده ملكا عليها من غير منازع ولكن كان نجاح الجنرال المذكور
مبنيا من بعض الوجوه على المخادعة والخيانة التى لاتصدر الا من كل جبان
وتضيع حسن السيرة مادامت متذكرة ومرسومة فى الاذهان ثم بعد موت

ادعاء كل من فرانسا واسبانيا المملكة نابلى

(سنة ١٤٩٥)

(سنة ١٥٠١)

فرديننده

القوى الشوكة سلبت منه الدوقية المذكورة في زمن قليل وتقلد منصبه لويز الثاني عشر ودخلها باحتفال وموكب عظيم واما لودوريق فمن قليل من الزمان خانه السويسريون الذين كانوا مستأجرين عنده في العسكرية واسروه وبعثوه الى فرانسا فحبس في قلعة لوش ومات في الحبس من غير أن يرثى احد لحاله

ولكن حصلت واقعة من الوقائع الحربية التي [illegible] ترتب عليها انقلاب مكسيميليان سفورس [illegible] على الدوقية [illegible]

(سنة [illegible])

ولكن كان فرنسيس الاول الذي خلف لويز الثاني عشر على فرانسا من الكبر والطمع بحيث لم يرض نفسه أن يترك [illegible] دوقية ميلان فبمجرد جلوسه على كرسي فرانسا ذهب لأخذ الدوقية المذكورة وكانت حقه فيها اقرب للحق والحلال من الحقوق التي كان يدعيها غيره في هذه الدوقية ويعارضه بها

ولا فائدة في الكلام على كيفية حكومة جنوة ولوقه وبرمه ومودين وغيرها من الدول الصغيرة بايطاليا وان كانت احداثها تذكر في تاريخ [illegible] كان لانها كانت ضعيفة الشوكة واما ما حصل فيها من الوقائع والفتن فلم يكن من نفسها وانما الاولى أن ينسب ذلك الى الدول الذين اغاروا عليها [illegible] عنها الا الحكام [illegible] من سياساتهم وآرائهم

مطلب في [illegible] اسبانيا وحوادثها

واما اسبانيا [illegible] انما هي المملكة [illegible] من المهم معرفة قوانينها السياسية معرفة تامة لاجل الوقوف على حقيقة اسباب الحوادث التي حصلت في حكومة هذه المملكة ومناسبتها لبعضها فنقول

مطلب فتح الوندالين لبلاد اسبانيا

ان الوندالين والقوطيين الذين دمروا دولة الرومانيين وازالوا شوكتهم من بلاد اسبانيا رتبوا في هذه البلاد كيفية جديدة في حكومتها حيث ادخلوا في تلك البلاد عوائد وقوانين تشبه بالكلية العوائد والقوانين التي ادخلتها

ملك نابلي وثيقة تشهد له بان له الحق فيها بموجب وصية فيليبش ماري له بها وقال الامبراطور حيث انقرضت سلسلة الذكور من عائلة ويسكونتي وجب ان ترد هذه الدوقية لمالكها الاصلي فتضم الى الامبراطورية لكن لما كان اهل ميلان يميلون الى الحرية لانها كانت منتشرة في سائر دول ايطاليا لم يرضوا بواحد منهم وجعلوا حكومتهم جمهورية

ولكن في اثناء تداعي هؤلاء الملوك وتنازعهم في وراثة هذه الدوقية صار ما كانوا يتنازعون فيه غنيمة لرجل لم يكن يتوهم فيه انه يصدر عنه منازعة في هذا المعنى وذلك أن باكس سفورس بعد ان كان من آحاد الفلاحين صار بمعارفه وشجاعته من اعظم الرؤساء الايطاليانيين واقواهم شوكة وامتيازا كان له ولد من الزناء يقال له فرنسيس سفورس خلفه من بعده على رياسة الطائفة الطغشونية التي كانت تحت لواء ابيه وتزوج ببنت من زناء آخر دوقات ميلان فبنى على هذا الاصل الواهي مازعمه من ان له حقا في دوقية ميلان ومازال يعضد دعواه بقوته ومهارته العجيبة حتى استولى على كرسي هذه الدوقية وصار يسلك في احكامه فيها مسالك الحكمة والحزم حتى أنسى اهل ميلان أن حقه فيها كان واهيا ثم انتقلت بعده لابنه ومنه الى حفيده من غير أن يمارضهما احد في ذلك الا ان الاخير قتله اخو جده المسمى لودوويق وكان يلقب بالقب مور وتغلب على دوقية ميلان واثبت حقه فيها بتقليده بها من الامبراطور مكسمليان (سنة ١٤٩٤)

وكان لويز الحادي عشر يميل الى ما كان فيه اذلال اقاربه من الامراء ويستحسن من فرنسيس سفورس معارفه السياسية فمن ثم لم يأذن لدوق اورليان أن يسعى في اثبات حقه في دوقية ميلان وزيادة على ذلك حصل بين لودوويق مور وكرلوس الثامن ملك فرانسا ارتباط اكيد مكث معظم مدة هذا الملك فبقيت حقوق عائلة اورليان موقوفة فلما استولى لويز الثاني عشر دوق اورليان على مملكة فرانسا اشتغل باحياء حقوق عائلته في دوقية ميلان ولم يكن في وسع لودوويق المذكور مقاومة هذا الخصم

اضعفت جزأ من قواهم العسكرية ونقصت حميتهم الحربية
كانوا شجعانا ولم يزل عندهم من الوسائط ما يكفيهم حتى انه
ما في تواريخ اسبانيا مضت ثمانية قرون وهم في حروب متتابعة
عها ثلاثة آلاف وسبعمائة ولم يحصل أن ادنى ممالكهم انقادت

مطلب
انضمام ممالك اسبانيا الى بعضها (سنة ١٤٩٢)

فتوحات النصارى لبلاد اسبانيا ثانيا واخذهم لها من ايدى المسلمين
زمنة مختلفة وكانت من رؤساء عديدين استبد كل منهم بمملكة
لاد مستقلة عما عداها من مجموع البلاد التى اخذوها من اعدائهم
رت اسبانيا منقسمة الى ممالك كثيرة عن بعضها بقدر ما كان فيها
م وصار كل ملك يختار له مدينة عظيمة من مدنها ويجعلها دار
ظهر فيها ابهة المنصب الملوكى ثم بعد عدة سنين بواسطة التغيرات
عادة عن الزواج والوراثة والفتح آل امر تلك الممالك الصغيرة
ت الى المملكتين القويتين وهما مملكة كاستيلة او قسطيلة ومملكة
تزوج فردينند ملك اراغون بالملكة ايزابيلة التى ارتقت الى كرسى
ليلة بحب الرعية فيها فبذلك انحصرت ممالك اسبانيا كلها
حدة

مطلب
بقاء قوانين اسبانيا وعوائدها القديمة مع ما حصل فيها من التغيرات (سنة ١٤٩٢)

لوقت شرعت قوانين اسبانيا السياسية في أن تكون لها كيفية
[illegible] لا تتغير [illegible] ولم [illegible] حقيقية [illegible] نقدم
عوائدها بيانا شافيا فنقول انه مع ما حصل فيها من التقلبات
المشاق الغريبة التى كابدتها مدة مديدة تحت امر الاسلام لم تتغير
داخلها الونداليون والغوطيون من العوائد والاخلاق لما انها
كت من قلوبهم ملائمة بالكلية لحكومتهم حتى انه في جميع الاقاليم
ها النصارى من ايدى الاسلام كانت احوال الناس وكيفيات
سياسية باقية على حالة قريبة مما في غيرها من اوربا وذلك أن العوائد
كانت على الاراضى كان معمولا بها وكانت الاقضية والاحكام

مطلب
يخ اغارة العرب
فى اسبانيا وهو
(سنة ٧١٢)

القبائل المنصورة الشمالية فى باقى بلاد اوربا فمعما قليل تكاملت الحالة التمدنية عند سكان اسبانيا المستجدين بصعودها و تقدمها على التدريج كما حصل فيما عداها من البلاد الافرنجية ولكن اغارات العرب على تلك البلاد اوقفت على حين غفلة هذا التقدم و التكامل ولم يمكن للغوثيين مقاومة هؤلاء الامم الذين تقوت شجاعتهم بالحمية الدينية فتغلبوا على مملكة اسبانيا فى اسرع وقت كما هو عادتهم فى غزواتهم وادخلوا باستيطانهم فيها دين الاسلام واللسان العربى و الاخلاق المشرقية والتولع بالفنون والرفاهية و الزينة التى كان الخلفاء الاسلاميون شرعوا فى استعمالها فى دولتهم

ثم ان من ابى من اشراف الغوثيين أن ينقاد للعرب الفاتحين فرالى جبال أستوريس واستوطن بها لانها صعبة المرتقى فلا يمكن الوصول اليها ورضوا أن يعيشوا فيها على دين النصرانية وحكومة قوانينهم القديمة وانضم اليهم عدد عظيم من ابطال ابناء اوطانهم وتحزبوا جميعا احزابا صغيرة كانت على حين غفلة تغير على قبائل العرب القريبة منهم ولكن كان قصدهم بتلك الاغارات القصيرة العديدة انما هو مجرد السلب و النهب والانتقام لا فتح بلادهم واستعمارها ومع ذلك فما زالت تتقوى قوتهم وتتسع مقاصدهم شيأ فشيأ ورتبوا بينهم حكومة منتظمة وعزموا على توسيع اراضيهم واستمروا على تلك الاغارات مع حمية دينية تتزايد وتتقوى دائما بغيرتهم على دينهم وتلهفهم على الانتقام وتعلق آمالهم بانقاذ بلادهم من الظلم والجور فكانوا اذا شرعوا فى شئ يسلكون فيه مسلك الشجاعة التى هى من شأن من لا شغل له الا الحرب والقتال ولا معرفة له بما يزيل ثبات القلوب او يفسدها واما العرب فكانوا على خلاف ذلك فقد فقدوا بالتدريج كثيرا من الوسائل التى كانت سببا فى نجاحهم وذلك انهم استقلوا بالكلية عن خلفائهم واهملوا المراسلات المتتابعة بينهم و بين ابناء وطنهم بافريقة وكانت سلطنتهم فى اسبانيا منقسمة الى عدة ممالك صغيرة و بالجملة فالفنون التى كانوا يمارسونها واكسبتهم الرخاوة

مطلب
اختلاف احكام اسبانيا وقوانينها

ومع ان الحكومة الالتزامية مع جميع قوانينها الخاصة بها كان معظمها باقيا فى مملكتى قسطيلة واراغون وما يتعلق بهما من الممالك كان يوجد فى الاحكام السياسية بهذه الممالك المختلفة خصوصيات تميزها عن غيرها فكانت الخصايص والمزايا الملوكية ضيقة جدا فى جميع الممالك الالتزامية وكانت فى اسبانيا اضيق منها فى غيرها بحيث ان الملك لم يكن له من المزايا والخصايص الا شوكة صورية واما مزايا الاشراف فكانت متسعة جدا

مطلب
كون مزايا الملوك دون مزايا الاهالى

بحيث يكاد ان يكونوا على غاية من الاستقلال واطلاق التصرف وكان للمدائن مزايا وخصايص عظيمة جدا فكان لها مدخلية كبيرة فى مشاور العموم الاهلية وكانت تبحث عما يكون به اتساع شوكتها اكثر مما كانت عليه ففى هذه الحالة كان امر السياسة غير منظوم وكانت قوانين الممالك لا تناسب بينها الا فيما ندر فكانت بذلك مملكة اسبانيا عرضة لفتن داخلية اخطر من الفتن والتقلبات التى تنشأ عادة عن عدم الانتظام فى الحكومات الالتزامية ويدلك على صحة ذلك تاريخ اسبانيا فانه لما خرج المسلمون من تلك البلاد وامن اهلها خطرهم لعدم مباشرتهم اياهم اخذوا فى اضرام نيران الفتن التى كانت تلايمها كيفية حكومتهم وصاروا دائما مستعدين للقيام على ملوكهم والخروج عن طاعتهم وايذائهم وهتك حرمة مقامهم ومثل هذه الفتن توجد فى تاريخ اسبانيا اكثر من تواريخ الممالك الاخرى وكان فى [illegible] آراء عدلى تطلب حقوق الرعايا واخرى تعضد مزايا الاشراف ولم يكن يوجد لهذه الآراء نظير فى باقى ملل اوربا

مطلب
براهين تؤيد المحو السابقة
(سنة ١٤٦٢)

لقد اتفق انه فى امارة قتالونيا التى كانت منضمة الى مملكة اراغون قام الرعية على ملكهم يوحنا الثانى معتقدين انه ظلمهم وشهروا اسلحتهم عليه لينتصفوا منه ونقضوا مبايعته واعلنوا انه وذريته ليسوا اهلا للجلوس على سرير المملكة وارادوا ان يرتبوا فى قتالونيا حكومة جمهورية ليأمنوا على ما تعلقت به آمالهم من التمتع بالحرية على الدوام

باقية على ما كانت عليه وكذلك مزايا الاشراف وخصايصهم ولم تزل
مشورة العموم باقية على شوكتها وكان لحفظ القوانين الالتزامية في بلاد
اسبانيا عدة اسباب وان كاد يظهر ان فتح العرب لتلك البلاد لم يبق منها شيأ
وبيانها ان جميع اهل اسبانيا الذين فروا من اسر المسلمين استمروا متمسكين
بعوائدهم القديمة وكان الحامل القوي لهم على ذلك بغضهم للعرب وشدة
نفرتهم منهم لاضياعهم تلك العوائد لان اصول حكومة العرب وقواعد
احكامهم فيما يتعلق بالاراضي مخالفة بالكلية لقوانين الالتزامات التي كانت
عند هؤلاء النصارى بل من دخلوا تحت اسر الاسلام ورضوا بان يكونوا
رعية للمسلمين لم تبطل من عندهم القوانين القديمة بالكلية وذلك ان اهل
الاسلام رخصوا لهم ان يبقوا على دين النصرانية ويعملوا بقوانينهم القديمة
المتعلقة بالاراضي ويستمروا على ما كانوا عليه في المحاكم من الاقضية
والاحكام ويسلكوا في الغرامات المسلك الذي كانوا عليه اولا فاهل الاسلام
دون غيرهم من ارباب الحكومة هم الذين جمعوا بين الغيرة على ادخال الناس
في دين الاسلام والترخيص لهم في البقاء على دينهم الاصلي فتراهم اذا طلبوا
اسلامهم لترويج دائرة الاسلام ونشره في الاقطار يأذنون لمن لا يرضى
الدخول ان يبقى على ما كان عليه من العقائد والعبادات فبقاء تلك العوائد
والقوانين القديمة في اسبانيا مع ما حصل فيها من الاخطار الجسيمة والاهوال
العظيمة التي نشأت عن فتح المسلمين لها واستمرارها مع ظهور دين جديد
وترتيب حكومة جديدة ليس ذلك ناشئا الا عن هذه المزية الغريبة المختصة
بالمسلمين ومن رغبتهم في استمالة من ظهروا عليه الى حكمهم ويظهر
من ذلك ببادئ الرأي انه بمثل هذه الاسباب يسهل على النصارى
اعادة اخلاقهم وعوائدهم وقوانينهم الى ما كانت عليه سابقا في سائر
اقاليم اسبانيا التي انقذوها بالتدريج من اسر المسلمين لاسيما وكان اغلب
اهل اسبانيا باقين على تولعهم بعوائد اسلافهم واحترام شرائعهم
فكانوا لا يتمنون الا رجوعها الى قوتها القديمة وأن ينقادوا اليها

والقرى التي هم بموجب ما ذكر في قوانين ارغون كان لهم حق الحضور
في تلك المشورة لا عن حدوث بل من ابتداء ترتيب قوانين المملكة [illegible]
مرتبة القسيسين وهي مرتبة من اعيان الكنيسة وبعض رؤساء
من المرتبة القسيسية الدنيا وكان لا يثبت حكم في هذه المشورة الا برضى
كل واحد من اربابها ممن له الحق في الحضور فكان لا يمكن وضع قوانين
ولا اشهار حرب ولا عقد صلح ولا ضرب معاملة ولا تغيير شيء في المعاملات
المتداولة الا باذن تلك المشورة التي كانت لها ايضا الحق في تحقيق الدعاوى
والاقضية التي كان يحكم بها في جميع المملكة [illegible]
وتبطل ما يكون مخالفا للاصول وكل من له ظلامة او شكوى كان يعرض
امره لهذه المشورة ويطلب الانصاف لا على سبيل الترجي والتذلل بل على سبيل
كون الانصاف من الحقوق الطبيعية الثابتة لكل انسان حتى روي ان
ارباب تلك المشورة كانوا منوطين بالمحافظة على حرية الرعايا فيجب عليهم
البحث عن تنجيز ما يقدم لهم من طرف الرعايا وكانت هذه المشورة تعقد قرونا
وهي تجتمع في كل سنتين مرة ولكن في ابتداء القرن الرابع عشر تجددت قوانين
بها عقد انها لا تكون الا كل سنتين ولما كانت تنعقد المشورة المذكورة كان
لا يمكن للسلطان تأخير اجتماعها ولا فسخها الا برضى اربابها وقد كانت مدة
انعقاده اربعين يوما

وظيفة [illegible] الاعظم

ثم ان اهالي مملكة ارغون [illegible] الموانع
الكبيرة التي تمنعها عن تعدي [illegible] في حفظ حريتهم
بمجرد اهتمام المشاور المرتبة عندهم وتدقيقها وان كانت مشابهة لمشاور
الديت (اسم موضوع لمشورة وكلاء الدولة في المانيا و پولونيا واسوج)
ومشاور (ليزيتا) ودواوين (البرلمان) التي يأتمنها غيرهم من الامم المنقادين
للحكومة الالتزامية بل رتبوا ترتيبا خاصا بهم لا يوجد عند غيرهم من الامم
فانتخبوا قاضيا عظيما وسموه باسم جوستيزا وكانت وظيفته مشابهة
لوظيفة القضاة المسمين (ايفوره) وهم قضاة (اسبرطة) من قديم الزمان فكان

وحصل قريبا من ذلك الوقت ان اشراف قسطيلة قاموا ايضا على ملكهم هنرى الرابع ابغضهم ادارته وعدم حزمه وزعموا ان من جملة خصايصهم ومزاياهم التى لا تنفك عنهم كونهم لهم الحق فى ملاحظة افعال الملك والحكم عليه اذا وقع منه خلل ولاجل اشهار هذا الحق بين الناس طلبوا من جميع احزابهم ان يجتمعوا بمدينة آويله وبنواميدانا واسعا فى بطحاء خارج اسوار هذه المدينة ووضعوا فيه تمثالا على صورة هنرى الرابع جالسا على الكرسى وعليه حلة الملك وعلى رأسه التاج وبيده قضيب الملك متقلدا بسيف العدل ثم قرأ واحد منهم باعلى صوته ما كانوا يتهمون به هذا الملك وصدور الحكم بعزله فى هذا المحفل العام ولما قرئ اول بند من جرنال التهمة تقدم مطران مدينة توليدة (مدينة طليطلة) ونزع التاج عن رأس التمثال وبعد قرآءة البند الثانى تقدم قونتة دابرانسه وجرده من سيف العدل وبعد قرآءة البند الثالث تقدم قونتة بنيوانته ونزع من يده قضيب الملك وبعد قرآءة البند الاخير تقدم الامير دبجو لوبيس الى التمثال والقاه من فوق الكرسى على الارض واعلنوا حين سقوطه بتنصيب الامير ألفونس اخى هنرى على مملكتى قسطيلة وليون

ولا شك ان رؤساء تلك الفتنة مهما بلغت جسارتهم ما كان يمكنهم فعل مثل ذلك على هذا الوجه لو كانوا يعلمون ان الاهالى يعارضونهم فى هتك حرمة المرتبة الملوكية وان الشرائع الموجودة فى حكومة قسطيلة وفى أراغون لم تسوغ للناس استحسان مافعلوه والرضى به

ثم ان حكومة أراغون وان كانت حكومة ملوكية الان قوانينها واصولها كانت جمهورية محضة وذلك ان الملوك مكثوا زمنا طويلا وهم يولون على سبيل الانتخاب فلم يكن لهم من الشوكة والقوة الا خيالها ووهمها وكانت الشوكة والسلطنة الحقيقية للقرطس (وهى مشورة وكلاء المملكة) التى كانت مركبة من اربع مراتب مختلفة (الاولى) رتبة اشراف الدرجة الاولى (الثانية) رتبة اشراف الدرجة الثانية (الثالثة) وكلاء المدن

[illegible] الملوكية [illegible] لا يكون نفوذ التصرف

في الرعية وكانت تلك [illegible]

[illegible] الاعظم حين المبايعة [illegible]

لكن [illegible]

فان [illegible]

و[illegible] الترتيب [illegible]

[illegible]

[illegible]

الشكل [illegible] عظيما و[illegible] ف[illegible] متقدمات

[illegible] كانت [illegible]

خلال ذلك [illegible] حقوق غيرهم [illegible]

منها الى [illegible] اكثر خصوصيات [illegible] التي مملكتهم يسترشدون بها في [illegible]

اسباب السعادة

واما مملكة قرطاجنة فكانت على نمط غريب في شكل حكومتها تميزها عن

غيرها من الممالك [illegible]

التجربة [illegible]

من خصوص [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] قوانين ترتيب حكومته [illegible]

كان [illegible] شورى [illegible]

فانحط عليه رأى الجمهور وهو الذى يكون عليه العمل [illegible] الحرب وفى دفع

الجرائم والغرامات وانشاء القوانين وابطال المظالم وكانت عادتهم

ان لا يتذاكروا فى شان الامدادات والمساعدات التى يطلبها الملك من الرعية

الا بعد تقديم المصالح التى كانت تخص المنفعة العمومية علاوة على [illegible]

هذا القاضى ناصر الرعية وظهيرها وملاحظا للملك فى افعاله ومفتشا عليه وكان محترما عندهم وكانت شوكته واقتداره لا ينحصران فى حد فكان فيهم فاعلا مختارا وكان اعظم ترجمان لقوانينهم وشرائعهم اى المفسر لها والمفصح ابهم عنها وكان من دونه من القضاة يرجعون كلهم اليه بل وكذلك الملوك كانوا يضطرون الى مراجعته عند الشك والتوقف فى الاحكام ويتبعون ما يحكم به من غير امتحان ولا بحث فيه وكانت تعرض عليه ايضا الاقضية والاحكام التى تصدر من القضاة الملوكيه ومن القضاة الموجودين فى الاراضى الالتزامية التى تحت حكم الامراء البارونيين وكان يمكنه ان يطلب رفع جميع الدعاوى اليه ولو لم ترفع اليه وأن يمنع القضاة المعتادين من كونهم ينظرون دعاوى عندهم بل كان يستخبر عن الدعاوى فى اسرع وقت وينقل المدعى عليه الى حبس الدولة المسمى باسم مانفستيون وكان لا يدخل احد فى هذا السجن الا باذنه وكان له ايضا قوة علمية تخيرية فعالة فى شأن تعيير الحكومة بقوته الثابتة فى شأن اجراء الشرائع والاحكام ومن خصايصه وشئونه ايضا انه كان له التفتيش والبحث عن سلوك جميع الناس ولو الملك وكان له ايضا الحق فى البحث عن احكام الملك واوامره وينظر هل هى موافقة الشرع بحيث يجرى العمل بها ام لا وكان من جملة حكومته الخاصة به انه يجوز له ان يمنع وزراء الملك من اجراء المصالح وأن يجبرهم على ان يخبروه بتدبيرهم واما هو فلم يكن يخبر باعماله احدا الا مشورة (اليزيتا) اى مشورة وكلاء المملكة فكان يفيدهم كيفية توفيته بوظائفه التى هى اهم وظائف اتمن عليها انسان فى ملته

ولاشك ان تلك الخصوصيات التى كانت لمشورة أراغون والحقوق التى كان يتمتع بها هذا القاضى تدل على انه لم يكن للملك من القدرة والشوكة الا شئ واقل من ذلك أن الملك كان يتراآى منها انها ما بذلت جهدها فى محاولة تلك المسالك لتظهر للملوك عجزهم ومع ان مبايعة الملوك يلزم ان تكون مع غاية التعظيم والتبجيل والخضوع سلك اهالى أراغون مسلكا آخر حيث انهم

الشوكة
محدودة

وتعاظم كبير فى انفسهم بحيث ان اكابرهم كانوا يعدون من جملة مزاياهم كونهم يسترون رؤسهم فى حضره الملك على خلاف العادة الافرنجية ولا ينزعون البرانيط عند الدخول عليه ويدنون منه كانهم اقرانه لا رعاياه

واما سياسة الممالك الصغيرة التى كانت من تعلقات مملكة قسطيلة ومملكة أراغون فكانت سياسة كل مملكة منها [illegible] تكون بمثل سياسة المملكة المنسوبة اليها من هاتين المملكتين فكان الاشراف فى [illegible] الممالك الصغيرة محترمين جدا اولى حرية واستقلال وكان المدن منها [illegible] عظيمة جدا ومزايا كثيرة

ومن لاحظ حالة اسبانيا وامعن النظر فى [illegible] الحوادث المختلفة التى وقعت فيها على التعاقب منذ [illegible] المسلمين الى زمن صيرورة ايالاتها مملكة واحدة تحت حكومة [illegible] بعد ان كانت منقسمة الى ممالك مختلفة عرف بالسهولة جميع اسباب النوادر المخصوصية التى ذكرناها لحكومة هذه المملكة ووقف على اصولها

ثم ان اهل اسبانيا لم يتوصلوا الى تخليص اراضيهم من ايدى الاسلام الا على التدريج مع غاية التعب [illegible] الحروب التى حصلت [illegible] من [illegible] من الاشراف تحت [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

و[illegible] واضيهم

وفى [illegible] الحروب [illegible] مع العرب [illegible] اسبانيا الى [illegible] باسرائهم [illegible] من [illegible] هؤلاء الاشراف [illegible] وأن يكونوا من حزبهم ولذلك صاروا يمنحونهم عطايا متتابعة ومزايا جديدة فكان [illegible] بمجرد استيطانه فى اقليم يؤخذ من ايدى الاسلام [illegible] بين امراء البارونية معظم اراضيه ويقلدهم زيادة على ذلك

ماشرعوه من القوانين للمصلحة العامة وبنظمها في سلك الشرائع المعول عليها

والظاهر ان مدخلية وكلاء المدن في مشورة قسطيلة كانت ثابتة لهم من قديم الزمان وانهم كانوا قد اكتسبوا في اسرع وقت درجة عظيمة من الصولة والسطوة ونفوذ الكلمة وقت أن كانت قدرة الاشراف في الممالك الأخر ونحوقتهم كاسفة لنورانية بهجة من عداهم من طوائف الاهالي على اختلاف مراتبهم وكان عدد وكلاء المدن كثيرا بالنسبة لعدد الطوائف الاخرى فبذلك كان لهم نفوذ كلمة في الدولة وبهذه الحادثة الآتية يمكن معرفة درجة اعتبارهم في المملكة وهي انه عند موت الملك يوحنا الاول ترتبت مشورة نيابة تحكم المملكة مدة قصور ولده حتى يبلغ رشده وكانت هذه المشورة مركبة من عدد متساو من الاشراف ووكلاء المدن وكان وكلاء المدن في الرتبة والمقام والشوكة مثل الاكابر والاحبار الذين هم من الدرجة الاولى ولكن مع ان ارباب الجمعيات البلدية (ويقال لها الاهلية) (في قسطيلة) كانوا وقتئذ على اقدام من ارباب الجمعيات البلدية الموجودة في غيرها من الممالك وكانوا قد اكتسبوا شوكة عظيمة في شأن السياسة حتى لم يمكن بعنفوان الاشراف الارستقراطية الالتزامية منعهم عن الدخول في شأن تدبير امور الحكومة فلا يخفى ان الاشراف لم يزالوا مستمرين على كونهم يرجون مزاياهم وخصايصهم عن المزايا الملوكية مع محاماة وكلاء المدن لها فلم يكن في اوروبا فرقة من الاشراف امتازت بمحبة الاستقلال والحرية والسلوك مسلك الكبر والجراءة والثبات في الادعاء والزعم اكثر من طائفة اشراف قسطيلة فقد بين لنا تاريخ هذه المملكة امثالا عديدة وذكر لنا وقائع كثيرة بها يستدل على انهم كانوا مستيقظين الى ملاحظة جميع حركات الملك وكانوا يعارضونه مع الثبات الكلي في مشروعاته اذا رأوا انها تضر باحكامهم او تحط بمقامهم او تضيق قدرتهم وتضعف شوكتهم وكان لهم ايضا في المداولات الخصوصية التي كانت بينهم وبين ملوكهم انفة

فكانت كل مدينة من هذه المدن مدة قصيرة كانت او طويلة وهى تخت لمملكة صغيرة وتمتعت بسائر المزايا التى تزداد بها الاهالى عادة فى سائر التخوت وامهات المدن

وكانت اسبانيا فى ابتداء القرن الخامس عشر محتوية على مدن كثيرة اعمر من باقى مدن اوروبا ما عدا مملكتى ايطاليا والبلاد الواطية وذلك لان العرب كانوا قد انشأوا فى تلك المدن فبريقات وورشا عديدة رقت ان كونوا مالكين فيها ولما اختلط اهلها بهؤلاء الامم تعلموا منهم الفنون التى كانت عندهم واستمروا على ممارستها والاستعمال بها والظاهر ان عددا من تلك المدن كانت فى ذلك الزمن ذات تجارة معتبرة واستمرار التجارة كان سببا فى بقاء الاهالى فيها بكثرة كما انهم كانوا قد آووا اليها لخوفهم من الاخطار والاهوال التى كانت على كافة الناس

وحيث كانت تلك المدن كثيرة العمران كان يوجد فيها ناس كثيرون من الاعيان اكثرهم كانوا يسكنون غيرها من مدن ممالك اوروبا وليس الذى به كثرة اهاليها جذب كثير من الناس [illegible] من جميع الممالك ليلتجأوا اليها من الاعداء [illegible] من غيرها [illegible]

وهنا [illegible]

[illegible] كانوا من اعضاء [illegible]

بمناصب الشرف العالية فى حكومة [illegible] كانوا [illegible]

واستبار بحيث كانوا يشترفون [illegible] هم متقلدون بها

وحيث رأى النصارى انه لا يمكنهم [illegible] بينهم وبين المسلمين بمجرد القوة العسكرية التى كان يقدمها البارونيون للعروش على حسب قوانين الخدمة الالتزامية فى العسكرية عرفوا فى اقرب وقت انه لا بد لهم من كونهم يحوزون عندهم دائما على طرفهم جميع ما [illegible]

قضاء خصوصية باوضرايا كانوا يقربونها ان يكونوا مطلقي التصرف

وبذلك كانت الممالك التى تحدث وتتشكل فى بلاد اسبانيا صغيرة قليلة الاعتبار بحيث لم يكن ثم امتياز لملوك تلك الممالك الصغيرة عن اشرافها بل كان الاشراف يرون انفسهم مثل ملوكهم بلا فرق فكانوا يفعلون ما شاؤا ولم يكن يمكن للملك أن يجبرهم ويدخلهم تحت طاعته حيث لم يكن له سطوة عظيمة عليهم فلما رأى الاشراف انه لا فرق بينهم وبين ملوكهم لم تسمح نفوسهم أن يعاملوهم بالتعظيم والتبجيل الذى كان يعامل به اهالى اوربا ملوكهم العظام

وبجميع تلك الاحوال المذكورة ارتفعت شوكة الاشراف وانخفضت شوكة الملوك وبعد مقتضيات احوال اخرى عظمت كذلك مدن اسبانيا وقويت شوكتها

وذلك انه فى مدة الحروب مع المسلمين كانت البلاد المكشوفة الخالية عن التحصين دائما عرضة لاغارات العرب حيث لم يكن يتأتى معهم عقد صلح او هدنة يستريح بها اهالى تلك البلاد ويتمتعون فيها بالامن والاطمئنان فاضطر جميع الناس على اختلاف مراتبهم الى الاقامة بالميادين والحصون ليكونوا مستعدين للمدافعة عن بلادهم لحفظ انفسهم واما قصور البارونيين التى كانت فى غير هذه البلاد ملجأ آمنا يحتمى فيه من ارباب الصيال ومن اهوال الفتن الداخلية فلم تكن بتلك البلاد حصينة بحيث يمكن بها مقاومة جيوش الاسلام الماهرين فى التعليمات العسكرية حيث انهم مع مهارتهم وشجاعتهم كانت اغاراتهم مستمرة لا تنقطع عن تلك البلاد فكان لا احد من الاهالى يأمن ان يخرج من بلدته الا اذا كان خروجه ليذهب الى بعض مدن معلومة يجتمع بها الناس للمدافعة عن جميع البلاد فهذا هو السبب الذى ينسب اليه ازدياد عظم مدن اسبانيا التى فتحها النصارى ثانيا ونمو شوكتها فى اقرب وقت حيث كان جميع اهالى اسبانيا الذين يفرون من المسلمين يذهبون الى تلك المدن وكانت كذلك ملجأ لعائلات من كان يتصدى من النصارى

ولما كانت شوكة الاشراف ومزاياهم [illegible]
يغضب كثيرا ملوك اسبانيا [illegible]
الامر غاية القلق والاضطرار كان قصده [illegible]
مزايا هؤلاء الاشراف حتى لا تتجاوز [illegible]
فتارة كان يسلك سبيل الجبر والاكراه [illegible]
الشرعية فى شأنهم حتى سلب من [illegible]
اكتسبوها من افراط كرم الملوك الاولين [illegible]
اكتسبوها من تبذير سلفه الملك هنرى الرابع [illegible]
ولم يجعل ادارة المصالح وتدبيرها مقصورة على [illegible]
قبل ذلك مقلدين باهم امور التدبير [illegible]
ووزرائه ويرون ان هذه الخصوصية [illegible]
ولا احد يشركهم فيها فكان غالبا يعقد امورا [illegible]
مشاورتهم وقلد اناسا آخرين بمناصب مهمة عالية الشأن من مناصب
الدولة لكونه رأى منهم الميل الى مصلحته ومنفعته واحدث فى ديوانه رسوما
لاحترام المقامات كل انسان على حسب مقامه لم تكن معهودة فى اسبانيا
مدة انقسامها الى عدة ممالك صغيرة وبهذه الرسوم اعتاد الاشراف
على ان لا يدنوا من الملك الا مع التعظيم والتبجيل وصارت الرعايا تحترم
ملوكهم وتهابهم وتخشى بأسهم وتنقاد اليهم اكثر مما كانت عليه سابقا
وزيادة على ذلك ضم الملك فرديننده الى المنصب الملوكى [illegible]
الرتب الثلاثة العسكرية وهى رتبة سان ياكو [illegible]
وبذلك ازدادت كثيرا ايرادات ملوك اسبانيا وعظمت ثروتهم [illegible] القصد
من هذه الرتب الثلاثة كالقصد من رتبتى تمبليه وسحان دجون [illegible] (اى
طائفة عساكر حروب الصليب) وهو محاربة اهل الاسلام على الدوام وحماية
الزوار الذين كانوا يذهبون لزيارة قسطيلة وغيرها من الاماكن المقدسة
الموجودة فى اسبانيا فالغيرة الدينية التى كانت فى اهل هذا الزمن الذى

من الجيوش خصوصا من عساكر الخيالة الخفيفة وكان من مزايا الاشراف معافاة اراضيهم من الخراج والفرد فكانت المدن بمفردها هي التي يطلب منها مصاريف العساكر اللازمة لاجل الطمأنينة العمومية وحيث كان الملوك غالبا تلك البلاد مضطرين الى طلب امدادات ومصاريف من هذه المدن الجأهم ذلك ان يجثوا عن استمالتها اليهم فصاروا يتحفون اهاليها بمزايا وعطايا عظيمة فاتسعت من حينئذ مزاياها وخصايصها وازداد غناها وعظمت شوكتها وكثرت ثروتها

واذا علم الانسان انه بانضمام تلك الاحوال التي لم تقع الا في اسبانيا قد تقوت نتائج الاسباب العمومية التي اعانت على نمو شوكة هذه المدن وعظمها وعلو شأنها في باقي بلاد اوربا عرف بالسهولة اصل المزايا العديدة المهمة التي اكتسبتها تلك المدن في كل موضع ومنشأ اعتبارها الغريب الذي اكتسبته في جميع ممالك اسبانيا

وبهذه المزايا العظيمة الثابتة للاشراف والشوكة الجيدة الثابتة للمدن كانت مزايا ملوك اسبانيا من جميع الوجوه محصورة في حدود ضيقة فاعتاظ عده من هؤلاء الملوك من تلك العوائق التي كانت تمنع تقدم قدرتهم ونمو شوكتهم فبذلوا جهدهم في عدة فرص مختلفة في اطلاق شوكتهم وفك قيدها واضعاف شوكة الرعية ولكن عجزت قواهم او معارضهم عن تتميم هذا المشروع فكثوا زمنا طويلا ومجهوداتهم لا ينشأ عنها كبير جدوى فلما تملك فرديننذ وايزابيلة على جميع ممالك اسبانيا وآلت كلها الى مملكة واحدة تحت حكمهما وكانا حينئذ آمنين من اهوال الحروب الاهلية واخطارها العائقة للتقدم امكنهما تنجيز المشروعات التي كان اضمرها المتقدمون من اسلافهما لاجل تقوية الشوكة الملوكية وتوسيعها ولم يعجزوها فنجحا في ذلك لانه كان لفرديننذ فراسة غزيرة في تدبير مقاصده ونشاط عظيم في سلوكه وكان ثابتا جلدا لا يجزع من شيء في تنجيز مشروعاته وهذه هي الصفات التي لا بد منها في تنجيز مثل هذا المقصد المهم

التى توصله الى ان يهدم خفية بالتدبير دعائم هـذا الامر الذى كان يعجز عن تنجيزه جهرة بالقوة فلم يزل يدبر امره حتى لاحت له فرص عظيمة من الحالة التى كانت عليها الممالك وقتئذ ومن طبيعة رعاياه فانتهزها بمهارته ونشاطه وذلك ان جميع اقاليم اسبانيا كانت مشحونة بالفتن و التعكيرات بسبب تخريب المسلمين لها على الدوام لعدم تعايم الجيوش الاسبانية التى كانت تقاتلهم و بسبب الفشل والنزاع الذى كان يتجدد دائما بين الاشراف والملك و يهلك به اناس كثيرون و بسبب حروب البارونيين مع بعضهم فكثر بتلك الاقاليم النهب والظلم والقتل و بطلت التجارة فى اثناء تلك الفتن المحلية بالنظام وانقطعت المخالطة والمواصلة جهرا بين البلاد وضاع الامن والاطمئنان الذى هو القصد من بحث الناس عن الائتلاف والتأنس والاجتماع وقل الالتفات الى حفظ النظام الداخلى والضبط والربط مدة ما كانت القوانين الالتزامية معمولا بها فى المملكة واهمل تدبير العدل والشرائع وضعفت واضمحلت رسومها حتى كان لا يسوغ اجراء القوانين المسطرة ولا توسط القضاة المعتادين فيها و بذلك كله قويت مصائب الناس لاسيما سكان المدن فانهم كانوا اقرب لهذه الفتن فالجأهم غرض حفظهم الى ان يتعاطوا دواء عجيبا التقطيب جراح هذا الداء وهو انها اجتمعت فى اثناء القرن الثالث عشر مدن مملكة اراغون وجميع مدن مملكة قشتالة واتفقت مع بعضهم وسميت باسم الجمعية او الجمعية المقدسة وكانت تلك المدن المتعاهدة بعضها حتى رتبت جيشا عظيما لحماية المسافرين السراحين وللبحث عن المذنبين ورتبت ايضا قضاة فخريا محاكمهم فى بلدات مختلفة من المملكة فكل من كان قد سبق له قتل او سرقة او غيرهما مما يخل بالراحة العامة ووقع فى ايدى جيوش تلك الجمعية المقدسة كان يحضر به بين ايدى القضاة وهم يحكمون عليه بالعقاب من غير نظر الى انه لا يجرى عليه سوى اقتداء ملتزمه فبذلك تقوى العدل فى اقرب وقت كما كان وتجددت رسوم المحاكم ونواحى النظام وحصلت الراحة الداخلية

حدثت فيه تلك الرتب وايهامهم الفاسدة واعتقاداتهم الكاسدة حملت الناس على اختلاف مراتبهم أن يهادوا هؤلاء المحار بين الاتقياء بهدايا عظيمة وصاروا في اقرب زمن اصحاب املاك وجمعوا مقدارا جسيما من اموال الناس واراضيهم وبناء على ذلك كانت رياسة كل رتبة من هذه المراتب من اعظم الوظائف واهمها وكان ذلك يكسب اشراف اسبانيا الاعتبار ونفوذ الكلمة ويجلب لهم الاموال والغنى لان امراء هذه المراتب كانوا يتصرفون فيها كما يشاؤن بحيث كانوا بواسطتها يكادون أن يساووا ملكهم في المقام والاعتبار وحيث رأى الملك فرديناند ان وجاق الاشراف عظيم الهيبة والسطوة ورأى ان حكمهم وولاءهم على هذه المراتب الغنية يزيدهم من غير شك شوكة ومهابة اشتغل بسلب تلك المزية عنهم ليزيد بها ثروة الشوكة الملوكية ودبر بجدته وفراسته امر هذا المقصد ولم يزل باذلا جهده فتارة كان يسلك طرق الدسائس وتارة يعد بعض الناس بحسن المكافأة وتارة يهدد آخرين حتى توصل الى ان حمل امراء تلك المراتب الثلاثة ان يجعلوه هو وزوجته ايزابله رئيسين عليهم وقد تشرف هذا العقد وازداد ثباتا وتأكدا بكون البابا انوسان الثامن والبابا اسكندر السادس اقراه واثبتاه برضاهما وحكم من تولى بعدهما البابوية بانه لا يجوز فصل تلك الرياسة عن المنصب الملوكي وبينما كان هذا الملك ينقص قدرة الاشراف وشوكتهم كان لا يغفل عن تقوية شوكته واكساب سطوته درجة نورانية جديدة وكان يدبر تدبيرات اخرى ليست اقل تأثيرا من الاولى فكأنه يريد التوصل الى مقصد واحد بوسائل عديدة وذلك انه لما رأى الحكم المطلق الذى للبارونيين في اراضيهم والتزاماتهم من اعظم المزايا التى كانت تقتضي تعاظمهم وكبرهم وعتوهم تطلع الى تجريدهم عنه مع انهم كانوا يعتنون جدا بهذا الحكم ويعدونه من اعظم مزاياهم بحيث لو اراد احد أن يجردهم منه بالقوة والسلاح لمانعوا عنه باسلحتهم وبذلوا جهدهم في ابقائه ولكن مثل هذا الامر لا يعبأ به ملك ذو قريحة وفراسة واحتراس مثل فرديناند فبحث هذا الملك عن الوسائل

ثلاثة
ثالثة

التى يعرف بها حقيقة القوانين الخصوصية التى كانت فى اسبانيا ومنشأ عنها
وقد تقدم لنا عند ذكرنا الوسايط التى سلكها ملوك فرانسا [illegible] تصرف
والولاء على العساكر والقوى الاهلية بمملكتهم لاجل ان [illegible]
للحروب الاجنبية الكبيرة ذكرنا كيفية [illegible] بالتدريج فى [illegible]
شوكتهم السياسية وتمتعهم بمزاياهم وخصايصهم من غير [illegible]
ولم يبق علينا فى شأن ترتيب فرانسا الا ان ننبه على الامور [illegible]
التى كانت تميزها عن الدول الاخرى او التى تفيدنا [illegible]
التى حصلت فى الزمن الذى يشتمل عليه تاريخ كرلوس شرلكان

وفى حكومة اول دولة من ملوك فرانسا كانت شوكة الملك ضعيفة جدا
وجمعيات الملة العمومية التى كانت تجتمع كل سنة فى زمن معين
هى التى كانت شوكتها نافذة فى سائر اقسام المملكة فكان لها الحق
فى انتخاب ملوكها وفى اعطائهم الامدادات والاعانات اللازمة وكانت
هى التى تشرع القوانين والشرائع وتبطل جميع المظالم وتحكم فى جميع
الدعاوى على اختلافها من غير ان يراجعها احد فى حكمها ولو عظم
مقام اصحاب الدعوى

ومع ما اكتسبته الشوكة الملوكية من القدرة والنفوذ بسبب الفتوحات
والنصرات التى حصلت ايام كرلوس [illegible] من ملوك
كانت لم تزل الجمعيات [illegible]
حكمها [illegible]
تنتخب من العائلة الملوكية الامير الذى يجلس على كرسى المملكة
ولا يولى ذلك الا برضاهم وبذلك كان الملوك يدعونهم فى كل امر ويستشيرونهم
فى شأن المصالح المهمة فى الدولة وكان لا يمكن من غير رضاهم ترتيب قانون
جديد ولا احداث فردة جديدة على الرعايا

واما الملك هوغس كابيت رئيس الدولة الثالثة من ملوك فرانسا فانه عند
جلوسه على كرسى المملكة احدث فى سياستها تغييرات عظيمة بحيث اثرت

واطمأن الاهالى وعادت تلك الحادثة بالنصر على الاشراف وحدهم حتى تشكوا انها جور عظيم وتمد ظاهر على بعض مزاياهم العصبية الاصلية وتشكروا كثيرا للملك من هذه الجمعية حتى اظهروا انهم لا يعطونه الامدادات التى يطلبها منهم الا اذا ابطلها ومحا رسومها ولكن رأى فرديند ان هذه الجمعية نافعة لازمة جدا لحفظ السياسة وابقاء الضبط والربط فى ممالكه لا سيما وينتهى امرها بحصول غاية امله ومقصوده الاصلى وهو ضعف احكام البارونيين فى شأن الاراضى واضمحلالها فلم يزل ينصرها ويبذل جهده فى حمايتها فانظر الى هذا الملك حيث لم يكتف بمشروعاته التى دعاها بنفسه كباقى ملوك اوربا بل عرف ان يستفيد فى تلك الحادثة التى لم تحصل الا فى اسبانيا فائدة عظيمة وهى تضييق دائرة الحكم المطلق الذى كان يدعيه الاشراف وكانوا مستقلين به لانه كان مخالفا للشوكة الملوكية ونظام الجمعية

فوسع الملك فرديند بهذه الحوادث السعيدة دائرة خصايصه ومزاياه ووصل الشوكة الملوكية الى درجة لم تبلغها تحت احد ممن تقدمه من الملوك ومع ذلك فكان هنالك عدة عوائق اخرى قوية تمنع من تقدم مزايا الشوكة الملوكية وذلك لان محبة الحرية كانت متمكنة من قلوب اهالى اسبانيا وكان الاشراف مولعين بحب الاستقلال فكانت سطوة فرديند على رعاياه اضيق من سطوة غيره من ملوك اوربا المشهورين على رعاياهم واما كونهم اعانوه مع الرغبة والحماسة فى حروبه الغريبة الاجنبية وسهلوا له جميع الوسايط التى تجربها مشروعاته العظيمة فانما كان ذلك لتولعهم بالفخار الذى استأثروا به فى نوار بحبهم ولذلك ترى فى عدة وقائع مختلفة من تاريخ شرلكان ان حقوق الملك فى اسبانيا مكثت محصورة ضيقة الدائرة الى ان مضت مدة مستطيلة من حكومة شرلكان الذى خلف فرديند المذكور .

ثم ان القوانين القديمة التى كانت بمملكة فرانسا تشبه قوانين الممالك المحكومة حكومة التزامية فلا حاجة الى التعرض لذكر جميع التفاصيل

فرانسا
تها

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وعلى [illegible] في بعض مسائل [illegible]

[illegible] عن الملك [illegible] عنه وعلى

انشاء بعض قوانين في شأن [illegible] منها [illegible]

اصلاحها

وحيث ان ملوك اوربا مكثوا عدة قرون من غير ان [illegible] الخارجة [illegible] الى

ان يطلبوا من رعاياهم امدادات واعانات كبيرة تستلزم عقد مشورة [illegible]

وكانت الاحوال التي تستلزم [illegible] المشورة نادرة صار عقد تلك المشورة

[illegible] نادرا في [illegible] انما كانت [illegible]

الخوف والاحتياج على [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] المملكة [illegible]

باستبدادها [illegible] بها

فلما [illegible] تشريع [illegible] عليه وان

لم يتجاسروا في مبدأ الامر على انشاء شيء من [illegible] بعد التبصر

والاحتراس التام خوفا من ان تقوم عليهم الرعايا لتصميم في هذا الامر

الجديد فلم يظهروا في مبدأ امرهم في الاحكام والاوامر التي نشروها شيئا

مما يدل على تعاظمهم وانتهم [illegible] بل كانوا يحسنون [illegible]

في شوكة الجمعيات العمومية المتقدمة وفي احكامها واتفاقاتها ولكن كانت
الشوكة الملوكية حينئذ قد ضعفت ونزلت عن رتبتها بسبب جبن ذرية
كرلوس مانوس وكانت لا تكون الا خيالا فكان كل صاحب ارض عظيم
يجعل ارضه بارونية مستقلة خارجة عن حكم الملك وكانت الدوقات
الذين هم حكام الاقاليم والكونتات الذين هم حكام القرى والاخطاط
الصغيرة وكذلك الضباط اللازمون للدولة واكابر اتباعه قد جعلوا مناصبهم
وراثية لاولادهم وعائلاتهم مع انهم كانوا اكتسبوها في الاصل ليتمتعوا
بها مدة حياتهم حتى ينزعها الملك منهم وكان كل بارون من البارونيين
قد نسب لنفسه بالادعاء والزعم جميع الحقوق التي لم يكن قد اتصف بها
احد قبل ذلك الا رتبة سرير الملك كاجراء احكام خصوصية في اراضيهم
والتزاماتهم وكضرب المعاملة واشهار الحرب وغير ذلك فكانت كل ارض
محكومة بحسب عوايد اهلها ولها ملتزم مخصوص لا تنقاد لغيره ولها مزايا
مخصوصة وبالجملة لم يبق عند سفراء هؤلاء البارونيين من الطاعة للملك
والتقيد اليه الا الشرذمة الجارية عندهم في احترامه وتبجيله بل كانوا
لا يفعلون ذلك الا باختيارهم وارادتهم

ولا شك ان المملكة المقسمة الى عدة بارونيات مستقلة عن بعضها
قل ان يوجد فيها اصول بها يسوغ حفظ نفع الناس كافة والتئام بعضهم
وحيث كان في تلك الملة الاعلى والادنى ولم يكن الناس فيها على حد
سواء كان لا يمكن للمشورة العمومية ان تعتبر في احكامها الملة على حد
سواء بحيث تكون كجسم واحد ولا ان ترتب اصولا وقوانين عمومية
لكافة الاهالي حتى تكون جارية على نسق واحد في جميع اقسام الدولة
وكان يمكن للملك ان ينشر قوانين جديدة ويجريها في التزاماته الخصوصية
حيث انه ملتزمها دون غيره ولكن لو اراد ان ينشر هذه القوانين
في جميع المملكة ويجريها فيها لاغتاظ منه سائر البارونيين وحقدوا عليه
وعدوا ذلك تطاولا منه وهتكا لحرمتهم ومحض تعد القصد منه ابطال

كبيرة مستمرة لا ينقص ازدحامها فاضطر الى ان جعل على الرعايا فردا وغرامات جسيمة من غير ان يجمع مشورة ايريتا و يسترضيهم فى ذلك وكان لا يؤذن للاهالى فى توزيع الفرد والغرامات بانفسهم على انفسهم مع ان هذا كان ثابتا قبل ذلك لكل رجل حر بموجب قوانين الحكومة الالتزامية

مطلب حصر [illegible] وتحد[illegible] الشى[illegible]

ولكن مع ذلك كله كان قد بقى شيئان من الرسوم القديمة ضيقا على المزايا الملوكية وحصراها فى حدود معينة لا تتجاوزها بلا افساد ترتيب مملكة فرانسا و يؤول الى الظلم والتعدى احدهما الحقوق والمزايا التى كان يطلبها الاشراف فكان هذا الشئ بلا شك مانعا للشوكة الملوكية عن تعديها و تجاوزتها الحدود و تصرفها كيف تشاء ثم الاشراف بفرانسا كانوا وقتئذ فاقدين لشوكتهم التى كانت لهم بمقتضى القوانين ولكن كان ذلك بالنظر لمجموع طائفتهم بخلاف الحقوق الشخصية فكانوا باقين على المحافظة عليها وعلى رفعة قدرهم بمعنى ان كل شخص منهم كان لا يتعدى حقوقه ولا علو مقداره فكانوا يعلمون ان مرتبتهم لم تزل فوق مراتب الرعايا وكانوا معافين من الفرد والغرامات دون الاهالى وكانوا يستحقرون اشغال الاهالى ويعدونها عارا عليهم بحيث كانوا لا يشتغلون بها ولا يدخلون فى مصلحة من مصالح الاهالى الا فى خصوصيات [illegible] وذلك انهم كانوا يأخذون [illegible] فى [illegible] لكى يستدل بها على رفعة شأنهم [illegible] عن غيرهم [illegible] وكانوا يعاملون بالمراعاة فى زمن الصلح وكانوا فى زمن الحرب يدعون خصوصيات يمتازون بها عن الرعية نعم وان كان كثير من هذه الخصوصيات غير ثابت لهم بموجب اوامر ملوكية ولا مأخوذ من الشرائع والقوانين الصحيحة الموجودة بالمملكة الا انه مبنى على رسوم تعظيم واحترام كانت لهم وهذه الرسوم وان كانت لا تصل الى درجة القوانين الشرعية والاوامر الملوكية فى التأثير والثبوت على اصل متين الا انها لم تكن دونها فى الاحترام

رعاياهم و يعرضون عليهم الطرق والوسايط التي كانوا يرون انها الانفع والاصوب لتحصيل النفع العمومي و يلتمسون منهم قبولها او العمل بموجبها في المملكه ففي اقرب وقت ازدادت المزايا والخصايص الملوكية على التدريج وعظمت شوكة ملوك فرانسا واتسعت دائرة احكامهم الشرعية واعترف لهم الناس بان لهم الافتاء الاعلى فصاروا حينئذ يظهرون لرعاياهم التعالي وبطش المشرعين و بأسهم وقبل ابتداء القرن الخامس عشر كانوا قد احاطوا بجميع اطراف حق التشريع وانفردوا به

مطلب
استيلاء الملك على حق ضرب الفرد والغرامات على الاهالي

ولما تمكن الملوك من تلك الخصوصية الجديدة وقويت بها شوكتهم وامنوا عليها ثبتت لهم كذلك بالسهولة حق ضرب الفرد والغرامات وذلك ان الاهالي كانوا يرون الملوك دائما تصدر عنهم اوامر تعود بالنفع على املاك الرعية وعقاراتهم فلم يحصل لهم غم عند ما طلب منهم بالاوامر الملوكية دفع مبالغ ضربت عليهم لحاجة المملكة وصار في الاعمال والمشروعات الملية وحين شرع الملك كرلوس السابع والملك لويز الحادي عشر في اجراء تلك العادة الحادثة وكان ذلك اول مرة كانت الشوكة الملوكية قد ازدادت بالتدريج وهيأ ازديادها عقول الفرنساوية لقبول تلك الحادثة فقبلوها من غير أن يحصل بينهم شقاق ولا افتراق ولو أن وقع بينهم بعض قلق وتشك منها

مطلب
صيرورة حكومة فرانسا ملوكية محضة

ولما اكتسب ملوك فرانسا اعظم شوكة يمكن اجراؤها في الحكومة كحق تشريع الشرائع والقوانين وترتيب الفرد والغرامات على الناس وابقاء جيوش مستأجرة على الدوام وعقد صلح واشهار حرب آل ترتيب المملكة بعد أن كان قريبا من الحكومة الدمقراطية (اى الجمهورية) في زمن الدولة الاولى وصار في زمن الدولة الثانية ارستوقراطيا (اى من قبيل حكومة الاشراف) الى ان صار في زمن الدولة الثالثة مونرشيكا (اى ملوكيا محضا) والظاهر انه من وقتئذ بحث مع الاهتمام عن ازالة جميع ما يظهر ان فيه مزاولة لابقاء شيء من آثار حكومة الازمنة المتقدمة او يكون سببا في تذكرها ففي مدة حكومة فرنسيس الاول الطويلة التي لم تخمد نيرانها كان هذا الملك في حروب

حالة الامبراطورية

وكان ... في قبائل
من الزمن ... اساس
هذا البنيان ... فسقطت هذه

ولما كانت حقوق الشرف ناشئة عن اجدادهم التى كانت يحمدهم على
حفظها وحمايتها صارت محترمة حتى عند الملوك فاذا تعارضت حقوقهم
فى امر مع حقوق الملك عملت الحقوق الملوكية وابطلت اجراءها
ثم كان هناك ملك ظالم ذو بأس شديد لامكنه محق هذه الطائفة وتدميرها
بالكلية ولكن مادامت تلك الطائفة باقية على حالها ومحافظة على امتيازاتها
الشخصية كان لا يرجى للشوكة الملوكية ان تتسع دائرتها بل تكون محصورة
فى حدود ضيقة

وحيث ان اشراف فرانسا كانوا كثيرين جدا وعندهم غيرة كبيرة على حفظ
رفعة شأنهم لم تزل شوكتهم فى النمو والازدياد حتى انتهى الامر الى ان صاروا
يعينون لاحد الطرق التى يسلكها فى احكامه بحيث لا يتعداها الى غيرها
وبذلك امتازت المملكة الفرنساوية عن غيرها وصارت تلك الطائفة حائلا
اعظم [illegible] الملك [illegible] وصار احترام امتيازات طائفة الاهلية من الامور
الضرورية الواجبة فى جميع الاحوال فكان يحترس من حصول ادنى تعد
ظاهر على خصوصياتهم بل وعلى [illegible] التعدى وهتك الحرمة وبذلك كنت ترى
ان فرانسا نوع حكم مونرشيكى (اى ملوكى) لم يكن معلوما عند الاقدمين
وهو ان حكومة الملك كانت غير مضيق عليها بقانون شرعى مخصوص وانما كانت
محدودة محصورة بوجود اى طائفة من رعاياه اقتضى تضييقها

والشئ الثانى هو انه صدر من دواوين البرلمان التى كانت بمملكة فرانسا
خصوصا من برلمان باريس احكام بها ازداد حصر الشوكة الملوكية فى حدود
ضيقة وذلك ان برلمان باريس كان فى الاصل ديوان ملوك فرانسا والمحكمة
العليا التى كان يأتمنها الملوك على تدبير القضاء والحكم بالعدل فى التزاماتهم
واراضيهم حتى كانوا يرخصون لاربابه ان يحكموا حكما بتا قطعيا فى جميع
الدعاوى التى كانت ترسل اليهم وتحال عليهم من دواوين البارونيين فلما انتظم
حال هذا الديوان وتعين زمن انعقاده ومكانه وانتظمت احكامه واصوله
وكيفية اقامة الدعاوى فيه وصارت تحال عليه جميع الدعاوى المهمة

مطلب [illegible] الشوكة [illegible] بحكم [illegible] برلمان [illegible] هو ثانى [illegible] المتقدمين)

بتلك الغزوات [illegible] أن يغضبوا [illegible]
الطائفة بالتعدي على [illegible] أنه يمكنهم أن يتوصلوا

يولهذا [illegible] الحدود حقوقهم سابقا لهم بجرأتهم وعقدوا
مشورة عمومية من الملة واختاروا جمهورية اربابها أن تزاد قوته فركنوا
واقسموا الامبراطور اعانة لهم واتخذوا بعده هنري دوسانس ثم [illegible] من ذريته
حتى [illegible] باسم أتون وعادت جمهورية المملكة اليها بسبب انسياع اراضي
الامبراطورية [illegible] وعدم [illegible] وجسارتهم وشجاعتهم وازدادت
شوكة الملوكية وعظم بأسها وخيف بطشها فتوجه الامبراطور أتون
الى [illegible] ايطاليا [illegible] البابا [illegible] يسلفه ترس مانوس فتغلب على
ملك [illegible] يتاقوا [illegible] جديدة وافرة على حكومة جميع ممالك
اوروبا فنصب الباب [illegible] آخرين وضم مملكة ايطاليا الى الامبراطورية

الما[illegible]

[illegible]

[illegible] عليه

[illegible]

[illegible] وأولاده حتى [illegible]

[illegible] إلى [illegible]

[illegible]

[illegible] والآخر [illegible]

[illegible] بين ألمانيا وإيطاليا

ثلاثة قرون [illegible] عليه الباب

لان [illegible] تنشأ جمهورية [illegible]

بسبب [illegible] واستقامة سياسته [illegible]

ألمانيا وأشرافها [illegible] بين [illegible] الامبراطورة [illegible]

وجمهورية [illegible]

[illegible] اللوردية في [illegible]

[illegible] في الأرستقراطية مثل هؤلاء

الأمراء الأشراف [illegible] يظهر الخاصة

عن [illegible] في باب استقلالهم [illegible]

[illegible] مع الأشراف [illegible] حتى [illegible]

[illegible]

[illegible] قوة كافية لحفظ الامن

[illegible] الطمأنينة الشخصية

[illegible] الامبراطورية الى

[illegible]

[illegible] بينهم الظلم والجور

[illegible] وتعطلت الصنائع وصارت

[illegible] وخربوها فتنبه الناس الى استعمال

بعض وسائط [illegible] بها الراحة والامن بينهم ويضبطون بلادهم

[illegible] تدل على ان المصائب التى نشأت

[illegible] حتى [illegible] طورية وكان في اثناء [illegible] فتن وهزائم معتمدة [illegible] بذلك الامبراطور وضعفهم وضعف [illegible] وصار [illegible] عدة قرون وكانت بابات [illegible] واقاربها [illegible] الخزينة [illegible] يرغبون جميعا في نجاح هذا [illegible] الامبراطورية [illegible] حصل لها قوة [illegible] في مدة حكم امبراطور [illegible] في الانحطاط والاضمحلال حتى انه في مدة الفترة طويلة التي حصلت عقب موت الامبراطور [illegible] لم يكن باقيا فيها الا مجرد الخيال وصورة

ثم [illegible] على [illegible] بلا [illegible] في المستقبل لم يكن [illegible] طورية وقاصر [illegible] كانوا [illegible] الاول الامبراطورية بعد [illegible] العائلة [illegible] سلطت [illegible] كانت [illegible] ولا المنفعة [illegible]

وفي هذا الزمن الكثير [illegible] التي حصل انقلاب عظيم وتغيير جسيم في ترتيب الجمعية الجرمانية ولم يبق فيها شيء على اصل سوى الاسماء القديمة التي كانت تسمى بها المحاكم واسماء القضاة وشيء من السياسة القديمة الاجرد الصورة الظاهرية واما باطن الحكومة فتغير بالكلية وذلك انه حصل مدة الفترة التي كانت بعد موت [illegible] وخلو كرسي الامبراطورية عن صاحب كان [illegible] الاشراف واعيان القسيسين واهالي المدن الحرة المستقلة بذلوا جهدهم في [illegible] يمكنهم من الحقوق والتوسع ما [illegible] بسبب والتعدي فادعوا ان لهم الحق في كونهم

يحكمون

[illegible]

في الامبراطورية الرومانية مباينة كلية بين باطن الحكومة وكيفية
التعمير وذلك انه في باطن الحكومة لم يكن الامبراطور الا رئيسا على
الجمعية حيث ولاه اهلها ... عليهم باختيارهم وانتخبوه بارادتهم

من تلك التغلبات ومن عدم الحكم كانت لا تطاق فعينوا جماعات منهم
يتخذون حكما بين الاخصام في شأن المشاجرات التي كانت تقع بين الايالات
المختلفة واجتمعت المدن عصبة واحدة وتعاهدت على منع الاشراف عن
التعدي والظلم واتفق الاشراف كذلك مع بعضهم على ان يحافظوا على
الطمأنينة والامن وأن لا يفعلوا ما يوجب القتل والشقاق بينهم وقسمت
المانيا الى عدة اقسام كل قسم منها له حكومة تخصه واحكام مقصورة عليه
واقامت مقام المحكمة العمومية المشتركة بين عموم الناس ولكن جميع هذه
الوسائط لم تجد نفعا وبقيت تستدل على عظم المصائب والاهوال التي حلت
بالمانيا [illegible] الكابدات الكثيرة والمشاق الصعبة توصل الامبراطور
مكسيميليان الى استرجاع الامن والنظام والطمأنينة العمومية في جميع بلاد
تلك الامبراطورية حيث احدث فيها ديوانا يقال له المجلس او الديوان
الامبراطوري وهو عبارة عن محكمة مركبة من عدة قضاة ينتخبهم [illegible]
[illegible] ثم صار هذا الديوان [illegible] تنفذ في جميع
دعاوى الامبراطورية [illegible] من غير ان يراجع في حكمه احد وبعد
تعيين بعض [illegible] دواوين غيره [illegible] الامبراطور صورة المشورة الامبراطورية
اى المشورة العليا التي كانت تحال عليها دعاوى الالتزامات والدعاوى التي
تخص اقتناء الامبراطورية ثم اكتسبت شوكته بعض قوة وشدة
ومع انه تحصل بالاحتياط هذا الامبراطور بعض امور كثيرا على اقامة
الامبراطورية كانت حكومة تلك الامبراطورية في ابتداء القرن الذي
نتكلم عليه لم تزل حكومة مخصوصة لا تشبه في شيء جميع الحكومات التي
عهدت عند المتقدمين والمتأخرين وذلك لان تلك الامبراطورية كانت
مركبة من عدة دول مختلفة كانت كل واحدة منها تجري في شأن اراضيها
والتزاماتها اتفاقات واحكاما مخصوصة لا تعلق لها باحكام الاخرى من تلك
الدول التي كان يحكمها امبراطور واحد فكان جميع ما ينشر في الامبراطورية
من الاوامر والقوانين التي تخص كافة الاهالي والرعايا يصدر باسمه وكان له

قدرة

فادعوا انهم دون غيرهم لهم حق انتخاب الامبراطور وثبت ذلك الحق لهم
بالفرمان المسمى فرمان الذهب الصادر من الملك كرلوس الرابع وبهذا
الفرمان تبين لهم طريق هذا الانتخاب وكيفيته ولقب هؤلاء السبعة بلقب

[illegible]

... الحكومة فبناء على ذلك ... الجرمانية

مستقلا على اموره ... حيث كانت

[illegible]

... عن هذا الحال الذي كان ...

... ان يقف على ...

... الجرمانية

[illegible]

فبردوانهم وعن غيرها من سائر الاملاك الارضية بحيث لم يبق لهم مدينة ولا قصر ولا شبر من الارض ... بوظيفة كرؤساء الامبراطورية وبذلك ضعفت ايراداتهم جدا حتى كادت ان تكون عدما والامدادات العادية ... التي كانوا يأخذونها بالسهولة من الاهالي عند الحاجة صارت لا تعطى لهم الا بغاية الصعوبة والتقتير والتضجر من الاهالي حتى ان امراء الامبراطورية وسائر دولها لم تكن رعية للامبراطور الا بالاسم فقط وان كان يظهر منها الانقياد والامتثال له لان كلا من الامراء وتلك الدول كان يجري في اراضيه احكاما وانشاءات خصوصية مستقلة عن انشاء الامبراطور

ولما

[illegible]

[illegible] الاكابر [illegible]

[illegible] حيث كانوا يغلبون على حقوق الضعاف

من اهل [illegible] الضعفاء من خوفهم [illegible]

[illegible] الاشراف و[illegible] انهم تجردوا
عن تلك [illegible] وخرجوا عن [illegible] بالجامع [illegible] من
طويل تناقصت محبتهم في الامبراطور حيث [illegible] دخل في ولايته
بل كانوا يخافون من ازدياد شوكته [illegible] عندما [illegible]
[illegible] حتى صار [illegible] الامبراطورة ويحشرون بأسهم لعظم شوكتهم
و[illegible] خصوصياتهم لانهم كانوا يساوون بها الامبراطورة
في بعض الاحكام [illegible] لم يترتب على انشاء هذه الجمعية
[illegible] في الامبراطورية [illegible] الشوكة الا تقوية [illegible]
[illegible] الجمعية [illegible] مع انه كان القصد من انشائها تقوية
[illegible]

[illegible]

وكانت [illegible] في المدن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من امراء [illegible]
[illegible]
مع بعضها [illegible] كانت [illegible] جمهوريات صغيرة [illegible] القوانين
الاستقلال والتولع بالحرية [illegible] ان الحكومات الجمهورية واما الامراء
والاشراف فكان [illegible] الحكومة [illegible] حيث كانوا يحكمون في [illegible]
بنوع تصرف [illegible] وادارتهم الداخلية كانت تشبه ادارة الممالك الكبيرة
المحكومة على حسب القوانين والاصول [illegible] فيتعذر بلا شك ان يكون
هناك موافقة بين اغراض هذه الحكومات المختلفة واصولها وذلك لان
اغراض المدائن التي كانت تميل اليها وتسعى في تحصيلها هي التولع بالحرية
والتجارة واما اغراض الامراء والاشراف فكانت منحصرة في كسب الشوكة
وحوز الفخار العسكري فلذلك كان من المستحيل توافق آرائهم واغراضهم

ولا امر [illegible] كما في المانيا مثلا يغارون على مزاياهم ومناصبهم فيضيقون
قوة الملك وشوكته ويمنعونه عن فعل كل ما يريده ويكونون حكما بينه وبين
رعاياه بل كانت الدولة العثمانية خلية عن ذلك فكان جميع الرعية فيها

[illegible]

[illegible] ومشروعاتهم [illegible]

[illegible] الاسباب [illegible]

الامبراطورية [illegible] على اصل عدم الانقسام [illegible]

[illegible] في جميع مشروعات الامبراطورية [illegible]

في [illegible] هذه الامبراطورية [illegible] مشروعاتها [illegible]

[illegible] من شان

[illegible] مركبة من امراء [illegible] الامراء ضعيفة [illegible]

[illegible] الامبراطورية [illegible]

[illegible]

[illegible] في تحصيل

[illegible] بجميع

[illegible] على

[illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible] وجود [illegible] وتفرق [illegible] حيث

ان هذه الامور [illegible] كانت ملازمة جمعية الجرمانية لا تنفك عنها ولم يحصل

لهذا الملك [illegible] صولة على امراء الممالك الامبراطورية

وصارت [illegible] فوق [illegible] ان ضموا قواهم الى قواه [illegible] حينئذ

[illegible] بعض مشروعاته العظيمة التي استازت بها حكومته وصار لها رونق

بين الممالك

مطلب
حكومة الدولة العثمانية

ثم ان الدولة العثمانية كان لها في زمن [illegible] كان ارتباط وتعلق بدول اوربا

العظيمة [illegible] كانت تتداخل [illegible] وبطش كبير في حروب النصارى

واداراتهم وجميع مصالحهم ومشروعاتهم بحيث ان ذكر حالة سياسة هذه

الامبراطورية الواسعة الشديدة الباس لافادة من قرأ هذا الكتاب ليس اقل

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] سلطان لكل

[illegible] لا يمكن

[illegible]

[illegible] ان منصب

[illegible] لا [illegible] ان تلك [illegible]

[illegible] امره [illegible] وجرت

[illegible] مشرقية [illegible]

[illegible] حيث ان السلطان

[illegible] جميع [illegible] من جميع [illegible]

[illegible] الناس [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] كان [illegible]

كان يوجد [illegible] واخرون وكانت القوانين لا تمنع [illegible] عن فعل ما يريده

[illegible] جهات [illegible] احوال اخرى خصوصية تكون ربما

للسلطان تمنعه عن ان يفعل كل ما يشاء [illegible] ارادته ولو بلغ

السلطان ما بلغ من كونه متصرفا مطلقا لا يخفى ان احكامه مقيدة بالدين

[illegible] احكامه مقررة عليه وشوكته [illegible] منه وكان

[illegible] الدين هم الآلة التي [illegible] شوكته ففي جميع

الاحكام التي [illegible] الدين يجب على السلطان الامتثال والانقياد من غير تخلف

[illegible] من المعاملات او من العبادات او شيئا من سياسات الدول

[illegible] وجب على السلطان ان يعمل بموجب ذلك فاوامره لا يمكن

ان

[illegible]

ببراعة الأتراك [illegible] على التصدي في الفنون العسكرية والصناعة

الحربية ويتفوقون [illegible] ما يدل على ثبوت ذلك لهم

[illegible] على ذات السلطان

[illegible] السلاطين

[illegible]

[illegible] في الدولة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] حكومة [illegible]

[illegible]

[illegible] يتصرف [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ارادته [illegible]

ومن زمن السلطان محمد الثانى الذى فتح القسطنطينية الى السلطان سليمان
الذى تولى السلطنة بعد قريب من انقراض [illegible] كانت الدولة
العالية محكومة بسلاطين ارباب مهارة وسياسة وشهرة ومعارف ادخلوا تحت
طاعتهم جميع طوائف رعاياهم على اختلاف مراتبهم وكانوا يتصرفون
فى ممالك دولتهم الواسعة تصرفا مستقلا حتى ان السلطان سليمان الذى لم يكن
مشهورا فى الدول الافرنجية الا بكثرة الفتوحات اشتهر عند مورخى العثمانية
بكونه مشرعا كبيرا انشا قوانين عديدة بها ضبط مملكته واحسن سياستها
ونظام بلاده مدة حكومته اطول [illegible] مع الحكمة والمعرفة والحزم وكان
مطلق التصرف فقسم مملكته الى عدة ايالات وجعل على كل ايالة عدة سنجقية
من العساكر على حسب مراتبه هو بنفسه وجعل فى كل اقليم اقساما

[illegible]

[illegible]

[illegible] مباحث ولا يفتقر [illegible]

[illegible] آخرون يعتقدون [illegible]

[illegible] وقد ثبت في تلك المباحث

[illegible]

وحيث وجدت [illegible] مباحث نفيسة [illegible] وفوائد كثيرة [illegible]
جهدا في [illegible] وقد راعيت تسمية الأصل
فسميتها عقد الجمان [illegible] ونسأل الله التوفيق وان
وصلنا الى تتميم هذا المنتخب [illegible]

غير مرة وقهرهم اعدآئهم في جميع الغزوات وانما فوقوا ان عساكر النصارى
على الاتراك كما هو مشاهد الآن فلم يحصل الا بعد ان ترتبت عندهم
العساكر المنتظمة واستكملت في التعليم وبعد ان وجدت عدة اسباب ووقائع
افسدت القوانين العسكرية القديمة من عند الاتراك واضعفت شوكتهم بالتدريج
ولا حاجة الى بيان تلك الاسباب ولا تلك الوقائع هنا اذ فيما ذكرناه تمام المرام
ونسال الله حسن الختام

الصفات القبيحة المكروهة تقول له انت رومانى فان هذا الاسم وحده يشتمل
على جميع الرذائل كدناءة وجبن وبخل وفسق وفساد وكذب وغير ذلك
من النقائص والعيوب انتهى ذكره المؤلف موراطورى فهؤلاء
الامم المتبربرون كانوا بجهلهم ينسبون فساد اخلاق الرومانيين لحبهم
الآداب وتولعهم بها [illegible] عند استيلائهم بالاقاليم التى دمروها
لم يأذنوا لاولادهم ان يتعلموا شيئا من انواع المعارف والعلوم لانهم كانوا
يقولون ان تعلمهم تكسب الانسان الجبن والدناءة وضعف القوى فانه
اذا كان الانسان يتعود من صغره على الفزع من عصى المؤدب [illegible]
ان يثبت امام رمح او سيف [illegible] كما ذكر المؤلف بروكوب فى تاريخه
فمن ثم مضت مدة مديدة وهؤلاء الامم غير داخلين فى [illegible] واستمروا
مرتدين بجلال الجهل يبغضون العلوم والمعارف حتى لم يخرج منهم فى تلك
المدة مؤرخ فيه قابلية لتقييد حوادثهم وتسطير اخلاقهم ورسوم قوانينهم
التى كانت فى بلادهم ولم يكن عندهم فى تلك المدة ايضا من يروى لنا حالاتهم
القديمة بحيث لم تبق لهم آثار يستفيد منها المؤرخون فيما بعد فائدة صحيحة
حتى ان المؤلف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] من مؤرخى
اليونان والرومانيين

الباب الثالث

فى بيان مصائب حالة البلاد التى خرج منها هؤلاء الامم المتبربرون
بصحيفة ١٩ من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

بذاعتقاد ان التوضيح بانه بان اصح

المبحث الاول

في بيان مضمون مطلب النتائج الرديئة التى نشأت من حكم الدولة الرومانية

بصحيفة ١٩ من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا .

لايخفى ان الاحزان والاشجان التى كانت منبثة ومنتشرة بين اهالى ابريطانيا وقت ان هجم عليهم اهالى كادونيا (المسماة الآن ايقوسيا) وامة البكت بعد انصراف جيوش الرومانيين عنهم تدلنا على ان مذلة الابريطانيين كانت قد بلغت الغاية في المدة المستطيلة التى مكثوها تحت اسر الرومانيين حتى انهم بعثوا للشجاع أتيوس مكتوبا سموه انين ابريطانيا وهو هذا لانعرف الى اى جهة نتوجه اليها ولا اى ارض نلتجأ فيها اذ نحن محصورون بين البحر والامم المتبربرين فاذا هربنا اليهم وهم يطردوننا اليه ولم يبق لنا الا اختيار الموت باحد سببين اما غرقنا بالامواج او ذبحنا بالنصال انتهى هكذا قال المؤلف غال في تاريخه وبسبب هذه الامارات الدالة على الجبن يبعد على الانسان ان يصدق بان هذه الملة من نسل الامم المحاربين الشجعان الذين طردوا القيصر عن بلادهم ومكثوا زمنا طويلا يدافعون عساكر الرومانيين عن حريتهم

المبحث الثانى

في بيان مطلب اغارة الامم الخشنية

بصحيفة ١٨ من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

كانت الملل المتبربرة مع جهلها تحتقر الآداب الا انهم كانوا يرون ان سكان الاقاليم الرومانية اهل رخاوة يهابون الحروب ومن المعلوم ان مثل هؤلاء الناس اصحاب الانفة الذين لايبالون من اقتحام اهوال ولا اخطار يكون عندهم احتقار للجبن واصحابه قال لويتبرند اذا اردنا سب عدو ونسبته

[illegible] وانه [illegible] [illegible] من [illegible]
[illegible] لما اختلطت [illegible] [illegible]
وأعضائهم غلبت خلالهم [illegible] [illegible]
رققوت على التمدن [illegible] [illegible] الى وحشية
وطمست معالمها الان [illegible] مبنية على [illegible] وحشة
عند [illegible] في قوانين [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]

المبحث السادس

في بيان اساليب متقدمة

بصحيفة ٢٥ من القسم [illegible] من الخلاصة [illegible]

[illegible] المؤرخ بردكوب [illegible] تفصيل [illegible] [illegible]
[illegible] بالناس لان [illegible] الافعال [illegible] منها النفس وتخجل
[illegible] وهي عبارته في [illegible] اردت انقل الى اهالي الاعصر الآتية
مثلا [illegible] على [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
من بعض [illegible] [illegible] عنها بردكوب [illegible] يتعرض
[illegible] في [illegible] بحيث [illegible] ذكرها الا بعض [illegible] استنبطناها
من الكتب يستدل بها على تخريب امتين من الامم المتبربرة التي استوطنت
بامبراطورية الرومانيين وعلى ما ارتكبه هاتان الامتان من الافعال السيئة
القبيحة فنقول

قد ذكر المؤرخ برسكوس في تاريخه على الرسالة المبعوثة الى الملك أتيلا ملك الهونيين حكاية تدل دلالة واضحة على تولع الملل المتبربرة بالحروب حيث قال انه بعد ان قدم الملك أتيلا الطعام للرسل الرومانيين قرب اليه اثنان من ائمة السيت واخذا في انشاد قصيدة تشتمل على مفاخرات هذا الملك وفضله في العسكرية وجميع الهونيين يصغون اليهما اعينهم متطلعة الى صفائح الخيل بل ظهر على بعضهم امارات الاضطراب من هذه الاشعار وبعضهم كاد يطير فرحا عند تذكر غزواته وحروبه وسالت دموع شيوخهم كالانهار* عند ذكر ما فيه الحماسة والفخار* وتحسروا على عجزهم* وضعف قواهم بكبر سنهم .

المبحث الرابع

في بيان مطلب التغييرات العمومية التي حصلت في اوروبا من فتوحات هذه الامم الخشنة بصحيفة ٢٥ من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

يوجد في تاريخ انكلترة جميع التفاصيل التي تدل على صحة ما ذكرناه في صحيفة (٢٥) من اتحاف الملوك الالباء وذلك ان امة السكسونيين لما فتحوا بريطانيا الكبرى خربوها كغيرهم من الامم المتبربرين عند استيلائهم على مملكة او اقليم فدمروا البلاد وقطعوا دابر البريطانيين وتشتتوا فمنهم من فر وذهب الى جبال بلاد غالة ليلتجأ فيها ومنهم من اسر وادخل السكسونيون حينئذ في بريطانيا باسرها شرائعهم وقوانينهم واخلاقهم ولغتهم وشكل حكومتهم حتى انه عما قليل محيت جميع قوانين البريطانيين القديمة ورسومهم ولم يبق لها اثر وفيما بعد حصل ضد هذه الحادثة وذلك ان غليوم النورمندي شن الغارة على السكسونيين وهزمهم من اول واقعة وجلس على كرسي مملكة انكلترة وسلك بالسكسونيين مسلك الظلم والتعسف لا التدمير والاهلاك وبذل ما في جهده من قوة الشوكة والسياسة ليدخل عندهم قوانين النورمنديين واخلاقهم فلم يمكنه ذلك لان

[illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]
[illegible] * [illegible]
وتحرت [illegible] * [illegible]
وقطع [illegible] * [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] *
[illegible] على [illegible]
[illegible] العذب [illegible] * وما كان [illegible]
[illegible] * ولا [illegible] * [illegible] الشيوخ [illegible] *
[illegible] * [illegible] الاشراف
والاكابر * [illegible] *
[illegible] *
[illegible] *
[illegible]
[illegible]
[illegible] *
[illegible] *
[illegible] *
[illegible] * [illegible]
دفن * في [illegible] * [illegible] *
الحافظون [illegible] * واقوا السلاح دونهم *
انتهى وذكر مثل ذلك [illegible] الذي ولد بافريقة وكان موجودا

ان الونداليين هم اول امة متبربرة اغارت على اسبانيا وكانت وقتئذ من اغنى اقاليم الامبراطورية الرومانية واكثرها عمرانا واهلا وكان سكانها قد امتازوا بالشجاعة والفروسية وكثيرا عدة سنوات يدافعون عن حريتهم العساكر الرومانية مدافعة عظيمة لم تحصل من غيرهم من ملل الافرنج ولكن لما تغلب الرومانيون على اهل اسبانيا فيما بعد طبعت قلوب الاسبانيين على الارتخاء والجبن بحيث ان الونداليين لما دخلوا اسبانيا (سنة ٤٠٩) تمموا فتوحها فى اقل من سنتين واقتسموها بالقرعة فيما بينهم فى اوائل (سنة ٤١١) وذكر المؤلف ايداس الذى شاهد التخريب الذى حصل عقب اغارة الونداليين ما نصه قد خرب المتبربرون البلاد مع ما فيها باشد قسوة وانضمت الى تلك المصيبة اهوال الطاعون وعم الوباء والقحط بهذه البلاد حتى اضطر الاحياء الى ان يتقوتوا بالجيف والرمم وكل هذه المصائب المهولة كانت قد حلت فى آن واحد بالعباد وتخربت بها تلك البلاد انتهى ثم ان الغوثيين هجموا على الونداليين فى بلادهم الجديدة فاتقدت بينهم نيران حرب مهولة وخرب كلا الفريقين البلاد وسلب العباد حتى ان المآثر التى سلمت من ايدى الونداليين فى اول مرة دثرت فى تلك الواقعة الاخيرة وصارت دارسة بالكلية وصار الاهالى عرضة لجميع انواع المصائب والاهوال التى تنتظر من قساوة مثل هؤلاء الامم المتبربرين ذكر ذلك المؤلف ايداس وأيده من معاصريه المؤلف ايزيدور دوسو يل وغيره

وبعد ان خرب الونداليون اسبانيا انتقلوا الى افريقة (سنة ٤٢٨) وكانت بلاد افريقة اخصب الاقاليم الرومانية بعد بلاد مصر لانها كانت خزانة عظيمة يستمد منها الغلال والحبوب للامبراطورية الرومانية حتى سماها بعض المؤلفين الاقدمين حياة الجمهورية وكانت عساكر الونداليين لا تزيد على ثلاثين الف محارب ومع ذلك تغلبوا على افريقة فى اقل من سنتين وتصرفوا فيها تصرفا مطلقا وهاك عبارة ذكرها بعض مؤلفى ذلك العصر ناطقة بكيفية تخريب تلك البلاد بهؤلاء الاقوام فقال دخلوا بتلك

الاقطار

ويفتخر كل منهم بقدر ما قتل من الاعداء وزينة النصرة عندهم هي
ان يعلق الفارس في مقدم فرسه شعور من قتله انتهى واول غارة لهم على
الامبراطورية الرومانية كانت في القرن الرابع وكانت الرومانيون قد تعودوا
وقتئذ على الجلاد [illegible] لامم المتوحشة [illegible]
وامتلأت قلوبهم رعبا وخوفا من قرب الهونيين بلادهم ومن افعالهم
القبيحة وقد [illegible] بهؤلاء انهم [illegible] هو اقليم [illegible]
وقلبهم [illegible] لم يكن قصدهم لاستيطان بلاد [illegible]
على هذه البلاد [illegible] المؤرخ [illegible]
في كل [illegible] انفس [illegible] في اوراق
[illegible] ذكر المؤرخ روسكوس
انه لما ذهب بمعية الرسل الذين ارسلوا من طرف الرومانيين الى [illegible]
الهونيين دخل في اقليم [illegible] مدائن [illegible]
غير ان فيها بعض اناس قليلين افتخروا في [illegible] الاخر [illegible]
الخلاء مشهورا بعظم [illegible]
ثم ان أتيلا المذكور [illegible] (سنة [illegible]) [illegible]
هذا رجل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
اوقد [illegible] يستطيعون [illegible] وفي (سنة [illegible]) دخل في بلاد
الغالية بجيش عظيم اودع فيه رجالا من جميع الملل التي تغلب عليها وكانت
هذا الجيش اكبر جيش اغار على الامبراطورية الرومانية الى ذلك الوقت
من جيوش الامم [illegible] فخرب أتيلا بهذا الجيش الضياع والبلدان وخرب
المدائن اليانعة الزاهرة وفتح حاناتها ونهب اموالها وقد ذكر وصف ذلك كله

في عصر هذه الحادثة وبعد ان مكث الونداليون في افريقة مائة سنة هجم عليهم بليزيروطردهم منها وتسبب عن هذا الحرب ايضا تخريب جديد قال بعض واصفيه من مؤرخي ذلك العصر وهو المؤرخ پروكوب ان افريقة تخربت وقتئذ بحيث كان الانسان يسافر فيها عدة ايام متتابعة من غير ان يجد شخصا واحدا حتى يمكن ان نقول من غير مبالغة انه في مدة هذا الحرب هلك خمسة ملايين من الناس فاكثر انتهى كلامه وذكر ذلك ايضا المؤلف بيرنت

وانما اطنبنا في ذكر المصائب التي حلت ببلاد افريقة لانه تصدى لذكرها عدة مؤلفين من مؤرخي ذلك العصر وأيدهم آخرون شاهدوا هذه الحوادث باعينهم و يعضد قول كل من الفريقين الحالة الراهنة التي عليها بلاد افريقة حيث ان عدد من اعمر مدائنها الزاهرة قد اضمحلت وطمست بحيث لم يبق منه اثر يستدل به على الحال التي كانت عليه المدن بها * واراضيها الخصبة التي كانت تقوت الامبراطورية الرومانية صارت الآن قفرا في اغلب اجزائها غير صالحة للزراعة وصارت ملجأ لقطاع الطرق وارباب العصيان

وفي مدة ما كان بعض الامبراطورية الرومانية غنيمة للوندالين المتبربرين كان البعض الآخر فريسة لامم الهونيين الذين كانوا ملازمين لتخريبه

ثم ان الهونيين كانوا اطغى الامم المتبربرين واكثرهم توحشا واعتيالا وقد وصف اخلاقهم وحكومتهم المؤلف أميان مرسولان الذي هو مؤرخ عصرهم واحسن مورخي الدولة الرومانية حين سقوطها ويؤخذ من عبارته ان الهونيين اقرب شبها بقدماء السيت و التتار المتأخرين و يشبهون ايضا في بعض اخلاقهم وعوايدهم الامم الخشنية الذين هم بشمال امريقة وان ميلهم الى الحروب والغزوات مفرط عجيب وهذا نص عبارته ان الامم المتمدنين يحبون الصلح والراحة واما الهونيون فلا يميلون الا الى الحروب واقتحام الاهوال والاخطار وحظ الانسان عندهم ان يموت في غزوة و السلاح بيده وعار عندهم ان يموت هرما او مريضا

اراضيها كان بعضه مخربونا بالغابات والاخر مستورا بالمياه وهذه الاراضي
لم تكن مجدبة بطبعها بل كانت اراضي بانع في خصوبتها المزدرعة [illegible]
وصارت زراعتها الآن في اعلا درجة [illegible] البرهان آخر
على كل ما قدمناه [illegible] مؤرخي القرن العاشر
في وصف [illegible] في قرية
بلاد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
من امر [illegible]
وامر اخرى [illegible] من [illegible] الامبراطور [illegible]
ومن المعلوم ان كل لم يكن فيها حتى مثل ما في تلك العقارات [illegible]
الاثر غير معمورة [illegible] بسبب [illegible] لاول من [illegible]
الاصلية ان تمكنوا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
على [illegible]
فخربت [illegible]
وقتئذ [illegible] ولا شك ان بعض
هذه العبارات التي نقلتها مشتملة على المبالغة بل اعلم كذلك ان جميع هؤلاء
الامم المتبربرين لم يكونوا يسلكون على نسق واحد عند استيطانهم بالبلاد
التي كانوا يفتحونها بل كان يظهر من بعضهم انه [illegible] على تدمير سكانها
الاقدمين ويظهر من بعض [illegible] الى ابقائهم وجعلهم من [illegible]

المؤرخ سلوين والمؤلف ايداس ولكن هزم آتيلا بعد ذلك فى الواقعة المشهورة
التى كان ميدانها بقرب مدينة شالون فعيق عن فتوحاته فى تلك السنة
وقال مؤرخو ذلك العصر انه لم يقتل فى هذه الواقعة اقل من ثلثمائة الف رجل
وفى السنة التى بعدها عزم أتيلا على ان يشن الغارة حتى يصل الى وسط
الامبراطورية الرومانية فتوجه اولا الى ايطاليا وخربها وهو فى شدة غضبه
بسبب الهزيمة التى حصلت له فى السنة الماضية حتى ان ما قاسته ايطاليا
من المصائب والاهوال فى هذه الاغارة كان يزيد على جميع الاهوال التى
حلت بها قبل ذلك من اغارات الامم المتبربرين وقد جمع المؤلف كورنجموس
عدة عبارات من كتب المؤرخين الاقدمين تبرهن على ان الهونيين
والونداليين خربوا البلاد التى على شاطئ نهر الرين تخريبا شنيعا وفعلوا
باهلها اسوء الفعال ولا شك ان العقل لا يستطيع ان يتصور هذه الحروب
التى خربت البلاد وافنت العباد فاذا نظر انسان الى افعال هؤلاء الامم
المتبربرين ورآهم يسبحون مع الفرح فى بحار دماء القتلى ودموع الباكين
نفر قلبه وازداد رعبه وتحسر على ما حل بالجنس البشرى من هذه الاهوال
والبرهان القطعى الذى يدل على قساوة هؤلاء الامم المتبربرين فى كثرة تخريبهم
هو الحالة التى مكثت عليها ايطاليا عدة قرون بعد استيطان هؤلاء الامم
الخشنيين فيها وذلك لان من المعلوم ان البلاد ان قلت اهاليها ترى فيها
الاشجار والاعشاب تنمو فى الاراضى الغير الصالحة للزراعة حتى يتكون منها
على التدريج غابات كبيرة وترى بقية اراضيها تؤول الى بحيرات ومستنقعات
بسبب المياه التى تطفو عليها من الانهر والمياه الراكدة وقد اجتمعت فى ايطاليا
هذه العلامات فبعد ان كانت مركز رونق الرومانيين وابهج بلادهم وكانت
يانعة بالزراعة خربها المتبربرون ونكسوا منها اعلام الحرف والصنايع
والتجارات والزراعة حتى انها فى القرن الثامن كانت اراضيها مشحونة
بالغابات الكثيفة والبحيرات الواسعة وقد اطنب المؤلف موراطورى
فى شرح وضع هذه المملكة واكثفها وبرهن باصح البراهين على ان معظم

[illegible] الاخلاق [illegible]

[illegible] عن [illegible]

[illegible]

[illegible] الشوكة

والقدرة هوان يكون معه [illegible] ان المتخير [illegible] ان هؤلاء

ولاحاجة لنا بالبحث هنا عن سبب الاختلاف الذى كان حاصلا فى سلوك هؤلاء الامم المتبربرين فى فتح البلاد ولا بوصف حالة البلدان التى كان سكانها الاصليون يعاملهم الامم المتبربرون المتغلبون عليهم معاملة حسنة وفيما قلناه كفاية فى البرهنة على ان غارات هؤلاء الملل الشمالية على الامبراطورية الرومانية قد تسبب عنها افناء وتخريب للجنس البشرى اكثر مما يظنه اغلب المؤلفين

المبحث السادس

فى بيان مطالب الاصول التى اسس عليها الامم (الشمالية) استيطانهم فى اوربا (بصحيفة (٢٦) من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا)

قد نبهنا فى المبحث الثانى على ان الشئ اليسير الذى نعرفه معرفة يقينية فى شأن الحالة الاصلية التى كان عليها الامم المتبربرون انما استفدناه من مؤلفى اليونان والرومانيين لاغير ومن هؤلاء مؤرخان اثنان مشهوران بنور العقل بل ربما كانا اصدق جميع من كتب فى شأن اخلاق هؤلاء الامم المتبربرين وشرائعهم وهما قيصر وتاسيت وقد كتبا انا فى تآليفهما دوائر جامعة يرجع اليها جميع ما قاله غيرهما من المؤلفين فى هذا الشأن * اما قيصر فقد وصف لنا قدماء الجرمانيين مع الايجاز فى المقالة السادسة من كتابه واما تاسيت فقد الف كتابا مخصوصا فى هذا الشأن * وما ذكره هذان المؤلفان هو اعظم تآليف الاقدمين واكثرها فائدة لاهالى اوربا الموجودين الآن وهاك ما استفدناه من تآليفهما

اولا قال قيصر كانت حالة الجمعية عند قدماء الجرمانيين خشنية جدا ساذجة خالية عن انواع الزينة والرفاهية فكان قوتهم الصيد والمرعى وكانوا يهملون الزراعة واغلب غذائهم اللبن والجبن واللحم انتهى وقال تاسيت مثل ذلك تقريبا * وكان العرثيون كذلك يهملون الزراعة كما ذكره المؤلف بيرنت وغيره وكانت حالة الجمعية كذلك خشنية عند الهوتيين

[illegible] في تأليفه في هذا الشأن [illegible] وهذه مدة [illegible]
تقدم [illegible] الاخلاق كل [illegible]
المدقق معاشرة الملل المتمدنة ومن [illegible]
عند البرلمانيين لانهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
البرلمانيين [illegible] بعض [illegible] سياسية على حالة اجتماعية [illegible]
هؤلاء الامم

وقبل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
موجودة [illegible]
[illegible]
الادلة هي الاقوم [illegible]
من الاقتضاب المحض الذي لا جدوى فيه ولا من شخص استرق الى [illegible]
الغريبة ان بحث عن [illegible] هؤلاء الامم في السياسة هل [illegible] مقارنتهم
لبعضهم في الاخلاق والعوائد ام لا فان وجدنا بينهم مشابهة كبيرة
في الاخلاق والعوائد كان ذلك برهانا لصحة ما وصف به سكان اوربا

الشبان مدة الصلح هم حرس الملة وزينتها ومدة الحرب يكونون امنها وحصنها والرئيس منهم كان يستميل قلوب اصحابه بواسطة هدايا يعطيها اياهم من الاسلحة او من الخيل او بواسطة كثرة الطعام لاطراقته انتهى تاسيت

(خامسا) وبسبب هذه الحرية والاستقلال الشخصي الذي لم يزل بين الجرمانيين دائما وبعد التئامهم واجتماعهم بعضهم ببعض كانت اقتاآت قضاتهم واحكامهم ضيقة الدائرة جدا فكان الجرمانيون يحقدون على بعضهم حتى يساعدهم الوقت في الانتقام وما كان يمكن للقاضي ان يحبس انسانا حرا ولا ان يعاقبه بجلد ونحوه انتهى تاسيت وكان كل شخص ينتقم كذلك لاقاربه واحبابه من مسبة حصلت لهم او هتك حرمة حتى صارت العداوة وقتئذ تتوارث من فرع الى آخر ولكن لم تكن وصلت الى درجة حقد لا يشفى عله حتى في القتل فكان اذا قتل انسان آخر يمكنه ان يأمن من حقد صاحب القود باعطائه قدرا مخصوصا من المواشي ذكره تاسيت وقيل ايضا ان بعض جريمة القصاص كان يعطى للملك او للدولة والباقي يعطى للشخص المتعدى عليه او لاهله انتهى

ومع ان هذه الخصوصيات التي ذكرناها من اخلاق الجرمانيين وعوايدهم لا تخفى على كل عالم متمكن من آداب الاقدمين واخلاقهم وعوايدهم ظننا ان من اللازم ذكرها على هذا النسق السابق ليطلع عليها القاصر ممن يقرؤ كتابنا هذا لانها تثبت جميع ما ذكرناه في شأن الملل المتبربرين وتبين جميع الملحوظات التي سنذكرها في شأن التغيرات والتقلبات التي حصلت في حكومة هؤلاء المتبربرين واخلاقهم ✻ ثم ان الشرائع والعوايد التي ادخلها هؤلاء الامم في البلاد التي استوطنوا فيها هي اجل ما يذكر شرحا لتأليف قيصر وتاسيت وبناء على ذلك فملحوظات هذين المؤلفين هي اعظم مفاتيح كنوز هذه الشرائع والعوايد

ويوجد فيما ذكره قيصر وتاسيت في شأن الجرمانيين امر مهم ينبغي التنبيه عليه وهو ان الشذرة التي ذكرها لنا قيصر في اخلاق الجرمانيين كان قد الفها

[illegible] حضارية [illegible]

[illegible] لا يجبر احد على الخروج [illegible]

[illegible] الحرب [illegible]

من يريدون [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ولا يخفى ان [illegible]

وغيره من مؤلفي العصر [illegible] في شأن الامم الطبيعية وعولوا

في تآليفهم على المباحث [illegible] من العلمية كانوا اقدر وادق [illegible]

الاقدمون اقوى مما ذكر فيصروا سيت وهذه اصول اخلاقهم

(اولا) قوت الامريقيين في الاغلب هو صيد البر والبحر لا غير ومنهم قبائل
يهملون الزراعة بالكلية واما القبائل التي تزرع بعض قطع من الارض
بقرب عششهم فالنساء هن اللاتي يزرعن دون الرجال ويفعلن جميع
الاشغال الاخرى كذا ذكر كرلواكس في رحلته الى الفها في شأن بلاد
امريكا * ولا يخفى ان الناس اذا كانوا على مثل هذه الحالة فلا يحتاجون
لبعضهم احتياجا ضروريا دائما ولا يختلطون ببعضهم الاختلاطا الا قليلا جدا
ويستمرون على التمتع بحريتهم الطبيعية واستقلالهم عن بعضهم حتى يمكن
ان نقول لا ينقطع من بينهم واول شيء يعرفه هؤلاء الهنديون الامريكيون
استقلال كل انسان. ولهذا اذا استقل فلا حق لانسان آخر ايا ما كانت
قدرته وشركته على وجه الارض ان يضيق عليه في حريته الطبيعية ولذلك
فلا تكاد توجد بينهم صورة طاعة وانقياد في الحكومة المدنية او المنزلية
بل كل انسان في عائلته يفعل كيف يشاء فالاب والام والاولاد مما يعيشون
مع بعضهم كأن اجتماعهم ليس الا اشباحا لا بالصدفة والاتفاق وليس
بينهم شيء من الروابط الطبيعية او غيرها يربطهم ببعضهم وهذا ناشئ
عن التربية حيث ان الآباء لا يعاقبون اولادهم ابدا بل ولا في حال الصبى
والصغر فاذا كبروا يتركونهم بالكلية فيصيرون ولاة انفسهم مطلقي التصرف
في سلوكهم يفعلون كيف شاؤوا ولا يجب عليهم ان يقصوا امرهم على احد
راجع كرلواكس في رحلته

(ثانيا) شوكة قضاتهم المدنية ضعيفة جدا * وفي اغلب القبائل ترى الرئيس
تنتخبه القبيلة بنفسها (والرئيس يسمى عندهم ساكيم) وتجعل له مشورة
مخصوصة ارباب المشايخ ومن غير ارباب هذه المشورة لا يجوز له ان يبت حكما
في شأن مصلحة مهمة فلا يدعي احد من هؤلاء الرؤساء ان له شوكة واسعة جدا
كيف وهو يعرض لحزبه ما يريد و له على سبيل العرض والترجي لا على
سبيل الحكم والتحضيض وبالجملة فطاعة هؤلاء الناس لرؤسائهم

واخذوا منها قطعة مقدسة من جثمان

واقام واسقف دعت الاسقف حالا الى

[illegible] الى الكنيسة لاجل استعداد [illegible]

[illegible] ذهبوا معي الى مدينة سوسون

[illegible] في اصبعه يرجعه

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الخامس

[illegible] الحرب الاهلية الداخلية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] يكشف القناع عن مخدراتها

[illegible] جميع التقدمات والتغيرات التي حصلت

[illegible] راضي ونذكر كذلك الاسباب التي كانت

بين الملل وان كانت تلك الملل بعيدة جدا عن بعضها يعدونها مشابهة كبيرة ويبنون عليها ان هذه الملل اصلها واحد فلا شك ان هؤلاء المؤلفين لو رأوا هذه المشابهة الكلية الموجودة بين المتبربرين الذين تغلبوا على امبراطورية الرومانيين وبين عموم فرقة المتبربرين لاثبتوا بها ثبوتا يقينيا ان هؤلاء الامم كانهم امة واحدة تفرقت بينها صروف الزمان بخلاف الفلاسفي فانه لا يعتبر مثل ذلك وانما يقول ان اخلاق الملل وطبائعها ناشئة عن حالة جمعيتها وعن قوانينها السياسية الجارية بينها ويقول ان الناس اذا كانت مقتضيات احوالهم واحدة يكونون في اى زمان واى مكان على خلق واحد وكيفية واحدة .

وانما اطنبنا في الكلام على المقابلة بين قدماء الجرمانيين وبين المتشفيين الذين هم في امريكة لان ذلك لازم لتوضيح موضوعنا الذى نحن فيه * ولا نزعم ان حالة الجمعية بين هاتين الامتين متساوية مساواة كلية لان عدة قبائل من الجرمانيين كانت اكثر تمدنا من الامريكيين فكان منهم من يعرف الزراعة وكان اغلبهم عنده مواش يقتاتون منها غالبا بخلاف الاقوام الامريكية فمعظمهم لا يعيش الا من الصيد وهم اكثر تبربرا وخشونة من قدماء الجرمانيين ولكن نقول انه يوجد في حالة جمعية كلا هذين الفريقين مشابهة عظيمة لم نشاهد بين امتين اخريين ومن هذه المشابهة نشأ كذلك بينهما توافق عجيب في الاخلاق

المبحث السابع

في بيان المطلب المتقدم بصحيفة (٢٦) من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

الغنيمة التى كان ياخذها الجيش كانت توزع على عساكره بالحصص حتى ان الملك نفسه كان لا ياخذ منها سوى ما يخصه بالقرعة وذكر في تاريخ الفرنساويس مثال شهير في هذا الشأن وهو ان عساكر الملك قلويس الذى انشأ المملكة

الفرنساوية

(كذا في اتحاف الملوك الالبا) ان بشركهم في املاكهم من كان باقيا
من الاهالي الاصليين ويحافظون كثيرا من تحكم عليهم ... مرارا وتوحشا
واشد منهم طمعا ... من تقاء انفسهم ... ان يفرضو ...
لاجل المدافعة عن جميعا ... وجبات الحكم واسقط من الوجبات التي كانت
مفروضة عليهم في بلادهم ... على ... صار كل واحد
من هؤلاء الناس ... بلادهم ... من ... ويجهز
حماية ملته بدون ... فرد منهم في هذا الامر ...
بواجبه حكم عليه بعقاب شديد ثم ان هذا الامر ...
صريح اقر ... شرعية ... جميع الاشياء ...
لتنام ... جمعية مؤسسة على ... تقديرية ... من الناس كانوا
مضطرين الى اقراره ... لاجل حفظ انفسهم وابقاء الامن والاطمئنان
بينهم ✻ واذا اصعدنا الى ... هذا الامر الجديد الذي كان واجبا على اصحاب
الاملاك والعقارات نرى انه يصل الى زمن قديم جدا من تاريخ الفرنك
(قدماء الفرنسيس) وذلك ان ... شارليق الذي ابتدأ حكمه (سنة ...)
كان قد حكم ... على ... ان يحضروه في بعض حروبه كما ...
المؤلف ... سنة ١٦٥ ... قد اجرى
هذا العقاب ... من ... تكبوا هذا الذنب ...
...
في ... عليه ...
وفي (سنة ...) ... بعض ... الناس ...
هربوا من بلادهم عند اغارة الاسلام عليهم ... ان يستوطنوا في مملكته
بشرط ان يخدموا في العسكرية كسائر الناس الاحرار ويوجد في القوانين
التي شرعها كرلوس مانو ... ذكر الاراضي المملوكة على سبيل كونها عقارات
ومعناها على حسب ذلك العصر الاراضي الالوديالية اي المعافاة المطلقة
التي لمالكها ان يتصرف فيها بما شاء حسبما فسره دوكنج وقد ذكر المؤلف

منشأ هذه التغييرات وما نتج عنها

والظاهر ان تملك الاراضي قد حصل له عند الامم الذين استوطنوا باقاليم الامبراطورية الرومانيين اربعة انواع متوالية من التقلبات وهي

(الاول) كان الامم المتبربرون مدة مكثهم ببلادهم التي ولدوا بها لا يعرفون ابدا تملك الاراضي ولا العقارات ولم يكن لهم املاك معينة محدودة بينهم بل كنت ترى العائلة منهم تنزل بارض وتترك مواشيها ترعى في مروجها ثم بعد ذلك ترحل من هذه الارض الى ارض اخرى وتمكث فيها بعض ايام ثم ترحل الى غيرها وهكذا ولما لم يكن للناس عقارات ولا املاك مخصوصة كانوا لا يجبرون ابدا على خدمة بلادهم وكل ما كانوا يفعلونه من الخدم والمصالح انما هو كان اختياريا فكان في المشروعات الحربية يباح لكل انسان ان يخدم وجهته التي يستحسنها وكان لا يتبع انسان رئيسا في حرب الا لكونه يميل لهذا الرئيس لا لكونه يرى ان هذا الحرب واجب عليه وقد بينا ذلك وبرهانه في المبحث السادس ومدة مكثهم [illegible] بهذه الكيفية لا يعرفون تملك الاراضي ولا تملك العقارات كان لا يمكن ان يوجد في بلادهم شيء يشابه رسوم الملتزمين ولو ادنى شبه او لا ان يوجد عندهم في الخدم العسكرية الطاعة والامتثال الذي حدث بين الملتزمين بعد انشاء عادة الاقطاعات الالتزامية عندهم

(الثاني) لما استوطن هؤلاء الناس المتبربرون بالبلاد الاجنبية التي تغلبوا عليها اقتسم العساكر المنتصرون الاراضي التي فتحوها وكل عسكري كان يعتبر قسمه الذي وقع له كأنه جزاء لما استحقه بعزمه وقوته وكأنه وطن له اخذه بسيفه وصار كل فرد من العساكر متملكا على قسمه كتملك انسان حر على عقاره فكان يتمتع به مدة حياته وعند موته كان يتصرف فيه بما شاء كان يتركه ارثا لاولاده او غير ذلك ومن وقتئذ صارت تلك الاراضي تملكا ثابتا مستمرا وصار ايضا اللوديا يعني ان المالك كان له حق مطلق في ملكه لا ولاء عليه لسيده الذي كان سابقا يحترمه ويلازم خدمته ولكن حيث كانوا يخشون

عشار من الارض يجبر بحسب عقاره على ان يخدم في العسكرية [illegible]
دعي الى الحرب والى ضبطت جميع [illegible] وكذلك [illegible] و[illegible]
عليه بالنفي كذا ذكره ورالمودي

(الثالث) لما كن [illegible] [illegible]
العسكرية [illegible] [illegible]
عند الجرمانيين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] حتى [illegible]
[illegible] يكن ان [illegible] بحسب [illegible] العقاب [illegible]
مرة [illegible] كل ذنب فكانت دية [illegible] هؤلاء [illegible] ثلاث [illegible]
الانسان الحر

ومنذ ما كان الجرمانيون في بلادهم الاولية كان الرؤساء يعدون عن [illegible]
هؤلاء الاصحاب [illegible] [illegible]
والقيافات (راجع [illegible]) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
بانقطاعات ارضية [illegible] [illegible]
تسمى كذلك شرفية لانها كانت شرفا لمن تعطى له * فاذا [illegible] هو
الخدم التي كانت تطلب عادة ممن يأخذ هذه الاراضي فانه يتعذر تعيين
هذه الخدم على وجه الصحة لانه لم يبق لنا آثار قديمة تدلنا عليها ولما اخذت
العقارات المطلقة في ان تصير التزامية لم تفرض عليها الخدم الالتزامية دفعة

دوراطوري وثيقتين من الوثائق القديمة مبينتين اوضح بيان الفرق بين الملك العقاري او المطلق والملك الرحي اوالانتفاعي ويستفاد من هاتين الوثيقتين ان الانسان يمكن ان يكون بعض املاكه عقاريا مطلقا يعني له الحق في ان يتصرف فيه بما شاء والاخر رحيا اوانتفاعيا يعني انه يتمتع بمنافعه مدة حياته وبعد موته يرجع العقار الى الملتزم الاعلا وهذا الفرق منبه عليه كذلك في قانون كرلوس مانوس الذي رتبه (سنة ٨١٣) كما ذكره المؤلف بالورثمان القونتة ايويرارد الذي كان متزوجا بنت الملك لويز لوديبونير قد كتب قبل موته وصية يستدل بها على وجود هذا الفرق حيث قسم جميع اراضيه والتزاماته على اولاده ولكن بين فيها ما كان يملكه عقارا وما كان يملكه لمجرد الانتفاع به والظاهر ان اغلب املاكه كانت عقارية

ومن ثم كان لفظ الرجل الحر في الغالب مقابلا لمعنى الرجل التابع لان الاول في هذا المعنى يدل على من له ملك عقاري والثاني معناه التابع الملتزم وكان يجب على كل انسان حر بالمعنى المذكور ان يخدم الدولة ولا يجوز له الدخول في مراتب القسيسين الا برضاء الملك وسبب ذلك مقبول وهو ان الملك كان يقول انما منعنا ذلك لان بعض الناس يدخل في المراتب القسيسية لا للتعبد ومعرفة الدين بل ليعافى من الخدمة العسكرية الواجبة عليه انتهى وذكر بعض المؤلفين ان الانسان الحر كان اذا نودي الى غزوة ولم يجب حكم عليه بحسب قوانين الفرنك ان يدفع جريمة تسمى جريمة الهربان وقدرها ستون كورون (الكورون نوع من النقود) فيفهم من قوله بحسب قوانين الفرنك ان الخدمة العسكرية وترتيب القصاص لمن لا يتقلدها كانا موجودين من قديم في الشرائع والقوانين التي انشأها قدماء الفرنك عند استيطانهم اول مرة في بلاد الغلية وكان يدقق في طلب هذه الجريمة حتى قال بعض المؤلفين انه اذا كان الشخص المحكوم عليه بالجريمة معسرا يجبر على ان يبقى في الخدمة والعبودية حتى يبلغ كسبه مقدار جريمة الهربان المفروضة عليه انتهى وقد شدد الامبراطور لوتير في هذا القصاص حيث حكم بان الانسان اذا كان له

[illegible] ... ابنائهم [illegible]

[illegible] ... عليه [illegible]

[illegible] أبي عاقب [illegible]

[illegible] عقلاق [illegible]

بعض وحيات [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

يعطونهم [illegible]

[illegible]

[illegible] في حوادث [illegible]

اخرى اكيدة اكثر من هذه الحادثة المذكورة حتى يمكن ان [illegible]

براهين عديدة تثبت [illegible] ذكرت في روح الشرائع لمونتسكيو [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] عبارات تدل على [illegible]

[illegible] توصلوا [illegible]

[illegible] هذه الارض [illegible] الابناء من الذكور

ثم [illegible] من الذكور ثم [illegible] انتهى

ويعسر تعيين زمن كل من هذه التغييرات المذكورة وذكر المؤلف مبلي

في هذا الشأن ما يتراءى عليه الصحة وهو ان الملك كراوس مرتيل هو اول

واحدة بل على التدريج كشكل تغييرهم وكان الغرض الاصلى للناس وقتئذ من كونهم يصيرون اتباعا هو ان يجدوا لهم رئيسا يحامى عنهم فلما رضى اول اصحاب العقارات المطلقة بان يكونوا اتباعا لبعض رؤساء ذوى شوكة وكلمة تركوا من شعائر حريتهم واستقلالهم القديم جميع ما هو مخالف للتبعية التى عقدوها عن قريب وكانوا يؤدون الى رؤسائهم الملتزمين احتراما يقال له الاحترام الوسط حيث كان هؤلاء الملتزمون لا يطلبون منهم سوى الامانة ولا يجبرونهم على خدم عسكرية ولا على الحضور فى المحاكم الالتزامية ويمكن ان يوجد الى الآن بعض آثار واهية من آثار الاحترام الوسط المذكور ذكره المؤلف بروسيل

وذكر المؤلف دوم دويك والمؤلف دوم ويسيت فى تاريخهما المسمى تاريخ انغدوق عدة احكام وقوانين قديمة منها ما سمياه باسم الاحترام وهو كما هو الظاهر حد متوسط بين الاحترام الوسط الذى نبه عليه المؤلف بروسيل كما تقدم آنفا وبين وجوب الوفاء بالخدمة الالتزامية بتمامها فكان الملتزمون يعدون ان يحموا اتباعهم ويعطوهم قصورا واقطاعات ارضية وكان الاتباع كذلك يعدون بانهم يدافعون عن ساداتهم الملتزمين ويساعدونهم فى المدافعة عن املاكهم وعقاراتهم عند الطلب والحاجة ولم تكن هذه المواعدة من الواجبات الالتزامية التى يشترط فيها الخدم الالتزامية وانما كانت بين الملتزمين والاتباع كصلحة خصوصية منعقدة بين اقران لا كشروط الزامية بها يجب على كل تابع ان يخدم سيده من الملتزمين انتهى من شواهد تاريخ انغدوق وبمجرد ما اعتاد الاتباع على هذه الخدم نشأت بينهم بالتوالى خدم التزامية اخرى وقد ذكر المؤلف مونتسكيو فى كتابه المسمى روح الشرائع ان الاراضى التى كان يعطيها الملتزمون لاتباعهم هى التزامات كان يجب فى الاصل على من تملكها ان يدخل فى الخدامة العسكرية انتهى وزعم المؤلف مبلى ان من كانوا يأخذون هذه الاقطاعات الربحية لم يكونوا ملزومين فى اول الامر بشئ سوى الخدمة التى كانت تجب على كل

[illegible] وكان يرجع مدخول كل [illegible]

[illegible] التي يحافظون [illegible]

الاقوياء الشوكة تغلبوا على هذا الامر [illegible]

بان اخذوها منا [illegible]

من الاراضي [illegible]

والسبب [illegible] الاشراف على [illegible]

[illegible]

[illegible] شم [illegible] في [illegible]

[illegible] الاشراف وقد

من جهة الاشراف [illegible]

انهم كانوا في بعض الاحيان يجبرون من عين منصبا او وظيفة من الاشراف

على ان يكتب وثيقة شرعية على نفسه بانه لا يجوز له ولا لورثته من بعده

ان يتملكوا هذا المنصب او هذه الوظيفة بدعوى حق الوراثة وقد ذكرت امثلة

ذلك في الكتب اكثر من مرة * و [illegible] حالة العقارات والاراضي تغيرت كذلك

حالة السياسة باسرها الان [illegible] زادت املاكهم

والتزاماتهم [illegible] المنف [illegible]

[illegible] في تاريخ

[illegible]

[illegible] الالتزامات

والاراضي في [illegible] تحقيق درجة [illegible]

والاشراف في ذلك الوقت

وقد حصلت حادثة اخرى في تغيير حالة الالتزامات والاراضي جديرة بان ينبه

عليها وقد ذكرنا انه عند الامم المتبربرين على اختلافهم حين تقاسموا البلاد

التي فتحوها في القرن الخامس والسادس كان تملك الاراضي تملكا مطلقا

معافى من جميع الحقوق والغرامات الالتزامية ولكن من ابتداء القرن العاشر

من انشأ عادة اعطاء الاراضى الانعامية عطاء لا يرد مادام المنعم عليه حيا
ويظهر من الاسانيد التى اسس عليها هذا المؤلف رأيه ان الملك لويرلوديبونير
هو احد من ابتدأوا بجعل هذه الانعامات وراثية ولكن قد ذكر المؤلف
ما يلون نص الفرمان الذى صدر من الملك لويز لوديبونير فى (سنة ٨٦٠)
ويظهر منه ان هذا الملك كان لم يزل يعطى هذه الانعامات مدة حياة المنعم
عليه فقط وفى (سنة ٨٨٩) اعطى ملك فرانسا المسمى أودوس ذو باريس
بعض اراضى لتابعه المسمى ريكابودوس واذن له ان ينتفع بها مدة حياته وانه
اذا وجد له ابن بعد موته ينتفع هذا الابن ايضا بتلك الاراضى الى ان يموت
انتهى ما يلون) فهذه درجة اخرى متوسطة بين التزامات العمرى المحضة
و بين الالتزامات الوراثية الدائمة الوراثة و مادامت الالتزامات التى لمجرد
الانتفاع على حالتها الاولى وهى ابقاؤها بيد التابع المنعم عليه الى ان يشاء
استاذه نزعها منه كان السادات زيادة على مزاياهم السيادية التى تجب لهم
على اتباعهم محافظين على تملك العقارات ولا يأذنون لاتباعهم الا بالانتفاع
بها فقط فلما آلت الى الحالة الاخيرة وهى حالة التوارث كان الفقهاء اذا
كتبوا فى شأن الالتزامات يكتبون على حسب الاصول الاولى ومع ذلك
فلم يكن ملك عقارها للسادات بل كان قد انتقل للاتباع و بمجرد ما عرف
الملتزمون واتباعهم النفع الذى يحصل لهم من بعضهم بتملك الالتزامات بهذه
الطريقة الاخيرة وهى طريقة الوراثة استحسنها كل من الملتزمين والاتباع
حتى صارت الاراضى من وقتئذ تعطى التزامات وراثية وكذلك المدخولات
البرانية كالمكس و جرك الممر والمرتبات وما اشبه ذلك وانما كان الاتباع
فى نظير ذلك يعدون بان يوفوا بالخدامة العسكرية كما يطلبها منهم ساداتهم
الملتزمون (ذكره المؤلف موريس والمؤلف بروسيل)
ومع ان جعل مثل هذه الاملاك والمدخولات البرانية التزامات وراثية
لا يخلو عما لا يستحسنه العقل يوجد فى العوايد الالتزامية احكام اخرى اغرب
من هذه وذلك ان محصول مرتب الوعظ فى الكنائس كان معدودا

ارصاعة [illegible] وعلى هذه القاعدة حكم في القوانين الفرنساوية
وصارالآن عاما في مملكتهم [illegible]
اخرى من مملكة فرانسا [illegible]
ينظر [illegible]
وان [illegible] من [illegible] فلم [illegible]
واقاليم [illegible]

وقد ذكر تاريخ [illegible] في المجلد الثاني [illegible]
[illegible] على ان الاراضي [illegible]
كانت [illegible] على [illegible]
على انها كانت [illegible]
القرن الحادي عشر كانت [illegible] الاقاليم مطلقة [illegible]
أن وجد في جميع [illegible] هذا الاقليم بعض آثار من الرسوم والعوايد [illegible]
وانه [illegible] في اقليم [illegible] واقليم [illegible] كانت الاملاك في القرن التاسع
والعاشر ومعظم القرن الحادي عشر [illegible] ما كانت عليه في اقليم [illegible]
كما يستفاد ذلك من [illegible] في مقدمة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ولا يخفى ان [illegible]
بحسب اختلاف [illegible]
في آن واحد [illegible] بعض [illegible] وحيث عن
ان يكون من اتباع [illegible] وبعض آخر كان شديد الرغبة في جعل اراضيه
الالتزامية اراضي معافاة مثال ذلك ما ذكر في قانون الملك لويز [illegible]
الذي ذكره المؤلف ايكرد وامثلة كثيرة في مؤلفات اخرى ومثل هذا
الاختلاف حصل في مملكة البلاد [illegible]

صار اغلب تملك الاراضى فى عدة من ممالك اوربا تملكا التزاميا
وحيث ان التملك بالطريقة الاولى يظهر انه انفع و يرغب فيه اكثر من التملك
بالطريقة الثانية كان تحول التملك من الاولى الى الثانية مما يستغرب لاسيما
اذا نظرنا الى ما فى التاريخ من ان التملك المطلق المعافى كان يؤول غالبا
الى تملك التزامى بموجب حجة يكتبها مالك الارض باختياره وقد اجتهد
المؤلف مونتسكيو فى البحث عن الاسباب التى دعت الناس فى الاعصر
الاول الى ان يفعلوا بالعقارات افعالا مخالفة لما سلكه اهالى الاعصر
الاخيرة وحرر هذه الاسباب مع الاتقان كما هو عادته واقوى هذه الاسباب
هو السبب الذى ذكره لنا المؤلف لمبيرد دوروس وهو مؤلف قديم ذكره
المؤلف دوكنج وهذا السبب هو انه بعد موت كرلوس مانوس صارت بلاد اوربا
فى انقلاب واضطراب واختلال لعدم وجود ملك اذ ذاك وفى هذا الوقت كانت
روابط الالتئام والعلائق الجامعة بين ارباب الدول والسياسات قد وهت
وتلاشت وكانت الرعايا عرضة لكل اذى وسبى واجحاف وما كان يمكن
للدولة المدافعة عنهم فاضطر كل واحد من الرعايا الى ان يبحث له عن ما قوى
الشوكة يستظل بظله ويدخل تحت رايته ويتخذه ملجأ له يحميه عن الاعداء
الذين لا يمكنه التصدى لمقاومتهم فبهذا صار كل صاحب عقار يتنازل
عن حريته واستقلاله ويدخل فى الخدم الالتزامية ليستظل بظل الامان
فى حمى الملتزمين القادرين ذوى الاحترام فبذلك صارت الاراضى والعقارات
التزامية بعد ان كانت مطلقة معافاة وعم ذلك فى بعض بلاد اوربا حتى محيت
حرية اصحاب الاملاك والاراضى بحيث صار لا يمكنهم انتخاب من يريدونه
من الملتزمين بل جبروا على ان يتخذوا لانفسهم سادات من الملتزمين يكونون
اتباعا لهم وذكر المؤلف بومنوار انه فى قونتة بوويس وقونتة كارمون كان
السادات الملتزمون او القونتات اذا وجدوا فى حصصهم ارضا لم يخدم مالكها
فى الخدامة الالتزامية ابدا ولم يدفع عليها شيأ من الفرد والغرامات ينزعونها
منه فورا ويقولون انه على حسب عوايدنا ورسومنا لا يجوز لاحد ان يملك

والمذهب الا تزمى عند النمساويين قد تقدم كذلك وبلغ الدرجة التى بلغها
فى مملكة فرانسا كما سبق ولكن حيث كان ايمبراطرة النمسا يفوقون فى المعارف
جدا على ملوك فرانسا الذين كانوا فى عصرهم لاسيما بعد ان انتقل التاج
الايمبراطورى من ذرية كرلوس مانوس الى عائلة سكس لم يمكن للاشراف
اتباع الدولة ان يجعلوا بطالب استقلالهم كما حصل فى مملكة فرانسا فلم ينالوا
المزايا التى ثبتت فى فرانسا مع السرعة من تملك الاراضى لو بجهة بحق وراثى
وعلى حسب ماذكر المؤلفون الجامعون لكتب الالتزامات كان كونراد
الثانى المسمى لوساليك اول ايمبراطور من ايمبراطرة النمسا جعل الالتزامات
وراثية وكان جلوس كونراد على كرسى الايمبراطورية (سنة ١٠٢٤) واما
فى مملكة فرانسا فلم تصر الالتزامات وراثية ولم يشع ذلك بين الناس الا فى ايام
الملك لويز لودبيونير الذى خلف اباه فى التسلطن (سنة ٨١٤) فلم تحصل هذه
الحادثه كما ترى بين اتباع ايمبراطرة المانيا الا بعد حصولها عند الفرنساوية بكثير
وزيادة على ذلك كانت هذه الحادثة بعد ان رتبها كونراد فى بلاد النمسا معطلة
بقوانين تلك البلاد دلما ان هذه القوانين كانت لم تزل محافظة على العوايد
واللزوم القديمة فاذا كان لانسان من الاتباع التزام وراثى ولكن كانت
الوثيقة لم تنص صراحة على ان التزامه يصير بعده لورثته كان يحكم
بان هذا الالتزام لم يكن اعطى له الا لينتفع به مدة حياته بل بعد انشاء وراثية
الالتزامات بامر كونراد كان لا يستغرب فى بلاد النمسا اعطاء بعض التزامات
على سبيل العمرى فقط وذكر بعض المؤلفين وثيقة من هذا القبيل
وتاريخها (سنة ١٣٧٦) ثم ان حق انتقال الالتزامات الوراثية الى الحواشى
والى فرع الاناث لم يثبت فى المانيا الا مع غاية التراخى والبطئ وذكر بعض
المؤلفين وثيقة تاريخها (سنة ١٢٠٠) مشتملة على توريث بعض نساء ولكن
كان اعطاء ذلك على سبيل الانعام لهن وصية فيمن اقتضت مراعاتهن
وفى نظير بعض خدم مهمة اقتضت ذلك ايضا كما ذكره بوهمير ولا يخفى
ايضا انه بعد حدوث التملك الالتزامى بمدة مستطيلة وجد فى بلاد النمسا

وممذكرناه الى هنا وجد ان تغيير الاراضى وتحويلها من حال الى اخرى يكاد ان يكون مقصورا على ماوقع من ذلك فى المملكة الفرنساوية وسبب ذلك ان آثارهم القديمة اعتنى بحفظها اكثر من غيرها ووجد اكثر من آثار غيرها من ممالك اوربا

وهذه التغيرات السابقة قد حصلت ايضا فى اراضى بلاد ايطاليا وكانت على النسق المتقدم ولكن هناك براهين دالة على ان التملك المطلق المعافى مكث مرغوبا فيه عند الايطاليين زمنا اطول من زمن رغبة الفرنساوية فيه والظاهر ان عدة من القوانين التى احدثها ملوك ايطاليا فى القرن التاسع تؤذن بتملك الاراضى تملكا مطلقا معافى ولكن حصل فى القرن الحادى عشر ان بعض الناس تركوا تملكهم المطلق فى اراضيهم وجعلوها التزامية وقال المؤلف موراطورى ان لفظ التزام الذى جرى على السنة الناس بعد لفظ ريع لم يعهد كتابته فى وثيقة صحيحة مؤرخة قبل القرن الحادى عشر وانا اقول ان اقدم وثيقة وجد فيها لفظ التزام هى الوثيقة التى صدرت من الملك روبرت ملك فرانسا حسبما ذكره المؤلف بوكيت فى المجلد العاشر من تاريخ الغالة وفرانسا ثم وجد كذلك لفظ الالتزام فى امر ملوكى طويل (سنة ٧٩٠) ذكره المؤلف بروسيل ولكنه مختلف فى صحته وايضا كثرة ذكر هذا اللفظ فى الامر الملوكى المذكور ربما ادت الى الشك فى صحته ثم ان المعنى الذى فسرت به التملك المطلق المعافى والتملك الالتزامى تستفاد صحته من منشأ هذين اللفظين لان التملك المطلق يسمى ألود أو ألوديوم ولفظ ألود مركب من لفظين متساويين وهما لفظ آل ولفظ لود ومعناهما الارض المأخوذة بالقرعة وذكر المؤلف دوكنج وغيره ان امم الشمال تقاسموا الاراضى التى تغلبوا عليها بطريق القرعة واما الالتزام فيسمى فيودوم وهو مركب ايضا من لفظين وهما لفظ اود ومعناه الملك او المال ولفظ فيو ومعناه الرهن او الجامكية وبهذا يتعين ان الالتزامات كانت نوعا من الاجرة يعطى لمن يخدم فى نظير خدمته

والمذهب

وكانت العقابات المرتبة بالقوانين القديمة للمستعبدين فى نظير ذنوبهم الكبيرة غير العقابات المرتبة للناس الاحرار لان الاحرار كان لا يحكم عليهم فى نظير كبائرهم الا بان يدفعوا جريمة معلومة واما المستعبدون فكان يحكم عليهم بقصاصات جسمانية كانت احيانا من اشد العذاب فانه كان من الممكن ان يحكم عليهم بالتعذيب فى نظير ادنى ذنب يقع منهم وبالجملة فالشرائع التى تخص هذا الشأن تحقر منها نفوس ذوى المروءة والانسانية

(ثانيا) حيث كان تصرف السادات فى نفوس ارقائهم مطلقا بهذه المثابة لزم انهم بالنسبة الى افعال ارقائهم الذاتية وما كان تحت ايديهم لم يكونوا فى تصرفهم فى ذلك اقل من التصرف السابق ففى مبدء الامر كان لا يؤذن بالزواج لاحد من المستعبدين نعم كان يمكن للنساء ان يعشن مع الرجال كالازواج بل كان السادات يحملون الرجال والنساء من ارقائهم على ذلك ولكن لم يكن هذا معتبرا زوجية بينهم وانما كان عاما شائعا حتى انه بعد ان دخل الملل المتبربرون فى دين النصرانية بعدة قرون كان المستعبدون الذين يعيشون مع بعضهم كالزوج والزوجة ليسوا مجتمعين بعضهم ببعض بعقد دينى ولا بنكاح شرعى فلما صار هذا الاجتماع فيما بعد معتبرا بين المستعبدين كنكاح شرعى صار يؤذن لهم ان يتزوجوا الا [illegible] على [illegible] هذه العادة بان [illegible] احيانا بالمرة [illegible] اخلاق [illegible] عندهم [illegible] يتزوج من المستعبدين بغير اذن سيده لا يحكم عليه الا بجريمة معينة

(ثالثا) اولاد المستعبدين كانوا مستعبدين ايضا وكان ملك رقبتهم لسادات آبائهم

(رابعا) كان للسيد ملك رقبة ارقائه بحيث كان يتصرف فيهم بالبيع كيف شاء وما دام المستعبد فى خدمة منزل سيده كان يجوز بيع رقبته كباقى امتعة البيت واثاثه فلما صار المستعبدون بعد ذلك معينين للفلاحة وخدمة

وفى مملكة فرانسا وايطاليا مقدار جسيم من الاراضى باق على التملك المطلق المعافى * ويظهر من قانون الدير المسمى ديربولد ان جزأ عظيما من التزامات اقليم مسفيه مكث مملوكا تملكا معافى الى القرن الثالث عشر ويظهر ايضا ان التملك المعافى كان موجودا كذلك وقتئذ فى خط آخر من اراضى اقليم مسفيه المذكور

المبحث التاسع

فى بيان المطلب المتقدم بصحيفة (٢٨) من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

وحيث انه يمكننى ان اذكر فى غير هذا المبحث حالة الناس الذين كانوا يسكنون المدن اقتصرت هنا على ذكر حالة سكان الخلاء فأقول ان الناس الذين كانوا يشتغلون بزراعة الاراضى فى الاعصر التى نتكلم عليها يمكن تقسيمهم الى ثلاث مراتب

المرتبة الاولى مرتبة المستعبدين او الاسرى والظاهر ان هذه الطائفة كانت اكثر من غيرها اناسا وكان اناسها اما اسرى اخذوا فى الحرب او اناسا صاروا ارقاء بسبب بعض الشروط والوسائط التى ذكرها المؤلف دوكنج وهنالك عدة امور تفيد ان ارباب هذه الطائفة كانوا فى غاية الذل والاسترقاق وهى (اولا) كان السيد مطلق التصرف فى شأن من هم تحت ولائه من المستعبدين فكان يجوز له ان يعاقب من شاء منهم بالموت من غير ان يتعرض له احد فى فعله ولم يزل هذا الحق الشنيع ثابتا للسادات على ارقائهم من الازمان الخالية الخشنية الاخلاق الى القرن الثانى عشر وبعد ان قلت هذه الفعال وضاقت دائرة افتتاء السادات كانت نفس الرقيق لا قيمة لها بحيث كان اقل شئ من الاموال يكفى فى خلوص قاتله من ذنب القتل وحيث كان السادات يتصرفون فى نفوس ارقائهم بما شاؤا من قتل وابقاء فمن باب أولى كان لا يمكن منعهم عن ان يعاقبوهم بما شاؤا من انواع العذاب

وكانت

ذلك مقدارا معينا ويخدمونهم فى عدة امور خفيفة كحراثة قطعة ارض الملتزم
مثلا واعانته وقت الحصاد ووقت اجتناء الكروم وما اشبه ذلك وذكر المؤلف
موراطورى برهانا لذلك واضحا جدا وكذلك المؤلف دوكنج ولكن لم يمكننى
أن اعرف هل كان هؤلاء الناس يعزلهم الملتزمون متى ارادوا او كانوا
يستأجرون اراضى الملتزمين مدة معلومة من السنوات ولا يمكن عزلهم قبل
انقضاء مدة الاجارة والظاهر بحسب احوال الزمن وقتئذ ان الامر الاول
هو الاقرب وان كان هؤلاء الناس احرارا بمعنى انهم حازوا الصفات الشريفة
الدال عليها لفظ حرية لانهم كانوا يتمتعون بجميع مزايا الاحرار وكانوا
يدعون الى الخدم الحربية مع انها كانت خدما شريفة لم يكن للمستعبدين
حق فيها كذا ذكره موراطورى

وما ذكرناه فى شأن تلك المراتب الثلاثة يعين قارئ كتابنا على اتقان برهان
سنذكره لاجل اثبات ما قدمناه فى اتحاف الملوك فى شأن سوء حال الاهالى
فنقول مع انه كان هنا لبون بعيد بين طائفة المستعبدين وطائفة الاحرار
كان ظلم الملتزمين الكبار شديدا فكانوا يظلمون من يستوطن باراضيهم
ظلما متواليا لا يطاق بحيث ان عدة من الناس الاحرار سئموا من ذلك فتنازلوا
عن حريتهم وجعلوا انفسهم باختيارهم من جملة المستعبدين لهؤلاء الظلمة
الجائرين وانما جعلوا انفسهم من جملة المستعبدين ليتقربوا الى ساداتهم
فيحموهم ويصدوا عدوتهم ورفعت عنهم ضرورة هذا الاستعباد الذى
كان مشهورا وتشهد بهم انغا وبوكسيبيرين كما ذكر فى كتب المؤلف
ماركولف وفى كتاب آخر لا يعلم مؤلفه لانه مجموع رسوم وقوانين القديمة
والذى اشهر هذا الكتاب الاخير المعلم بينون

فيعلم من هذين الكتابين ان انغا وبوكسيبيرين كان مدلوله حالة الفقر
والظلم التى كان فيها كل شخص يتنازل عن حريته باختياره وكان الناس
الاحرار فى الاكثر يتنازلون عن حريتهم ويدخلون تحت طاعة الاساقفة
ورؤساء الديور لاجل ان يكون لهم جانب من الامن الذى كان يستظل به

الاراضي صاروا يباعون مع الجفالك او الارض التي هم في خدمتها وقد جمع المؤلف بو تجيسير جميع القوانين والوثائق التي توضح هذا الامر المشهور في شأن المستعبدين

(خامسا) كان لا يمكن للمستعبدين ان يطلبوا من ساداتهم سوى الاكل والكسوة وكل ما يكتسبونه بكدهم وتعبهم كان يرجع لساداتهم فان اقتضى الحال ان السيد ينعم على ارقائه ويعطيهم جهة شغل يتعيشون منها او يعين لهم مبلغا معلوما كان يرجع اليه ما يزيد على كفايتهم فكل ما كانوا يجمعونه كان ملكا لسيدهم وكل من مات من المستعبدين كانت مخلفاته ترجع الى سيده ولا يجوز له ان يتصرف فيها بالايصاء

(سادسا) كان المستعبدون يمتازون عن الاحرار بملبوسهم وحيث كان طول الشعر عند جميع الملل المتبربرين مما يدل على المقام والحرية كان المستعبدون مجبورين على ان يحلقوا رؤسهم ومع ان هذا الامر بالنظر لذاته يستوي وجوده وعدمه كان يذكرهم في كل وقت رقهم واستعبادهم وكان من جملة القوانين المرتبة في شرائع اغلب ملل اوربا ان الرقيق لا يقبل ابدا في محكمة للشهادة على حر

(المرتبة الثانية) طائفة الويلاني وهي طائفة تخدم بعض اراضي تسمى ويله ولذلك سميت طائفة الويلاني وكانوا يباعون مع الاراضي التي يخدمونها ان بيعت والفرق بين هذه الطائفة وطائفة المستعبدين كما ذكره بطرس دوفونتين ان الويلانيين كانوا يدفعون لساداتهم مقدارا معينا من محصولات الاراضي التي كانوا يزرعونها وبعد ان يدفعوا المقدار المجعول عليهم يكون لهم ان يتصرفوا كيف شاؤا في ثمرات اشغالهم وكدهم

(المرتبة الثالثة) من مراتب الناس الذين كانوا يشتغلون بالزراعة هي طائفة الاحرار وهنالك ما يدلنا على ان الناس الاحرار كانوا اناسا يملكون بعض عقارات صغيرة تملكا مطلقا معافى وزيادة على ذلك كانوا يزرعون بعض التزامات لمن جاورهم من الملتزمين الاغنياء ويعطون لهؤلاء الملتزمين في نظير

ان يكتبوا اسماءهم على القوانين التى كان يحط الرأى عليها فى المجالس
التى كانوا يحضرون بها وكان من جملة القوانين انه يلزم ان كل من طلب
ان يتقلد منصبا او وظيفة يسئل هل يعرف ان يقرأ الانجيل و [illegible]
و يفسر معناها ولو كلمة بكلمة من غير نظر الى تفسير الجملة وطالما كان
يتشكى الملك ألفريد الاكبر من انه لم يكن يوجد فى البلاد التى بين نهرى
هومبير وتاميزا احد من القسيسين يفهم الدعوات القديسية بلغتها الاصلية
و يمكنه أن يترجم من اللغة اللاطينية ولو العبارات السهلة و يتشكى ايضا
من ان البلاد التى كانت بين نهر تاميز والبحر كان قسيسوها اجهل
من قسيسى البلاد التى ذكرت آنفا

وقد وصف لنا بعض مؤلفى تلك الاعصر جهل القسيسين وقتئذ ولكن بالغ
فى ذمهم على وجه السخرية والاستهزاء بعبارة لا يمكن ترجمتها بما يؤدى
مؤداها بحيث يكون على الوجه الذى سلكه وزيادة على تلك الاسباب
التى ترتب عليها عموم الجهل و يمكن اخذها من حالة الحكومات واخلاق
الناس من القرن السابع الى القرن الحادى عشر نقول ان من اسبابه ايضا
ندرة الكتب وقتئذ وعدم انتشارها بين الناس

وذلك ان الرومانيين كانوا يكتبون كتبهم على جلود مصقولة او على رق قشر
شجر البابيروس المسمى بردى او [illegible] ويقال له [illegible] ورق النيل لانه [illegible]
يأتى اليهم من مصر [illegible] قشر البابيروس [illegible] ارخص [illegible] كانت [illegible]
عندهم اكثر من الجلود [illegible] بلاد مصر [illegible]
انقطعت المخالطات بين اهالى مصر وبين ملل [illegible] وغيرهم من ملل اوروبا
وبطل استعمال ورق النيل من بلاد اوروبا فاضطر الناس الى أن يكتبوا جميع
الكتب على الجلود وحيث كانت غالية الثمن صارت الكتب كذلك غالية ونادرة
جدا و يستفاد من هذا انه كان يصعب تحصيل مواد يكتب عليها و يوجد
الى الآن عدة كتب من مؤلفات القرن الثامن والتاسع كلها منسوخة
فى جلود ازيلت منها الكتابة القديمة وعوضت بكتابة اخرى جديدة و يمكن

اتباع الكنائس والديور زارقاؤها الان اهالى ذالك العصر لجهلهم واوهامهم
كانوا يحترمون القديسين والقسيسين ويدخلون فى حماهم ذكره دوكنج
ولابدان حالة الاحرار كانت سيئة جدا حيث ان الاحرار كانوا مضطرين
الى ان يتنازلوا باختيارهم عن حريتهم ويدخلوا تحت طاعة غيرهم
كالمستعبدين ثم ان مقدار المستعبدين كان جسيما جدا عند كل مملكة
من ممالك اوربا لانه فى ابتداء الجيل الثالث فى مملكة فرانسا كان معظم
رعاع الناس قد آل الى الاستعباد والرق كما فى روح الشرآئع وكذلك
فى انكلتره ويوجد فى كتاب المعلم بارنكتون عدة حوادث غريبة فى شأن
الحالة التى كان عليها الويلانيون والمستعبدون فى بلاد انكلتره

المبحث العاشر

فى بيان مطلب كون الآثار التى ترتبت عن هذه الجمعية اضرت بالعلوم
والفنون بصحيفة (٣١) فى القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

يمكن ان نبرهن على هذا الامر بادلة كثيرة جدا فانه وجدت عدة قوانين وعدة
وثائق صادرة عن الاعيان ذوى الدرجات الرفيعة يستبين منها ان هؤلاء
الاعيان كانوا لايعرفون كتابة اسمائهم ولاوضع امضاآتهم وبسبب ذلك
كانوا يعملون صورة صليب على الوثائق الصادرة عنهم وكانت هذه العلامة
امضاءاتهم وقد بقى الى زمننا عدة وثائق بعضها صادر عن الملوك وبعضها
صادر عن الاعيان امضاؤها صورة الصليب فقيل ان هذه العلامة رسم
ايديهم لانهم كانوا لايعرفون الكتابة ذكره دوكنج وفى القرن التاسع
كان القونتة هربود رئيس المحكمة واعظم قضاة الدولة مع انه كان لايعرف
ان يكتب اسمه بل ووجد فى القرن الرابع عشر الذى هو قريب العهد منا
ان دوغسقلين رئيس الجيوش الفرنساوية واعظم رجال الدولة واول اكابر
عصره كان اميا لايعرف القرآءة ولا الكتابة كما ذكره سنتبالى وهذا الجهل
لم يكن مقصورا على العوام بل كان اغلب القسيسين ارباب المناصب لايمكنهم

الثمينة بل وطلب منه كفيل يضمنه حتى يرد هذه الكتب فعين لذلك بعض الملتزمين واستلمها كذا ذكره المؤلف نودى وذكر ايضا عدة وقائع واحوال غريبة تدل على غلو ثمن الكتب فى القرون الوسطى بحيث لو اطلعت على مجموع هذا المؤلف الذى استنبطه من الكتب لوجدت الآداب جديرة بان تشد اليها الرحال وحرية ان يتولع بها فحول الرجال وكان اذا وقف احد كتابا على كنيسة او دير (لانه لم يكن فى تلك الازمان المتبربرة كتبخانات الا فى الكنائس والديور) عد ذلك امرا عظيما حتى ان واقف الكتاب يدنو بنفسه من المحراب ويضع الكتاب فيه لتغفر له ذنوبه قاله موراطورى

وفى القرن الحادى عشر اخترع فن اصطناع الورق المعتاد الآن فى جميع البلاد وباختراعه تعددت الكتب وسهلت ممارسة العلوم سهولة غريبة كما ذكره موراطورى ولا يخفى ان اختراع صنع الورق واختراع الطبع هما حادثتان مهمتان من حوادث تاريخ الآداب فكان اختراع فن الورق مقدمة لنمو الآداب والفروع الفلسفية فى اواخر القرن الحادى عشر واختراع الطبع اخرج اوربا من ظلمات الجهالة ونشر فيها سواطع الانوار التى ازالت عنها ليلها الحالك وردتها عن ضلالها الى اقوم المسالك

المبحث الحادى عشر

فى بيان سبب مسئولية الحكومة الاكراهية فى الامور الدينية
بصحيفة (٣١) من القسم الاول من شرح المؤلف

لايخفى ان جميع القواعد والاصول الدينية حدثت فى عصر الجهالة برهن على ما قدمناه فى الكتاب ونذكر لك شاهدا على ذلك استنبطناه من كتاب عد مؤلفه من قديسى كنيسة رومة وهو اسقف نويون المسمى الواه وكان موجودا فى القرن السابع ونص عبارته خير النصارى من يتردد غالبا الى الكنائس ويقدم الى المحراب القربان الذى يتقرب به الى الله تعالى ولا يذوق ثمرة كده الا بعد ان يقرب بعضها الى الله تعالى وقبل المواسم

ان هذه الطريقة كانت هى السبب فى ضياع عدة مؤلفات قديمة فكانوا
مثلا يمحون تأليف المؤلف تتليوه اوتاسيت و يكتبون بدلها سير بعض
القديسين اودعوات بعض الكهنة والرهبان كذا ذكره موراطورى وقد ذكر
المؤلف منتفوكون ان معظم الكتب القديمة التى عثر عليها كان مكتوبا
على جلود وكان قد مسح منها بعض الكتابة القديمة الا ما كان قبل القرن
الثانى عشر وحيث كان ندور المواد التى يكتب عليها من جملة الاسباب
التى ضاع بها مقدار عظيم من كتب المتقدمين استفيد منه سبب قلة كتب
المتقدمين السابقة على القرن الحادى عشر مع ان هذا القرن كان اول
اخذ الكتب فى الكثرة والانتشار لسبب سنذكره لك فى آخر هذا المبحث
وهناك وقائع اخرى كثيرة تدل على ان الكتب مدة القرون التى نتكلم عليها
كانت نادرة جدا وقل ان وجد فى ذلك الوقت اناس يملكون بعض كتب
بل بعض الديور والكنائس الكبيرة لم يكن موجودا فيها سوى نسخة واحدة
من كتاب القداس (صلاة النصارى) كما ذكره موراطورى وقد كتب الراهب
المسمى لوب وهو قديس ديرفيريرس (سنة ٨٥٥) مكتوبا الى البابا واقسم
عليه فيه ان يعيره نسخة من كتاب الاديب قيقرون ومن قانون كنتيليان
قائلا انه وان كان يوجد عندنا بعض شذرات من هذا الكتاب الا انه لا يوجد
نسخة كاملة فى مملكة فرانسا باجمعها انتهى ذكره المؤلف موراطورى
ثم ان ثمن الكتب لم يزل آخذا فى الغلو حتى ان الناس المتوسطى الحال فى الغنى
كانوا يعجزون عن شراء شئ منها وقد اشترت قونتيسة أنجو نسخة من كتاب
مواعظ هيمون اسقف هلبرستاده فدفعت فيها مائتين من الضأن وخمس
مقادير من الارض مزروعة قمحا (يقال للمقدار منها كارتيه) وخمسة
اخرى مزروعة من قمح الجاودار وخمسة مزروعة من الذرة البيضاء
كما فى تاريخ آداب فرانسا واستعار الملك لويز الحادى عشر (سنة ١٤٧١)
من جمعية الطب البشرى بمدينة باريس مؤلفات الفخر الرازى وهو من حكماء
العرب رهن هذا الملك فى نظيرها مقدارا جسيما من امتعته النفيسة

الثمينة

ثم ان عدة من هذه العوايد والمحافل الدينية مأخوذة من عوايد عبدة الاوثان
مع بعض تغيير خفيف وكان يوجد فيها امور هزلية بحيث لو كنا نشاهد
ان كل قرن يخلو عن انواع الاوهام الفاسدة والبدع الكاسدة لما امكن
الانسان ان يعتقد ان مثل هذه الامور كان مقبولا او رسما في الاعصر الماضية
ومن هذه المحافل المضحكة محفل كان يعمل سابقا في عدة كنائس من
مملكة فرانسا في شأن فرار السيدة مريم الى بلاد مصر وهذا المحفل كان يسمى
موسم الحمار وصورة هذا المحفل انهم كانوا يصورون بنتا شابة مزينة بالحر
الملابس حاملة طفلا فوق ذراعيها راكبة على حمار مسرج بسرج فاخر
والناس يقودونه الى المحراب مع الزفاف والاحتفال ثم يصلون وهم في غفل
وازدحام عظيم وقد عودوا الحمار ان يجثو على ركبتيه في احيان معلومة
وقت الصلاة * وبعد الصلاة ينشدون اشعارا مضحكة ككلام الصغار مكفرة
ثم بعد هذا المحفل يصرف القسيس الناس بكونه ينهق كالحمار ثلاث مرات
عوضا عن ان يصرفهم بالكلام المعتاد وكذلك الحاضرون عوضا عن
ان يردوا عليه بالجواب المعتاد ينهقون مثله ثلاث مرات ذكره دوكنج
وهذا الموسم المضحك لم يكن يعمل في الكنيسة على سبيل الاستهزاء واللعب
الذي كانت عدة الناس ان يحبوه ببعض امور دينية بل كان يعمل
على سبيل الاهتمام [illegible] يعمله القسيسون [illegible] الكنيسة [illegible] الموسم
المسمى موسم [illegible] ومثله من رسوم [illegible] الصغار [illegible] حيث ان هذا
الامر لم يكن منكرا عند [illegible] الكنيسة [illegible]
للعقل التي لا تصدر الا عن [illegible] بهائم [illegible]

المبحث الثالث عشر

في بيان مطلب انتهار فرصة المجاهدة الصليبية بصحيفة (٣٥)
من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

وحيث ان تاريخ الدنيا لا يوجد فيه واقعة اغرب من واقعة المجاهدات

والاعياد المقدسة بعدة ايام بلازم الرياضة والعفة فى عيشته ولوسع زوجته يمكنه التقرب الى محراب الله تعالى طاهر القلب خالص النية وغيرهم ايضا من يمكنه ان يستمر على تلاوة ادعية الحواريين والصلاة فاهدوا ايها الناس انفسكم بالطاعة وانقذوا ارواحكم من التلف والفساد قبل ان تضيع منكم كل وسيلة ولا تجدوا الكم قدرة ولا استطاعة واتحفوا القسيسين بالهدايا واخرجوا لهم العشر من اموالكم ومحصولات اراضيكم واكثروا من التردد الى الكنائس وحافظوا على التضرع والخضوع الى القديسين ليظلوكم بحمايتهم ورعايتهم فان حافظتم على هذه الاشياء وقفتم ثابتين الاقدام * بحضرة الملك العلام * يوم يدعو الداعى هذا يوم القيام * هذا يوم الاهانة والاكرام * فيصبح من اتقى الله فى السيئات * وقدم الحسنات * قائلا للحق الديان * الكريم المنان * اللهم أعطنا فانا منحنا * وأذلنا فاتانا وجهك عملنا * كذا ذكره اشير * ثم ان المترجم العالم الحاذق الذى ترجم تاريخ القسيسين الذى ألفه العالم موسهيم قد كمل هذا التاريخ ووسعه بحواش نفيسة زادها عليه ذكر فى حاشية منها عبارة صحيحة تعقب بها عبارة القديس ألواه السابقة ونصها قد رأينا فى عبارة القديس ألواه وصفا يبين التقى من ابناء النصرانية ولكن لم يذكر فيه حب الله ولا الرضاء بما تعلقت به ارادته تعالى ولا الانقياد لشريعته ولا التحريض على اتباع سبيل العدل والانصاف والمراعاة والاحسان بين الناس وبين بعضهم انتهى

المبحث الثانى عشر

فى بيان المطلب السابق ايضا

من المضر لكنيسة رومة ان مذهبها ان لا تغير شيأ من المحافل والرسوم الدينية التى هى مقبولة عند عامة الناس من اعصر الجهالة فهى فى الاعصر المنورة بمصابيح العلوم والمعارف مضطرة الى ان تستمر على ملاحظة العوائد التى لا يمكن قبولها الا فى اعصر الجهالة التى يصدق فيها الناس بكل شئ

وحمية من النصارى على ان يأخذوا في بعض مشروعات يهيجون بها [illegible]
لخلاص النصارى وانقاذهم من ظلم المسلمين نذكر ما يأتي

ففي (سنة ٩٨٦) كتب مطران راوبين المسمى جربرت الذي تقلد منصب البابوية من ذلك الوقت وسمي سلوستروس الثاني مكتوبا لجميع النصارى باسم كنيسة مدينة القدس وكان هذا المكتوب بليغا فصيحا بين الاسلوب من عباراته فكان فيه تحريض الناس على ان [illegible] في مدينة القدس ليخلصوها من ظلم المسلمين وبتحريضه بهذا المكتوب قامت قوم بعض اهالي جمهورية بيزه وجمهورية جنوه حتى وصلوا الى المسلمين بارض الشام كما ذكره موراطوري

وقد بقيت عزيمتهم لاخراج ولاشغال بلاد المشرق الى (سنة [illegible]) ظهور رأي جديد في بلاد النصارى وهو ان الملل النصرانية يجب عليها ان تقدم على بعضها لتطرد المسلمين من ارض القدس كما في تاريخ شتوركيت فيفهم من هذه الحوادث المذكورة ان الآراء التي حملت الناس على الغزوات الصليبية التي هي من قبيل الهوس والجنون قد ظهرت شيأً فشيأً على التدريج وحيث كان كذلك فلا ينبغي للانسان ان يتعجب من كون الناس كانوا اصغوا فيما بعد للمجاهدة الصليبية حين نشر اوربان الثاني راية الصليب لان عقولهم كانت متهيئة لذلك من قبل

وتلك الحوادث التي ذكرناها في هذا المبحث لا تعرف الا قدر الحمية التي تمكنت في عدد لا يحصى من الناس وحملتهم على الاقدام بالدخول في هذا المشروع الخطر وهو المجاهدة الصليبية ونذكر هنا الخصوصيات والمزايا التي كانت تعطى لاتباع الصليب في هذه المجاهدة حيث ان ذلك يدل على طول مكث تلك الحمية في اوربا فنقول اولا كان المحاربون مع الصليب في تلك الغزوات لا يطالبون بديون ماداموا من اهل الحرب المقدس

(ثانيا) كانوا معافين من ربح الدراهم التي اقترضوها

(ثالثا) كانوا معافين من الجرائم والغرامات دواما او لاجل معلوم

الصليبية ربما من المفيد المرغوب ان نذكر ما فيه توضيح كيفية الاختلال العجيب بل والجنون الغريب الذى كان حاصلا وقتئذ لعقول البشر فنقول قد ذكرنا فى اتحاف الملوك الالبا انه كان هنالك عدة اسباب حرضت عقول الناس شيأ فشيأ الى الفعال العجيبة التى حصلت منهم لاسيما وكان قد حثهم على ذلك وهيج قواهم وعزائمهم القديس بطرس لرميت بوعظه اياهم وحيث ان تاريخ هذه الغزوات المرغوب فيه ليس موضحا توضيحا شافيا فيظهر ان ذكر هذه الغزوات وتبيين احوالها تفصيلا على قدر اللازم يرغب فيه ويعتنى به بعض قراء كتابنا هذا

ومما استشهدنا به من كلام المؤلفين يحمل الانسان على ان يتيقن ان الناس فى آخر القرن العاشر واوائل القرن الحادى عشر كانوا منتظرين قيام الساعة وكانوا يقولون انها قريبة من عهدهم حتى صار الناس كافة بهذا الوهم فى حزن واشجان وتمكن من قلوبهم حتى بان اثره فى الوثائق المدنية ويوجد عدة وثائق سطرت فى آخر القرن العاشر اوله هكذا حيث ان الآخرة قد قربت كما يستدل على ذلك بالمقت والغضب الحال بالناس من الله تعالى اختبارا لهم تقول كذا وكذا الى آخره انتهى من تاريخ لنغدوق للمؤلف ويسيت فبهذا الرعب ذهب مقدار جسيم من حجاج النصارى الى بيت المقدس ليموتوا فيه او ينتظروا نزول المسيح عيسى فصار الملوك والملتزمون والاساقفة وكثير من النساء والقونتات ورعاع الناس كلهم يحثون السير الى ارض القدس وذكر بعض المؤرخين ان قونتة أنغوليم ذهب الى بلاد القدس (سنة ١٠٢٦) بعدد لا يحصى من الناس ثم ان هؤلاء الحجاج بعد رجوعهم من بلاد القدس ملأوا اوروبا من الحكايات المبكية على المعاملة السيئة الحاصلة للنصارى فى ارض القدس ذكره ولديرم وزيادة على ذلك كان يرى كثيرا اناس من النصارى الساكنين بمدينة القدس وغيرها من مدائن المشرق يسيحون فى بلاد اوروبا للشحاذة ويبالغون فى فقر النصارى الموجودين ببلاد المسلمين ليحسن اليهم الناس ويحرضوا اصحاب الغيرة

في هذه المعركة المقدسة و[illegible] وتوكلهم على [illegible] [illegible]
الحظ والفرح الذى ظهر منهم [illegible] [illegible] كل [illegible]
يمن على معركة الغيرة المفرطة والحمية [illegible] [illegible]
الناس وتشتد اضطراباً [illegible] [illegible]
بقدر ما تولده فيها من حادثة عجيبة اخرى من الحوادث المعلومة في التواريخ
ولاشك في ان [illegible] هنا [illegible] المؤرخين [illegible] هذه المعركة
ولكن رجائى ان [illegible] [illegible]
تحقيق [illegible] وتحسين [illegible] ولاجل [illegible]
مكتوباً بعضه قوماً الآن هذا مكتوب [illegible] قومية [illegible]
والجواس وكان من [illegible] هذه المعركة في [illegible] [illegible]
والنجاح الذى حصل لاهل الصليب وكتب فيه ما يفيد ان اهل الصليب
هم جند عيسى المصطفون وانهم جند الله يجاهدون في سبيله وانهم تحت
حماية الله القدير من غير واسطة اجنبية اذ انه كان يرشدهم بقدرته ويوصلهم
الى النصرة والفتوح وقال في حق [illegible] انهم امة كافرة مغضوب عليها
من الله [illegible] سبحانه وتعالى لا يعطل [illegible] [illegible]
في [illegible] [illegible] [illegible] ان [illegible]
من [illegible] [illegible]

ولا يخفى [illegible] [illegible]
[illegible] حصل في جميعها [illegible] [illegible]
[illegible] وتشتد عند جميع [illegible] [illegible]
[illegible] التى سلكها الامير [illegible] [illegible]
في تحصيل المبالغ اللازمة [illegible] [illegible] الصليبية
(سنة [illegible]) ولا بأس بذكر هذه الخصوصيات لانه يعرف بها تأثير تلك
الغزوات الصليبية ومداخلتها التى كانت لها وقتئذ في الاملاك والعقارات
والحكومة المدنية فنقول (اولا) قد باع هذا الامير بعض التزاماته باذن [illegible]

(رابعا) كان يباح لهم ان يعطوا اراضيهم لمن شاؤا من غير اذن ملتزمهم الذى اقطعها لهم ذكر ذلك كله دوكنج

(خامسا) كانت ذواتهم وامتعتهم فى حماية مارى بطرس فكانت الكنيسة ترمى بسهام الغضب والمقت جميع من كان يتعرض لهم بسوء او يبحث عن مشاجراتهم ماداموا مشتغلين بالحرب المقدس ذكر ذلك دوكنج والمؤلف غيبرت

(سادسا) كانوا يتمتعون بجميع مزايا القسيسين فلم يكن يجب عليهم الحضور بالمحاكم المدنية وانما كان يحكم عليهم بالافتاآت الدينية قاله دوكنج

(سابعا) كانوا اذا ارتكبوا ذنبا يسامحون مسامحة كلية وتغفر ذنوبهم لانهم كانوا يعتقدون ان ابواب السماء مفتحة لهم ولا يطلب منهم كفارة لخطاياهم لان كفاراتهم هى دخولهم فى المجاهدة الصليبية التى كانت ملايمة لطباعهم وشهواتهم حيث كانوا يحبون الحرب حبا جا ذكره غيبرت

وحيث ان القوى المدنية والقسيسية كانت تبذل كل الجهد فى تحبيز مشروعات تزيد اباطيل اوهام الناس وتعضدها فهل يستغرب انه كان من العار وقتئذ الامتناع عن الدخول فى الحرب المقدس وان الناس كانوا يعدون من الجبن والعار احجام الانسان عن هذا الحرب قاله ويلرم ثم ان تواريخ الغزوات الصليبية التى ألفت اخيرا لا تفيدنا التولع الذى كان قائما بأهالى اوربا وقت هذه الغزوات الا فائدة ناقصة قليلة جدا لان المؤلفين المتأخرين الذين ألفوا هذه التواريخ عوضا عن ان يذكروا لنا الآراء والاصول التى كان يسلكها الامم القديمة التى تصدى هؤلاء المؤرخون لبيان تاريخها بدلوها بآراء اعصرهم الاخيرة واصولها واما المؤرخون المتقدمون فكانوا متولعين بما كان يتولع به اهل عصرهم فلم يصفوا لنا هذه الاعصر واخلاقها الا بالامور العجيبة ثم ان اضطراب المؤرخين وحماستهم عند ذكر النتائج التى ترتبت على تحريض البابا فى المشورة القسيسية التى عقدت فى مدينة كلرمون وكذلك ما اظهروه من المسرة عند سرد الناس الذين وهبوا انفسهم

قد جرت العادة ان الانسان اذا اراد ان يعلم اخلاق ملة من [illegible]
ان ينظر فى الوقائع التى ذكرها المؤرخون ... [illegible]
عدة عبارات فى وصف رونق الامبراطورية [illegible]
وقد استنبط القسيس سونفوكون من تاريخ [illegible]
تبين [illegible] ابيالبا شافيا [illegible]
اخلاق اهل عصره وعوائدهم فى [illegible]
فى مقام [illegible]
رفصاهـ بعناوين مختلفة [illegible]
كان مشابها كثيرا [illegible] ملوك المشرق [illegible]
وكملت امبراطرة [illegible] عشر [illegible]
فى الشوكة لكنهم لم يكونوا اقل منهم فى [illegible]
اخلاق امبراطورية المشرق واخلاق [illegible]
مما ذكرناه وربما كان اصح منه وهو انه لما كانت مدينة القسطنطينية ملتقى
الجيوش الصليبية كانت كذلك ملتقى الامم المشرقية والامم الغربية ويوجد
الى الآن عدة مؤلفين من [illegible]
قد شاهدوا باعينهم اختلاط امم المشرق بامم الغرب [illegible]
غاب هؤلاء الامم [illegible]
التى عن [illegible]
لا اختلاط [illegible]
واخلاقهما يكون [illegible]

وقد وصف اليونانيون [illegible] (قدماء الفرنساويين) بانها امة [illegible]
كالوحوش الكاسرة خشنة جاهلة ذات حمية شديدة وبالغوا فى هذا
الوصف [illegible] بحيث يرى من عباراتهم ان امتهم كانت
اكثر تمدنا من الفرنك وانها كانت متجرة فى فن ادارة الحكومة مستضيئة
بانوار التمدن والذوق السليم وكان ذلك مجهولا عند الامم الشمالية

هرب الذى كان اعطاه له واذن لهذا الامير ببيعها حيث اعدّ اثمانها لامر جليل مقدس

(ثانيا) صدرت منه فرمانات يعد فيها الاشراف بمزايا جديدة و بعد ايضا مدائن التزاماته وقراها بخصوصيات جديدة بشرط أن يعطيه الاشراف واهالى المدائن والقرى من غير تراخ مبالغ معلومة لاجل الغزوات الصليبية ومن ثم ترتبت عدة شرائع للجمعية سنتكلم عليها فى مبحث آخر .

(ثالثا) انه لاجل أن يجمع المصاريف اللازمة لمشروعه فرض قدرا معلوما على كل من لم يصحبه بنفسه من رعاياه الى تلك الغزوة سواء كان هذا الممتنع من طائفة القسيسين او العامة

(رابعا) قد عين مبلغا جسيما من ايراداته المعتادة لمصروف الجيوش التى تخدم فى هذه الغزوة

(خامسا) اخذ مبالغ جسيمة من اليهود القاطنين ببلاده ومن صيارفة اللومبرديين وغيرهم من الصيارفة الذين كانوا ساكنين ببلاده فبتلك الوسائل كلها صرف مصاريف واسعة فى تلك الغزوة بحيث انه اضطر بعد رجوعه الى ان طالب رعاياه ثانيا وظلم اليهود بغرامات جديدة اخذها منهم ذكر ذلك كله فى تاريخ الدوفينه وللماسافر قونتة فواكس فى اول غزوة لم يمكنه جمع المبالغ اللازمة لمصاريف هذه الغزوة الا بعد ان باع بعض التزاماته كما فى تاريخ لنغدوق واما بودوان قونتة هينوت فانه رهن او باع جزأ من اراضيه لاسقف ليجه (سنة ١٠٩٦) كما فى تاريخ دوموند و بعد ذلك بزمن طويل اراد بودوان قونتة نامور (سنة ١٢٣٩) ان يدخل فى الغزوات الصليبية فباع بعض بلاده لديرمن الديور كما قاله ميروى

المبحث الرابع عشر

فى بيان مطلب تأثير حرابة اهل الصليب فى الامن على الاملاك بصحيفة (٣٨) من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

متعودا على الرفاهية التي كانت وتشد في بلاد العرب قد [illegible]
في هذا المعنى وبالغ في التعجب الذي ادهش بعض عساكر [illegible]
مدينة القسطنطينية الاتلاث المرتسعة فقد [illegible] يعسر على [illegible]
أن يصدقوا بانه يوجد في الدنيا [illegible]
حتى نظروا الى اسوارها الكبيرة وحصونها المشيدة [illegible] وقصورها البهية
اللطيفة وكنائسها النفيسة [illegible] باعينهم بحيث [illegible]
المدينة باعينهم لم يتات لهم أن [illegible]
وهذه العبارات الصادقة المبينة لحالة [illegible] في التعجب [illegible]
بانفسهم تقتضي ان البرنايين [illegible] ان يعتبروا الافرنج [illegible]
خشنية قليلة التمدن وان الافرنج [illegible] يحتقرون [illegible]
الى الامور الغير الحربية وكانوا لا يعترفون [illegible] بان البرنايين يفوقون عليهم
بكثير في شأن فنون الرفاهية والطرف
ولاشك ان الحكومة والاخلاق قد بلغا في ايطاليا درجة كمال لم تكن فيما عداها
من باقي ممالك اوروبا وهذا ثابت مبرهن عليه بالحوادث والحكايات المذكورة
في التواريخ [illegible]
الفرق الكبير بين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

المبحث الخامس عشر

في بيان مطلب اول ترتب الحرية في مدن ايطاليا [illegible] (٤١)
من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

مما يستصوب ان ننبه هنا على الوسائل والوسايط التي استعملتها مدائن ايطاليا
لاجل توسيع حكمهم وتقوية شوكتهم فنقول ان هذه المدن بمجرد

وبهذه الكيفية وصفت الاميرة أنكومنينة اخلاق اللاطينيين كما فى تاريخ بيزنت فلم تتكلم عليهم الامع الاحتقار حيث وصفتهم بانهم امة خشنية متبربرة يكفى ذكراسمها فى تدنيس التاريخ وازالة بهجته ورونقه وكذلك المؤلف نستاس كرونيات فانه بالغ فى ذم هذه الامة اكثر من أنكومنينة ووصفها فى نهبها وسلبها بعبارات تقرب كثيرا من العبارات التى قالها المؤرخون قبله فى وصف اغارات امم الغوثيين والوندااليين نذكره فى تاريخ بيزنت

وايضا المؤرخون اللاطينيون تعجبوا غاية العجب عند نظرهم بهاء ايمراطورية المشرق وثروتها وظرفها فبمجرد مانظر احدهم وهو المؤلف فواكود وشرتروس الى مدينة القسطنطينية تعجب من منظرها وصاح قائلا ياالهى ماأحسن مدينة ظريفة واسعة وما اكثر دورها وما اكثر قصورها البديعة البناء وما اكثر مايرى فيها من الورش العجيبة وما كنت اتوهم انه يكثر بها سائرانواع الاشياء والنفائس من ذهب وفضة واقمشة متنوعة كيف لا وقد شاهدت مينا هايأتى اليها فى كل ساعة سفن موسوقة من جميع الاشياء اللازمة لاستعمال الناس انتهى واما غليوم مطران مدينة صور وكان اعلم جميع المؤرخين الذين الفوا تاريخ الغزوات الصليبية فقد وصف فى عدة مواطن بهاء ديوان القسطنطينية وعظمه وذكر ان ما كان يراه اهل المغرب فى تلك المدينة كان يجل أن تحيط به عقولهم واما بنيامين العبرانى وهو من مدينة تودلة باقليم نوار وكان مبدء رحلته (سنة ١١٧٣) فالظاهر انه تعجب كذلك من عظم مدينة القسطنطينية حيث وصفها بعبارات تدل على غاية التعجب من تلك المدينة وذكر مثل ذلك المؤلف برجرون فى رحلاته فى القرن الثانى عشر والثالث عشر ومابعدهما وقد ألف الراهب غونتيير الفرنساوى تاريخا فى فتح القسطنطينية بالجيوش الصليبية فى القرن الثالث عشر وتكلم فيه على عظم تلك المدينة وبالغ فيها كغيره ثم ان جرفروا دوويل هردوان الذى هو من الاشراف الممتازين وكان

محكومة به حتى ان ايطاليا الآن مشحونة بالمدائن الحرة التى جبرت اسيادها على ان تسكن من داخل اسوارها وقل ان وجد احد من الاشراف ولو عظمت شوكته مهما عظمت الا وهو مكلف بالشرائع واصول حكومة المدينة التى هو مقيم بها انتهى وذكر هذا المؤلف فى عبارة اخرى ان المحترم موتهو فيرات هو الذى امكنه دون غيره من بارونى ايطاليا أن يبقى على استقلاله كما كان وابى أن يكتفوا بشئ من الشرائع والقوانين التى كانت توجد بمدائن ايطاليا ذكره موراطورى

واختار بعض الاشراف من نفسه ان يكون تابعا للمدن حين نظر جمعياتها الاهلية يتمتعون بأمن عظيم ونفوذ كلمة وامتياز وشوكة وثروة فاحب ان يكون له جزء من هذه القرائن وعزم على ان يدخل تحت حماية هذه الجمعيات القوية الشوكة فجعل نفسه من جملة اهالى المدن القريبة لاملاكه وترك قصوره القديمة وصار من وقتئذ يسكن فى داخل المدن ولو مدة معلومة فى كل سنة ويوجد الى الآن وثائق تدل على ان عدة من اشهر عائلات اشراف ايطاليا تجمعت مع بعضها على وجه كونها منسوبة لجمعيات مختلفة من الجمعيات الاهلية ذكره موراطورى ويوجد ايضا الوثيقة التى بها صار المحترم أورد وماسرونى من جملة اهالى مدينة أوزيمو فى اقليم مرشودنكارنو وشرط على نفسه فى هذه الوثيقة أن يكون من جملة اهالى هذه المدينة وأن يبذل جميع ما يمكنه به ايصال خيرا وسعادة وان يكون سميعا لشئون هذه المدينة ولا تعصب على عاميها ومن اعدائها وأن يقيم داخل المدينة شهورا فى كل سنة بدون تأخير ان شاء اذا كلفه القضاة بذلك ولكن يلزم ايضا ان تتكفل هذه المدينة بحمايته وحماية عائلته واحبابه وان تدفع عنه كل عدو يتعدى عليه

وكان الدخول فى جملة اهالى الجمعيات المدنية مرتبة كبيرة بحيث ان العوام بل والقسيسين اصحاب الامتياز رضوا بان يكونوا من جملة ارباب الجمعيات المدنية الكبيرة ليتمتعوا بالامن وشرف المقام الذى كان لارباب هذه الجمعيات

ما اطماعات على حريتها وعرفت نه صار لها الاهمية وتأثير اشتغلت بان تملك على الاراضى التى حول اسوارها وذلك انه لما كانت هذه المدن فى حكم الروماييين تتمتع بافتئات ومزايا بلدية كانت جميع الاراضى المجاورة لمدينة تنسب لتلك المدينة ومن مجموع هذه الاراضى تكونت عقارات الجمعية ولكن لم تكن سياسة الملتزمين تساعد هذه المدائن فى حفظ مزاياها واراضيها بسبب عن ذلك ان اخذت منها هذه الاراضى فيما بعد وقسمت بين من فتحوا بلاد ايطاليا ثم اعطيت للبارونيين بنوا قصورهم قريبا من ابواب المدن التى كانوا يحكمون عليها فاغارت عدة من مدائن ايطاليا على هؤلاء الباروني‍ين المجاورين لهم فى املاكهم متعللين بان تلك الاملاك كانت لهم وغصبت منهم والآن يريدون اخذها فطردوا الباروني‍ين منها واشتركوا مع بعضهم فيها ومن ثم ازدادت قوة المدائن وقويت شوكتهم كثيرا وحصل فى القرن الحادى عشر واوائل القرن الثانى عشر من تلك المدن كثير من انواع التعدى كما ذكره موراطورى وكان طمعها يريد بازدياد شوكتها فهجمت بعد ذلك على الباروني‍ين القاطنين بعيدا عنها وجبرتهم على ان يحلفوا انهم يكونون من جملة اعضاء الجمعية البلدية او الاهلية وان يعقدوا الميثاق على الانقياد لقضاتها وان يصير على اراضيهم جميع الفرد والغرامات التى تفرض عليها من طرف الجمعية البلدية وان يكونوا انصارا لهذه الجمعية ويحاموا عنها من كل عدو يتعدى عليها وان يسكنوا المدائن مدة معلومة فى كل سنة قاله موراطورى

فامتثل الاشراف للحكومة المدنية فى سائر البلاد ولكن لا يخفى انهم مع انقيادهم هذا كانوا يتأذون كثيرا من هذه الكيفية لانهم كانوا متعودين على ان يعيشوا فى الاستقلال وقد وصف المؤلف أوتون دوفريزنجان الحالة التى كانت عليها ايطاليا مدة حكم الملك افريدريق الاول فقال المدن تحب الحرية كثيرا ولا تحمل اذى حاكم صاحب شوكة وقدرة حيث نقضت كل حكم كان عليها الا حكم القضاة فانها رضيت ان تكون

والمشاجرات الطويلة التى كان فيها كل من الفريقين يربح تارة ويخسر أخرى عقدت فى مدينة قونسطنسه (سنة ١١٨٣ ميلادية) مشارطة صح بها ثبت لمدن ايطاليا الكبيرة جميع المزايا والخصوصيات التى كان اعطاها لها الاعبراطرة المتقدمون ذكره موراطورى ثم اعتبرت هذه المشارطة بعد ذلك كانها فصل مهم من شرائع القرون الوسطى حتى جرت العادة بدرجها مع قوانين الالتزامات فى آخر كتاب الحقوق المدنية حيث كانت تضمن للمدن المتعاهدة حفظ الاهم من مزاياها ومع [illegible] هذه المشارطة كانت [illegible] عظيمة و[illegible] واسعا لم تزل المدن مواظبة على قوة عزمها وبذل جهدها فى توسيع دائرة مزاياها وساعدتها فى سعيها الاقدار حتى [illegible] اغلب [illegible] الكبيرة قبل [illegible] القرون [illegible] عشر [illegible] قد رفضت طاعة الاعبراطرة وصارت جمهوريات مستقلة بنفسها [illegible] ولا [illegible] الى أن نذكر هنا الطرق التى سلكتها حتى وصلت الى أوج هذه [illegible] العلية التى هى طالع نحس على الاعبراطرة وطالع سعد لحرية بلاد [illegible] وقد جمع المؤلف موراطورى الذى عادته الصدق والتدقيق عدة وقائع نقلها عن المؤلفين كما هى من [illegible] تعرف [illegible] ثم [illegible] هذا الامر [illegible] المرغوب [illegible] [illegible]

[illegible]

فى بيان [illegible]

[illegible]

[illegible] جمعيات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ثم [illegible] فى شرائع [illegible] عشر والثالث عشر حيث [illegible] المدن [illegible] الوثائق جمعيات بلدية كما جعلت بالوثائق التى [illegible] فى [illegible] المذكورين ولم ترتب فيها حكومة المدينة

ذكره موراطورى وقبل حدوث الجمعيات المدنية كان الاشراف لا يقيمون الا بقصورهم وكانوا يصبون فيها دواوينهم وكانت المدن وقتئذ خربة لا يسكنها الا الارقاء المستعبدون وبعض من رعاع الناس ولكن بسبب هذه الحادثة التى تكلمنا عليها صارت المدن اعمر من املاك الملتزمين والاشراف وصارت مشحونه بسكان اعيان اولى احترام واعتبار وتجددت فى ايطاليا البيانات العائلة السعيدة الموجودة فيها الى الآن فترى العائلات ذات الاعتبار التى تسكن المدن الكبيرة من ايطاليا اكثر من العائلات الشهيرة التى تسكن المدن الكبيرة فى باقى بلاد اوروبا ولما صارت مدن ايطاليا مسكونه بالاكابر والاعيان ازدادت بهجتها وعظم احترامها وزاد ولعها بحفظ حريتها واستقلالها ثم ان الامبراطرة كان لهم سابقا فى اغلب مدن ايطاليا الكبيرة قصور ينزلون بها وقت ان كانوا يشقون فى بلاد ايطاليا وكان العساكر الذين يصحبونهم يوزعون على بيوت اهالى المدن فكان اهالى المدن يرون ان فى ذلك اذلالا لهم وخطرا عليهم لانهم كانوا يقولون ان هؤلاء الناس الداخلين فى مدننا هم حكامنا واعداؤنا فاشتغلوا سريعا بانقاذ انفسهم من هذا الامر فبعض مدن حالفها الامبراطرة على ان لا يدخلوها ابدا بل يجعلون مساكنهم خارج اسوارها كما فى الوثيقة الملوكية التى ذكرها موراطورى وبعض آخر رخص له الامبراطرة ان يهدم القصور الملوكية التى فى داخل الاسوار بشرط ان يبنى قصورا غيرها فى الرساتيق لتنزل بها الامبراطرة

وهذا التعدى الحاصل من طرف مدن ايطاليا أفزع جميع الامبراطرة وملأ قلوبهم بالاحزان والاشجان فصمموا من وقتئذ على ان يجددوا فيها ثانيا الاقتدار الملوكى وان يردوا فيها الاشياء الى حالتها القديمة وكان من جملة من اظهروا العزم فى هذا الشأن واجتهدوا فى تتميم هذا المشروع الملك افريدريق بربوروس فاجتمعت عند ذلك جميع المدن الحرة من ايطاليا وصارت عصبة واحدة وتأهبت للمدافعة عن نفسها وبعد المنازعات

ونرتب ماجمعناه من تلك البنود على فصلين الفصل الاول فيما يخص الأمن
الشخصى والفصل الثانى فيما يخص الأمن على العقارات والاراضى
فنقول

(الفصل الاول فيما يخص الأمن الشخصى)

لا يخفى انه فى حالة الفتن والتقلبات التى نشأت فى اوربا عن فساد الحكومة
الالتزامية كان الأمن الشخصى اهم مقصد لكل انسان وكان وقتئذ
لايمكن لاحد ان يحامى عن اتباعه الا كبار البارونيين الحربيين فكان ذلك
احد الاسباب الاصلية التى وصلتهم الى اكتساب السطوة وعظم الشوكه
ولكن كان انشاء الجمعيات البلدية فيما بعد واسطة لأمن كل انسان على
نفسه من غير ان يحتاج لحماية الاشراف والبارونيين كما كان سابقا وذلك
من عدة وجوه

(اولا) كان مبنى كل وثيقة ان اهل الجمعية الاهلية يلزمهم ان يتحالفوا
على أن يعين بعضهم بعضا عند الحاجة وان يحاموا عن أنفسهم وينتقموا
لبعضهم من كل عدو اوظالم يتعدى عليهم

(ثانيا) انه متى طلبت مدينة حريتها وجب على جميع سكانها أن ينضموا
الى بعضهم ويصيروا جمعية واحدة ليحاموا عن انفسهم واذا أبى احد
منهم ذلك حكم عليه بغرامة كبيرة فى نظير امتناعه

(ثالثا) كان لاهالى تلك الجمعيات البلدية الحق فى ان يحملوا السلاح
وان يحاربوا اعداءهم الخصوصية وان يستعملوا قوتهم العسكرية في جميع
جميع الاحكام التى تصدر عن قضاتهم ذكر الزجور [illegible]

(رابعا) بطلت عندهم عادة الخدنية [illegible] وكذلك عادة اخذ الاموال
فى نظير كل فعل قبيح يخالف انتظام الجمعية وامن الناس وصار كل من ارتكب
ذنبا من الكبائر الفاحشة يعاقب بالقتل او يحكم عليه بعقاب آخر شديد
على حسب ذنبه لذى جناه

(خامسا) كان لا يجب على اهالى الجمعيات ان يبرؤا انفسهم او يدافعوا عنها

ولم تأذن لاهاليها بحمل السلاح فلم يكن فى تلك الوثائق الامجرد اعتاق الاهالى من الاستعباد والرق الذى كانوا فيه ومعافاتهم من بعض خدم شاقة مذلة ولكن فرضت عليهم بعض غرامات معلومة يدفعونها لسادانهم الملتزمين فى نظير ما كانوا يكلفونهم به سابقا كيف شاؤا ويوجد الى الآن من هذه الوثائق وثيقتان لقريتين من قونتية روسيلون تاريخ احداهما (سنة ٩٧٤) والاخرى (سنة ١٠٢٥) ذكرهما بطرس دومركه والظاهر ان هذه الوثائق لم تكن مجهولة فى غير مملكة فرانسا من بلاد اوروبا وانها كانت واسطة يتوصل بها الى المزايا الواسعة التى اعطاها لويز لوغروس (اى لويز السمين) لمدن التزاماته وجفالكه

ثم ان الجمعيات البلدية فى فرانسا لم تصل ابدا الى درجة الاستقلال الذى كانت تتمتع به جمعيات ايطاليا نعم ان جمعيات فرانسا قد اكتسبت مزايا وخصوصيات جديدة ولكن كان حق الحكم عليها منوطا بالملوك او بالبارونات الذين يحكمون مدائن تلك المملكة ويعطونها وثائق الاعتاق ويوجد الآن فى مجموع اوامر ملوك فرانسا عدة كبيرة من هذه الوثائق صادرة من ملوك فرانسا او من كبار اتباعهم ومن قرأ هذه الوثائق يتعجب من الحالة المسيئة المحزنة التى كانت عليها المدن قبل حدوث الجمعيات البلدية وقت أن كان عليها قضاة منصوبون من طرف الملتزمين وكان هؤلاء القضاة يفعلون فيها كما شاؤا حيث لم يكن ثم شريعة سوى شريعتهم وقوانينهم وكانت العطايا التى تذكر فى هذه الوثائق كناية عن اعطاء بعض مزايا لم يكن يتمتع بها الناس قبل والقوانين التى كانت فيها كناية عن واسطة لازالة بعض المظالم التى كان يتأذى منها الناس وتشتمل هذه الوثائق ايضا على الوسايط التى كانت اوّل منشاء للحكومات المنتظمة وقوانين التعادل وبهذين الامرين كانت تلك الوثائق حرية بان يلتفت اليها التفاتا خصوصيا فرأينا انه عوضا عن كوننا نحيل من قرأ كتابنا هذا على المؤلفات المطوّلة التى توجد فيها هذه الوثائق مشتتة نذكر له هنا ما يكون له به المام ببعض بنود مهمة مذكورة فى تلك الوثائق

شيأ أنشيأ على الوجه الذى نذكره وهو (اولا) كان [illegible] الامر [illegible]
انسان لآخر شيأ بثمن مؤجل استوثق البائع من [illegible] عنده
عنده حتى يسلمه الثمن وتوجه الى [illegible] من هذه [illegible]
ذكره داشورى

(ثانيا) كان اذا لم يدفع المشترى [illegible] رهنا و[illegible] عند انقضاء الاجل
او اعسر كان لغريمه الاخر ان يقبض بنفسه على [illegible] قبر [illegible]
وقد صدر امر من [illegible] فرانسا [illegible]
دين على [illegible] ان يستولى [illegible] على [illegible]
المدينه حتى يقتضى [illegible]
القساوة المليبة [illegible] دينه
وقتئذ حيث كانت [illegible] و [illegible]
هذه العادة مكثت زمنا طويلا [illegible] الامر [illegible]
كان صدوره من الملك ([illegible]) واما الامر الذى [illegible] عن ان
يأخذ الغرماء امتعة المدينين [illegible] ولم يصدر الا
(سنة ١٣٥١) ولكن [illegible]
يقطع عرق [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فى [illegible] على [illegible]
الاستعداد [illegible] القبض على عقار [illegible] حتى يستوفى الغريم
دينه ذكره د [illegible] التاريخ [illegible] امن كل غريم على [illegible]
ولكن حيث ان هذا [illegible] صعبا على الناس اخذت المروءة الانسانية

بالمقاتلات الشرعية فكان اذا اتهم ا
الابعد ثبوته بالبينة واقامة الدعوى على
داشورى والمؤلف ميروى
(سادسا) اذا كان انسان من اهالى ا
اوانه عدوه ساغ له ان يشكو للقاضى لكن
القاضى الشخص المدعى عليه و يطلب م
فى حق المدعى و يشترط عليه انه ان
كبيرة ذكره داشورى
ومثل هذا الامن موجود الى الآن ف
فى فرانسا كان بين اهالى الجمعيات الب
ان نفعه كبير فى أمن كل انسان على نفسه
الجمعية كما ذكره دوكنج فى كتابه المسمى ح
*(الفصل الثانى فيما يخص الامن
كانت وثائق الجمعيات البلدية لانهم
بل كانوا يعتنون به كما يعتنون بالامن
القوانين القديمة التى كانت بمملكة فرانـ
ولاوضعه فى السجن بسبب دين خصو
انسان لاى سبب كان ماعدا ارتكابه لل
تخليصه من ايدى الضباط القابضين
اخرى غير بلاد مملكة فرانسا كان الناس
جواز القبض عليهم من اجل الديون
خشونتها وعدم عدتها كان الدين معتبر
لا باموال ولا بعقاراته واملاكه ثم تقدم
له الحق فى ان يقبض على عقارات مدينه
استعملت فى هذا الشأن كانت فى الجمعـ

[illegible] في هذا الشأن [illegible]

ولا يخفى ان هذه [illegible] على اساس [illegible]

[illegible] بها حيث [illegible] حق توزيع [illegible]

منوطا ببعض الناس من اهل [illegible]

الحووي [illegible] عليهم المرثيق [illegible] على وجه الحق

والعدل ثم [illegible] جمعيات الاهالي [illegible]

من اعظمها انهم [illegible] على ان [illegible] لا من على [illegible]

[illegible] ذكره ويدل على هذه [illegible]

كانت في [illegible] ويدل عليها ايضا [illegible]

كوثيقة الملكة [illegible] ملكه [illegible] صدرت منها جمعية [illegible]

ذكره دوكنج وماقدمناه هو بعض القوانين الاصلية التي احدثت لاجل

الجمعيات البلدية مدة القرن الثاني عشر والثالث عشر ويمكن أن نعتبر هذه

القوانين كأنها مبادي اصول التشريع والسياسة من ضبط وربط لانها

اعانت كثيرا في انشاء حكومة منتظمة بين جميع اهالي الجمعيات فبمجرد انشاء

الجمعيات اخذ الناس في التعاطي والتجاسر واشهروا اعلام الحرية حتى

ان الملتزم هو [illegible] ملتزم بوجوه العطى لمدينة [illegible] بوثيقة الاعتاق طلب

من اهاليها أن يحلفوا على أن لا يجرّدوا [illegible] من بعده واخذوا

عليه المواثيق ايضا [illegible] يحافظ على حريتهم [illegible]

على اربعين عشرين من المقترسين [illegible]

[illegible] من الملتزم دو موارنس في اقليم [illegible] حيث [illegible]

[illegible] ضامنين له اذا تخلف عن العمل بموجب [illegible] المبينة في وثيقة جمعية

مدينة موارس فتكفل هؤلاء الاشخاص الضامنون بان [illegible]

اسكان مدينة موارنس اذا تعدى ملتزمهم على بعض حقوقهم وان يمكثوا

اسرى عندهم الى ان يعدل هذا الملتزم بينهم كما في تاريخ اقليم دوفينه وكان

اذا عاب انسان من مشايخ البلد او اكابر القضاة في حق احد من الاهالي [illegible]

من نفسها فى تضييته وتحقيقه فع العريم س
ومرشه وباب بيته وآلات زراعته وغيرذلك كما
انه لما صار قانون القبض على امتعة المدين عاما
الغريم على فرس مدينه واسلحته اذا كان من ا
تسلية الاشراف الحربيين وكانوا داغامته ولعين به
يقبض على صقر احد من الاشراف فى نظير دين
ان المدين ليس له من الامتعة الا هذه الاشياء ف
(رابعا) لاجل ان يصير الامن على العقارات ا
كل من اراد ان يكون عضوا من اعضائها يج
او يتخذ له ارضا من اراضيها او يأتى معه فى المد
من الامتعة والاثاث بحيث يكون مضمونا بها ف
(خامسا) انه لاجل تأكيد هذا الامن حسب
فى بعض المدن مضطرين الى كفالة بعضهم
(سادسا) جميع القضايا التى تخص العقارات كان
الاهالى وكان ما يحكم به هؤلاء القضاة اعدل
الذين كانوا يعتقدون ان احكامهم فوق كل
كيف شاؤا على حسب اهوآئهم وشهواتهم
(سابعا) كان لا يجوز أن يفرض على اهالى
غير مضبوطة بحيث تكون على حسب ارادة م
كان يعطى وثيقة اعتاق او معافاة لبعض المد
الا مبلغا معلوما فى نظير جميع انواع الحقوق التى
ايضا توزيع هذه الغرامات الا بالسوية فكان
المفروضة على الجمعية بين أهاليها على حد
جماعة دون آخرين حتى انه فى وثائق بعض
قوانين تبين طريق توزيع الغرامات على

[illegible]

المبحث السابع عشر

في بيان المطلب [illegible]

[illegible]

الى أن يحضر ضامنا يلتزم بحضوره فى المحكمة لتمام دعواه كالآحاد فاذا حكم عليه بعقاب كان يحكم عليه ايضا كالاحاد سوآء بسوآء بالنظر للذنب الذى ارتكبه قاله داشورى وكل ذلك يفهم منه أن جميع الناس كانوا على حد سوء وهذا امر لم يكن يعرف فى المذهب الالتزامى ولا فى الحكومة الالتزامية وكانت الجمعيات البلدية تحافظ على الحرية مهما امكن حتى بالغوا فى ذلك وصار يطلق لفظة حرية على كل جمعية منها كما ذكره دوكنج وكان الاشراف فى مبدء الامر لا يميلون كثيرا الى هذه الجمعيات حيث يعلمون أن فيها تضييقا لشوكتهم وحكمهم وقد سماها الراهب غيبرت بالابتداعات القبيحة المشؤومة لانها كانت واسطة فى اعتاق المستعبدين واخراجهم عن طاعة ساداتهم وهذا على زعمه مخالف للشريعة والعدل ذكره دوكنج ايضا وقد حصل ان بعض الاشراف والقسيسين اولى الشوكة والبأس تصدروا لتعطيل انشاء هذه الجمعيات وبذلوا انفسهم ما لا يطيق فى تضييق دائرة مزاياها حتى اظهروا فى هذا الشأن غيرة زائدة جدا عن حد الاعتدال ثم شاهد ذلك المنازعة والمنافسة التى حصلت بين امراء مدينة رمس وسكانها اذ سكنت جميع المطارنة زمنا طويلا وهم يشتغلون بتضييق دائرة امتيازات جمعية هذه المدينة وحقوقها واما الاهالى فتمكنوا مدة خلو الكرسى القسيسى من رئيس وهم يهتمون بتمكين امتيازاتهم وتقويتها وتوسيع دائرة حقوقهم ومزاياهم ذكره أنكتيل فى تاريخ مدينة رمس المدنى والسياسى

وهذه الملحوظات التى قدمناها فى بيان حالة المدن وسكانها ثابتة ببراهين جمة صرحت بها عبارات شتى فى تواريخ القرون الوسطى وشرائعها وزيادة على ذلك كان بعض المدن الكبيرة العظيمة يتمتع بشروط ومزايا احسن من المتقدمة وكان لها من الحرية حظ اوفر مما تقدم وذلك انه فى مدة حكم الرومانيين كانت الحكومة البلدية المرتبة فى المدن حكومة ملايمة للحرية بالكلية وكان حكم مشورة السنت فى كل جمعية نافذا ودائرته واسعة

وكذلك

بالعدل واما المدن التى كانت فى اراضى البارونيين فكان كل بارون يزعم ان المدن التى بارضه من جملة التزاماته ويحكم فيها بنفسه او نوابه ذكره كونرنجيوس وهينكسيوس ثم تأسى اهل المانيا بالايطاليين فى انشاء الجمعيات البلدية فكان افردريق بربوروس (اى ذو اللحية الشقراء) هو اول من خطر بباله زمن امبراطورة المانيا ان يفعل مثل الملك لويرلوغروس حيث زاد فى عدد الجمعيات البلدية ليضيق بها دائرة شوكة الاشراف ويضعف قوتهم ذكره المؤرخ بفيفيل فى تاريخ المانيا

وقد وجدت عدة مقتضيات احوال اعانت على ازدياد مدن المانيا من حكم هنرى لو واز و لورالى ان صارت هذه المدن مستكملة لجميع مزاياها وخصوصياتها ثم ان انشاء الاسقفيات الذى تكلمنا عليه آنفا قد جلب الى المدن اناسا كثيرين استوطنوا بها وكذلك انشاء الكتدرالات (اى امهات الكنائس) بتلك المدن فانه جلب اليها كثيرا من السكان فصارمن وقتئذ تعقد فى المدن جمعيات قسيسية ومجالس افتائية من كل نوع قسيسية او مدنية وعتق فى القرن الحادى عشر عدة من المستعبدين استوطن معظمهم بالمدن واستكشفت عدة معادن واستخرجت فى اقاليم عديدة وبهذا صار الناس يتنافسون فى سكنى الاقاليم ويأتون اليها افواجا ونشأ عن ذلك احداث عدة مدن كما ذكره كونرنجيوس وفى القرن الثالث عشر اخذ اهل المدن فى تحزب والتعصب لاجل المدافعة عن انفسهم ومنع الخلل وعدم الانتظام الناشئ فيها بسبب حروب البارونيين الخصوصية وظلمهم وجورهم فى الناس وبهذه العصب صار حال سكان المدن احسن وآمن من غيرهم من سائر طوائف الرعايا حتى ان كثيرا من الناس انتظموا فى سلك الجمعيات البلدية بالطوع والاختيار كما ذكره كونرنجيوس ايضا

وكان سكان مدن المانيا منقسمين الى ثلاث مراتب كما ذكره كينيبسكيلد (الاولى) مرتبة الاشراف (الثانية) مرتبة الاحرار من الاهالى (الثالثة)

يلزمونها بان تهدم اسوار المدن التى بناها الرومانيون فى اراضيها ليستدل بذلك على انها صارت حرة وكانوا يقولون ان اجرأ الوحوش الكاسرة اذا وضع فى حبس تضعف قوته وتضيع شدته ذكره تاسيت ايضا ثم كان الرومانيون قد بنوا عدة مدن كبيرة على شواطئ نهر الرين ولكن قبل القرن التاسع من الميلاد كان يقل أن توجد مدينة واحدة فى جميع الاقطار والاقاليم الواسعة التى بين نهر الرين وبحر بالطق كذا قال المؤلف كونرنجيوس وخالفه المؤلف هينكسيوس ولكن اذا سلمنا جميع ما استدل به هذا المؤلف الاخير واستند اليه رأينا انه لم يكن بهذه الاقطار الواسعة الا بعض محال سماها بعض المؤرخين مدائن وليست مدائن حقيقية واما فى زمن الايمبراطور كرلوس مانوس وذريته فان حالة المانيا السياسية اخذت فى الانتظام على وجه حسن واسست عدة مدن واعتاد الناس على التأنس والاجتماع بمحل واحد وذلك ان كرلوس مانوس جدد فى اكبر مدن المانيا مطرانيتين وتسع اسقفيات وزادها خلفاؤه من بعده وحيث كان المطارنة والاساقفة مقيمين بالمدن ويحكمون فيها بالاقضية الدينية اضطر كثير من الناس الى الاستيطان بتلك المدن كذا ذكره كونرنجيوس ثم ان الملك هنرى لوازولور (اى صياد الطيور لانه كان مولعا بصيدها) الذى جلس على كرسى المملكة (سنة ٩٢٠) هو اعظم من اسس المدائن فى المانيا وذلك لان المانيا كانت وقتئذ متخربة باغارات اهل المجار وغيرهم من الملل المتبربرة فعزم هنرى المذكور على ان يسد مجرى سيل هذه الاغارات فحصن المدن بالاسوار والبروج وامر رعاياه بالاستيطان بها وامر بعض الاشراف ايضا بذلك فلما سكن الاشراف مع الاهالى شرف مقام الاهالى وعظموا عما كانوا عليه سابقا فمن وقتئذ لم تزل المدن آخذة فى الازدياد وصارت تنمو فى العمار والغنى الا انها كانت فى ذلك الوقت محرومة من الحرية والاستقلال باقتنائها البلدية لان المدن التى كانت من التزامات الايمبراطورية كانت تحت حكم الايمبراطور وقضاته الذين كانوا رؤساء المحاكم يقضون فيها

حكومتها ومزاياها كانت مماثلة للجمعيات الالتزامية وهذا الامر بانضمامه
لكون جميع الدول الحكومة حكومة التزامية كانت كلها تشبه بعضها شبها
كليا في ترتيبها وتدبيرها السياسي – يستنتج منه ان الجمعيات البلدية قد حدثت
في اسبانيا على نسق حدوثها في غيرها من بلاد اوروبا بل ربما يمكن ايضا انها
حدثت عند الاسبانيين قريبا من زمن حدوثها عند غيرهم من ملل اوروبا
وسنذكر في بعض المباحث الآتية ان الظاهر انه في مملكة اراغون كانت المدن
قد بادرت الى اكتساب مزايا كبيرة حتى صار لها حق في التشريع وانشاء
القوانين وفي (سرقسطة) كان اهالي سراغوسه يتمتعون بالحرية السياسية
وكانوا مساوين في الرتبة والمقام لاهالي المرتبة الثانية من مراتب الاشراف
وكانوا ايضا قد اكتسبوا مزايا اخرى عديدة لم تكن ثابتة وقتئذ لمن كان
في مرتبتهم من ملل اوروبا الآخرين كما ذكره زوريتا في تاريخ اراغون
واما انكلتره فلم يحصل انشاء الجمعيات البلدية فيها الا بعد أن فتحها النرمنديون
وذلك انه بعد هذا الفتح نقل اهل انكلترة هذه العادة عن الفرنساوية واحدثوا
في بلادهم الجمعيات البلدية وصارت المزايا التي يعطيها الملك في انكلترة مشابهة
بالكلية للمزايا التي تكلمنا عليها فيما سبق ولكن حيث ان هذا امر معلوم لمعظم
الناس فلا نتصدى لذكر شئ مخصوص منه وانما نقتصر على أن نوصي من قرأ
كتابنا هذا بان يراجع كتب المؤلفين الذين وضحوا هذا الامر المهم من تاريخ
انكلترة وهم المؤلف بيرادي والمؤلف مادوكس والمؤلف هرم
نعم يمكن ان بعض مدن انكلتره في زمن الملوك السكسونيين كانت قد آلت
الى جمعيات وان الوثائق التي اعطاها ملوك العائلة النورمندية لم تكن
وثائق اعتاق وانما كانت تثبت المزايا التي كان يتمتع بها المدن سابقا كما ذكره
ليتلتون ومع ذلك كانت مدن انكلترة مدة القرن الثاني عشر صغيرة ضعيفة
وهنا البرهان جلي على ذلك مذكور في تاريخ هنري الثاني للمؤلف ليتلتون
واما المؤلف فيطز سطوفان وهو احد مؤلفي هذا العصر فقد وصف
مدينة لوندرة مدة الملك هنري الثاني وتكلم على تجارة هذه المدينة وثروتها

مرتبة الصنايعية وكانوا مستعبدين فلما تولى هنرى الخامس المملكة (سنة) اعتق الصنايعية المستعبدين الذين كانوا ساكنين بالمدن وجعلهم من مرتبة الاحرار كما ذكره المؤلف المذكور والمؤلف بفيفيل ثم ان مدن المانيا وان كانت قد مكثت فى الاستعباد اكثر من مدن فرانسا الا انها لما ملكت حريتها صارت توسع دائرة مزاياها حتى فاقت مدن فرانسا بكثير فى هذا الشان فجميع المدن الايمبراطورية الحرة مع كثرتها القبت بالمدن المباشرة او المتصلة ومعنى كل من هذين اللفظين فى اصطلاح فقهاء الجرمانيين ان هذه المدن كانت تحت افتاء الايمبراطور وحده مباشرة بدون واسطة وانه كان لها فى خطها جميع حقوق الاستقلال وكمال التصرف وقد بين كينه بسكيلد مزايا تلك المدن الايمبراطورية وهى حرية بان تلقب باعظم حقيقة الحرية الجرمانية واصول هذه المزايا معلومة فى الجملة فلا حاجة الى ان نتصدى لذكرها هنا تفصيلا

المبحث الثامن عشر

فى شرح قوله ودخلت فى جميع بلاد النمسا الى آخره بصحيفة (٤٢)
من المطلب المتقدم فى القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

ثم ان مؤرخى اسبانيا لم يذكروا الا شيأ واهيا جدا فى اصل انشاء الجمعيات البلدية وتقدماتها فى اسبانيا بحيث انه لا يمكننا ان نعين زمن انشاء هذه الجمعيات فى تلك المملكة ولا كيفية احداثها ولكن ذكر المؤلف ماريانا ما يفهم منه انه فى (سنة ١٣٥٠) كانت ثمان عشرة من مدائن اسبانيا لها الحق فى الحضور بمشورة القرطس فى مملكة قسطيلة وهى فى اسبانيا نظير مشورة ليزيتاجنرو فى فرانسا ونظير مشورة الديت فى المانيا وبولونيا واسوج وكل من هذه المشاور الثلاثة يسمى مشورة العموم او مشورة وكلاء المملكة وما ذكرناه فى القسم الثالث من اتحاف الملوك الالبا فى شأن ترتيب هذه المدن والحقوق التى كانت تدعيها لنفسها يبرهن لنا برهانا جليا على انها فى شكل

وكذا المملكة وصاروا من اربابها بثلاث عشرة سنة وشدد الاهالى كثيرا
فى المدافعة عن حقوقهم ومزاياهم حتى صار الملك يحترمهم فى جميع
حقوقهم وخصوصياتهم ولا يتعدى عليهم فى شئ فكثت هذه المشاورات
والتحزبات بين الاهالى والاشراف ست سنوات وبعد هذه المدة كتب الملك
فيليبش لولونك (اى فيليبش الطويل) ملك فرانسا الى جمعية مدينة تربون
مكاتيب من عنده ليدعو اهل هذه الجمعية اليه وكتب فى اثنائها ما معناه
بعد ما يليق من التحية والاكرام من فيليبش الذى انعم الله عليه بملك فرانسا
وملك نوار الى احبابنا واتباعنا سكان مدينة تربون حيث ان احب
الاشياء الينا وغاية آمالنا هو ان نحكم بعون الله تعالى مملكتنا ورعايانا
مع الامن والراحة من غير ان نعكر عليهم فى شئ وحيث اننا نتمنى ايضا تطهير
مملكتنا من جميع المظالم الموجودة فيها وراحة رعايانا الذين كانوا مكلفين
بما لا يطيقون من الفرد والغرامات بسبب رداءة تدبير كثير ممن كان لهم
مدخلية فى الحكومة كما اعلمتنا بذلك السنة العامة وحكايات عدة اناس
من الثقاة المعتبرين أمرنا ان تعقد مشورة بمدينة بواتيرس فى الاسبوع
الذى يلى عيد العنصرة (و يسمى ايضا عيد حلول روح القدس) وأكون
رئيسا على هذه المشورة لتكون مبنية كما نريد على العدل والحق ونروم
ان تكون احكام هذه المشورة متقنة محكمة بآراء قسيسى مملكتنا وباروناتها
واهالى مدنها الذين انتم من جملتهم ونرجو ان كل ما يحكم به فى تلك المشورة
يكون على ما يرضى الله تعالى وينفع رعايانا وبناء على ذلك نتهى الكلام
كيت وكيت ذكره المؤلف مبلى وهذا الكلام وان كان من قبيل الكلام
الدارج الجارى فى كتابة الوثائق العمومية الان ما ينقش فى الذهن منه
من الاحكام صحيح معقول يجل عما يؤمل من عصر خشنى مثل ذلك العصر
ولا شك انه اذا كان هذا الملك لين الجانب من ملوك ابريطانيا الكبرى الذين
يحبون مسايرة الاهالى وملاطفتهم تعذر عليه ان يتكلم فى ديوان البرلمان
بعبارات اليق من هذه فى شأن الحرية العمومية * واذا قرأ الانسان

ورفاهية سكانها وبالغ فى ذلك حتى ان ماذكره من الوصف يصح ان يصدق
على حالة هذه المدينة التى هى عليها الآن وان كانت فى وقتنا هذا اكبر مدائن
اوربا واغناها ولكن ما نسبه هذا المؤلف من العظم والبهاء لتلك المدينة انما هو
بالنظر لحالها وقتئذ بالنسبة الى غيرها وذلك ان بطرس دوبولواس احد
مؤلفى ذلك العصر وكان رئيس سياسة مدينة لونده فهو الذى يعرف
احوال هذه المدينة حق المعرفة لتوفر اسباب ذلك عنده قد ذكر ما يفهم منه
ان هذه المدينة التى بالغ فى وصفها المؤلف فيظوسطوفان لم يكن سكانها اكثر
من اربعين الفا فانظر الى المدائن الاخرى تعلم بالقياس كمية اهاليها حيث
ان اهل تخت المملكة كانوا لا يزيدون على اربعين الفا وبالجملة فلم يكن لهذه
المدن اقتدار على ان تثبت لانفسها مزايا واسعة جدا وكذلك ترتيب القرى
فى ايقوسيا كان يشبه من عدة وجوه ترتيب مدن فرانسا وانكلترة كما هو
موضح فى بعض التواريخ

المبحث التاسع عشر

فى شرح قوله وقويت خصوصيات الرعايا على التدريج الى آخره بصحيفة
(٤٧) من مطلب النتائج السعيدة التى نشأت فى الحكومة عن هذه الحادثة
بصحيفة (٤٦) من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

ثم انه بعد انشاء مشورة الاهالى بقليل وظهورها بين مشاورالملة استيقظت
عقول الفرنساوية بسبب هذه المشورة الحادثة الى التولع بالحرية ونشأ
عن هذا التولع ثمرات جليلة فحصل فى عدة اقاليم من مملكة فرانسا ان
الاشراف والجمعيات البلدية قد تشاوروا مع بعضهم واتفقوا على ان يحاموا
عن حقوقهم ومزاياهم من تعدى الملك الذى كان يتصرف كيف شاء
بسطوته وشوكته التى كانت له وقتئذ وقد نقل القونتة بولانوليرس نسخة
من نسخ القوانين التى كانت ترتبها هذه الجمعيات المتفقة تاريخها
(سنة ١٣١٤) وذلك بعد ما صار لرسل العمالات والمدن دخل فى مشورة

التواع بالحرية كان قد بلغ فى مملكة فرانسا أو جرمانيا وان الحرية كانت قد تقدمت واتسعت دائرتها جدا ولان الناس كانوا فى الغالب يعرفون للحكومة اصولا صحيحة مستقيمة

ومشورة وكلاء المملكة التى انعقدت فى باريس (سنة ١٣٥٥) فى شأن طلب الحرية كان عدد اربابها نحو ثمانمائة نفس كان اكثر من نصفهم رسلا من طرف المدن كما ذكره المؤلف سوكوس والظاهر انه فى جميع المشاور العمومية التى انعقدت فى ايام الملك يوحنا كان لوكلاء المدن فيها تأثير كبير وكانت طائفتهم محترمة كطائفة القسيسين وطائفة الاشراف بدون فرق ومكثت هذه المشروعات الكبيرة زمنا طويلا وهى تحصل فى فرانسا قبل ان يكون لديوان الجمعيات البلدية فى انكلتره مداخلية كبيرة او تأثير عظيم فى شأن التشريع وانشاء القوانين وكان المذهب الالتزامى كان قد وصل فى صعوده الى اقصى الدرجات فى فرانسا قبل انكلتره فكذلك عند سقوطه واضمحلاله تأخر فى انكلتره اكثر من فرانسا وجميع الوسايط التى استعملت فى انكلتره لاجل تقوية الحرية وتوسيع دائرتها بين الاهالى نجح اغلبها واما فى فرانسا فحصل خلاف ذلك وليس هنا محل البحث عن الاسباب السياسية التى طرأت واوجبت اختلاف هاتين المملكتين فى هذا الشأن

المبحث العشرون

فى بيان قوانين اوصار اغلب اقاليم فرانسا ايامهن الامترق فى مطلب اسباب الاعتاق وتقدماته بصحيفة (٤٨) من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

قد ذكرنا فيما سبق (فى المبحث الثامن) كيف كانت حالة الناس الذين كانوا معدين للزراعة وذكرنا ايضا المصائب والاساآت التى كانت حالة بفريقهم ولكن وثائق الحرية والاعتاق التى اعطيت لهم فيما بعد كانت ترخص لهم فى اربعة اشياء عظيمة كل شئ منها يقابل واحدا من الاشياء الاربعة التى هى اعظم ما كان يضر بهم زمن استعبادهم وهى (اولا) ابطال حق التصرف

فى تواريخ فرانسا تعجب من التقدم الذى نشأ لتلك المملكة عن التوالع بالحرية وتعجب ايضا من الشوكة القوية التى اكتسبها بالتدريج رسل المدن فى مشورة وكلاء المملكة وفى اثناء المصائب التى كانت متراكمة على مملكة فرانسا بسبب حروبها مع انكلترة وبسبب اسر ملكها يوحنا خاطر ارباب مشورة وكلاء المملكة وهموا همة جاسرة فى توسيع مزايا الاهالى وافتاء ثم وفى (سنة ١٣٥٥) انعقدت مشورة وكلاء المملكة فى مدينة باريس ورتبت قوانين فى شأن اخذ الفرد والغرامات (لان تدبير هذا الامر لم يكن مفوضا فيه للملك بل كان له وكلاء مخصوصون من طرف مشورة وكلاء المملكه) وفى شأن ضرب المعاملة واجتناب المظالم والتعدى الذى يقع من المحتسبين المنصبين من طرف الملك وشأن انتظام تدبير المحاكم الشرعية وكل ذلك يصلح ان يكون من قبيل الحكومة الجمهورية اكثر من صلاحيته لان يكون من قبيل الحكومة الالتزامية وهذا القانون الذى يرغب فيه موجود فى الكتاب المسمى مجموع الاوامر الملوكية فى المجلد الثالث ومن تعذر عليه تحصيل هذا الكتاب الكبير فليبحث عن ذلك القانون فى مختصر تاريخ فرانسا للمؤلف ويلاريت او فى تاريخ الحكومة القديمة لمملكة فرانسا للمؤلف بولانويليرس

ثم ان مورخى الفرنساوية لما تكلموا فى ثوار يحكم على اسقف مدينة لاون وعلى اسقف مدينة مرسيل وكان هذا الاخير شاه بندر تجار مدينة باريس وكان كل منهما اعظم ارباب مشورة وكلاء المملكة واكثرهم مدخلية وتأثيرا واكبرهم شوكة وصفوهما بانهما كانا صاحبى فتن وتعسف وكانا من ارباب الاغراض كثيرى الطمع لا يقنعان بشئ فكانا لا يبحثان الا عن ان يحدثا فى مملكة فرانسا حوادث مضرة وان يجعلاها على نسق بلادهما فى الحكم والترتيب وهذا الامر لا يبعد عن مثلهما ومع ذلك كان الاهالى يأتمنونهما بالخصوص واذا رأى الانسان ما كان يعرضه هذان الرجلان للمشورة من الوسايط التى كانا يحكمان بانها انفع واصلح من غيرها فلا يشك فى ان

هذا السبب اعطيت عدة وثائق بالاعتاق وقد اعطيت عدة وثائق بالحرية
ايضا قبل حكم الملك لويز العاشر حبا فى الله تعالى وطلبا لعفوه ورضاه
ذكر ذلك المؤلف موراطورى والمؤلف دوكنج
وكان محفل الاعتاق يعمل فى الكنيسة بموكب عظيم كانه من المحافل الدينية
والشخص الذى يراد اعتاقه كان يطاف به حول المحراب الاكبر وفى يده شعلة
موقودة وبعد ذلك يقف فى احد اركان المحراب وتتلى عنده ذلك صيغة العتق
ذكره المؤلف دوكنج * واذا قرأت وثائق الاعتاق التى كانت تعطى وقتئذ
تستدل بها على قلة معرفة الناس باللغة اللاطينية فى ذلك العصر الذى
هو عصر تبربر وجهالة لانها ركيكة العبارات والتراكيب غير موافقة
لقواعد الاعراب واصول النحو وقد نقل تلك الوثائق المؤلف موراطورى
وكان الاعتاق يقع فى مرض الموت او بالوصية لان الناس فى هذا الوقت
يميلون الى الصدقة وفعل الخير * وهذا وجه يؤيد ما ذكرناه من ان الاعتاق
كان من الثمرات الناشئة عن الدين ذكره المؤلف دوكنج وكان هناك طريق
اخرى يعتق بها الانسان من استعباده وهى ان يدخل فى مراتب القسيسين
او ينذر نذر البعض الديور ولكن لم تمكث هذه العادة مباحة الا حقبة قليلة
من الزمن وذلك انه لما رأى السادات ان ارقاءهم قد خلص منهم مقدار جسيم
بهذا السبب شددوا فى تضييق تلك العادة حتى انها منعت فى ابعد بالشرائع
عندما كثر مال ورب كما ذكره المؤلف موراطورى لكن الملك والامير
اذا ارزقوا بولد ذكر او حصلت لهم حادثة اخرى سعيدة يعتقون مقدارا من
المستعبدين حمدا لله وشكرا له على هذه النعمة الجزيلة كما ذكره المؤلف
ماركواف وذكر ايضا عدة طرق للاعتاق وكلها كانت مبنية على الدين
بمعنى ان الحامل لهم على الاعتاق هو اما الرغبة فى نعم الله تعالى او رجاء
ان تغفر ذنوبهم ويستفاد ذلك ايضا من عدة مواقيت آخرين * ولكن
كما انه كان هناك اناس تجبرهم تقواهم على ان يعتقوا اخوانهم فى دين
النصرانية كان هناك اناس آخرون يسعون بانفسهم الى الاستعباد لما رب

فى ذواتهم ببيع او هبة او غيرذلك (ثانيا) رخص لهم ان يوصوا لمن شاؤا باموالهم وما تملكه ايديهم او يعطوها لمن شاؤا بوجه آخر من الوجوه الشرعية فاذا مات احدهم من غير ايصاء تنقلت امواله واملاكه لورثته الشرعيين كغيرهم من الاهالى الاحرار (ثالثا) الفرد والخدم التى كان يجب عليهم تأديتها للملتزميهم صارت مبينة محدودة بعدان كانت سابقا اختيارية مطلقة يعنى ان الملتزم كان قبل ذلك يكلف اتباعه بما يشاء ويريد (رابعا) رخص لهم ان يتزوّجوا بمن شاؤا بعدان كان لايجوزلهم ان يتزوّجوا بغير اسرآء ملتزميهم وبدون اذن منهم وجميع هذه الخصوصيات مذكورة فى وثيقة اعطيت (سنة ١٣٧٦) لسكان مدينة مونبروطون كذا فى تاريخ اقليم دوفينة

وبانضمام عدة مقتضيات الى الحوادث التى ذكرناها فى اتحاف الملوك الالبا تخلص سكان الخلوات من الظلم الذى كان حالا بهم وذلك ان دين النصرانية دأبه الرفق والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والاصل فيه تساوى الناس بعضهم لان الخلق عندالله سبحانه وتعالى كلهم فى درجة واحدة لافرق فيهم بين غنى وفقير وحقير وامير وجعلهم المولى سبحانه وتعالى فى نعمه على حد سوآء وهذا كله مخالف لعادة الاستعباد التى كانت جارية بين الناس فانه لما اقتضت الاحوال ان كل انسان صار لاينظر الا لمصلحة نفسه وحدثت طرق سياسية رديئة اضطر الناس الى ان يسلكوا سبلا مخالفة للاصل الذى هو مساواة الناس بعضهم ولكن عرفوا فيما بعد ان ذلك مخالف للاوامر الرحمانية بحيث كانوا يعتبرون ان اعتاق النصارى من هذا الاستعباد من باب الرأفة والشفقة التى ترضى الله سبحانه وتعالى فالرفق الذى امر به الدين النصرانى كان يعارض جميع القوانين والعوايد الحادثة وكان اقوى سبب اعان على انشاء عادة اعتاق المستعبدين وقد انعم البابا اغرغوار الاكبر الذى كان فى أواخر القرن السادس بالحرية على بعض المستعبدين مستندا فى ذلك لسبب يرجع الى الدين كما ذكره المؤلف بوتجيسيروذكر ايضا انه بمثل

والظاهر ان عادة الاعتاق لم تكن كثيرة حين كان المذهب الالتزامى باقيا
على اصل قوته وتشديده بل كان هنالك شرائع تشدد فى منع هذه العادة ظنا
انها تضر بالجمعية وآخر طائفة من المستعبدين لم تنل الحرية الا بعد اضمحلال
حكومة الاشراف الارستوقراطية التى كانت تجعل لبعض افراد قليلين
من الناس شوكة واسعة يتصرفون بها كيف شاؤا وتترك الباقين
من الناس فى المظالم وانواع الجور وكان بعض الناس قد تعود على الرق
والاستعباد وصار الذل سجية لهم حتى انه لما امر الملك لويز العاشر بالاعتاق
وابطال عادة الاستعباد فى حقها لكه عرض العتق على عدة اناس من
المستعبدين فابوا ان يخرجوا من رقهم كما ذكره المؤلف داشورى * وبعد
حكم هذا الملك بزمن طويل كان كثير من الاشراف مستمرين على عادتهم
القديمة فى شأن المستعبدين والظاهر ان الشهير دوغسقلين قائد جيوش
فرانسا كان قد صدرت عنه اوامر تذم عادة عتق المستعبدين وتفيد انها
مضرة كما ذكره المؤلف موريس فى كتابه المسمى شواهد تاريخ بريطانيا حتى
ان المستعبدين الذين كانوا معدين لخدمة الاراضى والغيطان مكثوا بعد
عتقهم مدة من الزمن وهم مجبورون على ان يخدموا ساداتهم فى بعض
الاحوال وكانوا يعتبرونهم اعتبارا لا كاعتبار بقية الناس فما كان
يؤذن لهم ان يشتروا شيأ من الاراضى ولا ان يصيروا من ارباب الجمعيات
الاهلية الموجودة فى بلاد الملتزمين الذين كانوا تحت ولايتهم ولكن الظاهر
ان هذا الامر لم يكن شائعا فى البلاد
وفى كتاب قوانين انكلترة لا تجد اصلا قانونا عموميا لاعتاق المستعبدين
يكون مشابها للقانون الذى رتبه ملوك فرانسا نعم وان كانت حكومة انكلترة
ملايمة للحرية الشخصية الا ان الاستعباد الشخصى مكث زمنا طويلا
فى بعض محال من انكلترة حتى ان هنالك وثيقة تاريخها (سنة ١٥١٤)
صدرت عن الملك هنرى الثامن باعتاق رقيقين كانا الى وقتئذ باقيين على
رقهما فى بعض التزاماته كما ذكره المؤلف ريميز وذكر ايضا ان الملكة ايليزابيطة

مبنية ايضا على الديانة لكن هذه ديانة مضرة وفي غير محلها فكان اذا اعتقد انسان مثلا في قديس من رهبان الكنيسة او الدير الذي عادته ان يحضر فيه الصلوات كان يهب نفسه وعائلته وذريته الى هذا القديس ويصيرون جميعا ارقاء له

ثم ان هؤلاء المستعبدين الذين كانوا يهبون انفسهم للكنائس والديور كانوا كثيرين جدا ويمكن تقسيمهم الى ثلاث مراتب مختلفة وهي (المرتبة الاولى) كانت من اناس يجعلون انفسهم واموالهم تحت حماية الكنائس والديور بحيث لا يعارضهم احد لكن بشرط ان يحاموا عن حقوق الدير او الكنيسة التي هم تحت حمايتها وان يدفعوا عن اراضيها ومزاياها كل من تعدى عليها وهؤلاء الناس لم يكونوا ينقادون للكنائس بقصد الديانة فقط بل كانوا يحامون عنها لحماية انفسهم وامنهم من تعدى الغير عليهم فالاولى تسميتهم اتباعا لا مستعبدين حتى ان بعض الاشراف استحسن هذه الواسطة في امنه وحماية نفسه ودخل في حمى الكنائس (المرتبة الثانية) كانت من اناس يفرضون على انفسهم شيأ سنويا يعطونه للكنائس والديور التي هم يحماها او مبلغا من الدراهم يعطونه اياها على عقاراتهم واملاكهم الارضية وربما كانوا يفرضون على انفسهم ان يخدموا الكنائس في بعض مصالح وكان اهل هذه المرتبة يسمون سنسوال اى اهل الجزية (المرتبة الثالثة) كانت من اناس يتركون حريتهم بالكلية والجزئية فتراهم ارقاء مستعبدين يتصرف فيهم بجميع ما يتضمنه مدلول لفظ الرق وكانت تسمى مينيستريال اى الواهبة نفسها للقديسين وذكر في بعض الوثائق ان اهل هذه المرتبة كانوا يجعلون اجسامهم في الذل والاستعباد ليفوزوا بعتق ارواحهم وكان القسيسون يسعون مع الرغبة التامة في تقوية هذا الاستعباد الاخير وتعضيده كما يفهم ذلك من بعض خطب انشأوها في هذا الشأن لاناس وهبوا انفسهم لبعض الكنائس ذكرها المؤلف دوكنج وغيره

والظاهر

رفى كتب قوانينهم كما ذكره المؤلف اغرغولد ونورس وكان يجوز للاقارب ان ينتقموا لكل واحد من عائلاتهم ممن سبه او تعدى عليه بل كان ذلك واجبا عليهم وكان من قوانين الانغلوس وامة الويرنس ان ينتقم معاملة من يرثها فى اراضيها

(ثالثا) كان لا يجوز لاحد ان يعمل حربا خصوصيا ما عدا الاشراف واهل الحسب واما جميع المشاجرات التى كانت تحصل بين المستعبدين على اختلافهم وبين سكان المدن والاناس الاحرار الذين هم فى الرتبة ادنى من الاشراف فكانت تقام دعواهم فى المحاكم بين ايدى القضاة وكذلك المشاجرات التى كانت تحصل بين الاشراف واناس آخرين ليسوا من رتبتهم لان حق الحرب الشخصى كان شرطه ان يكون الانسان شريفا بحسب الاصل والعنصر وان تكون هنالك مكافأة بين احساب الاخصام وانسابهم كما ذكره المؤلف بومنوار ثم ان القسيسين اصحاب المراتب والوظائف كان لهم حق فى الحروب الشخصية ولكن حيث كان لا يليق بهم ان يحاربوا بأنفسهم كانوا يستنيبون عنهم وكلاء ينتخبهم أهل الديور والاسقفيات وكان هؤلاء الوكلاء فى العادة من ذوى الحسب والامتياز والشهرة فكانوا يتكفلون بحماية هذه الاسقفيات والديور ويقاتلون لاجلها كما ذكره المؤلف بروسيل والمؤلف دوكنج وكان يحصل غالبا ان بعض قسيسين من أهل الحسب والنسب يتعودون على الحروب بسبب اخلاق ذلك العصر وقوانينه فينفون الصلح الذى هو روح وظيفتهم القسيسية ويبارزون بانفسهم فى الميدان أمام اتباعهم كما ذكره المؤلف دوكنج

(رابعا) كما ان الاشراف كانوا يدعون الى الحرب كل من تعدى عليهم بسبة او نحوها كانوا يسلكون هذا المسلك ايضا مع من يظلم احدا ظلما كبيرا او يسبه او يهتكه او يفعل فعلا يخس بالعامة ويوجب لها العار وبالجملة فجميع الذنوب والكبائر التى عقابها الآن الموت عند الامم المتمدنين كانت تحال عند هؤلاء الناس الحروب الخصوصية كما ذكره المؤلف بومنوار

(سنة ٥٧٤) قد وكانت جمعية فى شأن اعتاق بعض المستعبدين كانوا ارقاءلها الى ذلك الوقت

المبحث الحادى والعشرون

فى بيان قولنا افادت اصولا صحيحة للحكومة والانتظام والامن العام بصحيفة (٥٣) من مطالب استعمال وسايط مختلفة لاجل ابطالها بصحيفة (٥٢) من القسم الاول من اتحاف الملوك الاليا

ليس فى عوايد القرون الوسطى اغرب من عادة الحروب الخصوصية فان هذه العادة كانت من الحقوق المهمة بين الناس وكانت مقبولة عندهم بحيث ان القوانين التى تخصها كانت من اعظم شرائع ذلك العصر ومع ان المؤلف مونتسكيو قد وضح امورا كثيرة عويصة من القوانين الالتزامية وانار بمصابيح معارفه عوايد كانت قبله مظلمة الدياجى لا نعرف لها سبيل لم يأذن له موضوع تأليفه ان يبحث عن هذا الشأن ثم استنسبنا ان نذكرهنا مع التوضيح والتفصيل العوايد والقوانين التى كانت تأذن بهذه العادة المخالفة الآن لعقول الملل المتمدنين العارفين بنظام الجمعية والحكومة فنقول (اولا) كان عند قدماء الجرمانيين وغيرهم من الملل الذين لم يكونوا اكثر منهم فى التمدن والمعارف اذا سب انسان آخر او عاب فى حقه فينتقم منه خصمه بنفسه لان هذا الانتقام كان وقتئذ حقا شخصيا خصوصيا فكان يجوز للمتعدى عليه ان يخاص حقه من المتعدى بالسلاح من غير ان يرفع دعواه الى قاض او حكم عدل يحكم بينه و بين خصمه وقد بينا ذلك بادلته بيانا كافيا فى المبحث السادس

(ثانيا) كانت هذه العادة جارية بين الملل المتبربرين بعد استيطانهم بالاقاليم التى تغلبوا عليها من الامبراطورية الرومانية وكانت اسباب الفتن دائما تنمو وتزيد بين هؤلاء الملل ولذلك كثرت البغضاء بين العائلات وصارت الحروب الشخصية كثيرة متواترة وشواهد ذلك فى تاليف اقدم مؤرخى هؤلاء الامم

[illegible] واحد ثم بالمثل [illegible] معهم اصل واحد وعدد درجات

القرابة المستقيمة يكون على حسب ما فيها من البطون فكل بطن درجة فالابن

بالنسبة لابيه في الدرجة الاولى وابن الابن في الدرجة الثانية وهكذا وكذلك

الاجداد بالنسبة للاولاد واولاد الاولاد واما درجات جهة الحواشي فهي

ايضا على حسب عدد البطون فالاخوة والاخوات درجة ثانية والاعمام

والاخوال واولاد الاخ او الاخت درجة ثالثة واولاد الاعمام والعمات

او اولاد الاخوال والخالات من غير واسطة درجة رابعة وهكذا)

(رابعا) الاخوان الشقيقان لا يجوز لهما ان يحاربا الان الاقرب [illegible] متحدين في هذه الصورة فلا يجب على احدهما ان يرجح جهة احد الاخوين على الاخر بخلاف ما اذا كانا غير شقيقين فيسوغ لهما ان يحاربا لان كلا منهما يكون له في هذه الصورة اقارب غير اقارب الاخر * كذا ذكره المؤلف بومنوار

(ثالثا) اذا كان احد الشخصين من الرؤساء وجب على اتباعه ان يدخلوا معه في الحرب الشخصي لانه بموجب قوانين المذهب الالتزامي يجب على كل تابع ان يدافع عن [illegible] في جميع حروبه ومشاجراته فانت تجد [illegible] [illegible] الحروب الشخصية [illegible] يجب عليهم [illegible]

([illegible]) [illegible] اقوى من هذه الحادثة تأثيرا في ازدياد خلل الحكومة وشراسة الاخلاق التي اورثت حال اوروبا في الحالة المحزنة الشنيعة التي كانت فيها مدة العصر الذي نتكلم عليه وليس هناك حادثة غير هذه الحروب ترتب عليها عوائق كثيرة منعت من نظام تدبير المحاكم والاقضية الشرعية ولم تحصل حادثة اقوى منها ايضا في تعطيل الصنائع والحرف ومنع التقدم وممارسة العلوم والفنون الصلحية وهذه الحروب كانت تحصل مع العناد والقساوة

والمؤلف دوكنج ومع ان الانتقام من المسببات كان بمفرده يخالف شرعا الحروب الخصوصية كانت المنازعات التى تحصل بين الناس فى شأن العقارات المدنية ينشأ عنها غالبا العداوة والبغضاء التى كانت تؤول الى حروب بين الفريقين المتشاحنين كما ذكره المؤلف دوكنج

(خامسا) كل من كان حاضرا فى مبدء مشاجرة او عند ارتكاب مظلمة او فاحشة كان يجبر على ان يكون له دخل فى الحرب الذى يترتب على هذا الامر الذى حصل بحضوره لانهم كانوا يقولون انه لا يمكن ان يحضر انسان مثل هذا الفعل ويكون خليا عن الاغراض بحيث لا يميل الى احد الخصمين

(سادسا) جميع اقارب الخصمين كانت تلحقهم الدعوى بحيث يجبرون على ان يباشروها ويكونوا عصبة معهما كل مع قريبه وهذه العادة مبنية على قاعدة كانت موجودة عند قدماء الجرمانيين وهى انه يجب على الانسان ان يعادى من عادى ابويه واقاربه كما يجب عليه مودتهم ودتهم ولاشك ان مثل هذه العادة لا تنشأ الا عن طبائع الملل الخشنية التى تكون حالة سياستها وجمعيتها ملايمة لهذه العادة الرديئة * ثم ان بيان درجة القرابة التى كانت توجب على الانسان ان يكون له دخل فى دعوى قريبه هو مما ينبغى التنبيه عليه فنقول انه مادامت الكنيسة تمنع الزواج كان الاقارب الذين يدخلون فى الحروب الشخصية والخصوصية معلومين بنفس هذا المنع البدعى الذى لا يستحسنه العقل وبناء على ذلك كان جميع الاقارب الى الدرجة السابعة يدخلون فى الحرب الشخصى كل فريق مع قريبه من احد الخصمين ولكن لما حصل التخفيف فى هذا المنع حيث لم يمتنع الزواج الا الى الدرجة الرابعة انتقل وجوب الدخول مع القريب فى الحروب الشخصية على الاقارب الى الدرجة المذكورة (وتوضيح ذلك ان درجة القرابة تعتبر بعدد البطون فكل بطن يسمى درجة وتوالى الدرجات يسمى جهة وهى قسمان جهة مستقيمة وجهة حاشية فالمستقيمة هى توالى درجات بين عدة اشخاص كل واحد منهم ولد لمن بعده وهكذا وجهة الحاشية هى توالى الدرجات بين

اشخاص

(ثانيا) قد ضمر الامبراطور كرلوس مانوس في القرن التاسع بصوت
هذا الامر ارديء حيث صدر عنه امر وهو ان كل من ارتكب ذنبا ارهقت
حرمة وجب عليه ان يكفر عن سيئته من عبرات بالكفارة التي توجبها الدين
وان يدفع الجريمة التي فرضها عليه الشرع ولذي المتعدى عليه واقاربه
من قبول هذه الجريمة وطلبوا الانتقام من المتعدي على رحبه الحرب ضبط
على اراضيهم واملاكهم وثبتت لهم [illegible]

(ثالثا) كانت قريحة هذا الامبراطور قد انارت ومن القوانين التي
كان يرتبها تفوق على عقول اهل عصره وكانت اقتراحه يجل ان تدرك حكمته
عقول هؤلاء الناس وكان ما يتصوره اهل عصره فيما تكون به الحكومة
منتظمة واهيا يكاد ان يكون عدما وكانت اخلاقهم خشنية بحيث لم تأذن
لهم باتباع ذلك الامر ومع جميع المصائب التي كانت تترتب على الحروب
الشخصية تمسك الناس بعد موت هذا الامبراطور بعادة الحروب الشخصية
اكثر مما كانوا عليه اولا ولم يمكن لمن حكموا بعده ان يأتوا بدواء لهذا الداء فرأى
القسيسون انه يلزمهم ان يتوسطوا في ابطالها واقدم القوانين التي رتبها
القسيسون في هذا الشان تاريخه من اواخر القرن العاشر وهو موجود الى
الآن وذلك انه في (سنة ٩٩٠) اجتمع عدة من اساقفة الاقاليم الجنوبية من
فرانسا ورتبوا بعض قوانين ونشروها بين الناس لاجل تحقيق دائرة هذه
العادة التي كانت كثيرة متواترة وحكموا بانه اذا تجاسر احد في استثنائهم
على نقض اوامرهم سلبت منه منحة بانه جميع المزايا المختصة لابناء النصرانية
وبعد موته يحرم من الدفن على طريقة النصرانية ولكن لم ينشا عن هذه
الوسائل الامداوية بعض هذا الداء فاضطروا الى ان عقدوا مشورة قسيسية
اخرى في مدينة ليموجوس سنة ٩٩٤ ونقلوا الى هذه المشورة على حسب
عوائد ذلك العصر اجسام اسلافهم من القديسين واقسموا على النصارى
بهؤلاء القديسين ان يبطلوا تلك الحروب وان يطفئوا نيران العداوة والبغضاء
من قلوبهم ويحالفوا معهم على انهم من الآن فصاعدا لا يعكرون الامن العام

المحاربة التي يقتضيها الحقد الشديد سيما وكان هذا الحقد اذ ذاك متنطقا بسلاح الحمية ومؤيدا بالقوانين والشرائع ويستفاد من القوانين التي منعت تلك الحروب الشخصية او خففتها ان ضرر اغارات الامم المتبربرين على البلاد اخف من ضرر هذه الحروب الاهلية وقد وصف اهل ذلك العصر من المؤلفين القساوة الخشنية المفرطة التي كانت تقع في تلك الحروب بحيث ان من قرأ عباراتهم زاد عجبه وكثر رعبه ونفر منها قلبه

فهذه هي القوانين الاصلية التي ترتبت على عوايد الناس في الحروب الشخصية التي كانت من جملة الحقوق الاكيدة * ولنذكر لك هنا الوسايط المختلفة التي استعملت لاجل تضييق دائرة هذه العادة الخطرة او ابطالها مرتبة على نسق ازمنتها فنقول

(اولا) اول واسطة استعملها الحكام المدنيون في تخفيف شدة حقد الناس لبعضهم هي ما رتبته القوانين من فرض غرامة على كل انسان فعل كبيرة بعد ان كان المتعدى عليه يقتضي بنفسه لنفسه في المظلمة التي كانت تحصل له او في العيب الذي كان يفعله انسان في حقه فان شاء اقتص ممن تعدى عليه بالانتقام او جعل عليه شيأ في نظير جرمه الذي اجتناه وبذلك كان حقد الناس لبعضهم شديدا فكانوا على بعضهم كالوحوش الكاسرة وكانت عادتهم في الغالب ان شرف الانسان هو عدم عفوه عمن تعدى عليه وان لا يأخذ منه شيأ في نظير الجناية ومن اجل ذلك كان من الضروري اللازم ان ترتب هذه الجرائم التي تكثر في قوانين الملل المتبربرة وبعد هذا الترتيب كان اذا حصل ذنب من انسان في حق آخر او تعدى عليه رفعت الدعوى الى الحاكم المدني فيعين للشخص المتعدى عليه المبلغ الذي يستحقه على المتعدى وقد صرح روتاريس مشرع اللومبرديين وكان حاكما في اثناء القرن السابع بقصده من الغرامات التي كان يضربها على المتعدى وزيادتها عن الغرامات الاصلية فقال ما فعلنا ذلك الا لاجل اطفاء نار البغضاء والحقد من قلوب الناس حتى لا يصروا على الانتقام من بعضهم ويحصل الامن بينهم انتهى

(ثانيا)

ثم وردت [illegible] هدنة الله

ولما كانت الحروب ممنوعة مدة الاربعة ايام كل اسبوع كان يمكن ان تخمد نيران غضب المتعدى عليه في ظرف تلك المدة ومعتقد ان كل انسان آمنا في تلك المدة من مصائب الحروب الشخصية وبعد فصحه [illegible] يبحث فيها عن الوسائط التي يحترس بها من خصمه اذا دعاه الى الحرب بعد هذه الايام الثلاثة ولو بقيت هدنة الله [illegible] على من ارتكبوا [illegible] لساعدت في ابطال الحروب الشخصية [illegible] لم يستمر العمل عليها لما صار الاشراف فيما بعد لا يعتبرونها بل كانوا يتبعون اخصامهم على الدوام كما كانوا اولا [illegible] الحروب الشخصية [illegible] من بينهم ابدا [illegible] هذا الامر [illegible] شدة الغضب والحقد الذي كان يقوم بنفوس هؤلاء الاشراف فتعجبت الناس من ذلك كثيرا فامر الاساقفة جميع الخوريين الذين كان الاشراف العصاة مقيمين باخطاطهم ان يبطلوا العبادات والمناسك الدينية ليكون ذلك حاملا للاشراف على تجديد الميثاق الذى كانوا عقدوه لاجل ابطال الحروب الشخصية

(خامسا) لما كان الناس يبحثون دائما عن دواء يعالجون به امراضهم لم يجدوا لهم غير الالتجاء للاديان فادعى رجل نجار من اقليم عيين في اواخر القرن الثاني عشر انه رأى عيسى عليه السلام ومعه امه مريم فامره ان يخبر الناس [illegible] ان يوثق [illegible] مه انى بصورة مريم حاملة ابنها على ذراعيها فاذا هذه الصورة اعطاها الى المسيح وكان مكتوبا على تلك الصورة هذه الكلمات انت ابن الله وحمل المعاصي من الدنيا فاتحفنا بالصلح انتهى وهذا الرجل الضلالي كان في عصر جهالة اهله عمى البصائر فكانت عقولهم مستعدة لان يرتسم فيها جميع ما هو من قبيل خوارق العادات فصدق فيما اخبر به واعتقد الناس انه مرسل اليهم من الله تعالى فاجتمع بعض الاحبار والكهنة والبارونيين في مشورة بمدينة بوى وتحالفوا على ان ينسوا من الآن فصاعدا الاذى او التعدى الذى حصل لهم

بهذه الحروب الشخصية وانعقدت ابتدة مشورات قسيسية اخرى لاجل هذا المأرب ذكرها المؤلف دوكنج والمؤلف بوكيت

(رابعا) هذه الاوامر القسيسية وان كان محترمة فى ذلك العصر الا انها كانت ضعيفة جدا غير نافذة بحيث لم يمكنها ان تؤثر فى ابطال تلك العادة التى كانت ملايمة لكبر الاشراف وموافقة لشهواتهم النفسانية القوية فعظم هذا الداء وصار لا طاقة لاحد على تحمله حتى اضطر القسيسون الى ان يستعينوا على قطع عرقه بوسايط مما فوق الطبيعيات كادعاء امور خارقة للعادة وذلك انه فى (سنة ١٠٣٢) ادعى اسقف من اقليم اكيتينيا انه نزل عليه ملك من السماء ومعه مكتوب فيه النهى لكافة الناس عن عادة الحروب الشخصية والامر بصلحهم مع بعضهم وكان وقت اشهاره لهذا الوحى وقت مصائب عمومية كانت فيه عقول الناس قابلة لان يرتسم فيها كل تأبيد دينى ومستعدة لان تفعل كل شئ يرفع مقت الله وغضبه عن الناس فنتج عن ذلك هدنة عمومية وبطل الحرب عند كافة الناس مدة سبع سنوات وحكم بانه لا يجوز لاحد ان يهجم على خصمه مدة ازمان المواسم الدينية الكبيرة ولا يجوز له ذلك ايضا من مساء يوم الخميس الى صبيحة يوم الاثنين من كل اسبوع فهى ثلاثة ايام منها يومان من الايام الحرم المقدسة لان احدهما يوم موت المسيح والآخر يوم احيائه بعد موته وهذا التغيير الفجاءى الذى حصل لعقول الناس عد من خوارق العادات لانه نشأ عنه امر كان لا يرجى حصوله لتمكنه من قلوب الناس فسمى ابطال هذه الحروب هدنة الله كما ذكره بوكيت وغيره وبعد ان كان هذا الامر خاصا بمملكة واحدة عم جميع البلاد النصرانية وصار قانونا لكافة النصارى واقره الباباوا وعد بان من يتعداه يحكم عليه بالكفر والخروج عن دين النصرانية ويكون بذلك مستوجبا لان يحل به غضب الله ومقته ذكره دوكنج

وفى تاريخ انعقد وقانون انحط عليه الرأى فى المشورة القسيسية التى عقدت سنة ١٠٤١ فى مدينة تولوجوس باقليم روسيلون وهو مشتمل على جميع

بجميع هذه الادوية وذلك انه بمجرد ما خلد الناس فى الهدو والصلح مع بعضهم احذ البارونيون ثانيا فى تجديد الحروب الشخصية واجتهدوا ان يثبتوا لانفسهم حق اجراء تلك الحروب الشخصية من غير [illegible] بارادتهم فى ذلك احد وذلك انه بعد موت فيليبش لوبيل تحزب [illegible] فى مملكة فرانسا وطلبوا ممن حكم بعده [illegible] كل من شارلس وفيليبش لاجل تنقيص مزايا حقوق [illegible] فى [illegible] اجراء الحروب الشخصية بل عدوه من اعظم مزاياهم وطلبوا بصحة هذه الحروب كما كانت [illegible] العوائق والشروط المفروضة فى قانون هدنة الله وقانون الهدنة [illegible] والامر الذى صدر من فيليبش لوبيل سنة ١٢٩٦ فكان ولدا [illegible] فيليبش لوبيل اللذان حكما بعده على التعاقب يجادلان تارة فى منع بعض اشيا من هولاء الاشراف وتارة كانا يضطران الى التسليم فى بعض اشياء اخرى ثم ان الاوامر الملوكية التى تكلمنا عليها طويلة جدا فلذلك لم نذكرها هنا بعباراتها الاصلية ولكنها مرغوبة تتشوف النفوس اليها كل التشوف خصوصا وهى مفيدة جدا لمن قرأها من الانكليز لانها تفيده فائدة جليلة فى شان تاريخ انكلترة مدة اول زمن حدثت فيه بعض مشروعات لاجل تضييق دائرة المزايا الملوكية وهذه المشروعات لم تكن من جهة الاهالى لاجل المدافعة عن حريتهم بل كانت من جهة الاشراف لاجل توسيع دائرة مزاياهم وازدياد شوكتهم ولا حاجة الى ان نذكر [illegible] ان تلك الحروب الخصوصية كانت لم تزل باقية مدة حكم [illegible] فيليبش لوبيل

(تاسعا) ثم بعد ذلك [illegible] واسطة اخرى فى منع الحروب الشخصية تكاد ان تكون مثل الهدنة الملوكية حتى انها كانت صالحة لان تقوى الهدنة الملوكية وتوسع دائرة ثمراتها ونتائجها وذلك انه تجدد قانون اوجب على كل من الفريقين المتشاحنين ان يعطى وثيقة على نفسه انه لا يغدر بصاحبه ولا يدعوه الى الحرب ابدا او مدة موقتة معينة فى تلك الوثيقة وكانت هذه الوثيقة تسمى وثيقة الامن فكان كل من ينقض العهد من الاخصام يعاقب

من الغير وعلى ان يجمعوا على كل من يأبى ابطال الحرب ويمتنع من ان يتصالح مع عدوه وتعاهدوا على تنفيذ هذا الامر واقبت عصبتهم بلقب شريف وهو عصبة انصار الله ولكن تأثير هـذا الوحى الهوسى الخرافى لم يمكث مرتسما فى قلوب الناس زمنا طويلا

(سادسا) اضطر الملوك الى ان يبذلوا جميع جهدهم فى ابطال تلك العادة التى كان يخشى منها تدمير الحكومة واضمحلالها فقد قال بعض المؤلفين ان الملك فيليبش اغسطوس او الملك سنتلويز امر (سنة ١٢٤٥) انه لا يجوز للمتعدى عليه ان يدعو احباب خصمه ولا اتباعه الى الحرب الا بعد اربعين يوما من وقت المشاجرة التى هى السبب فى ذلك الحرب وكل من تجاسر على نقض هذا القانون حكم عليه بما يستحقه فى نظير كونه خان ونكث العهد وتعدى الشرائع وارتكب ما يخل بالامن العام وكان عقابه يعينه القضاة المعتادون ولذلك سمى هـذا القانون الهدنة الملوكية ولا شك ان فى هـذه الهدنة مصلحة بحيث يهدأ فيها الغضب الشديد وتطفىء نيران الحقد ويسهل بها لمن يريدون ان يصلحوا بين الفريقين المتشاحنين ان يسعوا بجميع ما يمكنهم فعله من الطرق والوسايط والظاهر ان هـذا امر قد اثمر ونشأت عنه نتائج سعيدة جدا لان من حكم بعد هذا الملك اهتم كثيرا بابقاء تلك الهدنة الملوكية والمحافظة عليها

(سابعا) لما حكم الملك فيليبش لوبيل تعلقت اماله بتضييق عادة الحروب الشخصية اكثر مما كانت عليه فامر سنة ١٢٩٦ بابطال الحروب الشخصية مدة حرب الدولة مع دولة اجنبية وهـذا القانون الذى هو امر لازم لحفظ الجمعية لزوما ذاتيا كان يجدده فى الغالب خلفاء الملك المذكور ولما كان الملوك يهتمون الغاية بابقاء هـذا القانون آل امره الى منع الاشراف منعا كليا عن الحروب الشخصية وبعد ان كان هذا القانون خاصا بمملكة فرانسا عم فى اقرب وقت جميع بلاد اوروبا وقبل عند سائر اهاليها

(ثامنا) لما كان هذا الداء قد طال زمنه وتطاول عهده لم يمكن مداواته

بجميع

من تعدى هذا القانون اوفى بيته ليتحموا بما شاؤا ولجانا واذا تعذر القبض على من تعدى هذا القانون ساغ لقضاة المعتادين ان يقبضوا على حبابه واتباعه ويضعوهم فى السجن الى ان يلتزموا بالصحيح ويأتوا بكفيل يضمنهم فى ذلك ونسخ الملك ايضا جميع القوانين والعوائد والمزايا المخالفة لهذا الامر الذى صدر منه

فى ابطأ تقدم العقل ونظام الجمعية حيث بذل الملوك والتهديسون جهدهم عدة قرون لاجل انشاء هذه القوانين السابقة التى يظهر لنا الآن انها من باب العدل جارية على مقتضى الطبيعة لا نكتف فيها بل وبعد ذلك كله اضطر لويز الحادى عشر فى ايام حكمه الى ان امر سنة ١٤٥١ بابطال الحروب الشخصية من اقليم دوفينه ذكره دوكنج

ولولا خوف الاطناب والتطويل المملل لذكرنا هنا مع التفصيل السابق جميع التقدمات التى حصلت لتلك العادة الخشنية فى بقية بلاد اوروبا ولكن نختصر فنقول انه فى انكلترة كانت قوانين السكسونيين فى الانتقام تقريبا مثل قوانين امم اوروبا المقيمين بالارض القارة وكذلك قوانينهم فى الحروب الشخصية والجرائم والغرامات التى تفرض على المتعدى لمتعدى عليه فان ماشرعه اينه فى القرن الثامن فى شأن الانتقام وما رتبه ايدموند فى القرن العاشر فى شأن القتل والعادة وماشرعه ايدوارد لوكونفسور فى القرن الحادى عشر فى شأن الصلح الرعدنه تذكر ما سبق ذكره فى الموضوع لمبانى رتبه ملوك فرانسا وقد تلقى المتمصر بعض قوانين ايدوارد كان احسن من قوانين ملوك فرانسا وفيها بعض اصول واوامر تدل بها على ان انكلترة وقتئذ كانت اكمل من غيرها نساما وضبطا وربطا وبعد فتح النورمنديين لانكلترة لم تكن الحروب الشخصية وقوانينها مجهولة بالكلية كما يفهم من كتاب انموذج القوانين الانكليزية للمؤلف مادوكس ومن مختصر كتاب دومسدى وهو كتاب سرداراضى انكلترة وعداها اليها امر بتأليفه الملك غليوم لوكونكيران اى صاحب الفتوحات والظاهر ان الانكليز اخذوا من هدنة الله والهدنة الملوكية

عقابا شديدا وكانت هذه الوثائق تعطى احيانا باختيار الخصمين وفى الاغلب كان القضاة المدنيون يأخذونها منهما قهرا وذلك فى صورة ما اذا كان احد الخصمين يعلم ضعف نفسه فيطلب وثيقة الامن لئلا يتعدى عليه خصمه الاقوى منه فيعرض للقاضى المدنى فى شأن ذلك فيطلب القاضى خصمه الى ديوانه ويكرهه على ان يكتب على نفسه وثيقة امن لخصمه الشاكى فاذا حصل من هذا الخصم القوى بعد ذلك تعد على الشاكى فانه يكون بذلك معرضا نفسه للجزاء المرتب لذنب الخيانة والغدر وهذه الواسطة كانت معلومة فى عصر الملك سنتلويز وكانت موجودة كذلك فى ابريطانيا ومن الغرابة ان هذه الوثائق كانت تكتب ايضا بين الملتزمين وبين اتباعهم وقد اتفق ان اولوبردوكليسون كتب وثيقة من هذا القبيل بينه وبين اميره دوق ابريطانيا وكما حصل ذلك فى اقليم ابريطانيا حصل ايضا فى غيره من اقاليم فرانسا كما بين ذلك المؤلف بروسيل بامثلته ثم ان اشراف بورغونيا تشكوا من هذه العادة و برهنوا على انها مضرة لمزاياهم فعوفوا منها وهذه الوثائق كان اول منشاها فى المدن فلما عرف الاشراف ان ثمراتها طيبة لامن الانسان واطمئنانه بادروا الى قبولها بينهم (راجع المبحث السادس عشر)

(عاشرا) كان ينشأ فى بعض الاحيان عن الحروب الخصوصية مصائب كبيرة بحيث ان الاشراف من تلقاء انفسهم تجمعوا واتفقوا على انه اذا حصل لاحد منهم مشاجرة فى شان عقاراته المدنية او امر يزرى بشرف عرضه يرجع فى ذلك الى مشورة بقية الجمعية التى هو منها ويعمل بموجب ما يحكم به جمهور اربابها كما ذكره موريس

(الحادى عشر) حيث ان جميع هذه الوسايط لم ينشأ عنها ما كان يؤمل من الملك كرلوس السادس (سنة ١٤١٣) امر بمنع الحروب الشخصية باى سبب كان ورخص للقضاة المعتادين ان يجبروا كل انسان على اتباع هذا القانون ويعاقبوا جميع من تعداه بالسجن او بضبط امواله واملاكه او بارسال بعض ناس من طرف الحكمة يسمون بالآكلين او القطاعين ليعيشوا فى اراضى

قد حصلت لذوي الشوكة اولى حق وتعديات كانت لا تنقطع بينهم المعادات
والحروب الشخصية حتى ان وطنهم كان مشحونا بالمصائب والاهوال الكثيرة
كما برهن على ذلك المؤلف ماريانا بادلة عديدة وكذلك في ممالك اراغون كانت
القوانين تأذن في الانتقام بطريق الحروب الشخصية وكانت هذه الحروب
جارية فيها مع غاية الشدة والافراط كما كانت في غيرها ويوجد الى الآن وثائق
تدل على انه كان هناك معاهدة بين ملوك اسبانيا واشرافها على ان لا ينقضوا
عهد الصلح وان يسيروا على موجب هدنة الله بل حصل في سنة [illegible] ان
الملك ورباب ديوانه في اراغون عقدوا مشورة واتفقوا على ابطال حق الحروب
الشخصية وعلى عقاب من يدعي ان هذه الحروب حق ضروري له ولكن كان
هذا الداء قد تمكن من قلوب الناس وتشعب الى شعب كثيرة حتى اضطر
الامبراطور شرلكان (سنة ١٥١٩) الى ان رتب قانونا جديدا لاجل احياء
القوانين القديمة التي كانت رتبت لدفع عادة تلك الحروب ثم توسيت

ثم ان اللومبرديين وغيرهم من اهالي الشمال الذين استوطنوا في ايطاليا ادخلوا
اليها عادة تلك الحروب الشخصية ونشأ عن هذه العادة في ايطاليا ما نشأ في
غيرها ولما كثرت هذه الحروب بايطاليا كما كثرت بفرانسا لزم ان يستعمل
في ابطالها من ايطاليا نفس الوسائط التي استعملت في فرانسا

واما المانيا فقد ترتب فيها على الحروب الشخصية مصائب وتعكيرات اعظم
هولا مما حصل في غيرها من سائر ممالك اوروبا وذلك اذ شدة الحروب المدنية
التي حصلت بين ايمبراطرة عائلة سوابا والامبراطرة عائلة فرنكونيا كانت
قد اضعفت الشوكة الامبراطورية كثيرا حتى ان الاشراف بل والمدن
كادوا ان يكونوا مستقلين حتى انهم ابوا ان ينقادوا لشيء من الشرائع
والقوانين التي كانت وقتئذ ويفهم من التواريخ الجرمانية ان الحروب
الشخصية كانت كثيرة متواترة بين اهالي المانيا وقد بالغت تلك التواريخ
في وصف النتائج الشنيعة المهولة التي نشأت عن الحروب الشخصية في بلاد
المانيا ثم وان كانت هدنة الله التي حصلت اولا في فرانسا قد بادر اليها ايضا

حكما شرعيا اشتهر فيما بينهم زهراء ثم يعظم به الذنب على الجانى كونه يتعدى
على انسان فى هدنة الله او فى الهدنة الملوكية اللتين تكلمنا عليهما فيما سبق
ولكن بعد ان فتح الورمنديون انكلترة قلت فيها الحروب الشخصية اكثر من
غيرها من بلاد اوروبا كما يفهم ذلك من تاريخها حتى انه لا يوجد فيها الآن شئ
من تلك القوانين القديمة وسبب هذا التغير العظيم الذى حصل للانكليز
فى اخلاقهم عجيب حيث لم يحصل لغير الانكليز ممن بجوارهم من الملل
فلا يدرى اهو شوكة الملك غليوم النورمندى العجيبة التى كان قد اكتسبها
فى بلاد الانكليز بعد ان تغلب عليها الآن هذه الشوكة قد ضبطت تدبير الحاكم
عما كان عليه وقوته وبها ايضا صار اقتدار الملك غليوم النورمندى واسع
الدائرة واقوى من اقتدار سائر ملوك اوروبا الآخرين الذين كانوا فى عصره
وبعد موته انتقلت هذه الشوكة الى خلفائه او سبب هذا التغير مجرد استيطان
النورمنديين بتلك المملكة فابطلوا منها عادة الحروب الشخصية لانها لم تكن
معروفة لهم فى بلادهم وقد صرحت بعض اوامر الملك يوحنا ملك فرانسا ان
الحروب الشخصية لم يؤذن بها اصلا فى بلاد النورمندية وما كانت تجوز
لانسان ايا ما كانت رتبته وكان من يتجاسر على فعلها يحكم عليه بجزاء
يناسبه لانه فعل امرا مخالفا للشرائع والاحكام واذا صح ذلك كان دليلا
مؤيدا للوجه الثانى فى سبب تلاشى الحروب الشخصية فى انكلترة ولكن حيث
ان بعض المؤلفين العارفين قد كتب بعض ملحوظات على القوانين والشرائع
القديمة ونبه فيها على ان بعض قوانين پرلمان انكلترة لا يخلو عن غلط فيمكن
ان يقال ان هذا الامر لم يكن موجودا فى القوانين النورمندية وعلى هذا
فما ذكر فى امر ملك فرانسا غير صحيح وليس هنا محل ايراد الخلاف فى هذا
الشأن الذى يرغب فى البحث عنه كل عالم خبير بالاشياء التى كانت قديما بمملكة
انكلترة من شرائع وعوايد وغيرها .

ثم ان عادة الحروب الشخصية كانت كثيرة منتشرة جدا فى مملكة قسطيله
بل كانت مأذونة بموجب قوانين تلك المملكة وعوايدها وحيث كان اشراف

معارض فى جميع الدعاوى التى تقدم له وفى زمن ذلك الوقت ترتبت فى المانيا محكمة محترمة جدا لم تنفك عن الجمعية الجرمانيـة من ذلك الوقت وهى الى الآن موجودة بهاوه معدودة من الفروع المهمة اللازمة نظامها وترتيبها ذكر ذلك المؤلف دات والمؤلف بفيفيل

المبحث الثانى والعشرون

فى بيان مصائب الوسايط المختلفة التى ابدوها الابطال هذه الطريقة بصحيفة (٦٠) من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

لا نذكرهنا جميع الطرق التى كان يسلكها الناس فى طلب الانصاف بحكم الله وكانت ناشئة عن جهل هـذه الاعصر لان ذكرها تفصيلا يؤدينا الى التطويل الممل وانما نذكر منها طريقة واحدة لانها هى الموجودة الموضحة فى صورة دعوى عملت بحضرة الامبراطور كرلوس مانوس وهـذه الطريقة تكفى فى ان تبين لنا ان تدبير القضايا والاحكام الشرعية كان ناقصا جدا فى تلك الاعصر بل وفى زمن هذا الامبراطور العظيم وذلك انه سـنة ٧٧٥ حصلت منازعة بين اسقف مدينة باريس وبين القديس دينس فى شان دير صغير يدعى كل من الخصمين انه ملكه وان كل منهما بوثائقه والقبالة التى تشهد له وتثبت دعواه فعرضا من ان يتفرقى وان كل منهما ويبحث عن تحقيق مضمونها احتيجت دعواهما الى طريقة يقال لها حكم الصليب فتفهم كل من المتخاصمين انسانا نائبا عنه ليقف شـدان الانـ بـين مدة الصلاة امام الصليب الذى فى محراب الكنيسة واذرعتهما ممدودة فكل من تعب منهما اولا وترك الهيئة التى كان عليها ضاع حقه فاتفق ان نائب الاسقف كان ضعيفا عن نائب القديس دنيس فثبت الحق للقديس المذكور كما ذكره مابيلون فاذا كان مثل هذا الامبراطور مع معارفه ونباهته يقر هذا الحكم المخالف للعقل فلا عجب ان غيره من ملوك ذلك العصر قد مكثوا ازمنا طويلا راضين بتلك العادة

ثم ان المؤلف مونتسكيو قد تكلم فى كتابه المسمى روح الشرائع على المقاتلة

اهل المانيا الا انهم لم تجد شيأ ولم تمكث الا مدة قليلة وازدادت الفتن مع السرعة حتى وصلت الى درجة خيف منها انحلال نظام جمعيات المانيا بالكلية فاضطروا الى تعاطي الدوآء الذي لا دواء غيره لهذا الداء وهو ان منعت الحروب الشخصية فيها منعا كليا وفي سنة ١٢٥٥ صدر امر بذلك من الايمبراطور غليوم قبل امر كرلوس السادس ملك فرانسا بمائة وستين سنة ولكن لم يقدر هذا الايمبراطور ولا خلفاؤه على اجراء هذا الامر فحصلت حينئذ في المانيا حادثة تدل على عظم المصائب المهولة التي نشأت عن الحروب الشخصية وتدل على ضعف ايمبراطرة المانيا مدة القرن الثاني عشر والثالث عشر وهذه الحادثة هي ان اهالي المدن والاشراف عقدوا جمعيات ومعاهدات بينهم وتعاهدوا مع بعضهم على ان يحافظوا على الامن العام وان يقاتلوا كل من تجاسر على خرم نظامه وهذه المعاهدات هي اصل عصبة الرين وعصبة سوابه وعدة عصب اخرى صغيرة وقد حقق المؤلف ذات أصل تلك الجمعيات وتقدمها والنتائج السعيدة التي ترتبت عليها حيث قال ما حاصله لا يخفى ان الامن العام ونظام الحكومة اللذين مكثا في ايمبراطورية المانيا من ابتدآء القرن الثاني عشر الى الخامس عشر كان سببهما تلك الجمعيات السابقة وفي ظرف هذه المدة عظم عدل تدبير المحاكم في المانيا وانتظمت السياسة وصار الناس يحترمون الشرائع والقوانين ولكن ابطال عادة الحروب الشخصية الابطال الكلي لم يتم الا في سنة ١٤٩٥ لان الشوكة الايمبراطورية كانت قد تثبتت وقتئذ وكانت عقول الناس قد تحسنت اراؤها وعرفت طرق الحكومة والطاعة المدنيتين فبعد ان مكث الاشراف زمنا طويلا عاكفين على تلك الحروب الشخصية وكانوا يعتبرونها حقا لازما لهم رأوها قبيحا بعد من الامور الشنيعة الخشنية ورأوا انها مخالفة لسعادة الناس ومؤدية لانحلال نظام جمعيتهم ولاجل قطع عرق المنازعات التي كان يمكن حصولها بين اهالي الجمعية الجرمانية جعل للديوان الملوكي افتاء نافذ في جميع امور الايمبراطورية فصار هذا الديوان يحكم بما شاء من غير

بهذا الشان اذا سب انسان آخر او قذفه كان قال له انت لست رجلا
كبقية الرجال او ليس فيك عزم الرجال فاجابه الآخر بقوله انا رجل مثلك
لزمهما ان يتبارزا في الفلاة فاذا حضر المعتدى في محل الوعد وغاب المعتدى
عليه اكسبه ذلك تدنيسا اكثر مما لحقه من السبة التي دعته الى ميدان الحرب
مع خصمه فلا تقبل له شهادة سواء كانت في حق رجل او امرأة ولا يجوز له
ان يوصى بشئ من امواله واما اذا حضر المتعدى عليه وغاب المتعدى نادى
الحاضر الغائب ثلاث مرات باعلا صوته ويرسم علامة في الارض فبذلك
يلحق الغائب عار وخزى عظيم في نظير كونه تفوه بكلمات لاقدرة له عليها
واذا برز كل منهما مستكملا لما يلزم من ادوات الاسلحة وقتل المتعدى عليه
في النزال لزم المتعدى نصف ديته واما اذا قتل المتعدى فهذا جزآؤه في نظير
وقاحته التي افضت به الى ذلك فيبقى مطروحا في الميدان ولا تطلب له دية
انتهى ذكره ستر نوهولت ثم ان هؤلاء الامم الحربيين كانوا يتأثرون الغاية مما يدنس
عرضهم في الشجاعة والعسكرية ففي قوانين امة السليان اذا قال
انسان لآخر انت ارنب اى جبان او اتهمه بانه قد ترك ترسه في ميدان الحرب
لزمه في نظير ذلك غرامة كبيرة وفي قوانين اللومبرديين اذا قال انسان لآخر
انت اركا اى لا تنفع في شئ جاز لمن خوطب بهذا اللفظ ان يدعو من خاطبه به
الى القتال وفي قوانين السليان ايضا اذا قال انسان لآخر انت سنيتوس
(كلمة بربرية تقرب في المعنى من لفظ اركا) لزمه دفع غرامة كبيرة جدا
وقد وصف المؤلف بولص دياكر والغضب المهول الذى حل بانسان من
ابناء بلده عند سبه بهذا اللفظ المدنس وذكر ما نشا عن سبه بهذا اللفظ
من الاشياء الشنيعة فيعلم من ذلك ان المحافظة على شرف العرض التى
نعتبرها الآن من جملة محاسن التمدن الجديد وان عادة الحروب الشخصية
التى هى نتيجة ذلك كانتا من عوايد قدماء الافرنج فى تلك الازمان الخالية
التى كان المتقدمون فيها قليلى التأنس والتمدن
ولكن حيث ان مقصد المؤلف موتسكيو في هذا الشان لم يوصله الى البحث

او المحاربة الشرعية وشرحها شرحا كافيا واودع فى ملحوظاته التى ذكرها
فى هذا الشأن صفتيه المميزتين له من بين مشاهير المؤلفين وهما تدقيقه
فى البحث على وجه الصحة عن جميع احوال القوانين القديمة والحوادث التى
قل من يعرفها وذكاء عقله وكمال قريحته فى ادراك اسباب تلك الاحوال
واصولها التى هى مؤسسة عليها فلذلك احلنا من يقرأ كتابنا هذا
على كتاب هذا المؤلف الشهير ليستوفى منه ما يلزم فى تلك المواد لان من نظر
فى كتابه وجد اغلب الاصول والقواعد التى بنيت عليها فى توضيح تلك العادة
ويظهر من تنبيهات المؤلف مونتسكيو والوقائع التى ذكرها المؤلف موراطورى
ان عادة طلب حكم الله بواسطة اختبار الانسان بالنار او الماء وما اشبه ذلك
كانت معروفة عند الامم الذين استوطنوا فى اقاليم الايمبراطورية الرومانية
وكانت جارية عندهم قبل استعمال المحاربة الشرعية ولكن فى زمن استيطان
الملل المتبربرين فى الايمبراطورية اول مرة كانت المحاربة الشرعية
عندهم اقدم الطرق التى كانوا يسلكونها فى انهاء المنازعات التى تحصل
بينهم وقد ذكر المؤلف وليوس بازكولوس لذلك برهانا واضحا فقال ان جميع
الدعاوى التى كان يلزم رفعها للشرع عند الرومانيين كانت تقضى بطريق
الحرب عند الجرمانيين ومثل ذلك يوجد ايضا فى انموذج قوانين قدماء اهل
اسوج وعوايدهم للمؤلف سترنوهولك نعم مما يمكن صحته ان الملل المتبربرين
الذين تغلبوا على الايمبراطورية الرومانية لما تمسكوا بدين النصرانية ابطلوا
المحاربات الشرعية مدة لما انها كانت مخالفة للدين الذى تمسكوا به ولكن
اضطروا فيما بعد بالتدريج الى تجديد هذه العادة ثانيا بسبب عدة مقتضيات
قد ذكرناها فيما تقدم

ويظهر ايضا من القانون الذى ذكره المؤلف سترنوهولك ان المحاربات الشرعية
كانت سابقا مباحة مأذونا بها فى صورة ما اذا كانت الدعوى التى بين
الخصمين قذفا يدنس العرض ثم توسع فيها بالتدريج حتى صارت مأذونة
فى جميع الجنايات ودعاوى العقارات وهاك نص عبارة القانون المتعلق

بهذا

ولايرجع الاعلى كل مصون عن الخطأ والزلل فنشأ عن ذلك منازعة كبيرة فحكم الاشراف بان الاحسن فى هذا الامر انهاؤه بالمحاربة الشرعية واستحسن الملك رأيهم وخرج من كل فريق محارب شاكى السلاح وبرز المحاربان لبعضهما فى الميدان فاتفق ان المحارب الذى كان يحامى عن المذهب الموزرابيكى ظفر بالنصرة على صاحبه ولكن كان كل من الملكه وسفران توليده يميل الى مذهب البابات فاشارا بان يكون اختبار صحة هذين المذهبين وبطلانهما بطريق آخر غير طريق الحرب لامدخلية لاحد فيه سوى الله تعالى ولا يمكن فيما بعد مراجعته ولا التخلف عما يتبينه وكان لهما شوكة ونفوذ كلمة بحيث امضيا امرهما وهذا الطريق هو ان اشعلوا نارا كبيرة ورموا فيها كتابا من كل مذهب واتفقوا على ان الكتاب الذى يحترسه اللهب ولا تأكله النار يصير معمولا به فى جميع كنائس اسبانيا فحمى الله المذهب الموزرابيكى وقال المؤلف رودريك بزدوتوليده انه لم يحصل لكتاب هذا المذهب ادنى خلل من النار بخلاف كتاب مذهب البابات فانه صار رمادا ولكن كل من الملكة والمطران ما اولا بشوكتهما او بحيلهما فى هذا الحكم بحيث لم يؤذن فى العمل بالمذهب الموزرابيكى الا ببعض كنائس قليلة وهذا الحكم خارق العادة كغيره من الاحكام التى سبقت فى هذا الشان (راجع تاريخ تقلبات اسبانيا للمؤلف رودريك بزدوتوليده)

ويوجد فى شرع اللومبرديين واقعة شهيرة تدل على ان اختبار الاشياء بطريق الحرب كان شائعا عند جميع الناس بل كانوا يميلون اليه كثيرا وكانت عادة الناس فى تلك الاعصر المتبربرة الجنسية ان كل انسان مخير بالنظر للشرائع ولكن اذا اختار شريعة وجب عليه اتباع ما توجبه هذه الشريعة ولا يلزمه ان يعمل بشئ مما تأذن به شريعة اخرى فكان من يتبع شريعة الرومانيين مثلا ويعمل بالاحكام الفقهية القديمة على حسب ما يلايم جهالة تلك الاعصر لا يجب عليه مراعاة شئ من الاقضية والاحكام المرتبة فى شرائع البرغونيين واللومبرديين وغيرهم من الملل المتبربرين ولكن حرم الامبراطور

لى وجه التفصيل عن جميع الاحوال التى تخص المحاربات الشرعية نذكر
ن هنا بعض وقائع خصوصية لازمة لتوضيح ماذكرناه فى هذا الغرض ونمثل
ذلك بمسئلة فقهية مشكلة قد حكم فيها بالمحاربة الشرعية وذلك انه
حصلت منازعة فى القرن العاشر فى شأن ميراث لان الحقوق الميراثية وقتئذ
كانت غير معلومة فى اوروبا وان كانت الآن معلومة فيها عند الخاص والعام
قال بعض المؤرخين كان من المشكل معرفة هذه المسئلة وهى هل اولاد
لابن كاولاد الصلب بحيث يرثون كاعمامهم سوآء بسواء فى صورة ما اذا مات
بوهم وكان جدهم موجودا فعقدت مشورة لحل هذه المسئلة وانحط رأى
لجمهور فيها على تفويض هذا الامر للقاضى ولكن استحسن الايمبراطور غير
ذلك فامر أن يحكم فى هذه المسئلة بالمحاربة بين شخصين نائبين عن كل من
لفريقين فاتفق ان الشخص الذى كان يحارب نيابة عن اولاد الميت انتصر
على صاحبه فحكم من وقتئذ ان الاولاد يقاسمون اعمامهم فى التركة انتهى
ذكره المؤلف ويتيكند كوربان

فاذا امكن ان يقال ان الحماقة والشهوات النفسانية تؤدى الانسان
الى ان يقوم بنفسه تصورات جنونية اكثر من الحكم فى مثل هذه المسئلة
الفقهية بالمحاربة الشرعية قلنا اكثر من ذلك فى الجنون والحماقة ما وقع
من اختبار آرآء مختلفة فى الدين بالمحاربة الشرعية ليعلم صحيح هذه
الارآء من فاسدها فمن امثلة هذا الجنون الذى يعاب به على العقول
البشرية انه اتفق فى القرن الحادى عشر ان حصلت منازعة بمملكة
اسبانيا فى شأن مذهبين دينيين فاختلفت الارآء فى معرفة الاحسن
منهما عند الله تعالى هل هو المذهب الموزرابيكى الذى كان معمولا به فى
كنائس اسبانيا او المذهب الذى كان يستحسنه البابات وكان مخالفا
للاول من بعض الوجوه فصار اهل اسبانيا يحامون مع الغيرة عن مذهبهم
الذى نقلوه عن آبائهم واجدادهم وصار البابات يشددون عليهم فى قبول
مذهبهم الذى كانوا يستحسنونه ووضعوا عليه امضاءهم الذى لا ينقض

ولا يوضع

اوروبا على اختلافهم فان هؤلاء المؤلفين قد اطالوا فى شرح هذه العادة
وذكروا قوانينها واصولها تفصيلا من غير ان يفوتهم منها ادنى شئ واهتموا
بتوضيح معانيها وحل رموزها اهتماما زائدا لان هذا الامر كان مهما
ومعتبرا جدا فى شرائع ذلك العصر ولا يوجد فى دستور الشرائع امر آخر
التفت اليه المؤلف جمنوار والمارشال بطرس دوفونتين وغيرهما من جمع ما
انحط عليه الرأى ثم المشورات السياسية التى عقدت باجتماع القسوس واعتنوا
به اكثر من هذا الامر المذكور واثبت ذلك ايضا اقدم المؤرخين الاجانب فذكر
مادوكس ما يفيد ان اختبار الدعوى بطريق الحرب كانت العادة جارية به
كثيرا فى انكلترة بحيث ان الجرائم والغرامات التى كانت تجبى من ذلك كانت
فرعا عظيما من ايرادات الملك وقد ذكر المؤلف مورييس وهنا غريبا احد المحاربه
شرعية حصلت بحضرة دوق ابريطانيا (سنة ١٣٨٥) بين روبرتد وبومنوار
وبطرس دوتورنومين وجميع القوانين والرسوم التى كانت تلاحظ مع هذه
العادة الغريبة ذكرها هذا المؤلف بطريق اوضح مما ذكر فى جميع ما راجعته
من الكتب والمؤلفات القديمة وصورة هذه المحاربة التى حصلت امام الدوق
المذكور هى ان بومنوار اتهم تورنومين بانه قتل اخاه فبارزا بعضهما وهزم
الاول اى بومنوار الثانى فثبت على تورنومين القتل وحكم عليه شرعا بالشنق
فى الميدان وكان ... حكمه بومنوار اسقط حقه وعفا عنه ... [illegible]
... [illegible] ... الشرائع والقوانين المرتبة
... المحاربة الشرعية

ثم ان المحاربة الشرعية كانت مستحسنة عند الناس حتى ان ... [illegible]
منع الدين عن هذه العادة اضطروا الى احتمالها والى تعضيدها وتأييدها
كما ذكر ذلك المؤلف بسكير فى كتابه المسمى بالابحاث اليقينية فى المملكة
الفرنساوية بمثال جدير بالالتفات اليه وكان القسيس ويتيكند كوربان الذى
نقلنا عنه فى هذا المبحث العبارة المتعلقة بالارث يعتبر ان انهاء مسئلة فقهية
بطريق المحاربة الشرعية هو احسن واشرف واسطة فى انهاء الاحكام وحصل

اوتون هذه القاعدة العمومية بامر صدر منه وهو ان كل انسان مهما كانت شريعته المتمسك بها ولو كان متمسكا بشريعة الرومانيين يجب عليه العمل بمقتضى الاوامر الملوكية الصادرة لخصوص الحكم بطريق المحاربة انتهى

ومادامت العادة جارية بالمحاربة الشرعية كانت الادلة الثابتة بالوثائق والحجج والشرائع ونحو ذلك باطلة لا يعمل بها بل كانوا يحاولون فى الشهادات التى كانت معمولا بها فى الاقضية الشرعية التى تقام فى المحاكم فكان اذا قدم احد الخصمين وثيقة او ذكر لقبا يثبت به حقه يجوز لخصمه ان يرفض هذه الوثيقة ويبرهن على انها باطلة لا اصل لها ويطلب بيان صحتها بطريق المحاربة الشرعية نعم ذكر المؤلف بومنوار بعض صور كان يجوز لقاضى فيها ان يأبى انهاء الدعوى بطريق المحاربة الشرعية منها هذه الصورة وهى ان الدعوى ان امكن اثباتها ثبوتا بينا بوجه آخر فلا حاجة الى المحاربة الشرعية انتهى

ولكن مثل هذه الصورة لم يكن ينشأ عنها ابعاد الضرر الا من جهة واحدة وذلك لان الخصم المدعى عليه كان اذا وقع فى قلبه ريب ممن شهد عليه يسوغ له ان يتهمه بانه اخذ الرشوة و ينكر عليه شهادته ويدعوه الى الحرب فاذا اتفق انه ظفر على الشاهد فلا يجوز قبول شهادة اخرى واما الخصم المشهود له فيضيع حقه ذكره بومنوار وسبب كون الشاهد يجبر على اجابة الخصم المشهود عليه الى الحرب جديرا بالالتفات اليه لانه من قبيل المحافظة على شرف العرض وهو كما نصت عليه الشريعة اذا كان الانسان جازما بانه يعرف الشئ على حقيقته كما ينبغى ولا ينكل عن يمين فى شأنه فلا ينبغى له ان يخشى من اثبات ما هو جازم به بطريق الحرب انتهى

ومن المعلوم ان اختبار الدعاوى بطريق المحاربة الشرعية كان مقبولا فى جميع بلاد اوروبا وكانت العادة جارية بذلك على سبيل التواتر والكثرة كما يشاهد ذلك فى كتب الشرائع القديمة التى كانت تأذن به وفى كتب المؤلفين الاولين الذين كتبوا فى شان شرائع ذلك العصر التى كانت جارية فيه عند ملل

اوروبا

الا كبروكانت هذه المحاربة بين دونلدلورثري وداود رمسي ولكن تمت هذه المحاربة ايضا من غير سفك دم بين الخصمين لانه توسط فيها الملك كرلوس الاول وفيما بعد بسبع سنوات حصل ايضا في انكلتره محاربة شرعية اخرى

المبحث الثالث والعشرون

في شرح قول الشارح فما صار تدبير الاقضية والاحكام ناشئا عن اصل واحد الى آخره بصحيفة (٦٧) من مطلب الوسائط التي صنعت لاجل تحديد قوانين الاشراف بصحيفة (٦٥) من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

قد ذكرنا في اتحاف الملوك الالبا الوقائع الكبيرة المهمة التي تدل على تقدم شوكة القضاة سابقا عند ملل اوربا وعلى تقدم اقضيتهم واحكامهم عمومية كانت او خصوصية ولكن حيث ان هذا امر مهم يرغب فيه رأينا جديرا بان نفصل في شرحه زيادة عما ذكرناه في الاتحاف ونبين الطريق التي سلكتها العقول البشرية في هذا الشان الذي هو فرع من الفنون السياسية فنقول ان دفع الغرامة لمكافاة الشخص المتعدى عليه او العائلة المتعدى عليها كان اول واسطة اخترعها الام المتشدنون في اطفاء نار الحقد الشخصي الذي كان يقوم بانفس الناس للانتقام والاخذ بالثار وكان ينتقل من جيل الى جيل ولا تخمد نيرانه الا بسفك الدم واذا تاملت عادة دفع هذه الغرامة رأيتها قديمة تصل الى عصر قدماء الجرمانيين وكانت موجودة ايضا عند ملل آخرين غير الجرمانيين متمدنين منهم وكثيرا ما ذكرت شواهد ذلك في التواريخ ثم ان هذه الغرامات كانت تفرض او تقبض بثلاث طرق مختلفة الطريقة الاولى كانت الغرامات اولا تعين باتفاق احتيارى بين الفريقين المتشاحنين وذلك ان الفريقين لما كانت تخمد نار غضبهما الاول كانا يدركان المضار التي تنشأ لهما عن استمرار حقدهما البعض فيتصالحان على غرامة تعطى للمتعدى عليه ويفهم من ذلك ان هذه الغرامة كانت عن تراضيهما كما في روح الشرائع ويؤخذ من

(فى سنة ٩٧٨) محاربة شرعية بحضرة الايمبراطور هنرى وذلك انه وقعت منازعة فى دعوى بين اثنين من اشراف ديوانه فاشار عليه المطران ألديبرت بان يحكم فى دعواهما بطريق المحاربة الشرعية فقبل الايمبراطور ذلك من المطران وامرهما بالمبارزة لبعضهما ومن انهزم من الاثنين ضرب عنقه فى الميدان ذكره بوكيت فى كتابه زبدة التواريخ وكان يحكم كذلك بطريق الحرب فى شان الدعاوى المتعلقة بملك الكنائس والديور فمن ذلك المنازعة التى حصلت (سنة ٩٦١) فى شأن كنيسة سنت ميدار هل تنسب للراهب بوليو ام لا فحكم بان هذه المسئلة لا يحكم فيها الا بطريق المحاربة الشرعية وقد اعلن الايمبراطور هنرى الاول ان قانونه الذى رتبه فى الترخيص بالعمل بالمحاربة الشرعية كان عن رضا عدة من ثقاة الاساقفة المؤتمنين فانظر كيف كان الناس متولعين بالحروب وقتئذ وكان حكم الحرب مغلبا على حكم الشرائع القانونية وعلى احكام القسيسين واوامرهم (وفى سنة ١٥٢٢) اذن الايمبراطور شرلكان بمحاربة شرعية فى اسبانيا فبرز الخصمان فى الميدان بحضرته وكانت المحاربة بينهما على حسب الرسوم القديمة المرتبة فى شرائع امارة الشوالرية وقد ذكر المؤلف بوتوس هوبوروس جميع ذلك موضحا اتم توضيح

واخر واقعة حصلت فى فرانسا من المحاربات الشرعية هى المحاربة الشهيرة التى حصلت (سنة ١٥٤٧) بين جرنالئ وكستينره (وفى سنة ١٥٧١) اذن فى انكلتره بمحاربة شرعية ووكل بملاحظتها قضاة محكمة المخاصمات العمومية ولكن لم يشدد فيها كالمحاربة الاخيرة التى حصلت فى فرانسا لان الملكة ايليزابيطه توسطت فيها بصولتها وامرت الخصمين ان يمما تلك المحاربة على وجه مستحسن ولكن المحاربان لاجل شرف عرضهما بارزا بعضهما وفعلا فى الميدان جميع الرسوم الاولية التى كانت جارية بها العادة فى المحاربات الشرعية ذكره سبيلمان وفى (سنة ١٦٣١) اذن كذلك فى انكلتره بمحاربة شرعية توكل بملاحظتها كل من قائد جيوش انكلتره ومارشالها

الاكبر

وما نحن رأيهم عليه فى شأن تلك الاعصر القديمة فتبين اهم من هذه المقابلة
ان هذه الفردة كانت تفرض الحمية على المتعدى فى نظير كونه ارتكب امرا
يخل بالامن العام والظاهر ان هذه الفردة هى المحصول الذى يأخذه القضاة
فى نظير حمايتهم للمتعدى واطفاء نيران غيظ المتعدى عليه ثم انه بانشاء
هذا القانون حصل بالناس تقدم عظيم فى تحسين قوانين العقوبات والجنايات
وفى بعض كتب الشرائع القديمة لا يوجد لهذه الفردة ذكر او ذكرت نادرا
بحيث يفهم ان العادة لم تكن جارية بها الا قليلا واما الشرائع الاخيرة
فان هذه الفردة فيها مطلوبة ومؤكدة كالجريمة التى تعطى للمتعدى عليه
سواء بسواء كانت فى الاحوال المعتادة فى الدعاوى على الثلث من الجريمة
المذكورة واما فى الاحوال الصعبة التى كان يصرف فيها لمحاماة الشخص
المتعدى والمدافعة عنه فكانت تزيد على ذلك بحسب ذنب الانسان المتعدى
وكانت هذه الفردة دخلا جسيما من ايرادات البارونيين والمتوليين لان جميع
الاراضى التى كان فيها القضاء البارونى كان لا يجوز لقضاة الملوكية
ان يطلبوا منها شيئا من الفرد
ثم ان ما فسرنا به لفظ الفردة قد وافق فى معظمه رأى المؤلف مونتسكيو
وان كنا نعلم ان عدة من العلماء قد فسروا هذا اللفظ بغير ذلك وكان اعظم
مقصدهم فى هذا الشأن هو انهم كانوا يجبرون احد الخصمين على المكافأة
التى يوجبها عليه الشرع ويكرهون الآخر على قبولها فرتبوا لاجل ذلك
قوانين عديدة وصاروا يهددون بالعقاب الشديد جميع من تعدى تلك القوانين
وكان يجب على كل من يأخذ جريمة ان يقطع من حين اخذها جميع اسباب
العداوة والبغضاء بينه وبين خصمه الذى كان تعدى عليه ولاجل تأكيد ذلك
كانوا يلزمونه ان يحلف أن لا ينقض ميثاق الصلح بينه وبين خصمه ولا يتعرض
بطلب شئ فيما بعد ولتأكيد ذلك وتأكيد صفاء بواطنهم كان يجب على المتعدى
عليه ان يعطى لخصمه الذى دفع له الجريمة وثيقة أمن يطمئن بها من كل
ما يطالب به بعد ذلك فى هذا الشان وذكر المؤلف ماركولف وغيره ممن جمعوا

بعض الشرائع القديمة انه بعد ترتيب القوانين لم تزل الاشياء على هذه الحالة الاولية نعم كان يحصل فى بعض الاحيان ان الانسان اذا تعدى على آخر يصير عرضة لغضب من تعدى عليه الى ان يمكنه ان يتصالح معه ويسكن غضبه بطريق الاستعطاف * الطريقة الثانية فى تعيين هذه الغرامات هو ان الامر كان يفوض فيها الرأى حكم يقام بين الخصمين لان الحكم من شأنه ان يكون خلياً عن اغراض دون الخصمين ولانه اعدل منهما فى تعيين المكافأة اللازمة ويعسر علينا ان نبرهن بادلة صحيحة على تلك العادة لانها كانت قبل زمن التأليف التى وجدت عند ملل اوربا فى شأن الاعصر القديمة ولكن يوجد فى القوانين التى جمعت فى القرن السادس قانون فيه اشارة الى مصالحة وقعت بين خصمين بموجب توسط حكم بينهما لا بموجب حكم قاض كما ذكره بوكيت فى زبدة التواريخ ولما كان يلزم ان يكون فى الحكم شوكة لاجل تنفيذ احكامه ترتب من وقتئذ قضاة مخصوصة لهذا الشان وصار لهم شوكة كافية فى ان يجبروا الخصمين على اتباع احكامهم وقبل هؤلاء القضاة كانت الجرائم فى هذا المعنى لا تجدى شيأ ولا تؤثر فى الداء الشنيع الذى كان متمكنا من قلوب الناس وهو داء الحقد الشخصى ولكن بمجرد ترتيب القضاة صار القاضى منهم يجعل نفسه قائما مقام المتعدى عليه ويعين الغرامة التى تجب على المتعدى للمتعدى عليه وصارت جميع المظالم والجنايات التى يمكن وقوعها بين الناس مبينة الاحكام والعقوبات وصارت جريمة كل ذنب ومظلمة محددة على حدتها مع غاية التدقيق بحيث ان هذا التدقيق كان يؤدى فى بعض الاحيان الى احكام دقيقة جدا لا تنشأ الا عن كل قريحة غريبة وفى بعض اخر كان يؤدى الى احكام جنونية لا يقبلها عقل ولا يقرها ذوق سليم وزيادة على الغرامة التى كانت تدفع للمتعدى عليه كان يدفع المتعدى للامراء اوللدولة نوعا من الجريمة يسمى فردة كذا قال المؤلف تاسيت وفى قوانين الامم المتبربرين ان هذه الفردة كانت لبيت المال وقد قابل بعض المؤلفين بين سياسة عصرنا هذا الدقيقة

في البلدان والتأنس كما في كتاب تخطيط بلاد العرب المؤلف بوهر وكان يوجد
في مملكة اراغون سنة ١٥٦٤ قانون لا يأذن لاحد في صورة اقتـر[illegible]
بالتوسط في تخفيف العقاب الا اذا كان ذلك عن رضا اقارب
القتيل او ورثته

فاذا تعهد انسان كما ذكر بان يكظم غيظه ويطفئ نار حقده ولا يتعرض ابدا
لمن تعدى عليه ثم حدث منه بعد [illegible] واعتدى على من كان
دفع له جريمة لاجل تسكينه او تعدى على اقاربه او ورثته كان يأثم بذلك
اثما كبيرا ويعاقب باشد العقاب لان ذلك كان يعد عصيانا كبيرا وخروجا
عن طاعة الملك وهو عقاب من تجاسر على نقض عهده بكل [illegible] يأذن به الشرع
ليكون ذلك زجرا لغيره وذلك لان الناس لا يتبعون مع الدوام من تعدى
عليهم ولا يحقدون عليه ورتبت غرامات شرعية لكل ذنب بحسبه وتجدد
الصلح والتوافق بين الناس بملاحظة الملوك ولا يخفى انه في وقت استيطان
الملل المتبربرين باقاليم الامبراطورية الرومانية كان لهم قضاة يحكمون
بينهم بقوة جبرية قهرية حيث كان يجبرون جبرا من شاؤا على قبول
ما يستحسنونه ويفهم من كلام المؤرخين الاقدمين في مؤلفاتهم انه كان
يوجد في الزمان الاول قضاة او رؤساء جبرية مثل هؤلاء القضاة كما ذكره
دوكنج في الاحكام الارضية التي كان يحكم بها البارونيون الملتزمون لم يكن
محض تعديهم لان اقتدار رؤساء الملل المتبربرين بعد حلولهم
في البلاد التي فتحوها جعلوا من احاط بها عقارات لهم [illegible]
مطلقا وجعلوا لانفسهم عليها حق الحكم والاقتناء الارضي وصاروا من وقتئذ
يجرونه في اراضيهم وكان اقتناؤهم مطلقا يتصرفون به في جميع الاحوال وقد
ذكر المؤلف دوكيت ادلة ذلك موضحة والظاهر ان كل بارون صاحب التزام كان
في الاصل له الحق في ان يحكم بين اتباعه في مشاجراتهم وكان ذلك حقا ثابتا له
اذ هو الملتزم وصاحب الارض واذا تأملنا في دفاتر هؤلاء الملل واستفدنا منها
افادة صحيحة نرى ان الالتزام والاقتناء كانا متلازمين كالشيء الواحد لا يوجد

الوثائق والقوانين القديمة عدة من قبيل هذه الوثائق * ومما يشبهها اشبها كليا الوثائق المعروفة فى قوانين ايقوسيا بوثائق سلان فانها كانت تؤخذ على ورثة المقتول واقاربه بعد اخذ جريمة من القاتل انهم قد عفوا عمن سفك دم قريبهم وانهم لا يرجعون ابدا الى البغضاء والعداوة بل يتركون ما كانوا عازمين عليه من الغدر والانتقام من القاتل اومن ذريته فى نظير قتله لقريبهم و يعفون عنه من كل فعل وجزاء مدنى" اوقصاصى يجرى عليه او على امواله حالا او استقبالا وعلى حسب وثائق سلان القديمة كان الفريق المتعدّى عليه يصفح بالكلية عمن ضره بظلمة اوسيئة بل كان يعفو عنه ايضا فى صورة ما اذا وقع فى حقه كبيرة من الكبائر وقد قابل المؤلف دلاس هذه العادة باصول عصره فرأها من التعدى على الحقوق الملوكية اذلا حق فى العفو عن الكبائر الا للملك ولكن فى تلك الاعصر المتبربرة كان الامر بيد المتعدى عليه فكان له ان يتتبع من ظلمه او يعاقبه او يعفو عنه وقد ذكر المؤلف مادوكس وثيقتين احداهما تحررت فى حكم الملك ايدوارد الاوّل والاخرى فى حكم الملك ايدوارد الثالث و يستفاد منهما انه كان يجوز لاحاد الناس ان يعفوا عن كل فعل سيء كخيانة وسرقة وقتل وغير ذلك ولكن يظهر من الوثيقة الاخيرة ان الناس كانوا يراعون فى هذا الشان حقوق الملك لان من كان يعفو غير الملك كان يقول فى صيغته قد عفونا فيما يخصنا بل بعد ان ترتب القضاة المدنية وتقوّوا وتداخلوا بشوكتهم فى عقاب المذنبين من اصحاب الكبائر مكثوا زمنا طويلا والعقاب الذى كانوا يحكمون به يعتبر كانه مكافاة لتسكين غضب الفريق المظلوم المتعدى عليه و يوجد فى بلاد العجم الى الآن انه اذا قتل انسان آخر يسلم فيه لاقارب القتيل ليقتلوه بايديهم واذا عرضت لهم الدية ولم يقبلوها وطلبوا ان يقتلوا قاتل قريبهم لايمكن للملك ولو كان مطلق التصرف فى تلك البلاد ان يعفو عن القاتل كما فى رحلة كاردين ورحلة تاو برنين وهذه العادة موجودة ايضا عند العرب مع انهم من اعظم الامم المشرقية التى كانت قد ترفهت وتقدمت

في جميع ممالك اوروبا عرف بكار اتباع الملوك ان يختلسوا من ملوكهم جميع
ما يكفيهم في ان يوسعوا دائرة افتائهم بقدر ما يمكنهم لان هؤلاء الملوك
كانوا ضعفاء الشوكة في تلك المدة فصار المترمون الاقويا من القرن العاشر
باختلاسهم هذا لهم الحق في ان يحكموا في جميع الدعاوى سواء كانت جنايات
او غيرها وجعلوا انفسهم متصرفين في الاحكام والاقضية الحقيرة والجليلة
في المحاكم الدنيا والعليا وكانت احكامهم بتية لا يجوز الرجوع فيها الى
محكمة اخرى كما يدل لذلك عدة شواهد معتبرة ذكرها المؤلف بروسيل
ولم يقتصر البارونيون على ذلك بل جعلوا التزاماتهم على نسق الجفالك
الملوكية فاحدثوا فيها جميع حقوق الافتاآت والمزايا الملوكية وقد حصل
مثل ذلك في مملكة فرانسا ولكن ما حصل منها في ايقوسيا كان اكثر مما حصل
في فرانسا لان شوكة الاشراف المترمين في ايقوسيا كانت قد بلغت الغاية
القصوى وتجاوزت الحدود نعم وان كانت شوكة الملوك النورمنديين قد اضعفت
في انكلترة شوكة البارونيين حتى صارت دائرة افتائهم اضيق من سائر الافتاآت
والاحكام الموجودة في الحكومات الالتزامية الا انه ترتب في انكلترة وقتئذ عدة
قونتيات بالاطينية (اي حربية) كان لا يمكن لقضاة الملوكية ان يدخلوا فيها
ولا يمكن نفوذ وثيقة باسم الملك في قونتية منها الا اذا كانت مشتملة على ختم
القونتة البالاطينية فلذا كان اتباع البارونيين الذين جعلوا التزاماتهم
جفالك ملوكية يطلبون في دعوى بانها كالملوكية فكان لهؤلاء البارونيين
الحق في منعهم الشاؤاتهم ان يرسلوهم اليها ذكره بروسيل وكان هذا
الحق ثابتا ايضا في شريعة ايقوسيا وكانت العادة جارية به بحيث ترتب عليه
ابطال المحاكم وكان منشأ لاعاب الفتن والتعكيرات الكبيرة التي بها اختل نظام
المملكة

وحدث في انكلترة مثل هذه المضار بسبب حدوث افتاء القونتيات
البالاطينية وكثيرا ما استعمله الملوك من الوسائط لاجل الاحتراس من المضار
التي كانوا يتوقعونها من هذه الحقوق والمزايا التي اختلست منهم

احدهما دون الآخر ففي كان الانسان ملتزما كان له حق الافتاء وقد اطلعت
على وثيقة من الوثائق القديمة اعطاها لمرتبة اللاييك الملك لويرلود يبونير
(سنة ٨١٤) تفيد بطريق النص والصراحة ثبوت حق الافتاء الارضي
لهؤلاء الناس وهناك عدة وثائق اقدم من هذه اعطاها الملك للكنائس
والديور وتثبت انها مثل هذا الافتاء المتقدم حيث منعت جميع القضاة
الملوكية ان يدخلوا في اراضي هذه الكنائس والديور ويجروا فيها شيأ من
الاقضية والاحكام الشرعية ذكره بوكيت وقد ذكر ايضا المؤلف موراطوري
عدة وثائق قديمة جدا مشتملة على مثل هذه المزايا لمرتبة اللاييك وللكنائس
والديور وفي اغلب هذه الوثائق كان يشدد في منع طلب الفردة بالمعنى المتقدم
وهذا يدل على ان تلك الفرد كانت فرعا جسيما من الايرادات العمومية اى
ايرادات المملكة فكان اذا اقيم على انسان دعوى بتلك المحاكم يصرف في قضائها
مبلغا جسيما بحيث كان هذا الامر بمفرده يكفي في صد الناس عن انهاء
منازعاتهم اواقامة دعاويهم بموجب الاحكام الشرعية ويظهر من بعض
وثائق القرن الثالث عشر ان الملتزم الذى كان له حق الحكم في الدعوى كانت
الفردة التى يأخذها في ذلك خمس قيمة الشئ الذى هو موضوع المنازعة بين
الخصمين فاذا رضى الخصمان بعد الشروع في عمل دعواهما ان يتصالحا اويقيما
حكما يحكم بينهما فلا ينقذهما ذلك من دفع خمس قيمة الشئ المنازع فيه
للمحكمة التى فتحت بها تلك الدعوى وهناك قانون يشبه ذلك في وثيقة الحرية
التى اعطيت لمدينة فريبورغ (سنة ١١٢٠) وبموجب هذه الوثيقة كان
اذا تشاجر اثنان من اهل تلك المدينة ورفع احدهما شكواه الى ملتزمه اوالى
محكمة ملتزمه وافتتحت دعواهما ثم تصالح الشاكى مع خصمه جاز للقاضى
ان لا يقبل هذا الصلح وان يجبرهما على تتميم دعواهما وكان كل من حضر
صلحهما يحرم من انعام الملتزم المتولى امره

ويتعذر علينا الآن ان نحدد على وجه الصحة اتساع دائرة الافتاء الذى كان
يتمتع به الملتزمون في الاصل وانما نقول انه في مدة الفتن والتقلبات التى حصلت

في جميع

عند الحكم كما فى تاريخ لنغدوق ولكن حيث كان حق الافتاء وقتئذ ثابتا
لمقدار جسيم من صغار البارونيين كان فى الغالب لا يمكن لهؤلاء
البارونيين ان يضبطوا محاكمهم فمن ثم اذن باقامة الدعاوى الى اعلا عند
وجود المقتضى وصارت العادة بذلك جارية منتشرة حتى حصل بالتدريج
ان صار الناس يرفعون دعاويهم الى المحاكم الملوكية بعد انهائها فى اعظم
محاكم البارونيين وذكر المؤلف بروسيل حكما يؤخذ منه ان القضاة الملوكية
كانوا يرغبون كثيرا فى ازدياد اسباب رجوع الدعاوى اليهم ولكن لا يخفى
ان حق طلب الانصاف المتقدم الذى رتبه الملك ساعد فى اضعاف افتاء
الاشراف اقل مما ساعد به الحق المسمى بحق الحكم الباطل (اى طلب الانصاف
من حكم باطل لم يراع فيه منهاج الحق) فلما صار الملوك اقوياء واتسعت دائرة
افتاء قضاتهم كثر رجوع الدعاوى اليهم وصارت تلك الدعاوى تعمل بطريقة
تلائم عوايد الناس خشنيين لا تمدن عندهم فكان الاخصام المظلومون
يذهبون الى قصر الملك ويصيحون باعلا صوتهم العدل والانصاف وفى مملكه
اراغون كان اذا رفع انسان دعواه الى الجوستزا اى القاضى الاعظم يعلم انه
فى خطر كبير كوت او ضجة فاحشة وكان اذا حضر امام القاضى يصيح قائلا
باعلا صوته ادركونى ادركونى (اى الاعانة الاعانة الانصاف الانصاف)
ويخرج [illegible] القاضى لا [illegible] انقاذ نفسه ثم ان ابطال الادوار
الشرعية [illegible] بعض [illegible] فى احياء [illegible] رفع الدعاوى الى قضاة
الملك وحيث [illegible] الملوك [illegible] فى [illegible] يعتنون كثيرا بالاسبقة
والاحكام نشأ عن ذلك طاعة الناس لهم وترتب على هذه الطاعة ثمرات
عظيمة جدا فصارت جميع الدعاوى المهمة تتقدم لمحاكم دواوين الملك كما ذكره
(بروسيل) وتجد فى روح الشرائع جميع الاسباب والاحوال التى اعانت على
احداث عادة رفع الدعاوى الى القضاة الملوكية وعلى ازديادها وانتشارها
ولكن ليس هنالك حادثة اعانت فى هذا الشان بقدر ما اعان فيه عزم الملوك
وتصميمهم على ان يجعلوا فى محاكمهم ودواوينهم الشرعية طريقة جليلة ثابتة

فكانت الحقوق والمزايا الملوكيه فى ايام الايمبراطور كرلوس مانوس وذريته لم تزل قويه واسعة الدائرة حيث كان هناك نوعان من القضاة النوع الاول القضاة المعتادون ويسمون بالقاطنين (لانهم كانوا قاطنين ببلاد مخصوصة) وهؤلاء هم الدوقات والقومتات والنوع الثانى القضاة الغير المعتادين ويسمون بالرحالة (لانهم كانوا ينتقلون من بلدة الى اخرى للبحث والتفتيش) وكل من النوعين كان له فى الاقاليم التى هى تحت ولايته افتتاء مبتدأ ولا افتتاء البارونيين فى بعض الاحوال بل وكان افتتاؤهم يزيد عن افتتاء البارونيين فى احوال اخرى كما ذكره دوكنج واما بعد هؤلاء الملوك فضعف خلفاء كرلوس مانوس وضعف كذلك معهم القضاة الملوكية واخذت شوكتهم فى السقوط ومن ثم اختلس البارونيون الافتتاء الواسع جدا الذى تكلمنا عليه آنفا وقد بحث لويز السادس ملك فرانسا عن ترتيب القضاة الرحالة واحياء وظيفتهم ثانيا فغير لقبهم الاول ولقبهم بالقضاة البريئين ولكن كان البارونيون اقويا الشوكة فلم يسلموا له فى ذلك لما علموا انه يضر بشوكتهم فاضطر الى ترك هذا المشروع ولكن سلك خلفاؤه طرقا اخرى لم تظهر مهولة للبارونيين مثل طريقه التى سلكها ولم يحصل لهم منها خوف بقدر ما حصل لهم من الاولى فرتب هؤلاء الملوك حقا به يجوز للانسان اذا لم ينصفه ملتزمه ان يقيم دعواه الى اعلا منه وسمى هذا الحق حق طلب الانصاف وهو اول مشروع نجح فيه الملوك فصار من جملة قواعد الشريعة الالتزامية انه اذا لم ينصف البارون احدا من اتباعه او توانى فى انصافه فلهذا التابع ان يرفع دعواه الى ارباب محكمة هذا الملتزم فاذا لم يكن لهذا الملتزم اتباع كثيرون بحيث تكفى آراؤهم فى ان يحكموا على بعض فى محكمته جاز له ان يرفع دعواه الى محكمة الملتزم الاكبر كذا فى روح الشرائع وقال ايضا المؤلف دوكنج ثم ان محاكم البارونيين كان اربابها يبلغون غالبا مقدارا جسيما وقد اقيمت دعوى جناية (سنة ١٢٩٩) فى محكمة الوقونت دولوتريك فحضر فيها اكثر من مائتى نفس وكلهم اعطوا آراءهم

الدنيا والفتوى العليا حتى ان عدة من البارونيين كان اهم الفتوى الدنيا دون العليا اما العليا فكانت محاكمها منوطة بجميع الكبائر بل والخيانات الكبيرة الفاحشة كل مشروع يعود بالضرر على الدولة واما فتوى الدنيا فكانت مقصورة على الجنايات والذنوب الصغيرة وهذا التباين اعان كثيرا على تعليق الاقضية والاحكام التى كانت تحصل فى محاكم البارونيين وعلى تضييقها وعرضها على المحاكم الملوكية

ثم بعد ذلك بقليل ولى حادثة انشاء هؤلاء النواب من القضاة الملوكية حادثة اخرى عظيمة من اهم الحوادث وهى ان عين لديوان الملك العالى او البرلمان الزمان والمكان اللذان ينعقد فيهما وذلك ان ديوان الملك فى فرانسا وغيرها من سائر الممالك الانتزامية كان اولا غير معين المحل بل كان مع الملك حيث توجه ولا ينعقد الا فى بعض مواسم كبيرة معلومة فاراد الملك فيليبش لوبيل (سنة ١٣٠٥) ان يجعل مقر هذا الديوان فى مدينة باريس وان ينعقد مدة معظم ايام السنة وصدرت اوامره بذلك ذكره بسكير ثم ان هذا الملك ومن بعده من الملوك جعلوا لهذا الديوان العالى قدرة واسعة التصرف واعطوا اربابه مزايا وخصوصيات لا حاجة لنا بها هنا وانتخبوا قضاته من اناس اولى امتياز مشهورين بالاستقامة والكمال وصلاحيتهم لشرائع والاحكام الفقهية ثم بالتدريج صار برلمان باريس وغيره من البرلمانات التى كانت تحكم باسم الملك فى اقاليم مملكة فرانسا لها الحق فى ان لا تراجع فى شئ تحكم به فى سائر الدعاوى المهمة ولكن لا يخفى ان برلمان باريس لم تتسع دائرة اقتداره الا مع غاية التراخى لان اكابر اتباع الملك بذلوا جميع جهدهم فى تعطيل تقدم احكامه وازدياد شوكته حتى انه فى اواخر القرن الثالث عشر اضطر الملك فيليبش لوبيل الى ان منع ديوانه عن ان يقبل شيئا من الدعاوى التى تقدم اليه من دواوين قونتة ابريطانيا واقر بنفسه لهذا القونتة بحق الافتاء الملوكى الذى كان يزعمه القونتة المذكور وذكره (موريس) ثم ان الملك كرلوس السادس اضطر فى اواخر القرن الرابع عشر الى ان يثبت باقرار بين حق هذا الافتاء

في الاحكام بحيث لا تختلف ابدا وكان من العوايد القديمة ان الملوك يحضرون في محاكمهم ويحكمون فيها بانفسهم كما ذكره (ماركولف ومورا طوري) فكانت عادة كرلوس مانوس انه في وقت لبسه يحضر الاخصام امامه وبعد ان يسمع شكواهم يفكر في ذلك ليختبر الدعوى ثم ينطق بالحكم فورا ولا شك ان حضور الملك بتلك المحاكم كان يزيدها هيبة ويكسب احكامها اعتبارا فلما حكم الملك سنت لويز الذي فاق غيره من ملوك عصره في تقويته عادة رفع الدعاوى الى المحاكم الملوكية احيى تلك العادة القديمة وصار يحكم هو بنفسه ويدبر امر الاقضية والاحكام مع صفاء نية وحسن طوية والتخلي عن الاغراض قال جوانويل كنت ارى هذا الملك غالبا يجلس في ظل شجرة بلوط في غابة ونسين وكل من كان معه شكوى يدنو منه من غير ان يمنعه احد وكنت اراه احيانا يأمر بفرش سجادة في بستان ويجلس لاجل استماع الدعاوى التي تعرض عليه كما في تاريخ سنت لويز ثم ان الامراء الذين كان لهم حق في المحاكم كانوا في بعض الاحيان يحكمون بانفسهم ولا يتركون محاكمهم ويدل على ذلك امران في تاريخ دوفينه ولكن حيث ان الملوك والامراء كان لا يمكنهم ان يحكموا بانفسهم في جميع الدعاوى وكان لا يمكن ايضا ان يحكم بها غيرهم في محكمة واحدة رتبوا نوابا من القضاة في سائر اخطاط دولهم وجعلوا لهم حق الافتاء فكانت قدرة هؤلاء القضاة تشبه من بعض الوجوه قدرة القونتات الذين كانوا يحكمونه سابقا وقد ترتب هؤلاء القضاة في فرانسا في اواخر القرن الثاني عشر واوائل القرن الثالث عشر كما ذكره (بروسيل) فلما ترتبت هذه المحاكم في الاقاليم امر الملك رعاياه ان يرفعوا دعاويهم اليها واخذ هؤلاء القضاة لخصوص مصلحتهم في توسيع دائرة افتائهم واعانهم على ذلك قصد تحصيل الامن العام وتنظيم السياسة فكان اذا حصل في محاكم البارونيين حكم باطل او خال عن الانصاف فيما تتخذه القضاة الملوكية فرصة لهم يستعينون بها على ابطال رفع الدعاوى الى محاكم البارونيين وقصرها على محاكمهم ولا يخفى انه كان يوجد سابقا في المذهب الالتزامي فرق بين الفتوى

ثم ان الاختلاس الذى ارتكبه الاشراف فى الحقوق الافتائية فى ايقوسيا كان زائدا عما حصل فى غيرها من الممالك الالتزامية ولكن التقدم الذى حصل لهذه الاختلاسات والوسايط التى استعملها الملوك لاجل تحديد او ابطال افتاآت البارونيين الارضية واستقلالهم بها كانت كلها تقرب مما ذكرناه آنفا وقد اطنبنا فى هذا الشرح فى كتاب آخر من مؤلفاتنا

ولا نذكر على وجه التدقيق التقدم الذى حصل للافتاآت فى الايمبراطورية الجرمانية لان ذلك يجبرنا وقراء كتابنا هذا الى التوغل والغرق فى لجج بحور الفقه والشرائع الجرمانية وانما يكفى ان ننبه هنا على ان الشوكة التى تتمتع بها الآن المشورة العليا فى الايمبراطورية و يتمتع بها ديوان الايمبراطور لم تحدث الا بسبب اختلاس البارونيين للافتاآت الارضية وكان تعاظم هذه الشوكة على نسق ما حصل للمحاكم الملوكية فى الممالك الاخرى وذكر المؤلف بفيفيل البنود الاصلية من هذه الشريعة فى كتابه المسمى مختصر تاريخ المانيا وحقوقها العمومية وذكرها ايضا المؤلف لوكوكدولى فى كتابه المسمى الحقوق العمومية للايمبراطورية الالمانية وهذان الكتابان يوثق بهما كثيرا لانهما الفا باطلاع رجل ماهر من مشرعى المانيا وهو المعلم سكو يفلان دوستر سبورغ

المبحث الرابع والعشرون

في بيان مطلب كون صورة الفقه القسيسى اكمل من الفقه السياسى المدنى بصحيفة (٦٨) من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

يعسر علينا ان نبين على وجه الصحة الزمن الذى طلب فيه القسيسون معافاتهم من الافتاء المدنى لانه فى مدة حمية الكنيسة الاصلية كان القسيسون لا يزعمون استحقاق مثل هذه المزايا فكانت اوامر القضاء المدنى جارية على جميع الناس على اختلاف وظائفهم ومعهم ولا بها فى سائر انواع الدعاوى كما برهن على ذلك مؤلفو البروتستانيين ومشاهير مؤلفى القاتوليقيين

لدوقات ابر يطانيا وكثيرا ما نازع البارونيون في رفع الدعاوى الى الدواوين الملوكية حيث كانوا يرون ذلك يضر بمزاياهم وقد بلغ بهم حتى ان بعض المؤلفين ذكروا لذلك عدة شواهد يرى فيها ان البارونيين كانوا يحكمون بعقوبات شديدة على من كان يتجاسر على رفع دعوى الى پرلمان باريس من الدعاوى التى كانت تفصل فى محاكمهم فكانوا يعاقبون من يفعل ذلك تارة بالموت وتارة بجدع عضو من اعضائه وتارة بسلب امواله واملاكه

وفى الممالك الاخرى الالتزامية حصل للافتاء تقدم يقرب مما حصل فى مملكة فرانسا وذلك ان البارونيين فى انكلتره كان لهم افتاء ارضى واسع من قديم وبعد ان فتح النورمنديون هذه المملكة صارت حكومتها التزامية اكثر مما كان قبل ويعلم من الوقائع المذكورة فى تاريخ انكلتره ومن حادثة انشا القونتيات البالاطينية التى تكلمنا عليها سابقا ان اختلاس الاشراف حقوق الافتاء بهذه الجزيرة لم يكن اقل من الاختلاس الذى حصل وقتئذ فى الاراضى القارة من اوروپا والوسايط التى استعملت فى انكلتره لاجل تضييق دائرة هذا الافتاء الخطر وابطاله بالكلية هى نفس الوسايط التى استعملت فى غيرها فان غليوم لوكونكيران رتب فى قصره ديوانا لذلك وجعله دائما مستقرا ومن ثم نشأت المحاكم الاربعة الموجودة الى الآن فى انكلتره واما هنرى الثانى فقسم انكلترة الى ستة اخطاط وارسل فيها قضاة رحالة وعين لهم ازمانا يعقدون فيها مجالسهم ورتب من حكم بعده من الملوك فى كل قونتية قضاة يقال لهم قضاة الصلح فصار افتاء هؤلاء القضاة يتسع شيأ فشيأ حتى صاروا يستفتون فى كثير من الدعاوى المدنية ثم ان مزايا القونتيات البالاطينية تناقصت شيأ فشيأ حتى بطلت بالكلية فى بعض محال وانتقل تدبير الاقضية والاحكام الى المحاكم الملوكية او الى قضاة معينين من طرف الملك وقد ذكر المؤلف دالبرمپلو الوسايط التى استعملت لاجل التوصل الى هذا المأرب •

[illegible] ماقوانينها واخلاقها الى ان ذلك [illegible]

وقد جمع المرتب دوكي اعلى [illegible]

الاحد [illegible] دون [illegible]

قل عنهم وذكر المؤلف [illegible] المرتب [illegible]

على ادعات [illegible]

المولف [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ان [illegible] اخص [illegible] ارسطو [illegible]

من قوانين الملل المشهورة وشرائع بابل كانوا [illegible]

الرومانيون كانوا يجرون جميع مصالحهم على حسب اصول الشرائع [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الانجيل [illegible] ان القسيسين [illegible]

[illegible] الرومانية

حتى انه اذا دخل [illegible] انسان في خدم الدين المقدسة وجب عليه ان يجدد

شريعته التي كان عليها اولا ويلتزم باتباع الشريعة الرومانية من حين

تقلده بالوظائف القسيسية

وفي القرن التاسع شرع الناس في جمع قوانين الحقوق القسيسية ووضع

الرومانيين لاسماء المؤلفين الذين كانوا يحامون عن حرية الكنيسة العليكانية اى الفرنساويه

وقد نقل المؤلف موراطورى فى كتابه عبارات عديدة يستدل بها على ان دعاوى القسيسين المهمة جدا كانت فى القرن التاسع والعاشر تحصل على ايدى القضاة المدنية وشواهد ذلك ايضا فى كتاب الشرائع القديمة التى كانت عند الفرنساويه وغيرهم للمؤلف هواردو ولم يخرج القسيسون عن الانقياد للافتاء المدنى دفعة واحدة وانما نالوا هذه المزيه وساثروا اياهم الاخرى على التدريج والظاهر ان معافاتهم من هذا الافتاء فى الاصل كانت من باب التفضل والانعام لان القسيسين كانوا اولا مكرمين محترمين فمن ذلك ان الايمبراطور كرلوس مانوس (سنة ٧٩٦) كرامة لكنيسة مانس امر القضاة بانه ان حصلت منازعة بين احد من ارباب تلك الكنيسة وشخص من نظار ايرادات هذه الكنيسة لا يطلبون هؤلاء النظار على رؤس الاشهاد بل يلزم اولا ان يتهموا بانها المساحرة بين شخصين على وجه لا يضر باحد من هؤلاء النظار فصارت هذه الرخصة التفضلية فيما بعد معافاة شرعية اوحقا لازما ناشئا عن جهل العوام واحترامهم للقسيسين ووظائفهم وما يتعلق بخدمتهم ومما يدل على هذا الاحترام ما صدر عن الملك افريدريق بربوروس (سنة ١١٧٢) من منع القضاة الملوكية ان يتعرضوا لقسيسى ديرانبورغ ويعكروا عليهم فى اعمالهم ولا حاجة لنا فى توضيح ما ذكرناه فى الاتحاف مما يتعلق بهذا الشان ان نبين هنا كيفية جمع الحقوق القانونية من الكتب ولا ان نبين ان هذه القوانين التى كانت اكبر معين للقسيسين مؤسسة على الجهل والكذب او مستندة الى التزوير والتدليس لان هذه الاشياء توجد موضحة فى تاريخ الشرائع والقوانين القسيسية للمؤلف جيراردو وتوجد ايضا فى كتاب المعلم ريال نعم وان كان ذكر تاريخ التقدمات التى بها اتسعت دائرة الافتاآت القسيسية مع بيان الحيلات التى استعملها القسيسون ليجلبوا اليهم فصل سائر الدعاوى لا يرغب فيه اقل من غيره من الامور الغريبة حيث انه يوضح لنا عوايد تلك الاعصر

الجاهلية

حروب بلاد القدس الاعلان بان من يأخذ الصليب ويدخل فى تلك الحروب الصليبية لا يحكم عليه من الآن فصاعدا الا فى المحاكم القسيسية وهذا الامر كان من اعظم الاسباب التى اثمرت وقد دوحثت الناس على المبادرة الى المحاربة الصليبية (راجع المبحث الثالث عشر)

المبحث الخامس والعشرون .

فى بيان مطلب ما نتج من مطالعة الحقوق الرومانية من الامور السعيدة المهمة بصحيفة (٧١) من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

من العجيب ان العلوم والقوانين الرومانية صارت تمارس فى سائر بلاد اوروبا مع السرعة الغريبة وذلك انه فى مدينة املفى (سنة ١١٣٧) عثر على نسخة من شريعة البندكت التى جمعها الملك جوستنيان وبعد ذلك بقليل من السنوات فتح المعلم ايرنريوس فى بولونيا مدرسة لتعليم الحقوق المدنية وفى اثناء هذا القرن صارت هذه الحقوق المدنية يتعلمها الناس فى عدة مدائن من مدن فرانسا وصارت من جملة العلوم السكولاستيكية (اى التى تقرؤ فى المدارس) ومن (سنة ١١٤٧) اخذ المعلم واكريوس فى تدريس الشرائع المدنية بمدينة اوكسفورد (وفى سنة ١١٥٠) ظهر فقيهان من ميلان كتبا قوانين الاقطاعية على سنن الشرائع الرومانية وفى هذه السنة نحى المؤلف كرتيان قانون الشرائع القسيسية واضاف اليها زيادات كثيرة واقدم قوانين الشرائع القسيسية هو القانون الذى كان يعمل بموجبه فى المحاكم والمجالس الشرعية وهو القانون الذى رتب فى المجالس القسيسية التى انعقدت فى مدينة القدس وهذا القانون جمع (سنة ١٠٩٩) كما يستفاد ذلك من خطبة كتابه وكان سبب ذلك انه حصلت عدة مقتضيات احوال خصوصية دعت الناس الى جمع هذا القانون وجعله فى كتب مخصوصة فلما انتصر النصارى فى الحروب الصليبية استوطنوا فى تلك البلاد الاجنبية فتكونت من جميع ممالك اوروبا بهذه البلاد قبيلة جديدة فاتفقوا على انه من اللازم الضرورى

مائتا سنة قبل ان يجمع شئ من العوايد التى صارت اساسا للاحكام
والاقضية فى محاكم البارونيين ودواوينهم فكان قضاة القسيسين يعملون
بموجب شرائع مسطرة عندهم معروفة بخلاف قضاة اللاييك اى العوام
فلم يكن لهم قانون يرشدهم بل كانوا يسلكون على حسب عوايد ورسوم
نقلت اليهم بطريق الروايات فكانت مبهمة غير اكيدة عندهم حيث لم يكن انها
قوانين مسطرة وزيادة على ذلك كانت اصول الحقوق القسيسية وقواعدها
اقبل عند العقل واقرب للصواب من الاصول التى كانت جارية فى المحاكم
اللاييكية واكثر صلاحية منها فى شأن المحافظة على العدل فى الاقضية
والاحكام وقد تقدم فى المبحث الحادى والعشرين والثالث والعشرين عند
الكلام على الحروب الشخصية والاختبار بالمحاربة الشرعية ما يفهم منه
ان اذواق القسيسين وقوانينهم كانت تمج هذه العوايد التى لم ينشأ عنها الا سفك
الدماء واعدام العدل والانصاف وسبق ايضا ان القسيسين بذلوا جهدهم
فى ابطال هذه العوايد الخشنية وتعويضها بفصل الدعاوى على مقتضى
الشرع وبالاختبار بموجب الشهادة ثم انه فى المحاكم اللاييكية كانت
القوانين والرسوم التى تنتظم بها الدعاوى الشرعية تكاد ان تكون كلها مقتبسة
من القوانين القسيسية حتى ان الملك سنت لويز احدث فى قوانينه بعض
قوانين جديدة فى شأن كيفية ملك الاراضى وادارة المحاكم اخذها من القوانين
القسيسية وبذلك اعتمدها الناس ووثقوا بها مثلا استنبط من القوانين
القسيسية القبض على امتعة المدين حتى يقضى ما عليه من الدين وكذلك بيع
اموال المفلس واستنبط ايضا ما بنى عليه قانونا جديدا فى شان اموال من يموت
من غير ايصاء وجميع هذه القوانين النافعة وغيرها اقتبسها مشرعو
القسيسين من الحقوق والقوانين الرومانية وهنالك شواهد كثيرة نفيسة غير ما
ذكر ترجح القوانين القسيسية على قوانين المحاكم اللاييكية ولذلك كان الناس
يعتبرون ان من اعظم المزايا اتباع الافتاء القسيسى ومن جملة المزايا
والخصوصيات التى اغرت الناس واستمالت قلوبهم الى اقتحام اهوال

الدعوى ويسألونهم عما جرت به العادة في مثل هذا الامر وكانت هذه العادة تسمى بحث الجم الغفير ذكره دوكينز ولا يخفى ان النتائج التى ترتبت على تجديد الشرائع الرومانية كلها موضحة فى روح الشرائع للمؤلف منتسكيو وفى تاريخ انكلترة للمؤلف هوم وقد استفدنا فوائد كثيرة من عباراتهما واى انسان يتبع مثل هذين المؤلفين فى تاليفه ويسبح على منوالهما من غير ان يستفيد ويخيب ولكن نقول ان معرفة الشرائع الرومانية لم تكن مفقودة بالكلية فى القرون الوسطى ببلاد اوروبا كما يظنه اغلب الناس وليس من وضوعنا ان نبحث عن هذا الامر الذى قد جمع العجب وغرائبه المؤلف دوساويتى وبيادستى

ولا شك انه كان هذه العلاقة اكيدة فى عدة من بلاد اوروبا بين الشرائع المدنية العمومية والشرائع البلدية او الارضية الخصوصية ومع انه فى انكلترة كان يظن ان القوانين التى اوجبتها العادة مخالفة بالكلية لقوانين الرومانية وكان من يمارس فى انكلترة القوانين التى اوجبتها العادة يفتخر بوجود الفرق بينهما نقول ان تلك القوانين الانكليزية مشتملة على كثير من اصول القوانين المدنية الرومانية وقواعدها كما يوجد ذلك موضحا فى كتب بعض المؤلفين العارفين

المبحث السادس والعشرون

في بيان مطلب المسائل التى نشأت السمعية من هذا التغيير بصحيفة (٧٢) من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

ثم ان تاريخ القرون الوسطى بجميع اجزائه يدل على ان الاشراف لم يكن لهم صنعة سوى صنعة الحرب التى هى الغرض الاصلى من تربيتهم بل بعدما تغيرت الاخلاق وصار للعلوم والفنون موقع فى قلوب الناس مكث الاشراف زمنا طويلا على الاخلاق القديمة وصفاتهم المميزة لهم ويوجد فى كتاب المؤلف فلورنجوس جميع الاشغال والرياضات والتمرينات التى كان يشتغل بها الملك فرنسيس اوفرنسوا الاول فى صباه فاذا تأملتها علمت ان القصد منها جعله

ان ترتيب الشرائع والعوايد التى تنتظم بها بينهم المصالح المدنية وادارة المحاكم
والدعاوى الشرعية ولكن لم يكن يوجد وقتئذ شئ مسطر من العوايد بل
ولم يكن هنالك احد فى بلاد اوروبا بتمامها شرع فى ترتيب شرائع معينة فاول
من شرع فى هذا الشان هو المعلم غالنويل الذى كان وقتئذ رئيس المحاكم
فى مملكة انكلتره فالف قانونه (سنة ١١٨١) وبعد ذلك ظهر فى ايقوسيا قانون
جديد ينسب الى داود الاول وكان هذا القانون على نسق تأليف غالنويل
كلمة بكلمة بحيث لا يفيد ازيد منه وذكر فى هذا القانون المنسوب الى داود
المذكور ان بطرس دوفونتين الذى هو اول من شرع فى مملكة فرانسا فى عمل
قانون من هذا القبيل الف قانونا جامعا لعوايد بلاد ورمندواس فى ايام حكم
الملك سنت لويز واوله (من سنة ١٢٢٦) وفى هذا الزمن كان يوجد المؤلف
بومنوار الذى ضمن كتابه عوايد بلاد البويزيس ثم نشرت قوانين الملك سنت لويز
باسره وكانت مبينة بيانا شافيا للعوايد التى كانت فى بلاد الجفالك الملوكية
فبمجرد ما عرف الناس اهمية تسطير الشرائع والعوايد وتقييدها بالكتابة
لما انها تنفعهم وتعينهم فى كل حال صارت عادة جميع الناس تحرير كل عادة
حدثت وتسطير كل شريعة ظهرت ثم ان كرلوس السابع ملك فرانسا امر
(سنة ١٤٥٣) بجمع الشرائع التى اوجبتها العادة فى كل اقليم من اقاليم
فرانسا كما ذكر ذلك المؤلف ويلى والمؤلف ويلاريت فى تاريخ فرانسا وجدد
هذا الامر من تولى بعده وهو الملك لويز الحادى عشر ولكن لم يكن تميم هذا
المشروع المهم العظيم الفائده على ما ينبغى ولو تم ما امر به هذان الملكان
العاقلان لكانت الشرائع الفرنساوية القديمة منقحة ومهذبة اكثر مما عليه
الآن وهنالك عادة كانت جارية فى القرون الوسطى تدل دلالة واضحة على ان
القضاة لما لم يكن عندهم وقتئذ من القوانين التى بموجبها يقضون احكامهم
ويفصلون الدعاوى الا عوايد ليست مكتوبة كانوا غالبا يتحيرون فى امرهم
عند ترتيب الاسباب والاصول التى يبنون عليها احكامهم فكانوا فى كل امر
مريب او مشكل يجمعون عدة رجال من الشيوخ الهرمين ويعرضون عليهم

بلغ درجة مستحسنة في اجراء الشرائع والاقضية كان ذلك يكسبه حق
في جميع مزايا امارة الشوالري وما يترتب عليها من الشرف وحوز الامتياز
كما ذكره بسكيير المؤلف هو نرى دوستري وحيث كانت معرفة
القوانين والشرائع توصل الى مراتب الشرف والامتياز صار لها اعتبار
كبير عند الناس وصار كل انسان في بلاد [illegible] يرتقي الى اعلا درجات الجمعية
ومراتبها بواسطة العلوم الشرعية كما يرتقي الى ذلك بالفنون الحربية

المبحث السابع والعشرون

في بيان مطلب الاعمال السعيدة التي نشأت عن هذا الترتيب بصحيفة ٧٤
من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

لا يخفى ان معظم قصدنا من هذه المباحث هو ان نطلع من قرأ كتابنا هذا على
جميع الوقائع التي تبين او تثبت بعض محال من تاريخنا لكن اذا كانت هذه
الوقائع مشتتة في كتب عديدة او غير مشهورة او يعسر مراجعتها رأينا ان
الاحسن جمعها او التقاطها من اصولها بخلاف ما اذا كانت هذه الوقائع
موجودة في كتب مشهورة او جديدة بان تكون مشهورة فانا نكتفي بان نحيل
عليها من قرأ كتابنا هذا وهو ما سلكناه في شأن توضيح امارة الشوالري
بجميع ترتيب الاحوال التي ذكرناها في الاتحاف وعن خصوصيات اخرى
غريبة من خصوصيات هذه الامارة مذكورة في كتاب امارة
الشوالري القديمة المعتبرة كتاريخ سياسية وحربية للمؤلف
دولاكورن دوسنتوبالي

المبحث الثامن والعشرون

في بيان مطلب تأثير المعارف في الاخلاق بصحيفة (٨٠) من القسم الاول
من اتحاف الملوك الالبا

اعلم ان المقصود من ابحاثنا لا يستلزم ان نذكر هنا تاريخ تقدمات العلوم في ذلك

محاربا ومصارعا وانما احب هذا الملك فيما بعد الآداب والفنون المستظرفة
لانه كان صحيح العقل والمزاج سليم الذوق لان ذلك ناشئ عن تربيته واقوى
ما نبرهن به على ان الصنايع لم تكن مرجحة ولا ممتازة عن بعضها ببلاد اوروبا
فى القرون الوسطى كما ينبغى هو اخلاق اعيان القسيسين وذلك انه بالنظر الى
شان القسيسين الدينيين ووظيفتهم كان يرى بينهم وبين اللاييك اى العوام
فرق كبير كما ان طائفة ادنى المستخدمين فى الكنائس كانت وقتئذ مغايرة
لطوائف بقية الاهالى وكان هؤلاء القسيسون اولو المناصب الدينية ممتازين
حسبا ونسبا ومع ذلك كانوا لا يراعون ذلك بل كانوا ينسجون على منوال
الاشراف فى عوايدهم وما يميل اليه ذوقهم فكانوا لا يمتثلون لاوامر البابا
ولا لقوانين الجمعيات القسيسية وكانوا يحملون الاسلحة ويقودون
اتباعهم الى الميدان لمحاربة اعدائهم وقل ان عرفوا ان الوظائف القسيسية
ممتازة عن غيرها بل كانوا يظنون ان العلوم العسكرية والفنون الحربية هى
وحدها الملائمة لشرفهم وعظم مقامهم واما العلوم التى بها تكون معرفة
الله بصفاته ومعرفة الفضائل الحميدة التى هى اليق وانسب للوظائف الدينية
فكانت عندهم محتقرة منسية

ولما عرف الناس عظم العلوم الشرعية واهميتها وصارت تقرؤ وتدرس
وصارت جازية عند الناس صار من يتخذها صفة له ويفوق الاقران فيها
يكتسب انواع الشرف والامتياز التى لم تكن تعطى قبل ذلك الا لكل عارف
بالعلوم العسكرية والفنون الحربية وحيث ان مرتبة امارة الشوالرى مكثت
عدة قرون وهى تكسب من دخل فيها اعظم الشرف وابهى الامتياز وكان
لا يثبت للانسان مزايا هذه الامارة لا بمقامه ورتبته ولا بكونه كريم الاصل
شريف الحسب والنسب جليل القدر من يوم ولادته بل كل من نجب وظهرت
براعته فى معرفة الشرائع رقى الى مرتبة الشوالرى وساوى من حاز الاحترام
والاعتبار بفضله وبراعته فى العسكرية فصار الشرف منوطا بكل
من العلوم الشرعية والفنون الحربية واذا كان قاض من القضاة

يبلغ

[illegible] الى [illegible] آخرين وهم علم المنطق وعلم الالهيات [illegible]
[illegible] ارسطاطاليس منهاجا لهم فتقلوا [illegible] ومن هذا نشأ [illegible]
على التحقيقات والمناقشات [illegible]
اعلان بالكتابة [illegible] حصلت شهرة كبيرة [illegible]
التي حددها [illegible] الشرق [illegible]
الى العلم [illegible]
البلاد [illegible] شهرت مدارس [illegible] الشرق [illegible] ومن اشهر
[illegible] من جمع [illegible] عشر [illegible]
[illegible] وبالجملة
فقد كانت [illegible] جميع [illegible] المشهورين [illegible] من بلاد
العرب التي كانت [illegible] الخاص والعام واول معرفة الناس
في القرون الوسطى بفلسفة ارسطاطاليس كانت بواسطة ترجمة تراجم
مؤلفاته باللغة العربية حيث كان [illegible] ترجموا العرب [illegible] وقتئذ كانوا اعظم
مرشد وانجب دليل في معرفة مذهب ارسطاطاليس [illegible] وتآليفه
وكتبه [illegible] العرب [illegible] علم الكلام
[illegible] المدارس [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] الادبية [illegible]
[illegible] علم النحو [illegible] كل
مكتب [illegible] مدرس واحد [illegible] هذا الفن واما الاوليات
فكانت مشتملة على عدة مدرسين معدين لتعليم كل علم من [illegible] وكان فيها من كل
علم مبتدئ وكانت تعمل بها امتحانات لمعرفة تقدمات الطلبة وكل من ظهرت
نجابته وشهد بفضله على غيره كوفئ بالالقاب ومراتب وتشريفات اكدمية
(اى علمية) والذى نقل الينا اصل هذه المراتب وكيفيتها هو المؤلف

العصر* وما قدمناه من الوقائع والمخطوطات يكفي في بيان مدخلية تقدمات
هذه العلوم في تحسين اخلاق الجمعية وحالتها في مدة ما كانت مدارس العلوم
كاسفة بالكلية في غرب اوروبا كانت مضيئة بمدينة القسطنطينية وغيرها
من بلاد الامبراطورية اليونانية الا ان اليونان بسبب دقة عقولهم تفرغوا
بكليتهم الى المناقشات في الامور الالهية وحذا حذوهم اللاطينيون في ذلك
وسائر اهالي اوروبا اكتسبوا من اليونانيين معظم معارفهم وعاداتهم وكان
اليونانيون ايضا منشأ لعدة من المباحث المشكلة التي اختلف فيها الحكماء
والفلاسفة ولم تزل الى الآن شاغلة لبالهم ومطمحا لانظارهم وافكارهم
(انظر ما قاله اوناس سلريوس وما ذكر في تاريخ اداب فرانسا) وبعد ان ترتبت
دولة الخلفاء في بلاد المشرق بقليل من الزمن ظهر من بينهم عدة ملوك اقاموا
شعائر العلوم ورغبوا الناس في ممارستها ولكن لما التفت العرب الى علوم
اليونانيين والرومانيين الادبية القديمة وجدوها غير حماسية لان اليونانيين
والرومانيين اهل ظرف ورقة ذوق بخلاف العرب فان تخيلاتهم وتصوراتهم
حماسية تميل بطبعها الى الحماس والتصورات العويصة البليغة فكان
لا يعجبهم شعراء مدينة اثينا ومدينة رومة رمور حرمهما ولكن كانوا يعترفون
بنجابة حكمائهما وفلاسفتهما فكانت اصول علم الميزان عند اليونانيين
والرومانيين اكثر واكمل من القواعد الادبية والتخيلية وذلك لان من المعلوم
ان تأثير الحقيقة في العقول واحد لا يتفاوت تقريبا بخلاف التصورات
الظريفة او الرقيقة او الحماسية فانها تختلف باختلاف الاقطار ولذلك اهمل
العرب ما الفه اوميروس من الاشعار والآداب ورجعوا الى لغتهم تأليف
اشهر فلاسفة اليونان فلما اتبعوا هؤلاء الفلاسفة وسلكوا على نسق قواعدهم
واستكشافاتهم تفرغوا بالكلية للعلوم الهندسية والفلكية والطبية وعلم
المنطق وعلم ما وراء الطبيعيات وهي الالهيات فحصل لهم تقدم كبير
في العلوم الهندسية والفلكية والطبية ووقفوا منها على فائدة جليلة فاعانهم
ذلك كثيرا على الترقي والصعود الى درجة العلو والكمال التي وصلوا اليها من

الذي في اثبات الغيرة والتولع العجيب الذي كان يحث الناس على ممارسة العلوم ويدلنا على ان الناس كانوا قد اخذوا حينئذ في اعتبار عدة فنون وصنائع اخرى غير صنعة الحرب عرفوا نفعها بعد ان كانوا لا يعتبرون الا الفنون الحربية

المبحث التاسع والعشرون

في بيان مطلب تأثير التجارة في الاخلاق والحكومة بصحيفة (٨٠) من [illegible] من تحاف الملوك الالبا

ثم ان المواد التي بيناها والمواد التي تصدينا الآن لبيانها واسعة ومتنوعة جدا بحيث يصح ان [illegible] الذي تكلم في كتابه على التجارة والمواد الآتية تستلزم ان يتكلم عليها بازيد مما ذكرنا ولكن موضوع كتابنا لا يحتمل ذلك فاردنا ان نسير على نهر ما كدنا فانجذبنا الى سبيل عزم انتهى

وفي التاريخ شواهد كثيرة تدل على ان الامم في القرون الوسطى لم يكن بينهم من المخالطات والمعاشرات الا [illegible] في اواخر القرن [illegible] بقرب مدينة باريس [illegible] [illegible] [illegible] ارجو من القديس اجابة سؤالي بحيث لا يكون [illegible] هذه البلاد [illegible] خائبا فاجابه القديس بجواب اعجب من سؤاله وهو انه منعه صراحة ممانعته متعللا بانه يشق جدا الذهاب معه الى اقطار غريبة لا يعرفها من يذهب اليها ذكره بوكيت وفي ابتداء القرن الثاني عشر كان رهبان دير قرية فريير في ابرشية سنس لا يعرفون انه يوجد في بلاد الفلمنك مدينة تسمى تورني وكان رهبان مدينة دير تورني يجهلون ايضا في اي الجهات تكون فريير ولم يحصل

باكستيرى المؤلف وسفالين وهذا البعض تفاصيل غير مفيدة مبينة للمراتب الاكدمية التى كانت (سنة ١٢١٥) فى اونيورسة مدينة باريس التى اخذ منها اونيورسات بلاد اوروبا اغلب عوايدها وقوانينها كما ذكره كروبر مؤلف تاريخ اونيورسة باريس وقد كمل ترتيب هذه الاونيورسات والكوليجات (سنة ١٢٣١) ولا فائدة فى ان نسرد هنا مزايا عديدة اعطيت اذذاك للمدرسين والمعلمين والعلماء لان المثال الواحد يكفى فى بيان الاعتبار الذى كان يتمتع به العلماء فى سائر الجمعيات العلمية فنقول انه كانت تحصل منافسات بين العلماء وبين امراء الشوالرى فى شان التصدر وكان يتم الامر فى الغالب بترجيح العلماء وترقيتهم الى مرتبة امارة الشوالرى مع انها امارة عظيمة قد ذكرنا مزاياها وخصوصياتها فيما تقدم بل وحكم ان العالم له الحق فى ان يلقب باسير الشوالرى من غير ان ينتخب لان يكون من اربابها وقد ذكر المؤلف برطول ان العالم الذى درس الحقوق المدنية مدة عشر سنوات كان يعد من امراء الشوالرى وامارة العلماء الشوالرية كانت تسمى الشوالرى لكتور (اى العلمية) ومن كان يبلغ درجتها من العلماء كان يسمى الشواليير كارلس (اى الامير العالم) ثم كثرت المدارس والاونيورسات وازداد شرف العلماء وجلت مزاياهم وبهذا كثر الطلبة واتوا الى المدارس العلمية من كل فج عميق حتى ان اونيورسة مدينة بولونيا (سنة ١٢٦٢) كانت تشتمل على اكثر من عشرة آلاف من التلامذة مع انه يفهم من تاريخ هذه الاونيورسة انه لم يكن يدرس فيها حينئذ الا علم الحقوق بمفرده واما اونيورسة مدينة اوكزوفورد فكان فيها (سنة ١٣٤٠) ثلاثون الفا من الطلبة كما ذكره سبيد وفى ذلك القرن اضطربت الآراء فى مسئلة باونيورسة باريس فاجتمع عشرة آلاف من العلماء فى تلك الاونيورسة لاجل حل هذه المشكلة وهذا القدر لم يكن الا من ارباب المراتب لان حق ابداء الرأى لم يكن ثابتا وقتئذ الا لارباب الرتب فعلى ذلك كان مقدار الطلبة يبلغ مقدارا عجيبا ذكره والى فى تاريخ فرانسا نعم وان لم يكن فى اوروبا وقتئذ الا قليل من الاونيورسات الان مقدار الطلبة

حتى وصلت بهم تلك المروءة ان اذنت لصاحب البيت بالسرقة لاكرام ضيفه على ما ينبغي وبناء على تلك الشرائع وحالة الجمعية التي كانت تجعلها لازمة كان اكرام الضيف محتما مشددا فيه مادام بين الناس روابط واختلاطات قليلة فكان كل غريب أوى الى بيت ايا ما كان يتيقن انه يرحب به ويحسن قراه والذى يدل زيادة على ان المخالطات بين الناس كانت قليلة هو انه بمجرد ما اتسعت المخالطات بين الناس صار اكرام الضيف شديدا بعد ان كان لا تسام منه النفوس بل كان فيه حظها وسرورها وصار دخول السواحين في كل بلدة من فروع الكسب المفيدة لاهلها

ثم ان شرائع القرون الوسطى برهان قطعي على قلة المخالطات التي كانت توجد وقتئذ بين الملل لانه بقوانين المذهب الاقطاعي والعبرة التي لا تنفك اصلا عن الجهل كان الغرباء يمنعون من استيطانهم خارج بلادهم فاذا كان احد ينتقل من اقليم الى آخر ولو في مملكة واحدة كان يجب عليه بعد مضي سنة ويوم ان يصير من اتباع البارون الذى استوطن هو بارضه ومن خالف هذا القانون كان يغرم جريمة معلومة واذا مات غريب في ارض ملتزم كان قاطنا بها لم يوص قبل موته بشئ لهذا الملتزم كانت جميع امواله تصير فيئا لبيت المال وكان يجرى في حق الغريب الذى يستوطن ببلاد غريبة قوانين اصعب من هذه فكان في تلك الازمان اذا استوطن غريب بارض ملتزم يجوز لهذا الملتزم ان يقبض عليه ويجعله من ارقائه وشواهد ذلك مذكورة في التاريخ وهى أخلاق وقوانين متبربرة منها ان النورمنديين في القرن التاسع لما خربوا البلاد واتلفوا اهل العباد خرج كثير من سكان الاقاليم المجاورة للبحر من ممالك فرانسا او جالواقي داخل تلك الممالك ولكن عوضا عن ان يقبلوا فيها مع المروءة والشفقة التي كان يستلزمها سوء حالهم كبلوا باغلال الاسر في تلك البلاد واتخذهم اهلها ارقاء لهم ولكن آل الامر الى أن كلا من الشوكة المدنية والقسيسية استشعرت انه يلزم ابطال هذه العادة المتبربرة الخشنية كما ذكره بوتجيسير وفي بلاد اخرى كانت الشرائع تأذن لسكان

بينهم مخالطة فيما بعد الا بسبب مصلحة كانت بين الديرين فلما احتاج هذان
الديران الى بعضهما اخذ يبحث كل منهما عن الآخر ليعرف في اى جهة
يكون وبعد البحث الطويل التي اطنب في بيانه المؤلفون عرف كل منهما
الآخر لكن على سبيل الصدفة والاتفاق كما ذكره هيرميانوس والمؤلف
داشورى وكان جهل امم القرون الوسطى بالجغرافيا ووضع البلدان البعيدة
عنهم كبيرا جدا فكانوا لا يعرفون شيأ من الممالك والمسالك واقدم خرطة
جغرافية معروفة انما الآن توجد في نسخة من تاريخ القديس دنيس وهى
اثر يستدل به على حالة العلوم الجغرافية التى كانت في بلاد اوروبا مدة تلك
الاعصر فترى في هذه الخرطة اقسام الارض الثلاثة التى كانت معروفة
وقتئذ والثلاثة موضوعة بحيث ان مدينة القدس توجد في وسط الكرة
واسكندرية قريبة منها كمدينة نازاريت والظاهر انه في تلك الاعصر
الجاهلية كان لا يوجد بالبلاد خانات ولا منازل عمومية للمسافرين كما
ذكره موراطورى وهذا دليل على انه لم يكن هنالك الا مخالطة واهية بين
الملل ولا يخفى انه عند الامم الذين يكونون على اصل الفطرة ولا يأتى
الى بلادهم انسان اجنبى الا نادرا تجد اكرام الضيف من اعظم الفضائل
وتجد في كل جمعية قليلة التمدن كجمعيات القرون الوسطى اكرام الضيف
من الواجبات المحتمة لانهم كانوا يميلون الى ذلك بطبعهم وجبلتهم او بكرمهم
وسخائهم ولذلك كان اكرام الضيف عندهم واجبا بالشرع ومن يأباه يحكم
عليه بعقوبات معلومة ومما ينبغى الالتفات اليه انه بعد ترتيب شريعة
البورڪيون بزمن مستطيل اعنى في زمن اخذ السياسة والترتيب في الاستكمال
زاد مقدار الجرائم النقدية التى كانت تؤخذ قبل ذلك الزمن ممن كان يأبى
اكرام الضيف وهنالك شرائع اخرى في هذا المعنى جمعها المؤلف بولاك
ولا يخفى ايضا ان شرائع امة السكلاووون في هذا الشان اصعب من الشرائع
التى ذكرها هذا المؤلف فكانت هذه الشرائع تأمر بحرق بيت من يأبى
اكرام الضيف وضبط امتعته واموأله الى بيت المال وكانت ترفق بالغرباء

بايطاليا فراجع فيه المؤلف موراطوري ومن العار الكبير اللاحق لحكومة
فرانسا انه يوجد بها الى الآن هذه العادة المخالفة للمروءة والشفقة
والتأنس لان الفرنساوية ليس باعوام قصيرة [illegible] حتى تمسكوا بهذه
العادة ولكن هذه العادة المسماة حق وراثة الغريب زالت كلها من فرانسا
او كادت تزول قبل الفتنة الاخيرة التي حصلت في فرنسا وبالجملة الآن فلم
يبق لها اثر فيها

•

ثم ان [illegible] وقتئذ كانت ضعيفة لا قدرة لها على انفاذ قوانين [illegible]
[illegible] محكمة توجب [illegible] كانت [illegible] القتل
التي كانت [illegible] واحد [illegible]
جدا وقد كتب [illegible] في القرن التاسع
مكتوبا يفهم منه ان الطرق السلطانية والشوارع العمومية كانت
مشحونة باللصوص بحيث ان السواحين كانوا يجتمعون مع بعضهم قوافل
ويمشون بنظم العسكر لاجل [illegible] هؤلاء اللصوص كما ذكره بوكيت وقد كتب
في هذا القرن الثالث كرلس لوشرب (اي كرلس الاصلع) عدة قوانين تدل
على ان النهب والسلب كان كثيرا حينئذ وكانت هذه الامور قد كثرت
وشاعت بحيث ان كثيرا من الناس [illegible] لا يعدها من الذنوب الكبيرة
[illegible] كثيرا [illegible] على [illegible] لا يسرقون ابدا
بانفسهم ولا يحاربون [illegible] (ذكره بالور) [illegible] مؤرخو القرن
التاسع والقرن العاشر هذه الامور [illegible]
عليه وقد [illegible] عدة عبارات [illegible] في هذا الشأن [illegible] كذب
[illegible] وبالجملة فكانت هذه الافعال التي فيها [illegible] محرمات
الشرائع كثيرة متواترة تجاسر عليها الناس جسارة كبيرة حتى ان سطوة
الحكومة المدنية لم يكن لها قدرة على منعها فاستعانوا بشوكة القسيسين
وانعقدت فورا جمعيات قسيسية بمحافل كبيرة حضرت اليها جميع القديسين
المساكين ونادوا فيها بدعوات قاصفة كالرياح العاصفة لتحل باللصوص

السواحل ان يأسروا جميع من تغرق مركبه و يقع فى ايديهم من الغرباء وهذه العادة الوحشية التى لامروءة فيها كانت توجد فى مملكة فرانسا من بلاد اوروبا والظاهران عادة الاستيلاء على امتعة الغريق وضمها الى بيت مال الملتزم الذى رست السفينة على ارضه كانت عامة فى جميع البلاد ذكره وسفالين ودوكنج وعند قدماء الولس وهم سكان بلاد غالة كان يجور قتل ثلاثة من غير قصاص المجانين والغرباء والمبتلون بداء البرص كما ذكر ذلك فى بعض التواريخ وذكر المؤلف لوربير عدة وثائق تدل على انه فى عدة من اقاليم فرانسا كان الغرباء يستعبدهم الملتزم الذى يستوطنون فى ارضه وقال المؤلف بومنوار انه كان فى بعض بلاد مملكة فرانسا كل غريب استوطن فى ارض واقام بها مدة سنة و يوم يصير رقيقا الملتزم الارض اى استوطن بها تلك المدة كما فى كتاب عوايد اقاليم بوازيس ولكن حيث ان مثل هذه العادة المباينة للمروءة والشفقة لايمكن مكثها زمنا طويلا لاحظ رأى كبار الملتزمين فيما بعد على ابطالها والاكتفاء عنها بفرض بعض جرائم سنوية على الغرباء الذين يستوطنون باراضيهم او بفرض بعض خدم غير معتادة ولكن عند موت الغريب فى اراضيهم لا يجوز له ان يوصى بشئ من امواله بل كانت كلها من عقار واثاث ترجع للملك او الملتزم البارونية التى كان فيها ولا يأخذ احد منها شيا ولو ورثته الطبيعيين (كاولاده واخوته وما اشبه ذلك) وهذا ما يسمى فى فرانسا حق وراثة الغريب كذا ذكر لوريير وبروسيل ودكنج وبسكيير وهذه العادة قديمة جدا وهى مذكورة بطريق غير واضح فى قانون من قوانين كرلوس مانوس رتب سنة ٨١٣ ولم تكن هذه العادة جارية فى حق الغريب البعيد البلاد بل كانت جارية ايضا فى حق كل انسان استوطن فى ابرشية غير ابرشيته او بارونية غير بارونيته ولو فى مملكة واحدة او اقليم واحد قال بروسيل وقل ان يكون هناك قانون اقبح من ذلك يؤدى الى منع مخالطات الامم وارتباطهم ببعضهم وان كان يمكن ان هناك ما يقرب من ذلك فى الشرائع القديمة التى كانت سابقا جارية فى جميع ممالك اوروبا ومما يتعلق من ذلك

بابطاليا

وسد يق اسلفى ويره ذكره موراطورى ايضا وقدبينا فى صحيفة (٣٩)
من هذا الجزء كيف كان لمحاربة الصليبية مدخل فى تحسينات بلاد
ايطاليا وازدياد ثروتها لاتساع تجاراتها مع البلاد المشرقية فان اهالى ايطاليا
كانوا يجلبون من البلاد المشرقية محصولات الهند ل ورشوا فى بلادهم
منفقتورات وورشا بديعة الصنع وقد وصف المؤلف مورطورى عدة من
هذه الورش فى مباحثه على خرن القرون الوسطى ومن وقتئذ حصل
للايطاليين تقدم كبير فى هذه الورش لاسيما فى ورش الحرير التى سكنت
زمنا طويلا وهى خاصة بالاقاليم المشرقية فى آسيا وكانت اقمشة الحرير
فى مدينة رومة القديمة غالية جدا حتى انه لم يكن هناك الا اناس قلائل من لهم
اقتدار على شرائها وفى زمن امبراطور يابان سنة (٢٧٠) كان رطل الحرير
برطل من الذهب وفى القرن السادس انشا الملك جوستونيان فى بلاد
اليونان فن تربية دود الحرير وبهذا استعمل الحرير اكثر مما كان عليه وان كان
لم يزل غاليا ومعتبرا من انواع الرفاهية وعلامات العظم المخصوصة بالاكابر
والاعيان ولا يلبس الا فى المواسم والمحافل العامة وفى سنة ١١٣٠
ارسل روجير الاول ملك جزيرة سيسليا الى مدينة أثينة واحضر منها عدة
صنايعية من صناع الحرير واسكنهم بمدينة البرمة وقوى هذا الملك صناعة
الحرير فى مملكته ومنها انتقلت الى اجزاء ايطاليا الاخرى ثم ذكر المؤلف
جيانون فى تاريخ نابلى فانتشرت صنعة حرير من وقتئذ حتى انه فى نصف
القرن الرابع عشر كنت ترى فى محفل من محافل مدينة جنويره نحو عشر من
اهلها لابسين ثياب الحرير ومن محصولات المشرق قصب السكر ويقال
انه جلب من آسيا بعض اعواد من القصب وكان ايضا اول زراعة فى جزيرة
سيسليا فى اثناء القرن الثانى عشر ثم بعد سيسليا زرع فى الاقاليم الجنوبية
من اسبانيا ثم نقل الى الجزائر الخالدات والى جزائر مادره ثم الى بلاد امريكه
ولما سردلو يركيشاردين البضائع والمحصولات التى كانت تجلب الى مينا انوير
سنة ١٥٠٠ عد القصب الذى كان يحضر الى هذه المينا من بلاد اسبانيا وبلاد

وغيرهم ممن يسعى فى فعل مايخل بالانتظام والامن العام ذكره بوكيت وقد نقلت البناصورة خطبة من هذه الخطب المحرضة على اتباع العدل والاستقامة خطب بها فى سنة ٩٨٨ وهى خطبة مغايرة للخطب المعتادة فى فصاحتها وبلاغتها بحيث ترى جديرة بان نذكر ترجمتها هنا فنقول انه بعد المقدمة على حسب عادة ذلك العصر وبعد ذكر المظالم والافعال القبيحة التى كانت سببا فى تحرير الخطبة قيل ايها الناس جعل الله على ابصاركم غشاوة لان الشره قائدكم * والوله عوايدكم * وجفت منكم الايادى لانها طالما اختلست واختطفت * وشلت منكم جميع الاعضاء التى للمعاصى جنت واقترفت * وسلط الله عليكم الشغل الابدى * والتعب السرمدى * واكثر جريكم وسعيكم * وقلل خيركم وكسبكم * والقى فى قلوبكم الخوف والفزع * والقلق والجزع * امام كل عدوّ لكم * وبدد عند اللقاء شملكم والقى فى قلوبكم الهزيمة * وخيب سعيكم فى كل مشروع وعزيمة * وجعل الله بختكم ان تكونوا بجوار الحائنين يهودا فى ارض هول وظلام ووبا * الى ان تطهر قلوبكم التى اتخذت المعاصى منهلا عذبا والمأثم مأربا * ولا ابعد الله عنكم هذه الدعوات المشؤمات * ولا كشف عذابه عنكم فى سائر الاوقات * مادمتم بالفجور موصوفين * ولابواب المعاصى طارقين * امين

المبحث الثلاثون

فى بيان تطلب مانشا عن تقدمات التجارة من الفوائد الجليلة النفع بصحيفة (٨٥) من القسم الاول من اتحاف الملوك الالبا

بموجب ماذكرناه فى التجارة بصحيفة (٨٠) يمكن ان يقال ان بلاد ايطاليا كان لها بعض تجارات مع مدن الامبراطورية اليونانية من ايام الامبراطور كرلوس مانوس وكانت هذه البلاد الايطالية تجلب محصولات المشرق النفيسة الثمينة كما ذكره موراطورى وفى القرن العاشر فتحت ابواب التجارة بين اهل البنادقة وبين الاسكندرية بمصر وبين هذه الثغور المذكورة

... كولاسيركى وايدوه لانهم كانوا يعتقدون ان ارسطاطاليس [illegible]
عليه من غير نقد ولا فحص كما ذكره بلانكى فصارت تجارات النقود [illegible]
ممنوعة شرعا واذا عثر على احد عقد عقدا بمثل الشروط الاولى عند [illegible]
وعوقب فلما اشتد عليهم هذا الوجه صاروا يتحيلون بالمنع الذى كان يمنعهم
وقت ان كانت التجارة فى الدول [illegible] ونهى الشريعة [illegible] فرضوا
احدا او الا يطلبون منه [illegible] فى نظير استعمال النقود [illegible]
عقوبة الربا لانه ربما عثر عليه فلا يسلم من العقوبة وفى القرن [illegible] عشر
كان الربح المعتاد عشرين على كل مائة كما ذكره موراطورى وقد حصل
فى اثناء هذا القرن ان قونتيسة الفلندر اضطرت الى ان تقترض [illegible]
لفداء زوجها فطلبت ذلك من بعض تجار ايطاليا [illegible] فكانوا قبل
ما اخذوا منها ربحا عشرين على كل مائة بل بعضهم طلب منها الاثنين فى كل
مائة ذكره مارتين دورند وفى القرن الرابع عشر (سنة ١٣١١) امر فيليبش
الرابع ان لا يزيد الربح الشرعى فى المال باسواق اقليم شمبانيا عن عشرين
على كل مائة وفى ارغونيا كان انقص من ذلك وفى سنة ١٢٤٢ رتب الملك
ياكوس الاول قانونا وجعل فيه على كل مائة ثمانية عشر لا غير ومن
سنة ١٤٩٠ صار الربح فى ايطاليا اربعين على كل مائة وبهذا التكسب
العجيب صارت تجارة ايطاليا [illegible] جدا وذكر [illegible]
فى تاريخه ان [illegible] ربح [illegible] مملكة البلاد
الوطنية لا تزيد عن اثنى عشر فى كل مائة [illegible] كان
لا يستغرب ان يكون الربح اربعين [illegible] وهذا التدريج [illegible]
للحد و بين بالبرهان النتائج العجيبة التى نشأ عنه فى التجارة والزراعة
وهذا الربح المفرط يكفينا دلالة على ان التجارة كانت حينئذ واسعة الكسب
عظيمة الثمرة وفى القرن الثالث عشر استوطن اللومبرديون ببلاد انكلترة
بل ويوجد الى الآن فى مدينة لوندرة زقاق كبير يقال له زقاق
اللومبرديين ولهم فى انكلترة مزايا كبيرة وتجارة واسعة كثيرة الربح والكسب

البورتغال وذكرانه من محصولات جزائر مادره وجزائر الخالدات ولم تكن زراعة القصب معلومة في بلاد الهند الغربية اوانها كانت قليلة فيها حتى كانت لا تعد في القرون الوسطى من المواد التجارية الهندية ومع ان السكر كان نادرا حينئذ وكان لا يدخل في جميع الاستعمالات المعاشية فالظاهر انه كان فرعا عظيما من فروع تجارات ايطاليا

ولما كان الايطاليون يأتون الى بلاد اوروبا بجميع انواع البضائع وفروع التجارات صار لهم موقع عظيم وقبول حسن عند هذه البلاد وفي القرن الثالث عشر استوطنوا في مملكة فرانسا وصار لهم فيها اعظم مزايا حيث رخص لهم في الامور التي تمو بها تجاراتهم واعطيت لهم حقوق ومزايا شخصية لم تكن ثابتة للرعايا فرتب في فرانسا قانون خصوصي لمعافاتهم من حق وراثة الغريب الذي تقدم شرحه وحيث كان اللومبرديون (اهل لومبردة وهي قسم من ايطاليا) مستغرقين لجميع تجارات الممالك التي كانوا مستوطنين بها جمعوا في اقرب زمن مقادير جسيمة من الاموال وصارت النقود المضروبة بين ايديهم يشترون بها بضائعهم بل وكانت هي نفسها نوع تجارة يكسبون منها كسبا عظيما حيث كانوا يرتبون بها بانكات وصيارف عظيمة الربح فانهم في هذا الفرع وفي غيره من فروعهم التجارية كانوا يسلبون اموال الناس كما هي عادة اهل التحكير في التجارات من غير ان يعارضهم معارض في مجاوزتهم الحدود ومما اعانهم على مجاوزتهم الحدود في التجارات والمعاملات واحل لهم مثل هذه الافعال رأى معمول به عندهم وهو ان التجارة لا تروج الا اذا اعطى المقترض لمقرضه بعض ربح في نظير استعمال دراهمه التي اقترضها منه لان رأس ماله بيد الغير عرضة للضياع وهذا امر مرتب الآن شرعا في جميع البلاد التجارية ويسمى ربح الاموال الشرعي فاتفق ان بعض القسيسين في ذلك العصر ناقض في جواز هذه العادة واستند الى عبارات من الكتاب المقدس الذي يمنع الربا فمنعت هذه العادة وصارت من وقتئذ من المحرمات التي يأثم فاعلها وسلم في ذلك ايضا علماء الكلام

الفرنساوية) وكذلك هنا على ساحل [illegible] من [illegible]
[illegible] سنة ١٣٦٧ [illegible]
بالت اولاد الملك ادوارد [illegible]
لورالسطرانع [illegible]
[illegible] تزيد [illegible]
في اعصونا هذه مع ان الامر [illegible] زادت [illegible]
فيه [illegible] الناس [illegible] كبيرا [illegible]
[illegible] التجارات التي كانت [illegible]
والنظار ان اول [illegible]
الهارنك الذي كان [illegible]
الآن على شواطئ ابريطانيا الكبرى [illegible] القرن الثالث عشر
عبارة يصف بها الثمرات التي كانت تنشأ عن صيدها [illegible]
دائما انه سابقا يلبسون كثيرا من الملاحين واما الآن فتراهم يلبسون الثياب
الارجوانية والاقمشة الرفيعة [illegible] هذا الغنى من [illegible] الذي
يصيدونه كل سنة من سواحل اقليم [illegible]
في بلادهم بالاموال من ذهب وفضة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الناس [illegible]
[illegible] على الحوادث الاصلية التي تخص [illegible]
والمزايا التي [illegible] والتي تخص [illegible]
بينها وبين عدة من [illegible] وتتكلم ايضا على [illegible]
اظهرتها المدافعة عن حرية التجارة وعن الحقوق التي لولاها [illegible]
التجارة وحيث كانت هذه [illegible] لا تشتغل الا [illegible]

لاسيما البانكات وذكر المؤلف اندرسون جميع الاوامر الملوكية والوثائق التى اثبتت للومبرديين فى انكلترة المزايا والخصوصيات التى جعلت لهم هذا كله وكانت مدينة ابروجه اعظم مراكز تجارات ايطاليا واكبر مخازنها لان الملاحة كانت وقتئذ ضعيفة غير معروفة بحيث كان السفر بحرا من بحر بلطق الى البحر المتوسط لا يمكن تميمه فى صيفية واحدة فمن ثم رأى التجار ان من اللازم لهم ان يجعلوا مخزنا يدعون فيه تجاراتهم فى نصف الطريق بين مدائن الشمال التجارية ومدائن ايطاليا فرأوا ان مدينة ابروجه هى الاصلح والاوفق لذلك فجعلت مركز التجارات بين البلاد واكسب ذلك مملكة البلاد الواطية الثروة وصارت مدينة ابروجه مخزنا لصوف انكلترة ولمحصولات ورش مملكة البلاد الواطية من جوخ واقمشة وللذخائر البحرية وغيرهما من الصنايع الآتية من بلاد الشمال والمواد التجارية التى كانت تأتى اليها من ايطاليا سواء كان ذلك من البضائع الهندية او من محصولات ايطاليا التى كان يشتغلها الايطاليون ومما يدل على عظم التجارة التى كانت بين مدينة ابروجه ومدينة البنادقة فى المحصولات الهندية هو انه فى سنة ١٣١٨ وصلت الى مدينة ابروجه خمسة غلايين كبيرة من البنادقة واسقة وسقا عظيما من البضائع الهندية لتباع فى سوق هذه المدينة التى كانت اكبر اسواق اوروبا وشواهد ذلك كثيرة فى تواريخ ومؤلفات القرن الثالث عشر والرابع عشر ولا حاجة الى الاطناب فى ذلك وانما نقول انها موضحة فى تاريخ اندرسون فراجعه ان شئت لكن وان كان كتابنا لا يحتمل الاطالة فى شرح ذلك نقول ان هنالك بعض حوادث منفردة يعرف بها غنى البلاد التجارية من الفلمنك وايطاليا ولذلك استنسبنا ان ننبه على بعضها فنقول قد حصل سنة ١٣٣٩ ان دوق اقليم برابنط (من بلاد الفلمنك) عقد نكاح ابنته على الامير نوار ابن ايدوارد الثالث ملك انكلترة واعطى هذا الدوق لبنته من المهر ثلاثمائة الف من لورا السطرلنغ (هو نوع من النقود يساوى فى القيمة نحو اربعة وعشرين من الفرنكات والفرنك اربعة من

ويجب [illegible] وساعد على ذلك كون [illegible]

في التئام فوائد الفرص التي ابتهج [illegible]

حكومة الملك ايدوارد الثالث [illegible]

كان يشتغل الاهالي في جوخ [illegible] الهل [illegible]

واللومبرديين لانهم كانوا [illegible] ثم ان هذا الملك [illegible] سنة ١٣٢٦

فاحضر بعض نساجين الى انكلترة من بلاد [illegible]

مدة طويلة قبل ان صار للانكليز قدرة على انشاء [illegible]

يباع للغرباء وكان الصرف الذي ينقل من عندهم [illegible]

الاجنبية هو واسطة تجاراتهم [illegible] ذكره اندرسون وجميع

البضائع الاجنبية كانت تأتي الى انكلترة بواسطة تجار اللومبرديين

الانسياتيقية وكانت مينات انكلترة تجلب اليها السفن التجارية من شمال

اوروبا ومن جنوبها وصار الغرباء يتولون بدون مشقة من الملة الانكليزية

ويحضرون لها جميع ما كانت تحتاجه واول مشارطة تجارية تسببت

لانكلترة في تاريخها هي المشارطة التي عقدتها سنة ١٢١٧ مع الملك [illegible]

ملك نرويج كما ذكره اندرسون في الجزء الاول من تاريخه صحيفة ([illegible])

ولكن لم تتجاسر انكلترة على ان تتاجر بنفسها وتنشر اعلام جرديها في بحر

بلطيق الا في ابتداء القرن الرابع عشر ذكره اندرسون صحيفة (١٥) ولم يصر

لها بعض سفن في البحر المتوسط الا بعد نصف القرن الخامس عشر ذكره

اندرسون ايضا صحيفة [illegible] ولكن [illegible] كانت قد ارسلت

بعض سفن الى مينات اسبانيا و بورتوغال وانما اطنبنا في شرح بطئ

سير التجارة الانكليزية لانه الى الآن لم يعتن بها احد الاعتناء الذي تستحقه

ولا يخفى ان ازدحام الغرباء في مينات انكلترة بانضمامه الى المخالطة التي

لم تنقطع بين بلاد اوروبا من ابتداء القرن الثاني عشر تكفي في بيان جهة

الملحوظات التي ذكرناها في الاتحاف في شأن مدخلية التجارة في تحسين اخلاق

الناس وانشاء التأنس والالتئام بينهم في جمعياتهم

مارة نشأ عنها فى مدة قريبة ان بشرت على جميع بلاد اوروبا برايات عدل وصلح وانتظام لم تتمتع بها قبل ذلك قط

واما فى انكلترة فكان تقدم التجارة على غاية من التراخى وسبب ذلك واضح وهو انه وقت ان كانت انكلترة منقسمة بين سبعة ملوك كانت اربطانيا الكبرى منقسمة الى ممالك صغيرة كثيرة لا تنقطع الحروب بينها وبين بعضها وبذلك كانت عرضة لنهب الدانيماركيين وغيرهم من لصوص الامم الشمالية ولاغاراتهم الخشنية وحيث كانت على هذا الوجه منغمسة فى الجهالة والتبربر كان لا قدرة لها على الاشتغال بالتجارة ولا على ترتيب قانون به يحصل الضبط والربط ومنع الاجحاف والاضرار فلما اجتمعت هذه الممالك وصارت مملكة واحدة واخذت انكلترة فى اصلاح حالها فجاءها النورمنديون بفتوحهم لها فهدموا جميع ما كان اسس فيها وبهذه الحادثة ارتجت انكلترة وانقلب حال العقارات والاملاك بين اهلها حتى ان الملة الانكليزية مضت عليها عدة حكومات وهى لا تفوق من الاغماء الذى حصل لها عقب هذه الحادثة فلما اخذ حال انكلترة فى الانتظام وصار الانكليز مع النورمنديين المتغلبين عليهم كامة واحدة سعت ملة الانكليز بجميع جهدها فى اثبات دعوى ملوكها ان لهم حق الملوكية فى مملكة فرانسا فصرفت قواها واموالها واتعبت فكرها فى الحروب التى اجرتها لاجل التغلب على مملكة فرانسا فلما عاندهم الدهر فى مشروعاتهم وخسروا فيها كل الخسران واضطروا الى ابطال هذه الحروب الجنونية واخذوا بعدها فى ذوق طعم الراحة وجمعوا بعض قواهم حصلت حروب مهولة بين عائلة يورقه الملوكية وعائلة لنكستره فتراكمت ثانيا على مملكة انكلترة مصائب جديدة فلم تكن تجارة انكلترة معطلة بمجرد الحكومة الالتزامية والاخلاق البربرية التى كانت عامة فى القرون الوسطى بل كانت معطلة ايضا بوجود اسباب خصوصية كما رأيت ولا شك ان مثل هذه الحوادث المتتابعة مناقضة بالكلية لامر التجارة فهى كافية فى تعطيلها بالكلية او فى تراخيها وبطئها ولو كان هنالك اسباب اخرى تعين على تقدمها

وبجاحها

القورطس (مشورة وكلاء المملكة) سنة ١٤٤٢ قانونا يقولون ان هذا القاضي
الاعظم يكون ولاؤه على منصبه مدة حياته ولا يجوز عزله الا بتهمة
وبموجب الشرائع القديمة كانت ذات القاضي الاعظم محترمة لا [illegible] احدا
بما يفعله الا مشورة القورطس وقد كتب المؤلف ذوريتا تاريخه وقت
ان كان القاضي الاعظم في اراغونيا باقيا على مرتبته الاولى وفقا [illegible]
وكذلك المؤلف بلانكا ومع ذلك فهمل كل منهما تفصيل اشياء كثيرة
مما يخص وظيفة هذا القاضي وسبب ذلك انهما كانا من اهل بلادهما
وهم كانوا عالمين ما يكفي من وظائف هؤلاء القضاة الذين كانوا معتبرين كانهم
حفظة للحقوق الاهلية ولا فائدة في مراجعة تواريخ [illegible] التي الفت
اخيرا في هذا الشان لان تلك التواريخ مع قدمها [illegible] صفحا عن ذكر
ذلك لان القوانين القديمة التي كانت بتلك المملكة كانت قد تغيرت صورتها
وبنيت فيها حكومة مطلقة على اثار الحرية القديمة التي اندرست وقت
ان شرع مؤرخو هذا القرن الاخير وما قبله في تأليف تواريخهم وسبب عدم
بحثهم عن ذلك ان بعضهم كان لا يرغب في معرفة حقيقة القوانين التي كانت
تكسب آباءهم واسلافهم الحرية السياسية وبعضهم كان يخاف كثيرا
فلم يتجاسر على ذكرها مع كونه من اهل التحقيق والتدقيق ويعجبني تاريخ
المؤلف ماريانا الذي كان [illegible]
تاريخي نعوريته [illegible]
مملكة اراغونيا

وغير الامور التي قدمناها في الكلام مما يخص القاضي الاعظم يوجد
امران آخران جديران بان ينبه عليهما هنا الاول انه كان لا يجوز اقامة
القاضي الاعظم من اشراف المرتبة الاولى وانما كان ينتخب من اشراف
المرتبة الثانية او من مرتبة الكوالروس الذين كانوا قديما بمنزلة ارباب المناصب
البلدية في انكلترة وذلك ان الريكوس هومبروس اى اشراف المرتبة الاولى
كان لا يجوز في اى حال عقابهم بعقوبة كبيرة كالموت ونحوه فلزم لاجل الامن

المبحث الحادى والثلاثون

في بيان مطلب وظيفة القاضى الاعظم بصحيفة (١٤٣) من القسم الثالث من اتحاف الملوك الالبا

لم يمكنا ان نعلم على وجه الجزم واليقين على اى حالة كان انتخاب الجوستوزا اى القاضى الاعظم وانما كان اهل العصبة المتعاهدة التى تحزبت على الملك يا كوس الاول سنة ١٢٦٤ يدعون ان الملك لاحق له اصلا فى انتخاب القاضى الاعظم الابرضاء الاشراف كما فى تاريخ اراغونيا للمؤلف ذوريتا بصحيفة (١٨٠) من الجزء الاول ولكن عارضهم الملك فى دعواهم بانه قد جرت العادة منذ احقاب خالية وكذلك جرت قوانين المملكة بان الملك بموجب مزاياه الملوكية له الحق فى ان ينتخب القاضى الاعظم ذكره ذوريتا بصحيفة (١٨١) من الجزء الاول وذكر ذلك ايضا المؤلف بلانكا فى صحيفة (٦٥٦) من تاريخه وذكر ذوريتا فى عبارة اخرى انه مادام اهل اراغونيا لهم حق التعاهد والاجتماع يعنى مادام لهم الحق فى تعاهدهم وتحزبهم على معارضة ملوكهم اذا تعدوا على حقوق الاهالى ومزاياهم كان حق انتخاب القاضى الاعظم ثابتا للملك بل وكان للملك ايضا ان يعزله من منصبه متى شاء ولم ينشأ عن هذه العادة الثابتة للملوك شىء مضر اصلا لان مزية التعاهد الثابتة للاهالى كانت قامعة لظلم الشوكة الملوكية ومجاوزتها الحدود ولكن لما بطل حق التعاهد الذى كان ثابتا للاهالى لما انه كان مخالفا لنظام المملكة وراحتها حصل الاتفاق على انه اذا ولى القاضى الاعظم لا يجوز عزله من منصبه مدة حياته ومع ذلك فاتفق كثيرا ان الملك اذا شابه ريب من القاضى الاعظم او اتهمه بخيانة يهم بعزله من منصبه وقد نجح فى هذا الامر ملوك كثيرون ولكن لاجل الاحتراس من التعدى والظلم الذى يضر بالقوانين ويبطل اجراءها ومن ان يكون القاضى الاعظم كآلة فى يد الملك بحيث لا يمكنه محاماة الاهالى ولا المدافعة عن حقوقهم رتبت مشورة

عرضة لتفتيش مشورة القورطس و بمقتضاه دققت اصعب [illegible]
الاغراض كان القاضي المذكور [illegible] في المدينة و [illegible]
قويا ما دلاله على الاستقامة و [illegible] واحسانه [illegible]
في سنة (١٣٨٦) امر غريب يدل على نفوذ شوكة القاضي [illegible]
لشوكة الملك وذلك ان [illegible] مملكة [illegible] الملك
الكبرى ولم يطل [illegible] في المملكة [illegible]
في المملكة فاتفق ان الملك بطرس الرابع تزوج [illegible]
ان يمنع ابنه من التصرف في المملكة [illegible] على ان يجرد ولده
من جميع حقوقه وامر [illegible]
الى القاضي لاجل [illegible] يصدر عن
الملك فطلب منه القاضي [illegible] حضوره في المحكمة عند الطلب واعطاه
وثيقة بانه لا يجوز تجريده عن شيء من حقوقه ومزاياه الا بموجب حكم [illegible]
واقامة الدعوى على يديه فشاع هذا الامر في المملكة بتمامها وصار الملك
بطرس الرابع يعارض فيه [illegible] ارادته واستمر ابنه
على التمتع بجميع حقوقه [illegible] سائر المملكة

المبحث الثاني والثلاثون

في بيان [illegible] (١٤٤)
من [illegible]

قد حملنا قول [illegible]
في الاتحاف في الميثاق الذي [illegible]
ولكن مما نعترف به ايضا ان هذا الميثاق الغريب لم نره ابدا في كتب
مؤرخي اسبانيا التي امكننا الاطلاع عليها فلم نرها في كتاب ذوريتا
ولا في كتاب بلانكا ولم نرها ايضا في كتاب ارجونس ولا في كتاب ساياس مع
ان هؤلاء الاربعة كانوا معينين من طرف مشورة القورطس بمملكة

امام جعل القاضى الاعظم من مرتبة اخرى بحيث يكون ضامنا اذا تعدى
اوجاوز حدود منصبه المعطى له ويكون مضطرا الى ان يقتصر على ما يجب
عليه ولا يتعداه فى شئ خوفا من الشرائع وشدة عقوباتها كذا ذكر المؤلف
بلانكا بصحيفة (٦٥٧) وصحيفة (٧٥٦) وكذلك المؤلف ذورينا فى الجزء
الثانى من تاريخه بصحيفة (٢٢٩) وذكر ذلك ايضا غير هذين المؤلفين
ويظهر من عدة عبارات ذكرها المؤلف ذورينا ان القاضى الاعظم كان
مجعولا لمنع اجحاف الاشراف وتعديهم ولقمع شوكة الملك وحيث ان الامر
كذلك لزم انتخابه من طائفة من الاهالى غير طائفة الاشراف حتى يكون
خلى الاغراض ويكون ميزان عدل لا يراعى شوكة الملوك ولا طائفة
الاشراف

الامر الثانى ان القاضى الاعظم لو لم يكن فوقه شوكة اقوى من شوكته لامكنه
ان يتصرف فى امور تضر بالمملكة فلم يخف ذلك على المشرعين بل رتبوا
فى الشرائع ما يكون دواء لدائه اذا ظهر وفشى فكان ينتخب على وجه
القرعة من كل جمعية من مشورة القورطس سبعة عشر شخصا ويجعلون
فى محكمة يقال لها محكمة التفتيش مكلفة بالتفتيش والبحث فى اقضية القاضى
الاعظم واحكامه وكانت هذه المحكمة تجتمع ثلاث مرات فى كل سنة
فى اوقات معلومة وكان لكل انسان حق فى ان يشتكى لهذه المحكمة من ظلم
القاضى المذكور او اهماله وكان يجوز احضار هذا القاضى بجميع
ارباب ديوانه الى تلك المحكمة ليحاسبوا على اعمالهم وكل من ارباب محكمة
التفتيش يعطى رأيه سرا ثم يحكمون على كل من ثبتت عليه جنحة من
القاضى الاعظم او ارباب ديوانه بضبط امواله الى بيت المال او بالعزل بل
ويجوز لهم الحكم بالقتل ولكن الشريعة التى رتبت هذه المحكمة وبينت
كيفية اقضيتها واحكامها انسخت سنة ١٤٦١ ذكر ذلك ذورينا فى تاريخه
وكذلك بلانكا وقبل هذا الزمن كان يفتش ايضا فى اعمال القاضى الاعظم
لكن بطرق وقوانين غير المذكورة فكان القاضى الاعظم بمجرد توليته يصير

جازلهم ؟ وجب حق التعاهد ان يقتسموا ميثاق الامان بينهم و بينه و ينكروا
تملكه عليهم و يتشاوروا في شأن [illegible]
ضرر من ذلك كما ذكره بلاكستون [illegible]
غير اراغونيا من الممالك الاخرى [illegible]
عن تعاهد شرى يطلب حقوق [illegible]
وتصدر [illegible] وكان يجرى [illegible]
ورسوم [illegible]
[illegible] جرى به العمل [illegible] سنة ١٢٩١ [illegible]
على [illegible] وصفة الملك [illegible]
وعلى اقرار حق هذا التعاهد [illegible]
ذوريت في [illegible] صحيفة (٣٢٢) وفي سنة (١٣٤٧) [illegible]
اراغونيا على الملك بطرس الرابع وحمل [illegible]
وزاده [illegible] ذكره ذوريت ايضا لكن بعد ذلك [illegible] الملك بطرس
الرابع رؤساء هذا التعاهد [illegible]
من مشورة الكورطس [illegible]
وطلب هذا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ثم ان الشريعة اي [illegible]
الاعظم [illegible]
من الفتن الكبيرة مثل ما [illegible]
قوانين اراغونيا لم تزل على غاية من الحرية من جملة اسباب هذه الحرية دخول
وكلاء المدن من بدء الامر في مشورة الكورطس ويظهر من كلام ذوريت
ان الاهالي كانوا يعدون في مشورة الكورطس منذ انشاء اول قانون في المملكة

اراغونيا لجمع شرائع المملكة وتقييدها وكل من الاربعة كان له فضل غريب بين المؤلفين وهو انهم كانوا يدققون فى ذكر تقدم شرائع بلادهم ردوانهما على ماهى عليه فسكوتهم عن الميثاق المذكور جعل فى انفسنا بعض ريب فى صحته ولكن حيث ذكر فى كتب كثير من المؤلفين بالفاظه القديمة الاسبانية التى كان اصل التعبير عنه بها فيمكن انهم عثروا به فى بعض كتب القضاة الذين ثم نقف لهم على تأليف وايضا ان معنى هذا الميثاق موافق بالكلية لمآل ميثاق قانون مملكة اراغونيا

و بمجرد ما اشتهر كتابنا هذا اول مرة وانتشر بالاقطار تفضل علينا العالم طوتز مدرس علم التاريخ فى مدينة بتزوب بدوقية مكلنبورغ بان بين لنا مؤرخا ثقة من مؤرخى اسبانيا ذكر صورة هذا الميثاق وهو الشهير أنطونيو پيريز كاتب سر الملك فيليبس الثانى وولد فى مملكة اراغونيا وذكر الفاظ هذا الميثاق كلمة بكلمة باللغة الاسبانية وهاك معناه كلمة بكلمة نحن نساويك وجعلناك ملكا علينا بشرط ان تحفظ لنا مزايانا وحريتنا والا فلا انتهى ذكره انطونيو پيريز بصحيفة (١٤٣) من تاريخه

ثم ان مزية الاجتماع او التعاهد التى كانت ثابتة لاهل اراغونيا كما ذكرناه فى المبحث السابق ونبهنا عليها ايضا فى المبحث الآتى هى ولاشك اغرب شئ يمكن حصوله فى حكومة منتظمة مثل اراغونيا ولا يخفى ان الميثاق الذى تكلمنا عليه لايدل على ازيد من هذه المزية الاصلية التى كانت حقا ثابتا لاهل اراغونيا فاذا كان الملك او وزراؤه يتعدون بعض الشرائع او يجورون على المزايا الثابتة للرعايا اولا ينصفون احدا فيما طلب كان اشراف المرتبة الاولى واشراف المرتبة الثانية وجميع قضاة المدن يجتمعون مع بعضهم فى مشورة القورطس او فى غيرها و يتعاهدون على ان يكون كل منهم امينا فى حق الآخر و يتحالفون على ان لا ينقضوا هذا العهد من بعد ميثاقه فاذا فعلوا ذلك و تحالفوا يقسمون على الملك بجمع العصبة المتعاهدة ان ينصفهم فاذا لم يعتن الملك بطلبهم او يشرع فى ادخالهم تحت طاعته بطريق الحرب

التى هى من عادات كل مملكة ذات حرية بل كانوا يدققون تدقيقا كليا فى حفظ ادنى رسوم جرت بها العادة عندهم فمن جملة شرائعهم وعوائدهم انه لا يجوز لاجنبى عنهم ان يدخل فى الديوان الذى ينعقد فيه مشورة القورطس ولما سافر الملك فرديننده الى غزواته فى بعض الجهات سنة (٥١) اقام زوجته ايزابيله وكيلة عنه فى المملكة وكان بموجب الشريعة انه اذا اقيم وكيل على المملكة يلزم ان يحضر بمشورة القورطس ليعقد امام ارباب ميثاق الامان وحيث كانت الملكة ايزابيله غريبة وليست من ارباب مشورة القورطس لزم فى هذه الصورة ان كتب ارباب هذه المشورة امرا للحاجب بان يفتح لها باب الديوان و يعطيها الاجازة بالدخول قال المؤلف ذوريتا وذلك فى مدة ما كان اهل اراغونيا معتنين بحفظ رسومهم وعوائدهم ولو ادنى شئ انتهى

وكما كان ارباب مشورة القورطس يحافظون على الحقوق الشخصية للاهالى كانوا يغارون كذلك على حفظ حرية القوانين والشرائع وكانت شرائعهم متيقظة دائما لحفظ كل من هذين الامرين وهناك حادثتان فيما يخص هذا الشان جديرتان بان ننبه عليهما الاولى هى انه صدرت اوامر سنة (١٣٣٥) بمنع تعذيب اهل اراغونيا لاجل الاقرار وحكم بان المدعى عليه اذا لم تثبت عليه الدعوى بالبينة يكون بريا كما ذكره ذوريتا معتبرا بهذا القانون لكونه يدل على مروءة اهل وطنه فشبه شرائع اراغونيا بشرائع رومة التى كانت تستثنى الاحرار وسكان المدن من هذا التعذيب الخشن الفاحش الذى يؤدى الى الفضيحة وهتك العرض وكان لا يوقعه فيها سوى المستعبدين الارقاء ولا شك ان مدح هذا المؤلف لشرائع بلاده فى محله لان هذا التعذيب كان فى ذلك الوقت مستعملا عند جميع ملل اوروبا الآخرين حتى فى انكلاترة التى نسخ منها من زمن طويل بموجب شريعة مبنية على الحكمة والمروءة

وهناك حوادث اخرى تدل على ان ما كان من خصوصيات شرائع اسبانيا

وقد تكلم على عقد مشورة القورطس حصل فى سنة (١١٣٣) فقال ان الاهالى
قد قبلوا فيها باسم وكلاء المدن وذكر ايضا انهم بهذا الاسم كانوا يدخلون فى كل
مشورة تنعقد من مشاور القورطس وكانوا كذلك مسمين به فى الدفاتر
والظاهر ان مثل هذا المؤرخ لثقة لا يسميهم بهذا الاسم الا اذا كان نقله ذلك
عن محال صحيحة ومن ذلك الوقت مضى نحو قرن قبل ان يحصل فى غير اراغونيا
من ممالك اوروبا قبول وكلاء المدن فى المشاور الملية واما حكومة
اراغونيا فقد امتازت بالحرية فى عدة احوال حيث كانت فيها مشورة
القورطس تمنع الملوك من تنجيز ما يشرعون فيه لاجل ازدياد ايراداتهم
واتساع دائرة مزاياهم وكانت ايضا تطلب حقوقا عظيمة وتنالها وكانت
شوكتها كبيرة بحيث كان يتعجب منها حتى فى البلاد المتعودة على التمتع
بالحرية ففى سنة (١٢٨٦) ادعى ارباب مشورة القورطس بان لهم الحق
فى انتخاب ارباب مشورة الملك وانتخاب ضباط قصره والظاهر انهم ظفروا
بذلك ومكثوا يتمتعون به برهة زمن كما ذكره ذوريتا وكان من جملة حقوق
مشورة القورطس انتخاب ضباط الجيوش المرتبة باوامرها كما يفهم ذلك
من بعض عبارات ذوريتا وفى سنة (١٥٠٣) جددت تلك المشورة فرقا
عسكرية لترسلها الى بلاد ايطاليا وحررت للملك امرا بانتخاب الضباط
العمومية التى تكون رؤساء على هذه الفرق ذكره ذوريتا وذلك يدل على ان
هذا الحق لم يكن من حقوق الملك وذكر بعض المؤلفين عرضين عموميين اشهرا
لطلب حقوق اهل اراغونيا ومزاياهم احدهما فى زمن حكم بطرس الاول
سنة (١٢٨٣) والثانى فى حكم ياكوس الثانى سنة ١٣٢٥ ولكنهما مفرطان
فى الطول بحيث لا يليق ذكرهما هنا وانما نقول يفهم منهما ان مزايا الاشراف
وحقوق الاهالى كانت حينئذ اعظم واحكم من الحقوق والمزايا التى كانت
ثابتة لكل من هاتين الطائفتين فى مملكة اخرى من سائر ممالك اوروبا حيث
كان الملك متعاهدا معاهدة شرعية صحيحة بحفظ حقوق الاهالى وحريتهم
وكان ارباب مشورة القورطس يغارون على حفظ قوانينهم وثمرات نعمهم الغيرة

طالما بحثنا من غير طائل فى تآليف مورخى مملكة قسطيلة عن و[illegible] يمكننا
ان نعرف بها درجات تقدم شرائع الحكومة فى هذه المملكة او نوضح كيفية
ترتيبها وقوانينها على وجه الصحة ثم تعلمنا ذلك فى قوانين ارغون [illegible] ومنها
السياسية ثم ان جميع تواريخ قسطيلة وكذلك شرائعها القديمة لاسيما
كتاب الشريعة المسمى [illegible] كورتس على ان مملكة قسطيلة كانوا
فى الاصل يدلون على سبيل [illegible] فكانوا يجمعهم الاساقفة والاشراف
والرعية وظاهر [illegible] من هذا الكتاب [illegible] قسطيلة
قسطيلة ومراياهم كانت قليلة جدا وقد [illegible] وبلابيكو فى شرحه
على الشرائع بعض [illegible]
جيدوس الذى كان عارفا حق المعرفة بكتب اسبانيا الادبية وتواريخها
فانه يشكو من كونه لم يجد احدا من المؤلفين بين اسبانيا شيأ ما يتعلق
بمشورة الكورطس او الجمعية الملية الكبيرة التى كانت تنعقد فى قسطيلة
وبتوضيح كيفية انعقادها او بيان مقدار عدد اربابها الذين كان لهم الحق
فى حضورها ولكن ذكر المؤلف [illegible] الذى الف تاريخ
هنرى الثانى بعض مكاتيب [illegible]
تفيد ان هذه المدينة [illegible]
الملك سنة ١٣٩٠ [illegible]
والدوقات والمتعينين [illegible]
الاشراف كل هؤلاء [illegible]
القسيسين وفريق الاشراف [illegible] الثالثة وكان
هنالك ثمان واربعون مدينة بعثت بالمندوب عنهم بتلك المشورة وكان
مقدار هؤلاء الرسل بالغ مائة وخمسة وعشرين (لان كل مدينة كان لها
الحق فى ان تبعث الى تلك المشورة من الوكلاء بحسب قدرها وعظم شوكتها)
كما ذكره جيدوس واما تكلم ذوريتا الذى كانت عنده الصدق والتحقيق

كالحرية والمحافظة على الحقوق والمزايا كان كذلك موجودا فى طباع اهاليها وكان ذلك سببا فى حصول الحادثة الثانية وهى انه فى سنة (١٤٨٥) حصل ان الملك فرديناند وزوجته الملكة ايزابيلا تولعهما بالدين ارادا ان يرتبا محكمة تفتيش كاثوليقية فى مملكة اراغونيا ومع ان اهل اراغونيا كانوا يميلون للمذهب الكاثوليقى الرومانى كغيرهم من اهالى اسبانيا ويرغبون كثيرا فى قطع عرق الضلالات والبدع التى غرسها المسلمون واليهود فى بلادهم قاموا على قضاة هذه المحكمة الكاثوليقية وشهروا عليهم السلاح وقتلوا رئيسهم وسكنوا زمنا طويلا يعطلون انشاء هذه المحكمة والسبب الذى أبدوه فى عصيانهم هو ان طرائق محكمة التفتيش فى اجراء اقضيتها واحكامها مخالفة للحرية وذلك انه فى هذه المحكمة لم يكن القضاة يحضرون المدعى عليه مع الشهود ويسألونه امامهم بل كانوا يعلمونه ابدا بما شهد به الشهود عليه وانما كانوا يعذبونه ليقر بما ادعى عليه به واذا ثبت وحكم عليه بعقوبة كانت جميع امواله فيأ لبيت المال (ذكره ذوريتا)

ثم ان شكل حكومة مملكتى والنسة وقطالونيا اللتين ضمتا الى مملكة اراغونيا كان ملائما للحرية كشكل حكومة اراغونيا حيث كان اهل والنسة يتمتعون بمزية الاجتماع او التعاهد بالمعنى السابق كاهل اراغونيا ولكن لم يكن لهم قاض يشبه الجوستوزا واما اهل قطالونيا فكانوا يغارون ايضا على حريتهم كاهل اراغونيا واهل والنسة وكانوا يدافعون عنها بقوة عزم وشجاعة كاهالى هاتين المملكتين ولا حاجة الى ان نطنب اكثر مما ذكرناه فى شأن الخصوصيات التى كانت ثابتة لهذه الممالك بالنظر الى ترتيبها وقوانينها لان ذلك ليس بلازم فى توضيح ما قدمناه فى الاتحاف

المبحث الثالث والثلاثون

فى بيان قوله «وكان عدد وكلاء المدن كثيرا الى قوله فى الدولة بصحيفة (١٤٦) من مطلب قانون قسطيلة وحكومتها بصحيفة (١٤٥) من القسم الثالث

للاشراف وارباب امارة الشرفا التي كانت قد اعطاها الهم ...

نظير كونهم اعانوهم على طرد المسلمين من الممالك وصار للاشراف

ب كلمة نافذة وسطوة كبيرة في المدن التي كان يكثر فيها عدد ...

راف قبل ذلك اي كانوا ...

المبحث الخامس والتسعون

زله في المطلب السابق ايضا ... علم الانسان ...

يفة (١٥٠) من القسم الثالث من اتحاف الملوك الالبا

لك في المبحث الثامن عشر انه لم يمكنا ان نعرف على وجه الصحة

ب الجمعيات الاهلية ... الحرة في ممالك اسبانيا واتضح ان

انه بمجرد خلوص هذه البلاد من رق اسر المسلمين صار سكانها

ان ذوو شوكة وصولة ولذلك صار لهم جميع مزايا الاكابر في الحكومة

في الافتاء والاحكام ويوجد الى الآن براهين جلية تدل على بهاء

بانيا الذي كانت عليه وثروتها وشركتها فقد وصف لنا المؤلف

لوس مدينة برسلونة وشبهها بمدينة نابلي في الكبر وعدد ...

المباني وكثرة الورش واتساع العمارة وكذلك المؤلف ... نوس

مدينة ... كانت مدينة كبيرة ... الحرير في ...

... تجارة ... كان يكثر بها خصوصا

... الصوف لان مدينة ... كان عدد الناس المشتغلين بها

نحو عشرة آلاف وقال ايضا الا اعرف مدينة تفضل ... وثروتها

نة بلنسية انتهى وهناك حادثة تدل على اهالي هذه المدينة وهي

اقاموا (سنة ١٥١٦) على الكردينال آكزيمنيس خرج ثلاثون الفا

ب السلاح في هذه الواقعة وكلهم من تلك المدينة ومن الاراضي

لها ثم ان الورش التي كانت في اسبانيا لم يكن يخرج منها ما هو لازم

ها فقط بل كان يخرج منها ايضا بضائع الى البلاد الاجنبية وهذه

على مشورة القورطس التى عقدها الملك فرديناند فى مدينة طورو سنة ١٥٠٥
ليثبت لنفسه حق الملوكية على قسطيلة بعد موت زوجته الملكة ايزابيله
ذكر اسماء ارباب هذه المشورة واسماء المدن التى ارسلت وكلاءها اليها
ويظهر من كلامه انه لم يكن فى تلك المشورة من وكلاء المدن الاثمانية عشر
رسولا وبين هذا القدر والمتقدم بون بعيد بالنظر لهاتين المشورتين وليس
فى وسعنا توجيه ذلك ولا بيان سببه

المبحث الرابع والثلاثون

فى بيان قولنا فى المطلب السابق فلما رأى الاشراف الى قولنا ملوكهم العظام
بصحيفة (١٤٨) من القسم الثالث من اتحاف الملوك الالبا
كان معظم اراضى اسبانيا للاشراف وقد الف المعلم ماريوس سيكولوس
فى ايام الايمبراطور شرلكان كتابا ذكر فيه اشراف اسبانيا ومدخولات
اموالهم ونص على ان ما ذكره فى هذا الشان صحيح بالكلية وعلى مقتضى
كلامه تبلغ سنويات اراضى الاشراف مليونا واربعمائة واثنين وثمانين
الفا من الدوقات (نوع من النقود) واذا قابلت بين قيمة النقود فى القرن
الخامس عشر وقيمتها الآن ولاحظت ان ماريوس المذكور لم يتكلم
فى تأليفه الا على اكابر الاشراف الممتازين ذوى الالقاب والانساب الفاخرة
رأيت هذا المبلغ جسيما جدا * وكانت جمعيات مملكة قسطيلة البلدية
فى منازعاتها ومجادلاتها مع الملك التى سنذكرها لك فى غير هذا المبحث
تشكى من اتساع اراضى الاشراف وتدعى ان هذا الامر مضر بالمملكة
ويستفاد من بعض العرضحالات التى كانت تقدمها هذه الجمعيات البلدية
ان الملك لم يكن له اكثر من ثلاث قرى فى المسافة الكبيرة التى كانت بين اقليم
والادوليد ومدينة سنجاكوس فى اقليم غاليس مع ان هذه المسافة كان
مقدارها مائة فرسخ وما بقى منها كان للاشراف من غير ان يدفعوا عليه خراجا
ويظهر مما قاله المؤلفون الذين ذكرهم المؤلف بواديله ان الاملاك الواسعة

وكانت شوكتها قد بلغت الدرجة القصوى حتى قال بعض المؤلفين ان رئيس
هذه الطائفة كان بعد الملك اعظم ارباب الشوكة والامتياز من اهالى اسبانيا
وقد ذكر بعض المؤلفين ايضا ان هذه الطائفة كان لها فى مملكة قسطيلة
جميع ما تتطلع اليه وتتطلبه نفوس الملوك من كرندوريتا
وكان من دأب اهل تلك الطائفة ثلاثة اشياء اطاعة و زهد وعدم الانهماك
مع نسائهم فكانوا يطيعون اوامر رئيسهم وكان يخرج منهم نحو الف رجل
مقسلحين وكل منهم كان له اتباع معلومون وعلى حسب عوايد ذلك العصر
كان التابع يصحب متبوعه فى ميدان الحرب فيؤخذ من ذلك ان رجال هذه
الطائفة كانوا عديدين يخشى باسهم * وكان لتلك الطائفة ايضا كثير من المزايا
والخصوصيات كما ذكره المؤلف هونورى فيمون حينئذ على الانسان
ان يعرف ان الملك كان يخشى من رئيس هذه الجيوش الذى كان منوطا
بادارة ارادات جمة وكان يتصرف كيف يشاء فى كثير من المناصب والمصالح
المهمة * نعم ان الطائفتين الاخريين لم يكونا مثل هذه الطائفة المذكورة
فى الثروة ونفوذ الكلمة غير ان كل طائفة منهما كانت قوية الشوكة جدا ولكن
لما تغلب عساكر طائفة سنجاكوس على اقليم غرناطة وتخلصوا بسبب ذلك
من اسر اعدائهم المسلمين الذين هم القصد من انشاء هذه الطائفة قامت
بانفسهم اوهام جديدة بذلوا فيها جهدهم فى المدافعة عنها نرادوا على
ميثاقهم القديم شيأ آخر وهو انهم لو اخذنا الموائيق على انفسنا اننا نعتقد
ان السيدة مريم ام عيسى قد حملت به من غير ان يجىء شىء قبيحا انصارا لهذا
الاعتقاد بجمهورنا واحادنا انتهى وكان ظهور هذا الوهم فى اثناء القرن
السابع عشر ولم يكن هذا القول خاصا بطائفة سنجاكوس بل كذلك طائفة
كلتراوة التى هى ثانى طائفة من الطوائف العسكرية الثلاثة اظهرت الغيرة
التامة والشجاعة والعزم فى هذا الامر الذى فيه تشريف مريم لانهم كانوا
من جملة انصارها الامناء وقد عبروا عن هذا المقصد بعبارة كلامية ادق من
عبارة طائفة سنجاكوس حتى يمكن ان عبارتهم يسر بها من اطلع عليها

البضائع كانت كثيرا عظيما تغنى منه اهالى اسبانيا وتزداد ثروة ولا يخفى
ان القوانين البحرية التى كانت بمدينة برسولون صارت اساسا للقوانين التجارية
الموجودة الآن كما ان قوانين جزيرة رودس كانت كذلك اساسا للقوانين
التجارية عند الاقدمين لان جميع الايالات التجارية التى كانت فى ايطاليا
اقتدت بهذه القوانين ونسجت على منوالها فى شأن التجارة ويظهر من بعض
الاوامر الصادرة عن ملوك فرانسا ان تجار مملكتى اراغون اواراغونيا
وقسطيلة كانوا بموجب هذه القوانين يتمتعون بما كان يتمتع به تجار ايطاليا
من المزايا والخصوصيات وبالجملة فكانت المداين على حالة زاهية زاهرة حتى
صارت فى اقرب وقت حزبا محترما فى الجمعية وصار لها كلمة نافذة فى شأن
التشريع ووضع القوانين وكان قضاة برسولون يطلبون اعظم شرف كان
يدعيه بعض الرعايا فى اسبانيا وهو كونهم يسترون رؤسهم بحضرة الملك
و يعاملون كاكابر المملكة واعيانها

المبحث السادس والثلاثون

فى بيان قوله لان امراء هذه المراتب الى قوله ان يساووا ملكهم فى المقام
والاعتبار بصحيفة ١٥٢ من مطلب انضمام رياسة الرتب الثلاثة العسكرية
الى الملك بصحيفة (١٥١) من القسم الثالث من اتحاف الملوك الالبا
كان اعظم واغنى المراتب الثلاثة العسكرية التى ترتبت فى اسبانيا هى رتبة
سنجاكوس التى ترتبت سنة (١١٧٠) واقرها فرمان صدر من اسكندر الثالث
تاريخه سنة (١١٧٦) وكان فى ذلك الوقت جزء عظيم من اسبانيا فى اسر المسلمين
وكانت جميع الخلوات عرضة لسلب المسلمين واللصوص فترتبت طائفة
سنجاكوس المذكورة لاجل طرد المسلمين اعداء النصارى من تلك البلاد
ومنع من كانوا سببا فى وقوع الفشل والفتن التى كانت تمنع من الامن العام
واطمئنان الناس وحيث كان القصد منها ذلك فلا غرابة فى كون الناس
قد استحسنوها وساعدوا فى تتميمها ثم ان ثروة هذه الطائفة كانت كبيرة

البحث السابع والثمانون

في بيان قوله بصحيفة (١٥٤) بل عرف ان يستفيد من هذه الحادثة [illegible]
ونظام الجمعية من المطلب السابق

قد نبهنا في مواطن كثيرة مما يتعلق بتاريخ القرون الوسطى على
اختلال السياسة وعدم الضبط والربط في تلك القرون وضعف الحكومة
وعدم الارتباط كما ينبغي بين طوائف الناس وسبق لنا في بعض المباحث
ان هذا العيب اعان كثيرا على منع اشتغاله [illegible]
الواحدة فاذا اطلعت على تواريخ اسباب [illegible] كثرة القتل
والسلب والظلم الذي كان يحصل في [illegible] نفسك [illegible]
ذهنك وتصورت ان حالة تلك المملكة وقتئذ كانت تقرب من حالة الفطرة
التي هي حالة اختلال وفشل فمن كثرة الفتن والتقلبات لزم انشاء محكمة
سميت ستهورمنداد ولكن كانت خواطر الاشراف تراعى حينئذ كل المراعاة
حتى كان يحترس الغاية في اول الامر من كون انشاء هذه المحكمة يضر
بالاشراف او يعكر عليهم في [illegible] ارادة انشاء هذه المحكمة مقصورا على
ان تبحث عن معرفة الجنايات الكبيرة التي تقع في البلاد من اعظم [illegible] من
الجنايات فكان مشروطا باتفاق العدد [illegible] فكان لانشائها [illegible]
[illegible] لبعض المنافع [illegible] وطلب [illegible] محكمة
ستهورمنداد لا يمكن لهؤلاء [illegible]
[illegible] يجتهدون [illegible] على [illegible]
ان هذه المحاكم [illegible]
التورطين [illegible] في [illegible] هذه المحكمة [illegible]
فرديناند رئيس تلك المملكة حتى رتب هذه المحكمة في الجزء الذي كان
فيه اراضي هذا الرئيس والتزاماته من مملكة قسطيلة وهذا الامر [illegible]
الى اقرار اهل اسبانيا انشاء هذه المحكمة اعان الملك فرديناند على ان [illegible] جميع

من امة الاسكليرس

فلذلك استنسبنا ذكرها هنا فنقول ان كل من انتظم فى سلك هذه الطائفة يؤخذ عليه الميثاق امام من كان منوطا بذلك وصيغة ميثاقه ان يقول مما الترم به لله تعالى ولرئيس طائفتنا ولك ايها المنوط باخذ المواثيق اذ انت خليفة الله فى ذلك انى من هذا الوقت الى ما لانهاية اعتقد اعتقادا جازما ان السيدة مريم ام عيسى عذراء وانها حملت به من غير ان تأتى شيأ فريا ولم ترتكب فى حملها به ما يدنس عرضها وانها عند هذا الحمل السعيد وامتزاج روح القدس بجسمها انعم الله تعالى عليها بصيانتها عن ارتكاب الفاحشة فى نظير ما حصل فيما بعد من التعذيب والاساءة والقتل لابنها الذى انقذنا معاشر البشر من عقاب الخطيئة التى اقترفها آدم حيث سبق ذلك فى علمه تعالى وهذا اشرف انواع الفداء التى تعلقت بها ارادة الله تعالى فى شان بنى آدم وانقاذهم من محذور اراد سبحانه تخفيفه عنهم واتعهد بانى احيى واموت على هذه العقيدة معتقد اشرف السيدة مريم بصيانتها عن الامر المذكور لان هذا الشرف من تعلقات قدرة الرب القدير الذى له خرق العوايد انتهى ومع ان كنيسة رومة ابت ان تصح اقرارها على هذا الرأى وهو ان الحمل كان مع الصيانة بل قبل كل من الطائفتين القسيسيتين وهما طائفة سند وسينيق وطائفة سنفرنسوا آرا مخالفة لهذا الرأى استمر اهل اسبانيا محافظين على هذه العقيدة المشرفة للسيدة مريم حتى ان ملك اسبانيا فى سنة (١٧٧١) رتب طائفة عسكرية جديدة ليشهر بها ولادة حفيده وجعلها تحت حماية العذراء نظرا لاكرامها من الله تعالى حيث حملت بعيسى من غير ان يمسها بشر وحيث ان هذه الغيرة لها نوع شبه بالغرض الاصلى من ترتيب امارة الشوالرى فلا غرو ان هذه الطائفة مكثت مقبولة بين الطوائف العسكرية مدة تولع الناس بالامارة الشوالرية ولكن فى عصرنا هذا يتعجب من احداث مثل هذه الطائفة الشهيرة لاجل تأييد رأى غريب لا مستند له فى الانجيل

المبحث

[illegible] منهما بنتان [illegible] حالة الملك افونسا [illegible] في ايام الملك [illegible] وحدثتا
في ايام الملك لويز الخامس عشر ويظهر من قوانين الطوائف التي كانت
استوطنت ببلاد العلية وبالبلاد المجاورة لها ومن كلام [illegible]
التورساني وغيره من المؤرخين الاقدمين ان صورة حكومة هذه
الطوائف كانت [illegible] جدا وانهم كانوا قد [illegible] بعض الاشياء
من اصول السلطنة والضبط والربط اللازم لتشكيل جمعية كبيرة [illegible]
او للرئيس شوكة ونفوذ كلمة على العساكر ولكن لم يكن [illegible] منهم الا
بارادتهم واختيارهم حيث [illegible] الا في شان سفر او حرب
ولذا كانت تسميتهم اصحاب اولى من تسميتهم [illegible] على ذلك
بطريق جلي في [illegible]
غريبة تدل على ان [illegible] كانوا في طوع عساكرهم وحاصل
هذه الواقعة ان الملك قلوتير الاول سنة (٥٥٣) توجه الى قتال [illegible]
فلما وصل بجيوشه اليهم فزعوا منه وطلبوا الصلح والتزموا ان يدفعوا له مبلغا
جسيما لاجل تسكين غضبه وغيظه [illegible] عزم على عدم الحرب
ولكن لم يرض عساكره بذلك [illegible] عليه ان لا يقبل [illegible]
الحرب [illegible]
على هذه الشروط [illegible]
[illegible]
العساكر [illegible]
وصاروا يسحبونه حتى [illegible]
[illegible] مصادمة الاعداء

وحيث كانت شوكة قدماء ملوك فرانسا مبنية على هذا الوجه مع جيوشهم
يستفاد من ذلك ان مزاياهم مدة الصلح كانت اضيق من ذلك * وكانوا يولون
منصب الملوكية على سبيل الانتخاب من طرف الرعايا لا على سبيل الخلافة
او الوراثية ولا حاجة الى ذكر ما يستدل به على ذلك من عبارات المؤلفين وانما

العوائق الاخرى التى كانت تحول بينه وبين مقصده من انشاء محكمة سنتهرمنداد وقد تحزب اشراف اراغونيا على منع احداث هذه المحكمة وناقضوا فيها بجميع جهدهم فدافع عنها الملك فردينند اعظم المدافعة ومع ذلك اضطر الى ان رخص لهم فى بعض ما كانوا يطلبونه لاجل تسكين غضبهم كما ذكره ذوريتا * والظاهر ان محكمة سنتهرمنداد كان لها فى قسطيلة شوكة كبيرة وايرادات واسعة وقت ان كان الملك فردينند يتجهز لقتال المسلمين الذين كانوا باقليم غرناطة وذلك ان هذا الملك طلب منها ستة آلاف من الدواب لحمل الاحمال وجر المواد والاثقال وطلب ثمانية آلاف من الرجال لاجل توصيل هذه الدواب فاعطته ماطلبه * وفيما بعد عرف اهل اسبانيا ان انشاء هذه المحكمة شئ مهم نافع جدا لحفظ الامن العام ومنع الناس عن ارتكاب الذنوب وانواع المظالم حتى ان هذه المحكمة توجد فيها الى الآن مع انها ليست بلازمة ولا يحتاج اليها الآن فى قمع شوكة الاشراف ولا فى توسيع دائرة الشوكة الملوكية

المبحث الثامن والثلاثون

فى بيان مطلب شوكتها اى الجمعيات العمومية فى الدولة الثالثة بصحيفة (١٥٥) من القسم الثالث من اتحاف الملوك الالبا

لاشئ يوقع الانسان فى الزلل والخطأ اكثر من كونه يحكم على قوانين الاعصر الماضية واخلاقها بموجب قوانين عصره واخلاقه ومع ذلك فهذا امر شائع كثير بين العلماء فانه ان فقهاء مملكة فرانسا لما رأوا ان ملوكهم كانوا يتمتعون فى القرن السادس والسابع بشوكة كبيرة وكانوا مطلق التصرف ظنوا انه يجب عليهم ان يثبتوا انه كلما كانت حكومة فرانسا ملوكية ثبت لملوكها الشوكة واطلاق التصرف حتى ان المؤلف ربال لما تكلم على عصره وكانت فيه حكومة فرانسا ملوكية قال ان حكومة فرانسا الآن ملوكية محضة كما كانت كذلك من مبدء امرها وان ملوكنا معشر الفرنساوية كانوا فى الاصل مطلق التصرف كما هم الآن انتهى * ومع ذلك لم يعهد فى الجمعيات المدنية

انقطاع [illegible] على [illegible] أتى في [illegible]

في خلاصة اخرى اتفقت مع [illegible]

قاله بوكيت وبالجملة فالدوائر [illegible]

كانت [illegible] على هذا [illegible]

ينصون فيها على [illegible]

التي كانت [illegible] المسار [illegible]

كانت [illegible] وان كل [illegible]

المتعلقة [illegible] ورد [illegible]

وكان [illegible] حكامهم [illegible]

الناس [illegible]

لا يحتاج [illegible]

سنة (١٣١٠) حيث عمل به وان كان من باب العلم [illegible]

فان ما اشتمل عليه هذا الحكم من [illegible] في الدلالة على [illegible]

حكم هذه الشارات [illegible]

المشروع [illegible]

بحال [illegible]

[illegible]

بحيث [illegible]

كانوا يدعون [illegible]

انه لم يكن يفرض [illegible]

خرجت من بلادهم [illegible]

القديمة استدل على انهما ليستا [illegible] بانهما [illegible] غرامة

معينة وتكلم ايضا على طائفة من الجرمانيين فقال انها لم تتغير عوائدها

لانها لم يكن عليها غرامات معينة ومن المعلوم ان هؤلاء الامم لما استوطنت

بلاد الغالة [illegible] على [illegible] القديم وعلى ما توارثوه عن اسلافهم

تحيلك على الكتاب المسمى تاريخ الغلبة الفرنساوية فانك تجد فيه براهين
جليـة على ذلك مستنبطة من كتاب المؤلف اغرغرار التورساني والمؤلف
ايموان وغيرهما من المؤرخين الثقات الذين كتبوا تاريخ الدولة الاولى من دول
ملوك فرانسا * ولا شك ان القصد من تولية الملوك على سبيل الانتخاب هو
ان لا يكونوا مطلق التصرف في افعالهم واوامرهم لان جميع ما يخص مصالح
الملة كان امره يفوض لمشاور الملة وكان ينعقد لهذا الشان في كل سنة
مشورتان احداهما تسمى غيط ايار والاخرى تسمى غيط ادار وانما سمى
مثل هذه المشاور الملية غيطا لان الامم الخشنين كانت عادتهم ان يعقدوها
في الخلاء في بعض سهول واسعة جدا حتى تسع الناس الكثيرين الذين كان
لهم الحق في الحضور بها كما ذكره المؤلف سور بوروس وانما سميت احداهما
غيط ايار والاخرى غيط ادار لانهما كانتا ينعقدان في هذين الشهرين
فما كانت تنعقد في شهر ايار سميت غيط ايار وما كانت تنعقد في شهر ادار سميت
غيط ادار وكانت غيط ايار تسمى ايضا مشورة ايار وغيط ادار يسمى مشورة
ادار * وقال بعض المؤرخين انه في هذه المشاور كان يبحث عما فيه سعادة
المملكة ونفع الملة كما ذكره المؤلف فريديكير والمؤلف دوكنج وقد سرد الملك
قلوتير الثاني المواد التي كانت هذه المشاور منوطة بها واقرلها بالشوكة ونفوذ
الكلمة فقال انما جمعت هذه المشاور لان جميع ما يخص الامن العام ينبغي
ان يحكم فيه بمشورة عمومية فيجب علي حينئذ ان اعمل على وفق ما ينحط عليه
الرأي فيها انتهى كذا ذكره المؤلف ايموان في تاريخ فرانسا والمؤلف بوكيت
في كتابه المسمى زبدة التواريخ * ثم ان الخلاصات او الاوامر التي كان يستقر
عليها الرأي في تلك المشاور وتنشر في المملكة ليجري العمل عليها لم تكن باسم
الملك وحده بل كان اربابها يضعون فيها امضاآتهم فقد قال الملك شلدبيرت
في خلاصة صدرت سنة (٥٣٢) م ما معناه قد وقعت منا المذاكرة مع البارونات
بمشورة ادار في بعض المصالح فكانت نتيجة ذلك ما ننشره الآن ليعلمه الخاص
والعام انتهى كذا ذكره بوكيت وقال هذا الملك ايضا في خلاصة اخرى قد

اذ ذاك في جميع ممالك لمورو باكانت تسمى بيرعات [illegible]

الدين هم من الدولة الثانية كانت تتخيهم الملوك وتوليهم المناصب [illegible]

المؤرخين من عصر الملك بيبان ان هذا الملك التي جلس على سرير [illegible]

البابا وانعام المسيح وانعطاف جميع الشعوب [illegible]

الملك قد دعوا تاج المملكة من [illegible] واعطار [illegible] عليهم الميثاق

ان لا ينزعوه من هذه العائلة [illegible] فكانت [illegible] على [illegible]

مدة طويلة وخلف بيبان على الكرسي [illegible]

الجفالك بين افرادا عائلة الملوكية [illegible]

في ذلك المشورة لاهلية العمومية [illegible]

ولديه كرلس وكرلمان سنة (٧٦٨) [illegible] المملكة [illegible]

ولما كان هذا الامر يتوقف على رضا المشورة الاهلية [illegible] الملك

المذكور الامر في هذا الشان

ثم ان الفرنك عقدوا لهذا الامر مشورة بعد موت الملك بيبان ولم يكن الغرض

من انعقادها مجرد تقليد الامير بن [illegible] المنصب الملوكي [illegible] المؤلف

ايجنهرت بل [illegible] فيها [illegible]

وبهذه المشورة كانت [illegible] جميع [illegible]

الملوكية وقد اقر الامبراطور [illegible]

لها في [illegible] صدرت [illegible] بين [illegible]

اذا تسارع جماعة في [illegible] المزكي [illegible]

من تلبسه التاج انتهى

وفي زمن ملوك الدولة الثانية كانت [illegible] الاهلية المسماة

ايضا بالاسينا تنعقد في السنة مرة او مرتين ومن اعظم تواريخ فرانسا اختصر

المؤلف هانكومار مطران رمس الذي مات سنة (٨٨٢) بعد

الامبراطور شرلمانيا بثمان وستين سنة ذكر فيه الحوادث التي استفادها من

وزير كرلوس مانوس واسم سره المسمى ادلهرد فذكر هذا المطران ان كرلوس

من الشهم والتعالى فلم يرضوا ان يفرض عليهم غرامات لانهم رأوا فيها شائبة استعباد واذلال كما يؤخذ ذلك من تواريخ القدماء والآثار القديمة وقد بحث كل من المؤلف مونتسكيو والمؤلف مبلى عما يتعلق بهذا المعنى وجالا باذهانهما فى ذلك الغرض فذكرا براهين جلية على ان اصحاب العقارات الاحرار من الفرنك لم يكونوا ملزومين بدفع شئ على عقاراتهم وعلى ان الدولة ليس لها طالب عليهم فى شئ الا فى الخدمة العسكرية ومصاريفهم فيها من اموالهم وكان يلزمهم ايضا ان يقبلوا الملك فى منازلهم اذا مر بهم فى ذهابه الى جفالكه وان يعطوا للضباط خيولا وعربات اذا كانوا مبعوثين بصدد دعوى تخص العامة ولم تكن ايرادات الملوك الا من جفالكهم ومما يكسبونه فى محاكمهم من محصول الدعاوى ومما يفرضونه من الغرامات القليلة على من ثبتت عليه جناية ولا يليق بهذا المختصر ان نتعرض لسرد هذه الاشياء تفصيلا وان اردت ذلك فعليك بكتاب المؤلف مبلى المسمى بالملحوظات السنية على تاريخ الفرنساوية

واذا اتفق ان هؤلاء الاحرار اعانوا الملوك باعانات كبيرة فانما كان ذلك بمحض اختيارهم وكان من عادة مشورتى ايار وادار اللتين كانتا تنعقدان فى كل سنة ان يهديا للملك هدايا من الاموال والخيل والاسلحة او غيرها من الاشياء النفيسة وهذه العادة القديمة توارثها الفرنك عن اسلافهم الجرمانيين واذا نظرنا الى عبارات المؤرخين فى شأن تلك الهدايا وجدناها عظيمة جدا بحيث انها كانت جزأ عظيما من ايرادات الملوك السنوية وقد نقل دوكنج جملة من هذه العبارات وربما كانت بعض الملل المهزومة تعين للملك المقدار الذى تدفعه له فى كل سنة فاذا امتنعت من دفعه طولبت به كانه دين فى ذمتها والظاهر ان هذه الهدايا وتعيين قدرها فى بعض الاحوال هو منشأ الفرد والغرامات فهى وان كانت فى مبدء امرها اختيارية الا انها صارت فيما بعد الزامية بمعنى ان كل امة يلزمها ان تدفع ما هو مقرر عليها ويوجد الى الآن وثائق اصل تلك الغرمات ويفهم منها ان الاعانات التى كانت تعطى للملوك

من المزايا فضلا عن كون هذا الامر طور الاكثر يقتضب من هذه المشورة
اجاب مطلوبهم بالبشاشة ولين الجانب واظهر لهم الميل الى تنفيذ امر شعبهم
وتحصيل رغوباتهم غير انه ما كان يعلم انه لا يستطيع ترتيب الاحوال من
مستقلا بالتشريع وعندهم ان يعرض هذا الامر للمشورة العمومية
لان مصالح الرعايا يبرم فيها التشاور والمذاكرة من عموم الناس قد اجمعت
عليها الآراء نظمت في سلك القوانين الجارية

وهنالك ما يدلنا على كيفية قبول المشورة العمومية مطالب الرعية واحتياجاتها
على المشورة المذكورة ويدلنا ايضا على كيفية تنظيم هذه المطالب في سلك
القوانين الجارية في المملكة وبيان ذلك ان يقرأ التقرير في المشورة باعلى
صوت ثم يلتمس من الاهالي ان يقولوا هل ترون هذا مرضيا ولا فان كانوا
يرضون بذلك قالوا باعلى اصواتهم ثلاث مرات نحن مسرورون من ذلك وعند
ذلك يضع الملك والقسيسون واكابر اللايك امضاآتهم على التقرير ليجرى
العمل عليه ويؤخذ من القانون الذى صدر من الملك كرلوس الاصلع
سنة (٨٥١) ان الملك لا يمكنه ان يمتنع من اقرار ما يعرضه الرعايا فى المشورة
العمومية ويقبله اربابها

ولا حاجة الى الاكثار من عبارات المؤرخين لنستشهد بها على ان حق التشريع
فى مملكة فرانسا مدة الدولة الثانية كان مشروطا بمشورة الامة وان [illegible]
كان لها الحق فى عدم تجويز [illegible]
التشريع يكفى فى الاستشهاد على الدعوى الاولى [illegible] التشريع
مشروطا بمشورة الامة) واما الدعوى الثانية وهى عدم [illegible]
فان شواهدها الجلية مذكورة فى الكتاب المسمى اصل الحكومة
الفرنساوية او الحكومة الفرنساوية القديمة فى المجلد الثالث منه فراجعه
ان شئت

وما ذكرناه من انه كان للاهالى حق الحضور فى المشورة العمومية بانفسهم
او وكلائهم هو مما ينبغى الالتفات اليه لانه مع دلالته على تقدم الحكومة

مانوس كان يعقد فى كل سنة لمشورة الاهلية العمومية فكان اربابها يتذاكرون فى شأن ما يخص الامن العام ونفع المملكة قبل المذاكرة فى المصالح الخصوصية ثم ان خلفاء كرلوس مانوس الذين حكموا اباتره اقتدوا به وصاروا لا يبتون امر مصلحة مهمة الا بعد رضاء المشورة الاهلية العمومية

ثم انه فى ايام الدولة الثانية المذكورة كان اغلب الحكومة الفرنساوية دوموقراطيا (اى يحكم فيها برأى جمهور الاهالى) ولم تكن تلك المشورة من خصوصيات الاشراف والقسيسين اصحاب المناصب واكابر ضباط المملكة بل كان للاحرار من الاهالى حق فى الحضور فيها اما بانفسهم او وكلائهم ولما وصف المؤلف هانكومار كيفية انعقاد هذه المشورة قال انه فى مدة الصحو وعدم المطر كانت تنعقد فى الخلاء واما فى زمن الغيم والمطر فكانت تنعقد فى عدة محال وكان لكل طائفة من اربابها محل مخصوص فكان ارباب المناصب من القسيسين متميزين عمن لا منصب له منهم وهم اللاييك وكان الاعيان والاكابر متميزين ايضا عن غيرهم وكان لكل من الاهالى واعظم ارباب المناصب فى الدولة حق فى التشريع وترتيب القوانين ولذلك صدر امر سنة (٨٠٣) مضمونه انه اذا اريد ترتيب قانون جديد لزم عرض ذلك على الاهالى للتذاكر فيه فاذا رضوا به واقروه جرى به العمل بمقتضى امضاء وكلاء الاهالى انتهى وهناك اوامر اخرى تدل دلالة واضحة على ان الاهالى كان لهم مدخلية فى تدبير الحكومة

وكان للاهالى اذا لحقهم امر يضر بهم الحق فى التشكى للملك وطلب الانصاف منه فمما عرضوه للملك فى هذا الشان تقرير طلبوا فيه ان القسيسين يعافون من حمل السلاح ومباشرة الحرب بانفسهم وتاريخ هذا التقرير سنة (٨٠٣) وكان معروضا على الامبراطور كرلوس مانوس ومن اطلع على عبارته علم انه لا يجرأ على مثله الا من كان من الحرية والمزايا بمكان حيث ان عبارتهم تدل على انه ان اراد بقاءهم رعية له مع الامانة يبنون مطالبهم على ما يعطيه لهم

ة كيفية اقتنا آتهم واتساعها وترتب على
انقطعت العلائق المدنية والارتباطات
نظام القديم ولم يبق من العلائق بين الملك
ة فضاقت دائرة الاحكام الملوكية بحيث
لك والتزاماته ثم تلاشت الجفانت الملوكية
ى مبدء الدولة الثانية بحيث ان معظمها
س كابيت التى ورثها عن آبائه لانها كانت
تصم تامها اليها كانت الالتزامات الملوكية
ألف ريلى
فى فرانسا لم تقر الا هو عن كابيت مدلكا
عا فكان هذا الملك فى مبدء امره منازعا
أييد الاحكام الملوكية ولانقض احكام

باروتيين ان يعلبوا على الحقوق الملوكية
سا كالملوك وصارت قوانين فرانسا القديمة
ل شكل عوائد مخصوصة صارت بمفردها ديا
المعاملات المدنية وفى سائر العوائد
ى اوجبتها هاعدا ما كان عليه الفرنساوية
ع والعاشر لكنك لاترى مساعد التنسيب
لك كان يتعذر مراجعة القوانين المسطرة
وصية او فى اجرا الاقضية الشرعية
ارة المملكة على القوانين التى اوجبتها

مشورة اهلية قط ولم تحفظ بكونها رتبت
ية وذلك أن سائر الاشياء كان يعمل فيها

الفرنساوية حصل نظيره فى انكلترة اذشرعت الجمعيات البلدية فى ان تصير من ارباب مشاور التشريع ووقع فى تلك المملكة اضطراب عظيم لهذا الغرض

المبحث التاسع والثلاثون

فى بيان مطلب تغلب الملوك على حق التشريع بصحيفة (١٥٧) من القسم الثالث من اتحاف الملوك الالبا

هذا التغيير المهم الذى حصل فى ترتيب مملكة فرانسا بانتقال حق التشريع من المشورة الاهلية الى الملوك لم يعتن به المؤرخون ولم يفصلوه تفصيلا شافيا كغيره من المواضع التى اطنبوا فيها فلذلك صرفت الهمة فى بيان الوسائل التى ادت لهذا التغيير العظيم واضفت الى ذلك بعض اشياء توضح هذه الحادثة فنقول ان القوانين السالكية او السالية وقوانين البرغونيين وغيرها من القوانين التى نشرتها الطوائف التى استوطنت بلاد الغالة كانت عامة جارية على كل انسان وفى كل اقليم وخط من المملكة التى ترتبت فيها تلك القوانين ثم بطل التشديد فيها والسبب ظاهر وهو انه لما ترتبت هذه القوانين كانت جميع العقارات معافاة من الغرامات وغيرها فلما ترتبت القوانين الالتزامية نشأ عنها كثير من المجادلات والمنازعات فى شأن هذه العقارات ولم يكن فى القوانين القديمة ما يحل هذه المشكلات الجدالية حيث لم تكن مشتملة على اصول تلايم امرا لم يكن زمن ترتيبها فبهذا التغيير الحاصل فى شأن العقارات لزم نشر القوانين الجديدة التى تضمنتها الشرائع الفرنساوية فانها بالاطلاع عليها يعلم انها غالبا لا تخص طائفة دون اخرى من الطوائف الفرنساوية حيث انها كانت ترتبت فى المشاور العمومية ثم ان ضعف اغلب ملوك الدولة الثانية من فرانسا وما حصل فى مملكتهم من الاختلال الناشئ عن افساد النورمنديين اعانا البارونات على ان يكتسبوا شوكة كادوا يكونون بها مطلقى التصرف وكان هذا الامر قبل ذلك غير معروف فى فرانسا

فالانتظام والضبط مثل ليسانسات رقباء في جميع [illegible]

ومرتبها كان حريا بالاحترام خصوصا انهم [illegible] كارلوس

ايضا باعتباره وليا للملة على الوصي وقرارها [illegible] حق التشريع

لنفسه وبعد ذلك بمدة قليلة اتفقت آراء الناس على ان الشورى [illegible]

في التشريع لا تكون [illegible] ان الملك [illegible]

قانونا يخص التزاماته [illegible] ان يعمل [illegible]

واما اذا رتب قانونا عاما للكافة [illegible] العمل به في جميع [illegible]

المحاكم فانه لا ريب ان مثل هذا القانون العام لا يكون الا بعد [illegible]

في شأنه مذاكرة تامة ويظهر ان [illegible] مصلحة [illegible] الدولة

الثالثة لم يتحقق انهم جعلوا صورة اهلية عمومية في مادة القوانين

الملك هوغس كابيت والملك فيليبس الظريف [illegible] انهم كانوا يتشاورون

مع الاساقفة والبارونات الذين كانوا بديوانهم في شأن ما يريدون نشره من

القوانين الجديدة وشواهد ذلك في الكتاب المسمى مجموع الاوامر الملوكية

والظاهر ان هذه العادة مكثت في حكومة الملك سنت لويس الذي في مدته

تقوت الشوكة الملوكية واتسعت امورها [illegible]

على حد سوا فنشأ عن ذلك للملوك [illegible] التشريع [illegible]

في وسعهم اجراء [illegible] من غير مذاكرة مع الاعيان [illegible]

ثم ان المشاورات الملية [illegible]

انعقادها سنة ١٣٠٢ [illegible]

ومن وقت بطل انعقادها [illegible]

الفرنساوية الملية التي كانت تنعقد في [illegible] الدولة [illegible]

من مشاورة فرانسا وذلك انه لم يكن لها حق في المذاكرة في نشر القوانين

ولم يكن لها اقتضاء خاص بها كما اتفق على ذلك العلماء ويحتمل ايضا [illegible]

فرانسا ولنذكر لك هنا كيفية انهاء الدعاوى في مشاورات العموم المذكورة

فنقول كان يجتمع اربابها كلهم في محل واحد ثم يوجه الملك الخطاب [illegible]

بمقتضى العوايد المحلية اى كان يعمل فى كل محل على حسب عادة اهله
واذا تتبعت تقدم القوانين الفرنساوية وجدت هذا الامر ظاهرا جليا
وآخر قانون من القوانين الفرنساوية التى جمعها المؤلف بالوزة هو الذى صدر
سنة (٩٠١) من الملك كرلوس لوسنبل ولم يتجدد بعده قانون مدة مائة وثلاثين
سنة وبعد تلك المدة ظهر قانون ذكره المؤلف لوريير فى كتابه فهو اول قانون
صدر من ملوك الدولة الثالثة بعد المدة المذكورة * واول قانون يستحق
ان ينخرط فى سلك الشرآئع هو القانون الذى صدر من الملك فيليبش
اغسطوس سنة (١١٩٠) فانه انتشر فى جميع اقاليم المملكة وهذه المدة
الطويلة التى هى مائتان وتسع وستون سنة من سنة (٩٢١) الى سنة
(١١٩٠) كان يعمل فيها بالقوانين العادية السابقة ولم يتجدد فيها شئ على
شرآئع المملكة القديمة وقبل حكم فيليبش اغسطوس كان هناك قوانين
لا يعمل بها الا فى الالتزامات الملوكية

وثم عدة شواهد تدل على ما كان قائما بالملوك من الاحتراس حين اخذهم
فى ترتيب قوانين تنشر فى المملكة فقد ذكر المؤلف مبلى الامر الذى صدر من
الملك فيليبش اغسطوس سنة (١٢٠٦) فى شأن اليهود الساكنين باراضى
الملتزمين وكان كل ملتزم يتصرف فيمن كان بارضه منهم على سبيل انهم ملك
يمينه واذا تأملت هذا الامر وجدته اشبه بمشارطة خصوصية بين الملك
المذكور وكل من قونتيسة شمبانيا وملتزم دامبير لا امر ملوكى الزامى
فان ما تضمنه هذا الامر من القوانين كان عن رضاهما لا بمحض الزام الملك
وكذلك الاوامر التى صدرت عن الملك لويز الثامن سنة (١٢٢٣) فى شأن
اليهود فانها كناية عن عقد مشارطة بين الملك واشراف مملكته فيما يخص
المعاملة السيئة التى كان يعامل بها هؤلاء اليهود واما القوانين التى رتبها الملك
سنت لويز فهى وان كانت جديرة بان تكون قوانين عمومية الا انها لم تنتشر
كالشرآئع المدونة المسطرة بل كانت كالقوانين العادية المعدة للعمل بها
فى الالتزامات الملوكية لكنها لما كانت مبنية على الحكمة والعدل وموجبة

امر صعب دقيق حرى بالالتفات اليه والبحث عنه [illegible]

ان الضباط الذين كانوا اعضاء [illegible]

ينصبون من طرف الملك وتصرف [illegible] حتى تفق عدة

مرات ان الملك عزل [illegible]

ولم يكن لهم حق في التشريع على سبيل كونهم نواب الاهالي [illegible]

ان يحتج [illegible]

لا [illegible] ينفون

كان ارباب [illegible]

اربابه هم امراء [illegible] المعروفين [illegible]

والاشراف الطي[illegible]

في معرفة الشرائع والقوانين [illegible]

ان يكون مشورة وكلاء المملكة حقيقة لان اربابه كانوا من [illegible]

والاعيان الامناء فكانت عادة الملوك ان يشاوروهم في جميع الاحكام

والقوانين التي يريدون نشرها [illegible] المشورة

وكلاء المملكة [illegible] المشورة [illegible]

عادة الملوك ان يشاوروا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الدولة [illegible]

اللائق ثم يعرضه على الاهالي [illegible] يجب

على الامين المذكور ان يحفظه [illegible]

صحيحة لكل من يطلب ثم انه كان [illegible] الامين الرياسة على برلمان مدينة

باريس في مبدء الامر فلا مانع من ان الملك [illegible] يقلد هذا الامين

بوظائفه القديمة وهي تحرير القوانين الجديدة التي كانت ترتب وحفظها

ونشرها وهنالك ما يستدل به على ان ديوان البرلمان كما كان محكمة للعدل

ويفيدهم عن الغرض الذى جمعهم من اجله فيجتمع عند ذلك وكلاء المراتب الثلاث التى هى مرتبة الاشراف ومرتبة القسيسين ومرتبة الرعايا ليتذاكروا مذاكرة خصوصية مع بعضهم فى شأن ما عرض عليهم و بعد المذاكرة يكتبون اجوبتهم وما يرونه حسنا فى شأن ما تناولوا عنه ثم يعرضون ذلك على الملك ليتذاكر فيه مع ارباب ديوانه ثم يصدر امره بما انحط عليه الرأى واعلم انه لم يكن من اللازم ان يجمع فى الاوامر الملوكية بين المراتب الثلاث المتقدمة بل كان الملك فى بعض الاحيان يرسل امره لكل مرتبة بخصوصها وكان احيانا يوجه الخطاب فيه الى مجموع المراتب الثلاث واحيانا يخص بالخطاب مرتبة دون اخرى بل كان فى بعض الاحيان لا يذكر فى الامر الصادر منه مشورة المراتب التى اشارت بانشاء القانون الذى يأمر به فعلى ذلك لم يكن لمشورة وكلاء المملكة حق سوى ان تفيد رأيها وتعرضه بعد ذلك على الملك واما الشوكة التحيزية فى التشريع وترتيب القوانين فكانت من خصوصيات الملك التى لا يشركه فيها غيره

المبحث الاربعون

فى بيان مطلب تضييق الشوكة الملوكية بحكم دواوين البرلمان بصحيفة (١٦٠) من القسم الثالث من اتحاف الملوك الالبا

اذا اعتبرنا ان ديوان البرلمان الذى كان بمدينة باريس لم يكن الا محكمة ملوكية رأينا ان جميع ما يخص منشاءه وافتاآته معلوما لا يحتاج الى توضيح لانه على ذلك يكون عين الديوان القديم الذى كان سابقا بقصر الملك وانما تغيرت حالته القديمة وصار له محل قرار مخصوص وبينت جهات احكامه واتسعت دائرة افتاآته اكثر من قبل وليس الغرض من هذا المبحث ذكر الديوان المذكور بالنظر لكونه محكمة منوطة بتنفيذ بعض احكام مخصوصة وانما نذكر فيه الحق الذى كان يدعيه هذا الديوان من كونه يبين كيفية تنفيذ القدرة التشريعية ويدخل فى ادارة مصالح المملكة السياسية لان هذا

ان هذه الطريقة المذكورة لابد منها وانه لا يجوز ان يعطى امر ملكي في سلك
القوانين الجارية الا بعد المذاكرة فيه وتقييده بديوان فكان ذلك منشأ
لقاعدة من قواعد القوانين الفرنساوية وهي لا يجوز نشر قانون [illegible]
بغير هذه الطريقة ولا يعمل بالاوامر الملوكية اذا لم تكن على هذا الوجه
ولا يجب على الامة ان تنقاد لتلك الاوامر ولا تعتبرها كالقوانين الجارية
حتى تحقق في ديوان البرلمان ويتذاكر فيها على ما ينبغي انتهى ذكره
المؤلف روشفلاوين في كتابه الذي تكلم فيه على مدارس برلمان فرنسا
وقد اتفق ان ديوان البرلمان [illegible] مع [illegible] عدة مرات بل
امتنع غير مرة ان يقرر وينشر عدة اوامر ملوكية يرى انها تضر بالبلاد
او مخالفة للقوانين لاصابة المبني عليها مصالح المملكة [illegible] مؤلف
الحوادث ذلك كثير وذكر المؤلف روشفلاوين انه من سنة (١٥٦٢) الى سنة
(١٥٨٩) امتنع من ديوان البرلمان اكثر من مائة مرة ان يقرر اوامر ملوكية
وذكر المؤلف ليمنوس كثيرا من الشواهد التي تدل على العزم والثبات الذي
اظهرته دواوين البرلمان بمملكة فرنسا في قضية نشر القوانين التي تظهر
لها انها مضرة

ولكن لم يكن عند البرلمان لاجل المحافظة على المزية التي كانت بيده اشهر
[illegible] هذه المزية [illegible]
في [illegible] الملوك [illegible]
في ديوان البرلمان [illegible]
الملوكية فكان يذهب بنفسه الى الديوان المذكور ويجلس في [illegible]
المعدة له فيه ويجبر ارباب الديوان على قراءة [illegible] وعلى
تقييده ونشره بحضرته لانه كان من جملة القوانين الفرنساوية ان الملك متى
حل بمحل لا يكون لديوان البرلمان ولا لاحد من القضاة شوكة ولا نفوذ كلمة
ولا يجري شيأ بحضرة الملك كما ذكره روشفلاوين وذكر ايضا عدة
حوادث اجرى فيها الملوك هذه المزية التي خصتهم بالشوكة التشريعية

كان ابطال مشورة العموم من تلك العوائد المدنية مما سيأتى بيانه كان محكمة للعدل
وان ما يصدر منه من القوانين كان يقرّه القضاة بوضع امضائهم عليه واذا كان
هذا الامر قد جرت به العادة وصار ضرورة فكان لهذا الديوان بباريس حق
فى تحقيق الاوامر الملوكية واختبارها وهذا الامر انما هو بحسب
ما ظهر لى وسيتضح ما به كما هى عادتى اذا تعرضت للكلام على قوانين الملل
الاجنبية

وهذا الديوان العالى الذى كان فى فرانسا محكمة كبرى لاجراء العدل كان
يسمى برلمان وكان هذا الاسم يطلق على المشورة العمومية فى اواخر الدولة
الثانية ومن المعلوم ان الانسان محل النسيان بالنظر الى عقله وفعله عند
تشابه الكلمات ولذلك امكن لاغسطوس وخلفائه ان يوسعوا دائرة
شوكتهم من غير مانع ولا حصول فتن لانهم حافظوا على الاسماء القديمة التى
كان يتسمى بها القضاة فى رومة حين كانت حكومتها جمهورية وكذلك
لما كان لفظ برلمان يطلق اولا على مشورة العموم ثم سمى به ديوان باريس
ترتب على ذلك اختلاط وظائفهما ووظائفه وحقوقهما بحقوقه والتباس
ذلك على الناس

وبجميع تلك الاسباب اوقعت فى اذهان ملوك فرنسا ان ديوان البرلمان هو
الذى يصلح لتحميل الملة على ان تقرّ الملوك على الشوكة التشريعية التى كانوا
ينسبونها لانفسهم فلما كان الفرنساوية معتادين على ان القوانين الجديدة
تمتحن قبل نشرها وكان ذلك واقعا فى ديوان البرلمان كما كان واقعا فى مشورة
العموم قبل ذلك لم يدركوا الفرق فى هذا الامر بين مشورة الملة وديوان رتبه
الملك ولما كان ارباب هذا الديوان من اكابر المملكة المحترمين الذين لهم معرفة
جيدة بقوانين الملة كان ذلك كافيا فى قبول الملة القانون رتبه الملك واقره
ارباب الديوان بحيث تأخذه قضية مسلمة

ولما جرت العادة عند سائر الناس ان الاوامر الملوكية لا بد ان تقع فيها
المذاكرة وتقيد فى ديوان البرلمان بباريس آل الامر الى ان ادعى هذا الديوان

ـ الثاني والاربعون

ة بين اهالى الايمبراطوريه فى الثروة والشوكه
الـمدن اتحاف الملوك الالباب
نج شريكان درجت التقدم فى الايمبراطوريه
ت حكومتها ولا حاجة هنا الى ذكر
لى المهم من ذلك وقد حصرناه فى اربع مواد

المادة الاولى

ة واحكامهم دائما
ه الاشياء فليراجع مختصر المؤلف بفيفيل
براطرة بالنسبة الى زمنين مختلفين احدهما
: وهو سنة (١٠٢٤) فيستفاد من هذا
الايمبراطور الحق فى اقطاع الاراضى القسيسية
دة خلو الكرسى عن البابا وفى ارث مخلفات
ن رصية وفى ادرار اونقض انتخاب البابات
مذاكرة فى شان مصالح الكنيسة وفى تلقيب
م بالاراضى ا ء بالمملوكة وفى قبض ايرادات
املاك الايمبراطور ومن الغرامات والجزية
الغرامات التى كانت على اليهود ومن الاسرال
م على ايطاليا على وجه كونه مالكها الحقيقى
ى المدن وترتيب الاسواق بها وفى جمع مشورة
ها وفى ضرب المعاملة وفى الترخيص لمشورة
زمن الثانى من الزمنين المذكورين هو زمن
نبورغ وعائلة باويرة قال صاحب المختصر

وابطلت الحقوق القديمة التي كانت للمملكة الفرنساوية وذكر المؤلف بسكيير عدة شواهد تتعلق بالمحل السلطاني في ديوان البرلمان وذكر ايضا المؤلف ليغنوس عدة حوادث اخرى لا يليق ايرادها هنا لطولها وان كانت توضح هذا الامر المهم من تاريخ فرانسا وتلك المزية الملوكية وان كان يظهر انها من باب الظلم الا انها مبنية على القوانين الاصلية في المملكة وثابتة ايضا بشواهد عديدة وبهذا كانت مجهودات دواوين البرلمان في تحديد الشوكة الشهريعية الملوكية غير نافعة ولا طائل تحتها

ولم نتعرض في هذا المقام الا لبيان ديوان البرلمان بباريس حيث ذكرنا كيفية ترتيبه واحكامه دون غيره من دواوين البرلمان بفرانسا الان تلك الدواوين كلها كانت على نسق برلمان باريس فما قيل فيه يقال فيها

المبحث الحادى والاربعون

في بيان مطلب المشاحرات التي حصلت بين البابات والايمبراطرة بصحيفة (١٦٥) من القسم الثالث من اتحاف الملوك الالبا

لا يخفى ان الحالة السيئة التي تلجئ اكابر الايمبراطرة الى التذلل والخضوع لطلب الصفح من آحاد البابات هي امر غريب جدا وقد عبر المؤلف اغرغوار عن هذه الحادثة بعبارات جديرة بايرادها هنا لانها تدل بوجه غريب على كبر البابا واساءته للايمبراطور ونصها مكث الايمبراطور ثلاثة ايام وهو على باب خيمة البابا بعد ان نزع جميع علامات المنصب الايمبراطوري وخلع نعاله ولبس ثوبا من الشعر ولا زال في هذه المدة يتضرع ويطلب الصفح عنه ويلتمس الرحمة من البابا بحيث ان جميع من حضروا هذا الامر او بلغهم ذلك رثوا لحاله ورحمت قلوبهم اليه وتوسلوا الى البابا بالدمع والانتحاب والتذلل في الخطاب وتعجبوا جميعا من هذه القساوة التي ليست من شيم القلوب البشرية انتهى راجع مكتوب اغرغوار في كتاب القونتيسة ماتيلدة

المؤلف كلوكيوس الذى ذكرته آنفا •

وكان للامبراطرة ايضا اخطاط كبيرة من الاراضى كانت مختلطة باراضى الدوقات والبارونات وكانت عادة الامبراطرة ان يسقوا غالبا على هذه الالتزامات ويستخرجوا منها ما يلزم لهم فى كفاية دواوينهم مدة اقامتهم بتلك الالتزامات ثم تغلب الاشراف على بعض هذه الاراضى الامبراطورية مدة الفترة الطويلة والحروب المهولة التى نشأت عن المشاجرات الحاصلة بين الامبراطرة والپابات بل فى مدة التغلب على اراضى الامبراطرة كان ينزع منهم ايضا جميع الايرادات البرانية الطارئة ككس وكرنثو وما اشبه ذلك فاثبت الامراء والبارونات لانفسهم سائر محصولات الفردو والغرامات التى كانت ترجع للامبراطرة كذا ذكر المؤلف بفيفيل، ثم ان كرلوس الرابع بطمعه الشديد المفرط بدد الآثار القليلة التى كانت باقية من الايرادات الامبراطورية لانه فى سنة (١٣٧٦) اراد ان يحمل الامراء المنوطين بحق الانتخاب على ان يجعلوا ابنه وانسيلاس ملكا على الرومانيين فوعدهم بان يعطى لكل امير منهم مائة الف كورون (هو نوع من النقود) ولكن حيث كان لا يمكنه ان يفى بهذا المبلغ الجسيم وكان ستولعا جدا بجعل ابنه ملكا على الرومانيين اعطى لقسيسى الثلاثة ارباب الانتخاب ولمقوسة الپلاطينى جميع الاراضى والبلدان التى كانت باقية للامبراطرة على شواطئ الرين واعطاهم ايضا الحقوق والغرامات التى كان يأخذها الامبراطرة من هذا الخط وقد بين مقادير تلك الاراضى والحقوق المؤلف نرتيم ومؤلف تاريخ اقليم سكدبورغ وذكرا ان هذه العطية هى آخر سهم اصيبت به الشركة الامبراطورية ومن ذلك الوقت صارت بقايا الايرادات الامبراطورية القديمة واهية جدا بحيث لم تكن كافية لمصاريف بيت الامبراطور بل ولم تقم بمصاريف البوسطة التى كانت فى الامبراطورية على ما ذكره المؤلف سپيديليوس وكانت هذه الايرادات مع قلتها لم تزل آخذة فى التناقص حتى ان الكرديفال غرانويل وزير الامبراطور شرلكان قال سنة (١٥٤٦) بحضرة عدة من امراء المانيا

السابق ما حاصله ان مزايا الايمبراطور في هذا الزمن هي كونه له الحق في اعطاء جميع المناصب والالقاب ما عدا تنصيب ارباب مشورة الدييت وفي تنصيب رئيس واحد مدة حكومته على كل جمعية قسيسية او محل ديني وفي المعافاة من تقييد الرشد بالاجل المعلوم وفي احداث مدن واعطائها مزية ضرب المعاملة وفي جمع مشاور الدييت والرياسة عليها * ويسهل علينا ان نبرهن على ان المؤلف بفيفيل بي ماذكره في هذا المعنى على قواعد متينة ونعضد ما ابداه في هذا الشان بشواهد ذكرها من يوثق بكلامه من المؤلفين وقد استبان مما نقلناه ان الايمبراطرة في الزمن الاول كانوا اقوياء الشوكة وانهم كانوا يتمتعون باعظم المزايا وانهم في الزمن الثاني كانوا اشبه برؤساء معاهدة شوكتهم ضيقة جدا

ثم ان ايرادات الايمبراطرة قد نقصت ايضا وتلاشت اكثر من شوكتهم وذلك ان الايمبراطرة الاولين لاسيما ايمبراطرة العائلة السكسونية كان لهم التزامات واسعة جدا في ايطاليا والنمسا غير الالتزامات الكثيرة التي ورثوها عن آبائهم وكانت ايطاليا تنسب للايمبراطرة وحكمها مقصورا عليهم فكان يرد اليهم منها ايرادات عظيمة ثم بيعت التزامات الايمبراطرة التي بتلك المملكة فكانت اول مملكة بيعت فيها الاراضي الايمبراطورية وذلك انه لما صارت مدائن ايطاليا ذات غنى وثروة وارادت ان تستقل بنفسها اشترت من الايمبراطرة حريتها بمبالغ من الدراهم بينها المؤلف غسبار كاوكيوس وذكر ايضا الملوك الذين عقدوا هذا البيع مع تلك المدن منهم كرلوس الرابع وابنه وانسيسلاس باعا جميع الالتزامات الايمبراطورية التي كانت باقية في ايطاليا ثم ان الالتزامات الايمبراطورية في مملكة المانيا كان معظمها على شواطئ نهر الرين وكان القونتات البالاطينية (اي قونتات نهر الرين) هم الموكلون بادارة مصالحها ومكثت هذه الالتزامات مدة مستطيلة معتبرة جزأ من اراضي المملكة ويعسر علينا بيان حدودها ومقادير ايراداتها ولكن يمكن ان نستفيد بعض فائدة في هذا الشان مما ذكره المؤلف غلوسير وقد فصله

المؤلف

(١١٢٥) ان ستين الف نفس حضروا لانتخاب الاميراطور لوتير الثانى لما انه انتخبه امرؤساء ثم عرض ذلك على الاهالى ليقروه كما ذكره ستروبيوس ثم ان اول مؤلف تكلم على السبعة المنتخبين هو المؤلف مارطين بولونيوس الذى كان موجودا فى ايام الملك افريدريق الثانى ومات سنة (١٢٥٠) فيفهم مما ذكرنا ان طريقة الانتخاب سابقا هى ان يفوض الاهالى لاكبر امرائهم واعظمهم شوكة ان ينتخبوا الشخص الذى يريدون تسليم الاميراطورية اليه ثم يعرضون من انتخبوه على الاهالى فان شاؤا اقروا هذا الامر والا فلا ثم ان مزية العرض فى هذا الشان تسمى عند قدماء المانيا حق البريتكساسيون كما ذكره المؤلف بفيفيل وهذه المزية كانت اصل الحق الذى ادعاه المنتخبون فيما بعد من ان لهم حق الانتخاب دون غيرهم وكان لهؤلاء التزامات واسعة جدا لم تكن لغيرهم من الامراء فى الاميراطورية وكانت جميع المناصب العالية بايديهم وتنتقل من بعدهم الى ورثتهم على سبيل الحقوق الوراثية وبمجرد ما صار لهم فى الانتخاب نفوذ كلمة بحيث يمكنهم ان ينسبوا الى انفسهم حق البريتكساسيون رأى قسيسو المرتبة الثانية واصاغر البارونات ان الاوفق بهم ان لا يحضروا فى سنا ورالديت حيث لا فائدة لهم فيها الا كونهم يقرون ما حكم به من تقدم ذكرهم وكان ذلك [illegible] لا يمكن لاحد من البارونات ان يذهب الى محل [illegible] الانتخاب الا وخلفه جم غفير من اهل السلاح من اتباعه الذين كانت مصاريفهم على طرفه وزيادة على ذلك كان حق السبعة المنتخبين معتبرا بشارات وظائفهم لانهم كانوا يشركونهم فى شرف [illegible] لاعتبار [illegible] [illegible] من هذا الحق كما ذكره المؤلف بفيفيل ثم ان السبعة المنتخبين صاروا [illegible] بمنزلة ارباب الرتبة الاولى من امراء الجمعية الجرمانية وهؤلاء السبعة كان فيهم ثلاثة مطارنة اسناء على ثلاثة اخطاط كبيرة كانت الاميراطورية سابقا محصورة فيها وهى دوق وقوسة وهذه المقتضيات بانضمامها الى بعضها سهل بها جدا حصول حادثة الانتخاب المهمة فى الجمعية الجرمانية وبهذه

ان الايمبراطور شرلكان لم يدخل له من الايمبراطورية شئ من الاموال ذكر ذلك المؤلف سليدان فى تاريخه وهذه الكيفية موجودة الى الآن كما ذكره المؤلف كولك دوويلرى فى مختصره الذى تكلم فيه على حقوق الايمبراطورية ومن منذ حكومة كرلوس الرابع التى سماها مكسيمليان وباء الايمبراطورية لم يبق للايمبراطرة الا التزاماتهم الوراثية فبها كان حفظ شوكتهم ومعاشهم

المادة الثانية

فى بيان كيفية انتخاب الايمبراطرة سابقا وما اعتراها من التغيير

حيث ان هذه المادة مهمة احتيج الى توضيحها فنقول ان التاج الايمبراطورى هو كغيره من تيجان اغلب ممالك اوروبا لم يكن ينال احد فى مبدء الامر الا بطريق الانتخاب وقد مكث علماء المانيا وفقهاؤها زمنا طويلا وهم يقولون ان حق انتخاب الايمبراطور انما كان لمطران ميانسة ومطران كولونيا ومطران ترونة ومعهم ملك بوهيمه ودوق سكس وملتزم برندبورغ وقونتة الرين البالاطينى وزعموا ان هذا الحق قد ثبت لهؤلاء الجماعة بامر صدر من الايمبراطور اوتون الثالث واقره اغرغوار الخامس سنة (٩٩٦) ولكن جميع الوقائع المعروفة فى التواريخ تخالف ذلك فانه من مبدء تاريخ المانيا حصل ان من يحكم على الجميع يكون بانتخاب الجميع كما حصل فى تولية كونراد الاول فانما انتخبته لذلك امة الفرنك باجمعها كما ذكره بعض المؤرخين وذهب آخرون الى انه انتخبه جميع الامراء والرؤساء وقال جماعة انتخبته الملة وقد ذكر عبارات هؤلاء المؤرخين المختلفين المؤلف ستروبوس والمؤلف كونجيوس

وقد حصل فى سنة (١٠٢٤) ان الملك كونراد الثانى تولى على الايمبراطورية بموجب انتخاب جميع الرؤساء واقرار الاهالى كما ذكره ستروبوس مع ان هذا الزمن متأخر عن زمن تاريخ الامر الصادر من الايمبراطور اوتون الثالث الذى ادعاه العلماء والفقهاء الذين سبق ذكرهم وقد حصل ايضا فى سنة

بالايمبراطورية النمساوية والالزم التصدى الى تفاصيل واسعة حتى نفى
بالكلام على كيفية انعقاد مشورة الديت وعلى الاشخاص الذين كان لهم
الحق فى الحضور بها وعلى تقسيمها الى عدة مراتب مختلفة وعلى المواد التى هى
موضوع مذاكراتها وعلى كيفية المذاكرة فى هذه المواد وابداء الاراء فيها وعلى
نفوذ اوامر اربابها ولكن حيث ان تاريخنا هذا عمومى يتكلم على ممالك كثيرة
يكفى ان ننبه فيه على ان مشورة الديت المذكورة كانت فى الاصل مشابهة
لمشورة ادارو مشورة ايار التين كانتا بفرانسا فانها كانت تنعقد فى كل سنة
مرة فاكثر وكل انسان حر له الحق فى حضورها وابداء رأيه فيها فهى كناية عن
مجلس يجتمع فيه الملك والرعية للمذاكرة فى شان المصالح العمومية يذكره المؤلف
اروموس ولكن لما صار للامراء وامحاب المناصب ... والبارونات
اقطاعات الزامية يحكمون بها على حدتهم صارت تلك المشورة مؤلفة من
مراتب مختلفة من الناس فكانت اشبه بمعاهدة رئيسها الايمبراطور
وفى مدة ما كانت الايمبراطورية باقية على ترتيبها الاصلى كان الحضور
بالمشورة المذكورة من جملة الواجبات والخدم التى توجبها القوانين الاصلية
على الرعية الملكية فكان كل انسان حر يجب عليه ان يحضر فيها بنفسه وكل
من تخلف عن ذلك زال منه حق اعطاء الرأى وربما حكم عليه بغرامة حسبما
ذكره المؤلف اروموس ولما صار ارباب مشورة الديت مستقلين بانفسهم
صار حق ابداء الرأى منوطا بالاراضى او المناصب لا بالاشخاص وعلى
ذلك كان اذا تعذر الحضور على احد من اربابها ولم يرد ان يحضر فيها بنفسه
يسوغ له ان يبعث اليها وكيلا ينوب عنه وكان الامر فى بعض الاحيان وكان
كل وكيل مرخصا فى اجراء ما كان من وظيفة موكله ويقتضى هذا الاصل
وهو استقلال ارباب تلك المشورة وكون كل واحد منهم له الحق فى ابداء رأيه
حصل بالتدريج انه اذا كان انسان منهم له عدة مناصب او اراض كان له الحق
فى ابداء اراء بقدر مناصبه او اراضيه كما ذكره المؤلف بفيفيل ولما صارت مدن
الايمبراطورية حرة وصارت احكامها مستقلة نافذة صارت من اعضاء

الامور اللازمة لتفصيل ما يتعلق بهذا الامر السياسى قد بينها المؤلف اوبوفر پا نو ينيوس الذى كان فى عصر شرلكان فى مختصره الذى ينبغى الاعضاء عن الهفوة التى ارتكبها فيه من اظهار الغرض فى شأن الشوكة التى كان ينسبها البابات لانفسهم فى الايمبراطورية فانه مختصر جليل له مزيد فضل بكونه من اول المؤلفات التى تصدت لتحقيق عدة مواضع مشكلة من التاريخ نحررها هذا المؤلف مع غاية الاتقان والاعتناء اللازم لاستنباط الشواهد من الكتب القديمة وتواريخ اهل عصره

وكما ان المنتخبين ادّعوا ان لهم دون غيرهم الحق فى انتخاب الايمبراطور وتوليته زعموا ايضا ان لهم الحق فى عزله وهذا الزعم لم يكن بمجرد الدعوى فقط بل حصل انهم اجروا عدة مرات هذا الحق المهم ففى سنة (١٢٩٨) اتفق ان بعض المنتخبين عزل الايمبراطور رادواف دوناسو وولى بدله البيرت دوتريش والاسباب التى بنوا عليها حكمهم فى ذلك تدل على انهم انما كانوا يفعلون ذلك لمحض التحزب والغرض لا للمصلحة العمومية كما ذكره المؤلف ستروبوس وفى اول سنى القرن الخامس عشر عزل المنتخبون ايضا الايمبراطور وانسيلاس والبسوا التاج الايمبراطورى للمنتخب الپالاطينى المسمى روبيرت والاوامر التى صدرت عنهم بذلك موجودة الى الآن ذكره المؤلف غولدست فعهد ان العزل حصل باسم المنتخبين وشوكتهم واقرار عدة احبار وبارونات من الايمبراطورية كانوا حاضرين وقت الحكم وبمثل تلك الاوامر يعلم عظم شوكة المنتخبين وضعف الايمبراطرة وانحطاط درجتهم

ثم ان المزايا الاخرى التى كانت ثابتة للمنتخبين والحقوق التى كانت لمشورة الانتخاب قد بينها المؤلفون الذين الفوا كتبهم فى شأن حقوق المانيا

المادة الثالثة

فى الكلام على مشورة الديت او مشورة العموم التى كانت تنعقد فى الايمبراطورية

لانطنب فى الكلام على هذه المادة لانه ليس القصد ان نؤلف تاريخا خاصا

بالايمبراطورية

تلك المشورة عند انعقادها بتأخرين من عدة الاف وبسبب تلك عزيمة بونغه في كثرة ارباحها كان يتعذر عليهم ان يبتوا امرا في شأن الحقوق كما ذكره المؤلف سترو يوس وكانت مدة انعقادها لا تزيد على يوميار لانه لم يكن معهم وقت يسمعون فيه مسئلة مشكلة حتى يتذاكروا فيها كما ذكره المؤلف بفيفيل فبذلك كانت المانيا محرومة من محكمة شرعية تجبر خلل المصائب التي تشكلت فيها عن الحروب الخصوصية

وقد استعمل في المانيا جميع الوسايط التي استعملت في غيرها من ممالك اوربا لابطال هذه العادة الخشنية كما سبق في المبحث الحادي والعشرين الا انها لم تجد في المانيا نفعا وكذلك معاهدات الاشراف على حفظ الامن في هذه الايمبراطورية وتقسيمها الى عدة ايالات لهذا الغرض كما بيناه في المبحث المذكور لم ينشأ عنها منفعة وبالجملة فالدواء الاخير الذي استعمله اهل المانيا لمعالجة هذا الداء هو انهم جعلوا للحكم بين الخصمين حكما يفصل دعواهما يسمونه اوستروغو وتحالف البارونات وارباب مشورة الديت في عدة من اقطار المانيا على ان يرجعوا في مشاجراتهم الى الاوستروغو وان ينقادوا لما يحكم به بحيث يكون حكمه عليهم بتيا لا ينقض وفي بعض الاحيان كانوا يعينون في وثيقة المحالفة الحكم الذي يحكم بينهم كما ذكر المؤلف لودويك وفي بعض احيان اخرى كان الحكم المذكور ينتخبه المتشاحنان وتارة كان يوصف منصبه لشخص من ارباب من الدعوة وتارة كان انتخابه بالقرعة كما ذكره المؤلف سبيدليوس وغيره وبمجرد حدوث هذه العادة صارت المحاكم العمومية لا نفع لها في الاعقاب بل كادت تبطل بالكلية

فلما اراد الايمبراطور مكسيميليان ان يعيد شوكة الحكومة احدث المجلس الايمبراطوري في الزمن الذي بيناه في الاتحاف وكان ارباب هذا المجلس اولا ستة عشر قاضيا غير رئيسهم الذي كان ينتخب دائما من اشراف الرتبة الاولى وكان الذي يدفع الايمبراطور جوامك القضاة فكان بعض

مشورة الدييت على النسق السابق وكان لهذه المشورة الكلمة فى سائر ما يخص
المصلحة العمومية للجمعية الجرمانية وجميع ما يتعلق بها من حيث كونها
معاهدة واما تدبير المصالح الداخلية فلم يكن من وظائفها ما لم يترتب عليه امر
يوجب التعكير فى المملكه او يخشى منه عدم الانتظام واختلال الامن العام

المادة الرابعة

فى الكلام على المجلس الايمبراطورى

اعلم ان هذا المجلس الذى كانت احكامه السبب الاصلى فى تجديد انتظام
والامن فى المانيا كان الغرض من انشائه منع الفشل والفتن التى نشأت
فى الايمبراطورية عن عادة الحروب الخصوصية وقد تكلمنا فيما سبق على منشاء
هذه العادة الفاسدة وبينا تقدمها واتساعها وما ترتب عليها من النتائج الخطرة
مع الاطناب الذى يلايم مثل هذه العادة السيئة التى عظم تأثيرها فى القرون
الوسطى والظاهر ان الحروب الشخصية كانت فى المانيا اكثر منها فى غيرها
وان عواقبها اضرت بتلك الايمبراطورية اكثر من اضرارها بغيرها من ممالك
اوربا وشواهد ذلك واضحة فمنها ان جمعية الاشراف فى المانيا كانت عديدة جدا
فكانت المشاجرات والمنازعات كثيرة جدا على قدر عددهم خصوصا
وكانت احكامهم وافتاآتهم التى تخص التزاماتهم واسعة جدا بحيث لم يكن
لاشراف ملة اخرى مثلها فكانوا فى الحقيقة ملوكا مستقلين وطلبوا لانفسهم
جميع المزايا الملوكية لاسيما والفترة الطويلة التى خلت فيها الايمبراطورية عن
الايمبراطور وهى من (سنة ١٢٥٦) الى (سنة ١٢٧٣) عودتهم على تجاوز
الحدود حيث لم يكن هناك من يرد جماحهم حتى نسوا ما يجب من الطاعة
لحفظ الراحة العمومية ففى مدة ما كانت ممالك اوربا الاخرى آخذة فى نمو
الشوكة وازدياد الايرادات كانت شوكة ايمبراطورية المانيا وايراداتها آخذة
فى التناقص والاضمحلال ولم يكن هناك من له حق فى الحكم فى مشاجرات
البارونات الاقويا ولا شوكة تجبرهم على الرضا بحكمه الا مشورة الدييت
ولكنها لم تكن تنعقد وتنتظم الا نادرا كما ذكره المؤلف كونرنجيوس وكان ارباب

مع السرعة التامة كما ذكره المؤلف بوفاندورف والمؤلف بفيفيل

المبحث الثالث والاربعون

في بيان مطلب ظاهر هذه الدولة (اى الدولة العثمانية) بصحيفة (١٧٠)
من القسم الثالث من اتحاف الملوك الالبا
ما ذكرناه في وصف دولة الترك موافق لما ذكره محققو السواحين الذين دخلوا
اراضي تلك الدولة وان خالف في ذلك الفونتة مارسيغلي في مختصره الذي
الفه في الحالة العسكرية للدولة العثمانية وكذلك سيرجاميورتير مؤلف
الكتاب المسمى ملحوظات ديانة الترك وشرائعهم وحكومتهم واخلاقهم
حيث ان هذين المؤلفين قد خالفا من كتب في شأن ترتيب سياسة هذه الدولة
الشديدة الباس ومنشأ مخالفتهما طول مكثهما في تلك البلاد فوجدا
في بعض سياساتها عدلا وانتظاما فلم يصفا هذه الدولة بانها ظالمة محضة
كما قال به غيرهما ولكن اذا قيل في حق حكومة ما انها ظالمة
فلا يلزم من ذلك ان الملك افعاله دائما مبنية على الظلم والاجحاف خالية عن
العدل والانصاف وايضا جميع انواع الحكومات لابد وان تكون ادارتها
المعتادة مضبوطة ببعض اصول مؤسسة على العدل مالم يكن الملك ظالما
ذا طيش واختلال وان لم يبذل صاحب الادارة غاية جهده في تحصيل
السعادة لرعيته فلا اقل من كونه لا يجعل غرضه شقاهم وابادتهم فهل يمكن
ان نطلق اسما آخر غير الحكومة الظلمية على دولة فيها الملك يحكم باطلاق
تصرف على جيوش عديدة ويتصرف كيف شاء في ارادتها الواسعة وليس
للاهالي فيها شئ من المزايا ولا دخل في حق التشريع لا بمباشرة ولا بواسطة
ولا يوجد فيها جمعية اشراف تغار على حفظ حقوقها ومزاياها التي يرثها
الفرع عن الاصل بحيث ان هؤلاء الاشراف يكونون حاجزا بين الملك والرعية
نعم ان الدين وعساكر القابوى كولى يضيقان شوكة السلطان تضييقا بينا
ولكن هذا لا يكفي في عدم تسميتها بالحكومة الظلمية لانه لا يغير صورتها

بانتخاب الايمبراطور وبعضهم بانتخاب مشورة الدييت على وجه معلوم لا حاجة للاطالة ببيانه وكان يفرض على مشورة الدييت برضاها بمقدار معلوم تصرف منه ماهيات قضاة هذا المجلس وغيرهم من المستخدمين فيه ثم ان هذا المجلس ترتب اولا فى مدينة فرنكفور التى على نهر مان ثم نقل فى ايام الايمبراطور شرلكان الى مدينة سبيره ومكث بها مدة تزيد على مائة وخمسين سنة وهو الآن فى مدينة وتيزلارة ومن وظائف هذا المجلس الحكم فى سائر الدعاوى المدنية التى تقع فى الايمبراطورية وحكمه فيها نافذ لا ينقض ومن وظائفه ايضا الحكم فى الجنايات التى تضر بالامن العام كما ذكره المؤلف بفيفيل

واما الدعاوى التى تخص الحقوق الالتزامية او تخص اراضى ايطاليا التى هى من تعلقات الايمبراطورية فكان الحكم فيها للمشورة الاوليقية اى المشورة العليا التى كان ترتيبها على نسق ترتيب الديوان الملوكى القديم الذى كان احدثه ايمبراطرة المانيا ولم تكن هذه المشورة الاوليقية تكتسب شوكتها من مشورة الدييت بل كان الايمبراطور هو الذى له الحق دون غيره فى تعيين اربابها بارادته واختياره واصل منشاء هذه المشورة هو ان الايمبراطور مكسميليان لما عزم على ان يسترد بعض الشوكة التى فقدها بسبب عظم شوكة المجلس الايمبراطورى جمع لهذا الغرض مشورة الدييت فرخصت له سنة (١٥١٢) ان يرتب المشورة الاوليقية ومن ذلك الوقت صار اعظم غرض سياسى يهتم به ديوان مدينة ويانة هو توسيع دائرة احكام المشورة الاوليقية وتقوية شوكتها لتضمحل بذلك شوكة المجلس الايمبراطورى وتنحصر احكامه فى حدود ضيقة ثم ان المجلس المذكور فترت همته فى فصل الدعاوى فكان يطول امدها من غير تنجيز فانتهز الايمبراطرة هذه الفرصة ليتوصلوا بها الى مقصدهم لان هذا التوانى لازم لمجلس اربابه انتخبتهم مشورة الدييت يتغارون من بعضهم ولا التئام بينهم بخلاف المشورة الاوليقية فان رئيسها واحد لا تقبل حكما من غيره فبذلك كانت تجرى المصالح بلا توان وتنجزها

غريبة تدل دلالة واضحة على ان هذه الطائفة لم يكن لها من الشوكة الاشئ
واه لا يقمع السلطان عن فعل مايشاء وهذه الواسطة على ماذكره المؤلف
سيرجام هى ان هذه الطائفة لم يمكنها منع المظالم التى كانت حاصلة فى الادارة
اذ ذاك الا بحرق مدينة القسطنطينية ولا يخفى ما فى ذلك من الغرابة
والظاهر ان هذا المؤلف لا يقول ان عساكر القابوى كولى اى الحجاب آلة
مقوية لشوكة السلطان ولا مانع لتصرفه وبنى هذا الرأى على ان عدد هؤلاء
العساكر قليل بالنسبة الى العساكر الاخرى التى تتألف منها الجيوش العثمانية
وعلى انهم فى زمن الصلح لا يشتغلون بالفنون العسكرية واما قول ان العساكر
الذين يكونون محافظين على التخت وان كانوا قليلين لا بد وان يكون لهم
سلاطة على ذات السلطان فمن باب اولى تكون لهم السلاطة على الحكومة
فان العساكر البريطوريانية الذين كانوا محافظين على الدولة الرومانية
كانوا قليلين جدا بالنسبة الى غيرهم من العساكر الذين كانوا فى اقاليم تلك
الدولة بل عساكر القابوى كولى اكثر عددا من البريطوريانية فلا شك ان لهم
من الشوكة ما للبريطوريانية فيكونون مهابين عند السلطان والرعية
ثم ان الانكشارية لم يكونوا وقت وصفنا لهم بما ذكرنا على الحالة التى هم
عليها الآن من ضعفهم فى العسكرية وقد ذكر المؤلف سيرجام ان الانكشارية
لم يعزلوا سلطانا قط بمحض شوكتهم بل كانوا يستندون فى ذلك الى الشريعة
حقيقة او ادعاء فكان المفتى يفيد السلطان استحقاق الحكم الشرعى الذى
يوجب عزله وهذا لا يرد علينا لان هذا امر معلوم ان جميع ماينتج من القيام
والخروج عن الطاعة ولو من العسكر لا يترتب عليه غرض العاصين
الا اذا اقرته القوانين السياسية والشرعية التى هى مبنى نظام المملكة
والغرض مما اوردته فى هذا المقام توجيه آراءى لا مناقشة ما ذكره المؤلف
سيرجام الذى اثنى فى حقنا بعبارات حسنة ومدحنا فى التنبيهات التى اوردها
على ما نراه مما يسعد المؤلفين الذين يتصدون لافادة الناس آراءهم اذا كان
ما يبدونه من المناقشات لرد ماورد على تآليفهم محل [illegible]

ولاحالتها التي هي عليها فلا يخفى انه اذا اراد ملك ظالم ان يعد عساكر لتعضيد
شوكته يجعل لهذه العساكر الشوكة الكبرى فهذا هو سبب تعاظم العساكر
في الدولة العثمانية فحينئذ الانكشارية كان لهم سطوة كبيرة وبأس شديد
في الدولة وهذا لا يمنع من كون حكومتها ظالمية فان العساكر البريطوريانية
في مدينة رومة كانت تعزل الملوك وتقتلهم وتولى من شاءت على الامبراطورية
كما فعلت العساكر الانكشارية في مدينة القسطنطينية ومع ذلك اتفقت كلمة
المولفين السياسيين على ان امبراطرة رومة كانوا ظالمين مطلقي التصرف
ثم ان المؤلف سيرجامبورتير مؤلف المخطوطات السابقة ذكر في مقدمة كتابه
في الطباعة الثانية بعض تنبيهات تتعلق بموضوع هذا المبحث ولا اثق بصحة
ما ابديه في هذا المقام مما يخالف رأى هذا المؤلف الذي بذل جهده في البحث
عن حالة حكومة الترك ووصفها باوصاف تدل على ان معارفه في ذلك غزيرة
لكن بعد الفحص الشديد مرارا عديدة عن هذا الغرض ظهر لنا ان هذه
الحكومة لا يمكن نظمها الا في سلك الحكومات التي سماها المؤلفون
السياسيون بالظالمية فلا ترى في قوانين الترك ما يمنع السلطان عن تنفيذ
ما يريد تنجيزه بشوكته المطلقة الا الشيئين اللذين تكلمنا عليهما احدهما
مأخوذ من الدين الذي هو اساس للشوكة السلطانية والآخر هو العساكر
الذين يحتاج اليهم في حفظ شوكته وذكر المؤلف سيرجام السابق ان العلماء
حاجز بين السلطان ورعيته وفيه ان شوكتهم المانعة لتصرف السلطان
وان بلغت ما بلغت لا تخرج عن الدين ثم ان طائفة الملالى ينتخب منها المفتى
وغيره من اهل الشريعة هم علماء الدين وانما كانت محترمة عند هؤلاء الناس
لانها ترجمان القرآن ومبينة لاسراره الالهية وعلى هذا فما تمنع به هذه
الطائفة تصرف السلطان ليس خارجا عن الشيئين المذكورين على ان شوكتهم
في ذلك ضعيفة فان المفتى الذي هو رئيس هذه الطائفة ومن يلحق بها من اهل
الشريعة ينصبه السلطان ويعزله متى شاء وقد حصل سنة (١٧٤٦)
ان طائفة العلماء ارادت عزل وزير كانت تبغضه فسلكت في ذلك واسطة

كما ذكره المؤلف مارسيغلي ومع ان هذا السلطان كان ذا حزم وعزم وشوكة
في قمع الانكشارية وادخالهم تحت الطاعة ادرك بعض المتبصرين العارفين
في زمنه ان هؤلاء العساكر لابد وان يضروا حالا او مآلا بشوكة
السلاطين وقد ذكر المؤلف نقولة دوفنواس وكان مع ارامون ايلچي هنرى
الرابع ملك فرانسا عند السلطان سليمان في رحلته اوصاف الانكشارية
ومدحهم بالضبط والربط والبراعة العسكرية الا انه ادرك ان هؤلاء العساكر
لابد ان يصيروا ذات يوم مخوفين على السلاطين ويفعلوا في القسطنطينية نظير
ما فعله العساكر البريطوريانية في مدينة رومة

المبحث الخامس والاربعون

في بيان مطالب ما فاق العثمانية به النصارى في القرن السادس عشر بصحيفة
(١٧٩) من القسم الثالث من اتحاف الملوك الالبا

السلطان سليمان الملقب بالسلطان الفاخر ويعرف عند الترك بالقانوني
هو اول من ابدع تدبير الخزائن وجعلها على صورة منتظمة واحكم ترتيب
العسكرية في الدولة العثمانية فقسم الجيوش الى عساكر قابوي كولية وهؤلاء
هم الذين كانوا في الحقيقة سلاحدارية [illegible] عسكرية والى [illegible] كولية
اى العساكر المعدة لمحافظة [illegible]
اصحاب الاراضي اي [illegible] وهو اساس [illegible]
السلطان على [illegible] العمرى [illegible]
قريبة من الالتزامات [illegible] وقد بين السلطان سليمان
في قانون نامه الذى رتبه مقدار هذه الاراضي من كل اقليم من اقاليم
السلطنة وبين ايضا عدد العساكر الذى يجب على صاحب الارض جلبه
وعين ماهية كل عسكرى مادام في الخدمة العسكرية وقد لخص هذا القانون
كل من القونتة مارسيغلي والامير بواص ريكوت ويظهر ان مقدار العساكر
العثمانية المعتاد كان يزيد على مائة وخمسين الفا وبانضمام هذه العساكر

والوقار والظاهران هذا المؤلف فى بعض تنبيهاته لم يقف على حقيقة ماقصدته
فى بعض عباراتى فانى لم اقصد بذكرطول مكث هذا المؤلف والقوتة
مارسيغلى ببلاد الترك ان اضعف ماذهبا اليه فى شأن هذه الدولة وانما ذكرته
لغرض آخر وهوان من اطلع عليه لا يأخذ رأيى قضية مسلمة حيث انه مخالف
لرأى هذين المؤلفين اللذين تيسرت لهما معرفة احوال تلك الدولة بوسايط
امكن واحكم مما تيسر لى منها

المبحث الرابع والاربعون

فى بيان مطلب تحديد قدرة السلطان وتقييد افعاله بالدين ومطلب تضييق قوة السلطان بالعساكر بصحيفتى (١٧٦) و(١٧٧) من القسم الثالث من اتحاف الملوك الالبا

جميع المؤلفين الذين تكلموا على دولة الترك ذكروا منشأ ترتيب الانكشارية ووصفوا النساما كانوا عليه من الضبط والربط وما كان لهم من المزايا والمهارة العسكرية وقد بين الامير كانتومير الحمية الدينية التى توصل بها الى غرس الشجاعة فى قلوب الانكشارية فقال لما جدد السلطان مراد الاول ارطة من هؤلاء العساكر بعثها الى الحاج بكتاش وكان من الاولياء عندهم اشتهر بالكرامات والاخبار بالمغيبات وارسل اليه يترجاه ان يسمى هذا الجيش الجديد باسم ويعطيه لوآء ويسأل الله تعالى ان يعينهم فى غزواتهم فلما مثل هؤلاء العساكر بين يديه وضع كمه على رأس احد رؤسائهم وقال ليسموهم بالانكشارية واخذ فى الدعاء لهم فقال اللهم اجعل لهم الشوكة القوية دآئما ابدا * واجعل النصرة بايديهم سرمدا * واجعل نصالهم قاطعة * وسنانهم على هامات اعدآئهم لامعة * واجعلهم فى كل وجهة مسرورين * وردهم امنين فرحين * انتهى

ولم يكن عددهم فى مبدء الامر كثيرا جدا فكانت عدتهم سنة (١٥٢١) فى ايام السلطان سليمان اثنى عشر الفا ثم اخذوا فى الكثرة من ذالك الوقت

وليس ذلك منى اهمالا فى مؤلفات هذا الرجل العجيب الذى بذكاء قريحته واتساع دائرة معارفه تمرّن على اعاب انواع الانشاآت الادبية فاغلب مؤلفاته تقضى بفوقانه على غيره وجميعها يشهد له بحسن عبارته وطلاوتها وغزارة معارفه الا انه يتأسف عليه من جهة قدحه فى الاديان وانما حاملنا على ذلك انه قل ان تأسى بمؤرخى المتأخرين الذين يذكرون الاصول التى استمدوا منها الحوادث التى دونوها فى كتبهم فلم اعتمد على ما نقله فى هذا الشان لابين به امرا مبهما او مريبا ومع ذلك فقد اقتفيت اثره فى هذا الكتاب فدلنى على شيئين احدهما الحوادث التى اطلعت عليها والثانى استنبطناه منها ولو بين لنا اسماء ما استنبط منه من الكتب التى بسطت الكلام على الحوادث التاريخية لكفانا المؤونة فى البحث عن معظم هذا التأليف ولاعترف له كثير ممن قرأ كتابه الذين لا يشهدون له الا بكونه كاتبا ماهرا يرغب فى تأليفه بانه ايضا مؤرخ عالم متبحر

والامر الثانى هو ان كل قارئ متيقظ يلاحظ انى لم اطنب فى الجزء التاريخى من الاتحاف ولا فى عقد جمان التوضيح الذى زدته عليه فى الكلام على القوانين والعوايد القديمة التى تخص دول ابريطانيا الكبرى الثلاثة بقدر ما اطنبت فى الكلام على قوانين الملل الاخرى من اوربا وعوايدها والباعث على ذلك هو ان الحوادث الاصلية التى تتعلق بتقدم الحكومة والاخلاق فى هذه الدول الثلاث مما لا يخفى على اغلب القارئين فلذا ضربت عنها صفحا لما انه لا داعى الى بسطها ومع ذلك لم اهمل من الملحوظات والحوادث ما لا بد منه فى الوفاء بالمقصود من الجزء التاريخى من الاتحاف بل ذكرتها فى المواد التى هى موضوع كتابنا ولما كانت صور الحكومة فى سائر بلاد الافرنج تكاد ان تكون متحدة فى عدة قرون رأينا انه ليس هنالك ما يوضح تقدم القانون الانكليزى اتم توضيح الا بجمعه مع التدقيق عن قوانين دول الافرنج الاخرى وعوايدها وقد اهمل فى بيان اصول هذا القانون القديمة مؤرخو الانكليز ومشرعوهم لانهم لما استغربوا القانون السعيد الذى تحظى به الآن بلادهم

الى عساكر الدولة تتكون شوكة عسكرية قوية تفوق شوكة اى ملك كان من ملوك النصرانية كذا ذكره المؤلفان المذكوران ولما كانت ايام السلطان سليمان كلها حروب وغزوات كانت العساكر دائما فى الوقائع مشغولة بالقتال ولذلك كادت اعساكر السرتاكوليه تساوى الانكشارية فى الضبط والربط

فعلى هذا لا يستغرب ما ذكره مورخو القرن السادس عشر من ان الترك يفوقون بكثير على النصارى فى الفنون الحربية والحركات العسكرية فمن ذلك ما ذكره المؤلف غيشارديق من ان الايطاليين تعلموا من الترك فن تحصين الثغور وما قاله المؤلف البارون بوسبيك الذى كان ايلجيا عند السلطان سليمان من طرف الملك فرديننند واغتنم الفرصة بملاحظة حالة العساكر التركية والعساكر النصرانية حيث اشهر مؤلفا ذكر فيه الطريق العظيمة التى ينبغى للنصارى سلوكها فى حرب الترك واطنب فيما اختص به الترك وفاقوا به ابناء النصرانيه من الضبط والربط وغير ذلك مما يخص الفنون الحربية ولو امكن ان فى هذا المبحث ريبا لاتيت بما يكشف عنه الغطاء من الشواهد الواضحة

وقبل ان نختم عقد جمان التوضيح بالبرهان الصحيح ينبغى لنا ان نبين لقارئ كتابنا هذا سبب امرين اهملنا ذكرهما الان من قرأ هذا الكتاب يمكن ان يلاحظ انى اهملتهما فيجب ان ابين ان ترك احدهما عين الصواب واذكر علة اهمالى الاخر لا تدارك ما يمكن ايراده على ويعترض به على كتابى فاقول

الامر الاول هو ان جميع ما اوردته من المناقشات فى شأن تقدم الحكومة والاخلاق والآداب والتجارة فى القرون الوسطى وكذلك ما قدمناه من وصف القانون السياسى فى دول اوروبا المختلفة فى اوائل القرن السادس عشر لم اتعرض فيه لذكر المؤلف واتيراس لاسيما انه تكلم على هذه الحوادث المذكورة وبحث عن احوال تلك القرون فى كتابه المسمى مختصر التاريخ

لم يحترم الفرع لم يحترم الاصل وحاشا ان يستطيع احد من المسلمين مخالفة
المشرع لاسيما السلطان الذي يعلم انه انما ولي ليعدل بين رعاياه و ينسج على
سنة سيد البرية واما القرانين السياسية عند المسلمين فلا يمكن ان يوجد فيها
ما هو مخالف لنص القرآن في الاحكام بل ليس للاحكام منه مخالفة في الالفاظ
لا في المعاني

وايضاً فان السلطان لا يجري احكام القران بمجرد ما يفهمه برأيه ولا يتصرف
فيها بشيء الا اذا كان مستكملا لشروط الاجتهاد بل كل شكوى او دعوى
ترجع الى الديوان العالي بمدينة اسلامبول فيتذاكر في شأنها ارباب هذا
الديوان ومن جملتهم المفتي الذي هو مفتاح آيات التنزيل المبين وترجمان كلام
رب العالمين فاذا حكم بشيء في الديوان نظر فيه المفتي هل هو موافق للحكم
الشرعي اولا فاذا افتى به واقر عليه قدم الى السلطان فان شاء التخفيف عمن
استحق العقاب خفف او العفو عفا الا اذا كان ذنب الجاني كبيرا يضر بمصلحة
المسلمين فان السلطان لا يمكنه ان يتجاوز ما حكم به المفتي وارباب الديوان
ولو كان في حق اعز خصائه واحزابه * قال المؤلف غراسي

ينعقد الديوان السلطاني ليحكم في المعاملات والجنايات وغير ذلك مما يرفع
الى السلطان ويحقق هذا الديوان ايضا دعوى ما اذا اتهم احد من الرعية
قاضيا ولو القاضي الاعظم الذي هو قاضي عسكر

ويحقق الديوان المذكور كذلك كل شكوى قدمت الى السلطان في شأن وزير
او باشا او احد من ارباب المناصب العالية في الدولة او في الديوان و بالجملة
فهذا الديوان يحقق جميع انواع الشكاوى ولو في حق احد من اربابه فاذا شكا
انسان احدا من ارباب الديوان لا يجوز له ان يحضر به حتى يتم تحقيق
دعواه مع شاكيه وكل شيء في هذا الديوان لا يكون الا بموجب
رأي الجمهور

ورئيس هذا الديوان هو الصدر الاعظم واذا غاب يقوم المفتي مقامه
واما اذا اقيمت دعوى في حق احدهما بهذا الديوان كان رئيسه غير المتهم

تفرغوا بكليتهم الى تحسين صورته ولاحكام احكامه اكثر من التفاتهم
لبيان وضعه القديم مع انه مباين بالكلية للقوانين المتأخرة ولما اطلعت على
تواريخ بطانيا الكبرى من الدول الافرنجية ورأيت قوانينها وشرطاتها
ومؤلفاتها القديمة تفكرت كثيرا ان كل مؤلف اعتنى فيه بايضاح الكلام على
تقدم التشريع والقوانين السياسية ببلاد الانكليز وقبل ذلك بما في الدول
الاخرى من التشريع والقوانين المشابهة لها يصير عظيم النفع ويكشف الغطاء
عن مباحث عويصة باقية على ابهامها الى الآن وبيت الامر في شأن كثير منها
من المباحث التي هي منذ زمن طويل موضوع مجادلات وارتياب بين المؤلفين
الذين بذلوا فيها من الجهد الغاية وبحثوا عن تحقيقها ليقفوا لها على نهاية

براهين جليه في نقض ما قيل في الدولة العثمانيه

المترجم هذا الكتاب الفقير الى مولاه خليفة بن محمود احسن الله في الدارين مثواه
قال مؤلف كتابنا بصحيفة (١٧٥) فلما كان هؤلاء السلاطين يرون ان رعاياهم
يخضعون لهم مع غاية الذل كانوا لا يبحثون عن ان يدخلوا في مملكتهم شيأ من
القوانين التي في غيرها من الممالك والدول يمنع تعدى الملك وظلمه واختصاصه
باطلاق التصرف فكان لا يوجد فيها كغيرها محاكم شرعية تعرض عليها
القوانين والشرائع قبل ثبتها ونشرها في المملكه ولم يكن بها طائفة اشراف
ولا امراء وراثية كما في المانيا مثلا يغارون على مزاياهم ومناصبهم
فيضيقون قوة الملك وشوكته الى آخره

اقول ان الممالك الاخرى انما تبحث عن قوانين تمنع تعدى الملك وظلمه لان الملك
في غير الدولة العثمانية ليس مكبولا بقيد اكيد كالسلطان اى ليس عنده القرآن
الذى يرجع اليه السلطان في الجزئيات والكليات بحيث ان تعداه لا يطاع امره
بل قوانينه سياسية لا الهية فتحتاج لمن يذب عنها ويحفظها من تعدى الملك
واما قوانين الدولة العثمانية فكلها مستنبطة من الكتاب والسنة ويجب على كل
مسلم ان لا يتعداها في شئ لانه ان تعداها فقد خالف الكتاب والسنة اذ ان من

لم يحترم

حكم كذلك بصلب آخرين بتسمير آذانهم بمسامير على باب السراية ولو كانوا من ندماء السلطان واخصائه * فالدولة العثمانية ليست خالية كزعم المخالفين من ديوان يفتش على السلطان في احكامه ويمنعه من كل فعل يضر بالرعية او بالادهم

قال المؤلف غرابي من اغلاط اعتقاد كون السلطان يمكنه بمحض ارادته وشوكته ان يقتل من شاء قتله من ارباب المناصب في دولته او من رعاياه * ولا شيء اشد فسادا من هذا القول فانه لا يقتل احد من الاكابر الا بعد الحكم عليه بذلك من طرف الديوان العالي فان اربابه هم الذين يتذاكرون في هذا الشان ويملون ما انحط عليه رأيهم ثم يعرضونه على السلطان لانه اذا حكم الديوان على احد بالقتل لا يجوز اجراء هذا الحكم الا بعد ان يوضع عليه امضاء السلطان واما في غير صورة القتل فيكفي امضاء المفتي وبعض من ارباب الديوان ولا بد ان تقيد صورة الحكم بتمامها في دفاتر الديوان ولا يكتبها الا المفتي بنفسه

وغير هذا الديوان العالي الذي ترفع اليه المصالح العمومية والدعاوي الكبيرة الجسيمة يوجد عند كل باشا من حكام الاقاليم مشورة تسمى ايضا باسم الديوان وهو كناية عن محكمة تبحث عن تحقيق الدعاوي والشكاوي التي تقدم لهذا الباشا ولا يحكم في شيء بدون ارباب هذا الديوان وكذلك القبطان باشا اذا سافر مع الدونانمة اي السفن الحربية فانه اذا خرج من بوغاز كليبولي ورخص له في احكامه على البلاد التي بالسواحل وصارت شوكته في التصرف كشوكة الصدر الاعظم يعطى له كذلك مشورة بعينه فلا يفعل شيأ الا بعد المذاكرة مع ارباب هذه المشورة * وارباب هذه الدواوين كلهم افندية اي عالمون بالشريعة وعدة ارباب كل ديوان تختلف بحسب عظم منصب الرئيس الذي هم بمعيته فبناء على ذلك يرى ان الشوكة المطلقة والتصرف الواسع المرخص فيه للباشات والحكام في بلاد الترك ليست الا شوكة ظاهرية لان هؤلاء الباشات معهم في دواوينهم من الافندية

منهما وليس للسلطان محل بهذا الديوان يجلس فيه بل يجلس فى محل مطل
على الديوان متصل بسرايته فاذا جلس فيه رأى كل ما يقع فى الديوان وسمع
كل ما يحصل فيه المذاكرة كل ذلك وهو لا ينظره احد ويجب على الوزراء
وارباب الديوان ان يتكلموا بصوت عال وان يفصحوا فى عباراتهم لكى لا يخفى
على السلطان شئ مما يتذاكرون فيه فيعرف طوية كل منهم ويظهر له
الانفع والاصلح منهم للدولة فيجازيه على عدالته وحسن سلوكه واستقامته
انتهى

فاقول ان السلطان ليس مطلق التصرف لان الحكومة المطلقة هى حكومة
يكون الملك فيها فاعلا مختارا قادرا على تنجيز ما تسوقه اليه نفسه من غير
ان يجد معارضا وليست واجباته مقيدة معلومة بل واجبة ما عليه له رأيه
فهو مشرع وملك وقاض وخصم وحكم لنفسه مع خصمه ولا شك ان مثل
هذا يمكنه بمحض ارادته ان يقتل من شاء ويعفو عمن شاء ويقرب من احب
ويبعد من بغض

ومن الخطاء المحض ان يعتقد انسان ان السلطان يسلك هذا المنوال اى يمكنه
بمجرد رأيه ان يقتل احدا من ارباب المناصب فى دولته لا بل ولا من الرعاع لان
السلطان كما ذكرت لا يفعل شيأ من تلقاء نفسه بل جميع افعاله مقصورة على
القرأن والحديث لانهما اصل شوكته واحترامه عند رعيته فان كانوا يطيعونه
ويخضعون اليه يكون ذلك لمجرد اوامر القرأن المجيد قال الله تعالى يا ايها
الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فالطاعة
واجبة له بتنزيل الرحمن اذ لاولى الأمر فى الحقيقة سواه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم السلطان ظل الله فى ارضه ولا يفلح السلطان الا اذا اتبع القرأن
والسنة لانه ان خالف نصهما فى شئ فقد تعدى الحدود ونفرت منه القلوب
لمخالفة الرب المعبود اذ لا يتبع السلطان فيما جاء مخالفا لتنزيل الرحمن ولكم
قتلت سلاطين عظام فى نظير تعديهم لقوانين الدولة والشريعة ولكم حكم
ديوان القسطنطينية العالى بقتل وزراء وباشيات ظالمين خائنين ولكم

فى دولة اخرى اقوى شوكة واعظم كلمة من حرب السلطان فى الدولة العثمانية
التى يظهران حكومتها مطلقة بحيث يتصرف فيها الحاكم كيف شاء
ولربما استبعد قولى هذا من اطلع عليه ولكن اقول يسهل التصديق به عند من
عرف ان السلطان لا يسوغ له ان يكون من ارباب الديوان العالى وان رأى
الصدر الاعظم كرأى غيره من ارباب الديوان فى الاعتداد والنفوذ وان
السلطان والصدر الاعظم لا يحكمان حكما بتيا فى شأن ما يخص المصالح الجسيمة
كعقد صلح او اشهار حرب وما اشبه ذلك واما فى غير هذه الدولة فترى اكثر الملوك
هم الذين يتصرفون مع دواوينهم فى مثل هذا المعنى واما وكلاء الممالك فليسوا
الا صورة وكل شئ اجرى لا يكون الا عن ارادة الملك وحزبه وشتان بين هذه
الممالك والدولة العثمانية لان الديوان العالى فى بلاد الترك هو الذى يحكم
بكل شئ من تلقاء نفسه
ولكن ربما قال قائل ان ارباب الديوان العالى كلهم قد ولاهم السلطان
واغلبهم فى الاصل كان تاديبه بالسراية السلطانية وتربى فيها فهم عائلة
السلطان وبناء على ذلك يلزم ان يكونوا انصاره المطيعين لامره يفعلون
ما شاء من غير مخالفة ولا نقض وليست اراؤهم مستقلة فى شأن ما تقع فيه
المذاكرة بالديوان اقول ان هذا الايراد كان يمكن قبوله وتسليمه لو لم يكن
عند الاتراك ما يمنعهم مما لا يرضى الله وما هو نصب عين كل مسلم فترى
المسلمين اجمعين يدققون فى اتباعه وهو القرآن الذى يعسر على كل مسلم تبديل
ادنى شئ منه كيف لا ومن عقائدهم الدينية انه يجب على كل انسان منهم
المحافظة على هذا الكتاب المطهر ومراعاة احكامه مهما امكن * فارباب
الديوان كلهم يعتقدون اعتقادا يقينيا انه يجب عليهم ان يقدسوا احكام
القرآن عن غيرها وان يكون اعتبارهم له فوق كل اعتبار ويعتقدون كذلك
انه يجب عليهم ان يدافعوا عن القرآن وعن القوانين المبنية عليها الدولة من كل
من اراد تبديلها او خدشها ولو كان السلطان ولاجل ذلك ترى انهم ليسوا
انصارا للسلطان ولا يطيعونه فى جميع اوامره بل ترى ان بعض المناصب

من لا يغفل عن ملاحظتهم ادارة وانفعالا وهؤلاء الافندية المعاونون هم
انفسهم يلاحظهم الديوان العالى القسطنطينية وهو الذى يعاقبهم عند
الاهمال واتباع سبيل الغى والاضلال * واذا حكم باشات الاقاليم بالقتل
على احد من القضاة لا ينفذ حكمهم الا بعد عرضه على الديوان العالى ليحققه
ثم يصدر منه اوامر بالاجرآء او بالمنع الى آخره

وللسلطان الحق فى ان يعفو عن الجانى او يبدل عقابه بعقاب آخر ولكن
اذا ثبت على الجانى كبيرة او فعل قبيح يضر بمصلحة عمومية مهمة وحكم عليه
ارباب الديوان بعقاب لا يمكن للسلطان ان يتعداه ولو كان فى حق اعز اخصائه
وندمائه لان الفتوى تكون فى هذه الصورة من نص الشريعة الرحمانية
فلا يمكن نقضها واذا ابى السلطان ان يقبلها تغضب عليه الملة
بتمامها وتتخلى عنه فى نظير امتناعه من اجرآء هذا الحكم وتصير فى حزب
من قالوا به

فجميع من قتل من الباشات الظالمين والوزرآء الخائنين اصحاب الاختلاس
قد قتل بامر هذا الديوان وكذلك من علقوا من آذانهم بمسامير على باب
السراية ولقد حصل هذا الفعل مع كثير من ندماء السلطان واخصائه ولا شك
ان مثل ذلك عبرة عظيمة تناقلها الخلف عن السلف

ولكم حكم ديوان القسطنطينية ايضا بقتل سلاطين عظام من سلاطين الدولة
العثمانية وحكم على آخرين منهم بالسجن الابدى الدائم فى نظير كونهم تعدوا
قوانين الدولة واتوا بما يخالف القرآن * وفى مثل هذه الصورة لا ينعقد الديوان
العالى فى سراية السلطان كعادته بل ينعقد فى الجامع المسمى آية صوفية
فيسوغ لنا ان نقول انه فى اى دولة كانت غير الدولة العثمانية لا يمكن ان يكون
ارباب الديوان المنوط بادارة مصالح المملكة كارباب ديوان القسطنطينية
فى الحرية وابدآء الرأى فان كلا من ارباب ديوان القسطنطينية يقول رأيه
بقلب قوى ولا يخشى بأس احد ونقول ايضا ان حزب السلطان فى الديوان
المذكور اضعف من حزب ملك آخر فى دولة اخرى بحيث يقال ان حزب الملك

انساع مزية الاشراف وتقوية شوكتهم وسعة اراضيهم والتزاماتهم فكانت الرعية تسأم من حكومة الاشراف كما كان يسام منهم الملوك فانظر الى الاهوال التي حلت بمملكة فرنسا وانكلترة واسبانيا والمانيا وغيرها من ممالك اوروبا بسبب الاشراف فانك تجد انه لم ينشأ من حكومتهم سوى تخريب البلاد ومحق العباد ولا حاجة الى ان ننبه هنا على ما فعله الملك كرلوس السابع وابنه لويز الحادي عشر بتمديه في خفض الاشراف ولا على ما حصل للمملكة الفرنساوية بعد ضعفهم من التقدم والشوكة ونفوذ الكلمة في البلاد الاجنبية ولا يخفى كذلك ما فعله ملوك اسبانيا لاجل توسيع قدرتهم وضعف شوكة الاشراف التي كانت سببا في عدم راحة الرعايا لا سيما ما فعله الملك فرديننده وبالجملة فطوائف الاشراف التي ظن مؤلف كتابنا ان عدم وجودها بالدولة العثمانية مما يقل العدل والنظام بها ليست الا منبعا للظلم والغصب والاختلاس وجميع ما يتصوره العقل من مفاسد الطغيان والبغي وانواع المآثم ثم خالط المظالم هؤلاء الاشراف في المانيا وغيرها طوائف الرعايا حتى كانت الرعايا خداما او عبيدا لهم ولطالما اساؤا الادب على كل من اراد منعهم من الملوك واحب ان يمنعهم عن الظلم ليصلح حال رعيته اما انهم توغلوا حتى صاروا يحكمون حكما مطلقا في اراضيهم من غير ان يقدر على معارضتهم احد وصارت احكامهم مطلقة في المعاملات والجنايات ورخص لهم في المزايا الملوكية كضرب المعاملة وعقد الصلح واشهار الحرب واحتقر بعضهم بأسه وقوته وتعاظمه وانفة من ان يكون من جملة الرعايا او نقض العهود التي تربطه بالملك حتى صار هؤلاء الاشراف انفسهم ملوكا مستقلين فصارت كل مملكة حوتهم منقسمة الى امارات وجاقات بقدر ما كان فيها من الملتزمين الاقوياء وصار كل منهم يطمع في حوز المملكة لنفسه ويبحث عن تكثير اراضيه والتزاماته وتضعيف احزابه وازدياد رجاله حتى ظهرت اسباب الاختلال من كل جهة واوقدت نيران الحروب بينهم غيرة من بعضهم وسفكت دماء كثيرة بسبب الحروب التي كان لا يتقضى لها ازدحام من بينهم فكانت

التي يكون لصاحبها الحق في حضور مذاكرات الديوان ومشاوره لا يجوز نزعه من صاحبه اذا قلده به السلطان وبالجملة فارباب هذا الديوان يعرفون أن شر يعتهم المبنية على الحكمة قد نهت عن المخادعة واغوآء الغير لمجرد حاجة نفسانية فهم آمنون من ذلك

وقد عهد كثيرا في تاريخ الدولة العثمانية ان من اراد من ارباب الديوان ان يتعاظم او يرجح رأيه على رأى غيره ضاع اعتباره عند اهل الديوان وعند الرعية بحيث لا يرجى له فلاح بل لا بد من حطه او قتله فيما بعد كما حصل ذلك مع كل صدر اعظم بحث عن ان تكون له ادارة مذاكرات الديوان ومشاوره وعن ان يكون فوق اربابه كلمة ورياسة فهل يمكن بعد ذلك ان يفعل الصدر الاعظم لاجل حاجة نفسية له ما يجر بالسلطان والدولة الى ادنى حرب او ادنى ضرر والحاصل ان ارباب ديوان القسطنطينية لا يحبون ان يتأمر عليهم احد ولا يطيعون احدا في محذور بل يحبون أن يكونوا مطلقين في ابدآء آرائهم لمصالح الدولة كل يقول ما استحسنه عقله واستطابته نفسه من غير نظر الى مراعاة صاحب شوكة او صولة في دولتهم

نعم ان ما يحكم به في هذا الديوان يعرض على السلطان ولكن ليس للسلطان ان يبطل منه شيأ الا اذا اعتمد على اسباب قوية صحيحة والا فيخشى ان ينقض شيأ مما حكم به ارباب هذا الديوان وكذلك الصدر الاعظم فانه يخشى ان يشير على السلطان بشيء في هذا الشان لانه ان فعل مثل هذا لا يكون آمنا على نفسه فاذا لم يتعرض لشيء ربما كان عند الشدة من الناجين ويقع السلطان وحده فيما جناه على نفسه ولذلك ترى ان احكام هذا الديوان لا يرد منها الا القليل النادر انتهى

نعم ان الدولة العثمانية لم تكن بها طائفة اشراف ولا امراء وراثية يغارون على مناصبهم ومزاياهم فيضيقون قوة الملك وشوكته ولكن اقول ان هؤلاء الاشراف او الامرآء كانوا يضيقون قوة الملك لاجل توسيع شوكتهم ولاجل نفع انفسهم لا لنفع الرعية فلا يخفى ما حل بالناس من المصائب والمظالم بسبب

اتساع

الى حطه اوقتله

وبالجملة فالاكابر فى الدولة العثمانية يرجحون منافع الرعية على منافعهم فانظر الى ديوان القسطنطينية ترارباب[illegible] لا يبحثون الا عما فيه نفع الرعية ويبذلون فى ذلك غاية جهدهم وقد حصل [illegible]ات ان الصدر الاعظم وغيره من اكابر الديوان [illegible] خروجهم من [illegible] الديوان عن كونهم يتبعون جمهور الديوان فى بعض اشياء راوا انها خطرة لدولة الاسلام كما حصل ذلك عن قريب عهد من المفتى والصدر الاعظم المسمى عزت باشا وذلك انه حصلت مذاكرة بديوان القسطنطينية (سنة ١٢١٤) من الهجرة المحمدية فى شأن مرور بعض سفن موسقوبية ببوغاز اسلامبول فابى الصدر الاعظم وهو عزت باشا ان يوافق اهل الديوان فى ذلك وكذلك المفتى فانه ابى ان يعطى الفتوى باجرآء هذا الامر فلما رأيا ان جمهور ارباب الديوان قد رضى بذلك ورأيا ان كلامهما لم ينفذا ستعفيا من الخدمة وذهب احدهما الى جزيرة كريدوالآخر الى جزيرة رودس وقد حصل كذلك ان بعض سلاطين الدولة العثمانية قد بويع بالسلطنة على سبيل الانتخاب لكن من نفس العائلة السلطانية حيث ان بعض السلاطين قد توفى وله اخوة واولاد فانتخب اهل الديوان من يصلح للحكم منهم وبايعوه فاتفق انهم ولو الاخ دون الابن او الصغير دون البكرى على حسب ما شاهدوا من صلاحية كل منهم قبل انتقال المتوفى وقد حكم الديوان المذكور كذلك على السلاطين بامر صعب فى شأن الزواج اذ رأوه يعود بالضرر على دولة الاسلام وصار حكمه بذلك معدودا من القوانين المحترمة فى الدولة حتى انه باق الى الآن وتعرض المؤلف عرابى لذكر هذا الامر فقال

ينبغى لنا ان نوجه العادة الغريبة التى ذهب اليها الاتراك فى حق سلاطينهم وجعلوها من القوانين المعتمدة فى الدولة وهو ان السلاطين لا يجوز لهم ان يعقدوا زواجا شرعيا صحيحا وانما يقتصرون على ان يتسروا من الجوارى الارقاء الموجودة بالسراية فنقول ان هذا القانون رتب من ايام السلطان

حصون كل مملكة وقلاعها معدة للمدافعة والاحتراس من الاغارات
الداخلية لا لمنع الاعداء الاجنبية وجرد هؤلاء الاعيان الملك عن معظم
خصائصه حتى صار لا يمكنه ان يذبهم عن البريئين ولا ان يعاقب المذنبين
وصار لا يمكنه ان يعارضهم في ظلمهم ولا ان يدافع عن نفسه وكذلك الرعايا
حل بهم من طرف هؤلاء الاشراف الظلم والنهب والسلب وصاروا عبيداً
لهم يخدمونهم في الحرب وغيره ويزرعون لهم الاراضي بل وكانوا يباعون
مع الارض ان بيعت وكانوا في غاية الذل والاسترقاق اذ كان السيد مطلق
التصرف في شأن من هم تحت ولائه من المستعبدين فلا يعارضه احد
في قتلهم او تعذيبهم او غير ذلك من العقابات التي تنفر منها نفوس ذوي
المروءة والانسانية وكانوا لا يتزوجون وانما كانوا يعيشون مع بعضهم كالزوج
والزوجة لا بعقد ديني فهم اشبه بحيوانات في دار تأتلف مع بعضها كما هو
مذكور في المبحث التاسع بصحيفة (٢١٢) من كتابنا هذا فكانت الراحة
مقصورة على اعتاب هؤلاء الاشراف الملتزمين وهل صلح حال بلاد الافرنج
الا بعد قطع دابر هؤلاء الاشراف بطوائفهم وجعلهم كبقية الاهالي
وكفانا معشر الاسلام فخراً ان دولتنا لم يقع فيها مثل هذه الامور
لان طائفة الزراعين ببلاد الترك في غاية من الامن والراحة لا كبلاد الافرنج
فان الزراعين فيها مستعبدون ارقاء او اتباع للملتزمين واما بلاد الترك فترى
الفلاح فيها لا ملتزم له يأخذ كسبه بل ما يكسبه بشغله وكده يرجع له
ولعائلته فالحمد لله الذي انجى بلاد الاسلام من طوائف الاشراف التي تمدح
بها مؤلف كتابنا لانه شتان بين من يحاول نفع نفسه ومن يحاول نفع وطنه
فان الاشراف كانوا يحاولون نفع انفسهم ولا يقصدون بتضييق شوكة الملك
نفع الرعية ولا راحة الاهالي بخلاف الدولة العثمانية فان الاكابر والرعاع على
حد سوا فترى الاكابر الذين شربوا مشرب القرآن والشريعة المحمدية من
صغرهم لا يميلون الى الظلم واذا اراد ذو نفس خبيثة منهم ذلك يرى من
يعارضه في الديوان العالي بل وفي نفس الرعية حتى يمكن ان يؤدي به ذلك

لسلاطينهم بالزواج وذلك ان ارباب الديوان العالى خافوا من ان يصير لدول الافرنج فيما بعد تأثير وكلمة فى الدولة العثمانية ويصير للافرنج دخل فى احكام دول الاسلام وترتيبها فصمموا على ابطال هذا الامر الذى يمكن ان تكون عاقبته سوأ لهم فجعلوا من جملة القوانين الصحيحة فى دولتهم ان لا يجوز لاحد من السلاطين ان يعقد زواجا شرعيا وانما يجوز لهم لاجل ان يخلفوا اولادا يرثونهم فى السلطنة ان يتسروا بالجوارى الموجودة بالسراية لانها قد ربيت فيها وتدينت بدين المسلمين وعوايدهم ومن بعد هذا القانون انقطعت سلسلة المصاهرة من بين المسلمين والنصارى لانه صار لا يجوز للسلطان ان ياخذ امرأة على سبيل الزوجية بل ينكحها بملك اليمين ومن يرض من ملوك الافرنج ان يعطى بنته او اخته لاحد من السلاطين على هذا الوجه

وفى الواقع يمكن ان يقال ان منع السلاطين عن الزواج من ملة اجنبية هو السبب فى بقاء الدولة العثمانية على اصلها وابقاء شرائعها وقوانينها على صحتها الان اسير العشق ذليل مطيع فلو كان السلاطين يتزوجون بنات ملوك الافرنج او اخواتهم وشغفوا بحبهن اواتوا منهن بذرية لكانوا عرضة لان تتغير طباعهم وربما كان ذلك يجر الى تغيير شرائع الدولة فمن حسن سياسة ارباب الديوان بادروا الى قبول هذه العادة التى صارت اصلا منع من ان يحصل فى بلاد الدولة العثمانية حكومة اشراف ارستوقراطية كما حصل فى غيرها من باقى ممالك اوروبا ولا شك ان مثل هذا الرأى السديد لا ينشأ الا عن كل ذى قريحة عزيزة وفطنة كبيرة

فانظر كيف حكم اهالى العثمانية على سلاطينهم فى شان الزواج وكيف شددوا عليهم التشديد الكلى فى ذلك بحيث لا يمكنهم الآن ان يتزوجوا ولو من رعاياهم الاحرار انتهى

فعلم من ذلك ان السلطان فى الدولة العثمانية ليس مطلق التصرف بل هنالك قوانين تمنعه عما يريده ان كان لا يصح شرعا او سياسة او كان يضر بالدولة ولتعلم ان السلطان لا يمكنه ان يخالف قوانين بلاده من غير قصاص اذ كل

بايزيد وقد اختلف في الاسباب التي حملت السلاطين على اقرارهذا القانون فالاتراك يعدونه من اسرار الدولة التي لا يعرف سببها احد واما المؤرخون فقد بذلوا جهدهم في توجيهه وبيان سببه فنسبه المؤرخ بوسيل الى المصائب التي حلت بالسلطان بايزيد عقب انهزامه بالملك تيمورلنك فان السلطان بايزيد كان له زوجة تسمى ديسبينه وكان يحبها حباجماً فلما وقع الحرب بينه وبين الملك تيمورلنك وهزم اخذ تيمورلنك زوجته ديسبينه واحضرها امام عساكره وهي تكاد ان تكون عريانة فقال المؤرخ المذكور ما نصه ان ذلك هو السبب في كون السلاطين الى الآن لا يتخذون لهم زوجة بعقد نكاح شرعي خوفا من مثل هذه الواقعة انتهى ولكن عد المؤرخون هذه الحادثة من جملة الخرافات المحضة فقال اعقلهم واحسنهم سياسة كالمؤلف ريكوت ان هذا القانون لابد له من اسباب سياسية أأكدوا عظم من هذه الحادثة التي لا يقرب لها احتمال عقلا

واقرب من ذلك الى الحق ان يقال ان سبب هذا القانون هو قصد حفظ الدولة العثمانية وابقائها على اصلها وذلك ان الاتراك بمجرد استيطانهم ببلاد اوروبا وكانوا اقوياء الشوكة اراد عدة من ملوك الافرنج ان يتخذوهم جاها ليكونوا في حماهم فعرضوا على السلاطين بناتهم ليتزوجوا بهن فقبل بعض السلاطين ذلك لما ان القرآن يجوز زواج المسلم بالنصرانية

ومن جملة السلاطين الذين تزوجوا من بنات النصارى السلطان اورخان الاول فانه تزوج بالاميرة تيودوره بنت الملك كوتاكوزين لان هذا الملك كان يحب ان يستعين بالسلطان المذكور على الايمبراطور پاليولوك ولاجل ان يستميل هذا السلطان ويتوصل الى مقصده عرض عليه بنته ليتزوج بها وكانت بديعة الجمال ما لها في جنسها مثال فكتب السلطان عليها وبعد ان تم العرس نقلت هذه الاميرة الى سراية السلطان ورخص لها في ان تبقى على دينها

ولكن بعد ان تثبت الاتراك في بلاد اوروبا اقتضت السياسة ان لا يأذنوا

فاطاعته وطردت رسل السلطان وهداياه النفيسة من جواهر والماس وابت ان تقبل القصور والسرايات التي اعدها لها فلما علم السلطان بذلك عزم على ان ينجز مقصده بمحض القوة والغصب فجعل ينتظر الفرصة حتى خرجت ذات يوم مع جوار بها الذهب الى الحمام فاختطفها اعوان من طرف السلطان وذهب بها الى السراية فطلب السلطان حينئذ انه يزف بها واخذ يستعطفها بمواعيده المزخرفة وبتودده اليها تارة وتهديدها تارة اخرى ولسان حاله يقول

صل محبا اعياه وصف هواه * فعساه يتوب عن زيغانه
كما راقه سواك تصدت * ولما انه ابد يعلو برهانه

غيره

يا من يدير برحيقها * في روض ورد دارلا
اصبح بسحر بادية * مذ ست عند ابلا

ولكن لم يجده ذلك شيأ لان هذه الشابة العفيفة لم تظهر له سوى الازدراء والاحتقار فاضطر الى ارسالها ثانيا الى دار ابيها فلما علم المفتي ذلك اغتاظ كل الغيظ لما ان هذا تعد من طرف السلطان وفيه هتك حرمته ومخالف لقوانين الدولة فتعلقت آماله بالانتقام لنفسه وللملة لان من تعد على حق فرد واحد يخشى منه ان يتعدى على حق الجميع وحيث ان المفتي رئيس طائفة العلماء اجتمع معهم واتفقوا على تخليص حقه من السلطان فقصوا الخبر على الانكشارية واذاعوه بين الناس حتى علم الخاص والعام ان السلطان يريد ان يخالف قوانين الدولة ويتزوج ببنت المفتي فبعد ذلك نعملوا عليه بامور سابقة له حكموا بعزله وقتلوه

صورة الحكم على السلطان ابراهيم المذكور

قد ارتكب هذا السلطان فعل عدة اشياء اغاظت الرعية لاسيما وكان وزيره الاعظم محمد قبيح السلوك في الادارة والتدبير حتى اتهمته الرعية بانه ظالم مختلس ومع ذلك فكان السلطان يحبه ويجعله نديمه فنسبت الرعية هذا السلطان الى الظلم اذ هو يحب من يظلم الناس واضرمت نيران الفتن ببلاد الترك

هنا حادثة ذكرها المؤلف المتقدم فى مباحثه وملخصها ان المفتى راجيل فى ايام السلطان ابراهيم كان له بنت قل مثلها فى الجمال وصفات الكمال فاشتهرت بحسنها وبهائها فى مدينة اسلامبول حتى قيل انها فى قدها ولطفها وبديع صفاتها وحسن صنعها تعلو على محظيات السراية

بروحى منها حاجب ماغنج قوسه * تسلمه من ضعفها اى نابل
وقضبان بلور بدت فى خواتم * واعمدة من فضة فى خلاخل
وزندين لولم يمسكا فى دمالج * لسالا من الاكمام سيل الجداول
فما اختال ظبى قبلها فى مدارع * ولا مال غصن يانع فى غلائل

فانتشر هذا الخبر حتى طرق اذن السلطان ابراهيم وكان يصبوا الى كل ذى جمال فصارية التذ بذكر اوصاف هذه الجميلة ويحب تكرارها فى كل وقت وحين

يقولون فى البستان للنفس لذة * وفى الخمر والماء الذى غير آسن
اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها * ففى وجه من تهوى جميع المحاسن

ولم يزل فى وله واحتراق وقلق واشتياق حتى الجأه الحب الى ان طلبها من ابيها فتعجب المفتى من ذلك واعتذر له بانه لا يجوز له ان يتخذ امرأة الا من محظيات سرايته ولا يجوز له ان يأخذ بنتا او امرأة حرة من نساء مملكته الا على سبيل كونها جارية محظية لا على سبيل كونها زوجته وانه لا تسمح نفسه بكونه يعطيها له جارية محظية فقال له السلطان اتزوجها بعقد صحيح شرعى فقال له المفتى ان الرسوم تمنعك عن ذلك لانه لا يؤذن للسلطان ان يتزوج فاذا فعلت ذلك يخشى عليك لان الرعية لا تصفح عن السلطان اذا فعل ما يخالف القوانين فهذا الزواج لا ينشأ عنه لك الا كل ضرر ولكن من شدة غرام السلطان لم يسمع نصيحة المفتى وقال لا بد من الابتناء ببنتك فعند ذلك اظهر المفتى انه جنح الى تزويج بنته للسلطان لكن بشرط رضاها

فلما ذهب المفتى الى بيته احضر بنته واخبرها بالقضية وقال لها ان تزويجك للسلطان يحل به كل خطر لان القوانين لا تأذن للسلاطين بالزواج ولربما ادى ذلك الى ايقاع فتنة او حادثة مشؤومة فى الدولة فيلزم ان لا ترضى بزواجه

النعم الجزيلة فهل اراي فيكم من هو قوي القلب يتصدى لان يحامي عن سيده فلم يجيبوه الا بالصمت فعلم انه لا ينفع الظالم جليس ولا نديم فحكم عليه الديوان اولا بالعزل ثم صدر حكم ثاني بقتله

ولا يخفى ايضا ما حصل للسلطان عثمان الثاني في نظير كونه اراد ان يتزوج باخت السلطان محمد الثالث واراد ان يبطل عساكر الانكشارية فذهب اليه العلماء واعلموه بانه ان لم يرجع عن هذا القصد لا يرى من رعيته الا التحزب والعصيان فاجابهم السلطان بقوله والله لامحقن كل العساكر الخيالة وكل الانكشارية ولكن بعد ان اسحقكم كالكركم في مهراس * خرجوا من عنده واعلموا بما اجابهم به فصار كل الناس في قلق وهرج واشتعلت بينهم نيران فتنة مهولة فاعتكف السلطان بسرايته وغلق ابوابها الا ان مدافع الاحزاب المغتاظين قد رعدت كالرعد باطراف السراية فكسرت ابوابها وجال المتعصبون فيها الى ان وصلوا للسلطان فاخذوه وسجنوه عن امر الديوان بالصرح المسمى السبعة بروج وولوا محله السلطان مصطفى وقتل السلطان عثمان المذكور في اليوم الذي اعقب يوم الفتنة

وقد عزل كذلك السلطان محمد الرابع والسلطان احمد الثالث ولا حاجة الى التطويل في ذلك وانما انبنى على ذلك ان حكومة الدولة العثمانية ليست حكومة ظلم وجور كما ذكر مؤلف كتابنا وعلل ذلك بقوله ان السلطان يمكنه اعدام جميع الرعايا وتجريدهم عن جميع الاشياء وحوزها الذاته لاسيما والناس لا يعرفون الحرية فلا يرون انفسهم الا عبيدا للسلطان فكانه مخلوق لان يحكمهم كيف شاء وهم مخلوقون لان يخافوه ويطيعوا امره

نعم ان الاسلام يهابون السلطان ويحترمونه ويظهرون بحضرته التواضع والخضوع ولكن هذا الخضوع ليس من الدناءة كما يتواضع بعض الناس لآخر مثله خوفا ورياء ولو لم يكن يميل اليه ميلا قلبيا بل هو حق واجب على كل مسلم ما دام السلطان متمسكا بالسنة والقرآن اذ هو رئيس دولة الاسلام وحفيظ شريعة سيد الانام فهو خليفة النبي الكريم وسيف الرحمن الرحيم فان كان

وكان السلطان ابراهيم قد اوقع بينه وبين المفتي عداوة كبيرة بسبب خطف
بنته المتقدّم ذكره وكان قد اغضب ارباب الديوان بسبب انه اراد ان يخرم
القوانين ويتزوج ببنت المفتي فابتدأ العلماء والرعية والعساكر بانتخاب وزير
غير الصدر الاعظم محمد المذكور ورسلوا الوزير الذي انتخبوه الى السلطان
صحبة اثنين رسولا من طرف الديوان والرعية ليطلبوا عنه الوزير محمد
في نظير ظلمه وقبح سلوكه فلما وصلوا الى السلطان نظر اليهم بعين الاحتقار
واستنكف ان يصغ لكلامهم وقبض بلحية الوزير مراد اغا الذي انتخبته
الرعية وصار يضربه بين يديه فخلصه منه الرسل الذين كانوا معه وذهبوا
من عند السلطان يقصون ما حصل لهم فزاد غيظ ارباب الديوان والرعية
وفي اليوم الثاني عند انشقاق الفجر ظهرت رأس الوزير محمد معلقة امام
الناس حيث ان هذا الوزير قتل ليلا بامر الديوان وفي هذا اليوم ذهب
العلماء وارباب الدولة الى جامع آية صوفية ليتذاكروا في شأن السلطان
واعرض المفتي راجيل على اهل المجلس ان الدولة قد حلت بها جميع المصائب
بسبب قبح سلوك السلطان وظلمه فقال ان الدولة قبل حكم السلطان
ابراهيم كانت في حالة زاهية زاهرة فلما حكم تخربت الاقاليم في اقرب وقت
ونفدت خزائن الدولة وفترت همة العساكر وانقرضت قواتنا البحرية وتغلب
النصارى على جزء من بلادنا وكل ذلك ناشئ عن ادارة هذا السلطان الذي
لم تظهر صولته الا في ارتكاب المآثم والمظالم وذكر ايضا ما فعله هذا
السلطان من اساءة الوزير الذي انتخبته الاهالي وختم بقوله ان من يهمل
في انقاذ الدولة من ذلك بعد ولاشك من اصحاب الكبائر فعند ذلك حكم
ارباب الديوان بان يرسلوا للسلطان يحضروه امامهم بالمجلس فكتبوا
الفتوى ووضع كل منهم امضاءه عليها وارسلوها للسلطان فمزقها واوعد
بقتل المفتي فقال له اغا سرايته انه يخشى عليك انت نفسك من القتل ويا ليتك
تنال ان تقضي في السجن ما بقي من عمرك فلما سمع السلطان كلامه سكن
غضبه والتفت الى ضباط سرايته الذين كانوا حوله وقال قد اسبغت عليكم

الذين وصفوا السلطان بكونه متصرفا
الى وصفه ووصف حكومته بالظلم والجور
هم الا بقول ابناء جنسهم وتلك حجة اقوى

راية هى منشا السلطان فى التربية اذ يربى
دت ادارة احداغاوات الحريم ويجب عليه
ن يعرف تفسيره واعرابه حتى يكون له اقتدار
ه ان يتعلم تاريخ الخلفاء وتاريخ العثمانية
مبادى العلوم الرياضية واللغة التركية
لم غالبا الموسيقى واللغة اللاطينية ويجب
فى كل يوم وان يسلك سلوكا حسنا بحيث
طان بين من هو معد لان يحكم بعد ابيه وبين
ان يمتحن ابنه الذى يترقب الحكم بعده كبقية
لانه فاذا سئل فى شئ من القرآن ولم يحسن
ى الاغا المتوكل عليه ويعطى لابن السلطان
آن التى تعلم الانسان مراعاة العدل والحق
فقد حاز صفات الكمال وحميد الخصال سواء
امورهم
صغره على الشغل والطاعة وحسن الاخلاق
ال يصير ظالما جبارا * نعم ربما اسكن ذلك
حيان لكنه نادر ولو كان السلاطين قد
بين متملق ونمام ومفسد فى الانام لكنت ترى

و والذى يخشى منه فانه لا يفعل شيأ حسنا
اصول الحق وتعود على الملاطفة وحسن

المسلمون يحترمونه كل الاحترام ويخصونه بالتعظيم والتبجيل من بين الانام يكون ذلك اتباعا لما خاطب به الملك العلام فهم يطيعون اوامره الصعبة الشاقة ولا يجزعون منها لكونهم يعلمون ان احكامه مستنبطة من القرآن العظيم وسنة الامين الكريم الذى ماضل وماغوى وما ينطق عن الهوى الا ترى ان الرعية وارباب الديوان بالقسطنطينية قد اشهروا السلاح وفعلوا مالا يباح فى صورة ما اذا تعدى السلطان الحدود ومال عن نهج الجدود وقد اعترف مؤلف كتابنا ايضا بما يشهد عليه فقال بصحيفة (١٧٦) ما ملخصه ان الدين للسلطان زمام يمنعه عن ان يفعل كيف شاء بمحض ارادته ولو بلغ ما بلغ من كونه متصرفا مطلقا الا ان احكامه مقصورة عليه وشوكته مستمدة منه فيجب على السلطان الامتثال والانقياد من غير مجاوزة ما بينه الدين فاذا بين القرءآن شيأ من المعاملات او العبادات او سياسات الدول وجب على السلطان ان يعمل بموجب ذلك ولا تنفذ اوامره فى مناقضة ما هو مفروض بالدين * فيستبان من كلامه ان السلطان انما يحكم بموجب الدين وشريعة سيد المرسلين وحيث كان كذلك لا يمكن ان ننسب له الظلم باى وجه كان لانه حاشا ان تكون شريعتنا ظالمة وهل يظلم ربك احدا كلا وما ربك بظلام للعبيد هذا وقد خالفه فى قوله من ابناء ملته النصرانية عدة من العلماء الماهرين كالمؤلف مارسيغلى والمؤلف سيرجامبورتير وكذلك المؤلف غراسى والمؤلف سيلوسترى فانهما لم يسلما لمن تحامل على الدولة العثمانية من مؤلفى الافرنج ووصفها بصفات ذم لا تصدق عليها

واذا نظرت الى كيفية تربية السلطان فى صغره والى تربية اكابر دولته وارباب ديوانه ترى ان الدولة العثمانية ليست ظلمية ولا جورية بوجه من الوجوه وتظهر لك صحة ما قدمناه من ان السلطان ضيق الشوكة وليس مطلق التصرف بين رعيته فاذا فعل شيأ مخالفا للكتاب او السنة او القوانين السياسية لا يقره عليه ارباب ديوانه بل ولا تقبله الرعية ونقلت فى ذلك عن المؤلف غراسى عبارة صحيحة وان كانت للمسلمين من الضروريات الا انها

حسنا بحيث يقتدى به يعني انه يصلي اوقاته مع الخضوع وصدق النية من
غير نفاق ولا سمعة ويلزمه ان يتخذ الطاعة قبلته وحب اخوانه امامه
والفضائل كعبته وان يسعى مع الاجتهاد في تأدية ما يجب عليه انتهى
ولنرجع الى عبارة مؤلف كتابنا فنقول انه ذكر ان الدولة العثمانية
لا يوجد فيها كغيرها محاكم تعرض عليها القوانين والشرائع قبل بثها
ونشرها في المملكة

اقول ما يظهر مما تقدم ان هذا الزعم غير سديد لاننا ذكرنا ان ديوان
القسطنطينية محكمة يرد عليها كل ما يفعل في الدولة وذكرنا ان اربابه
يبطلون ما فيه ضرر الرعية ويجرون ما عداه فاذا صدرت بعض اوامر من
السلطان ورأى ارباب هذا الديوان انها مضرة او غير لائقة يردونها على
السلطان ولا يخشون بأسه فاذا اراد اجراءها وتنفيذها رغما عن انه يرى
الرعية لاسيما طائفة العلماء في قلق وجزع وتظهر التكدر والغيظ
فان لم يرجع عما عزم عليه عزل او قتل وقد ذكرنا امثلة ذلك واما في المحاكم
الشرعية عن بلادنا بالكلية فليس كذلك لان كل مدينة او قرية كبيرة توجد
بها محكمة شرعية عظيمة قاضيها عالم بالشريعة المحمدية ومتمكن منها اذ يشترط
شرعا ان يكون اعلم اهل زمانه ويفوض اليه في الاجتهاد فيما لم ينص عليه
الشارع وقل ان كان للقضاة بديار الاسلام دخل مع احد الحكام
فيكونون من حزب من ارشاهم لانهم من صغرهم يتعلمون من القرآن
والسنة ما يحثهم على اتباع الحق ويعلمون ما جاء من الاحاديث في شأن
القضاة والعلماء الغير العاملين

ذكر في التاريخ انه حصل في ايام الصدر الاعظم كيوپرلي احمد ان رجلا من
الاغنياء اصحاب العقارات اراد ان يشتري بيتا من جاره لاجل ان يوسع
بيته فطلبه من صاحبه فابى ان يعطيه له فظن انه يمكنه اخذه بطريق الغصب
واحضر شهودا شهدوا له بان صاحب البيت قد سامحه وباعه البيت واخذ
جانبا من ثمنه لئلا يمكنه الرجوع فلما ذهب بهم الى القاضي وكان من احبا

الاخلاق وسكت بعيدا عن المفاسد والمآثم ولوحظ ملاحظة صعبة من صغره فانه اذا صار سلطانا يستمر كما كان ولا يخرج عن نهج ما يجب عليه

ومع انه بعد توليته يصير رئيس الدولة تراه غير منفك القيد فى تصرفه بل يلاحظه المفتى فى جميع حركاته وافعاله وكذلك العلماء والعساكر فهو تحت ملاحظة طوائف ثلاثة طائفة الرعية وطائفة العلماء وطائفة العساكر وهذه الطوائف الثلاثة يجوز لها بموجب القرءآن ان تقتله او تعزله اذا سلك ما هو مخالف لشريعة النبى (صلى الله عليه وسلم) فترى السلطان لا يغفل ابدا عن فعل ما يجب عليه ولا يخرج عن منهج الحق خوفا من ان يغضب رعاياه لاسيما وهو يميل الى العدل والرفق بالخصال الحميدة التى طبعت فيه بحسن تربيته وتراه لا يفوته وقت من اوقات الصلاة التى اوجبها القرءآن بل يذهب الى المسجد فى ايام الاعياد والمواسم كبقية الناس واذا ذهب الى المسجد يقبل جميع الشكاوى التى تعرض عليه ويحققها وينتصف للمظلوم من المظالم وبالجملة فحكومة الدولة العثمانية التى تظهر انها اكثر حكومات اوروبا اطلاقا وتصرفا ترى السلطان فيها ضيقا عليه بانامس عادلين لا يغفلون عن ملاحظته وترى شوكته محدودة بحيث لا يمكنه ان يتجاوز حدوده ولا ان يعدل عما يجب عليه مثل ما يفعل غيره من ملوك الافرنج المطلقين التصرف

ولنبين الان كيفية تربية ارباب الدولة فنقول انهم يدخلون من صغرهم فى السراية ويربون فيها مثل اولاد السلطان بدون فرق فترى المؤدبين يشددون عليهم كاولاد السلطان بل واكثر لان السلطان ان كان يرفق بعض الاوقات بالمتوكلين بتربية اولاده لا يرفق بتربية من هم معدون لان يصيروا ذات يوم ولاة الدولة ومديرين مصالحها فهو يشدد فى ان يعودهم على الرفق والحلم والعدل والكرم ولا يرجى لهم رقى الا اذا تمكنوا من معرفة الاحاديث وتفسيرها وصار لهم اقتدار على تنزيل احكام القرءآن على كل مسئلة تحصل فى الجنايات او فى المصالح المدنية والعسكرية وعلى تفسير الآيات المشكلة عليهم من القرءآن هذا ولا يحصل لاحد منهم التقدم والنجاح الا اذا كان سلوكه

الغنى على الفقير فلما علم السلطان بذلك احضر القاضى وامر بتحقيق الدعوى فثبت الزور عند القاضى فامر السلطان بقتله وسلخه ووضع جلده على كرسى المحكمة ثم ولى ابن هذا القاضى محله وامره ان يجلس على جلد ابيه ويحكم بين الناس وهذا يدل على عدل السلاطين وميلهم الى الحق حيث ان تشديدهم بعض الاحيان تجاوز الحد فرجع الى الضد وكثيرا ما يوجد فى تاريخ الدولة العثمانية من مثل هذه الامور الصعبة التى هى عبرة عظيمة لولاة الامور تدعوهم الى اتباع سبيل الرشاد وتزجرهم عن ان يعدلوا عن شريعة سيد العباد

فيعلم مما تقدم ان الدولة العثمانية بديعة الترتيب والنظام راسخة الشرائع والاحكام لا يعترى قوانينها تغيير ولا تبديل بل وما لها فى الدول من مثيل وعلى ذلك يمكن حصر الاسباب التى دعت مؤلفى الافرنج الى ذمها فى شيئين اما مراعاة اختلاف الدين من البعض حيث انه فى مبدأ الامر كان ارباب الحل والعقد من القسيسين فلمحبتهم لملتهم يرون ما عداها قبيحا فهم منسوبون الى الاغراض وعدم النطق بالصواب واما الجهل من البعض الآخر باحوال الدولة العثمانية وقوانينها واحكامها وشرائعها وكل من هذين الامرين مقبول وقال به من يوثق بكلامه من المؤلفين بل قال به ايضا من هو عدل خال عن الاغراض من مؤرخى الافرنج اما السبب الاول فقد ذكره المؤلف سيليوسترى اليونانى وكان يعرف حق المعرفة ترتيب الدولة العثمانية ونظامها وقوانينها واحكامها فقال

قد اختلف المؤلفون النصارى فى شان الدولة العثمانية فوصفها بعضهم بوصف مهول ينفر من نظر اليه * ووصفها آخرون منهم بوصف حميد لطيف يريح قلب من اطلع عليه بحيث انه اذا نظر انسان فى هذين الوصفين يظن ان قول هؤلاء المؤرخين ليس فى شأن ملة واحدة بل هو فى شأن ملتين مختلفتين اما المذهب الاول فهو مختص بقبوله فى جميع الممالك المتمدنة من بلاد اوروبا ومنشأوه اختلاف المسلمين والنصارى فى الدين والاخلاق واما المذهب

طلب منه ان يجبر صاحب البيت على ان يعطيه حجة البيع وكان القاضي يعهد
صلاح صاحب البيت فسأله هل باع بيته ام لا لان البيع انما هو عن تراض
فخلف هذا الرجل بالقرءان المجيد انه لم يبع بيته لشاكيه وانه لم يأخذ منه شيأ
فتلبس قلب القاضي حينئذ بالظن بدعي المدعي وقال انه لم يقع بيع وحلف
على ذلك بالقرءان المجيد وانا اعهد فيه الصلاح فعند ذلك اراد المدعي
ان يوقف القاضي على الحقيقة حيث انه من احبابه فاخبره بان الشهود
قد اخذهم بالرشوة وانهم شهدوا الزور وان صاحب البيت لم يبعه بيته وانه
لم يعطه شيأ من ثمنه وانما يريد ان يأخذ منه البيت بهذه الطريقة حيث
لم يمكنه ان يأخذه منه بالرضا ثم طلب من القاضي بعد ذلك ان يجزله
مرامه ووعده بان يعطيه خمسمائة قرش فاظهر القاضي انه يريد تنجيز
مقصده بهذا المبلغ فلما احضرت الدراهم في كيس اخذها القاضي ووضعها
بجانبه واحضر حالا صاحب البيت ومن يدعي بانه اشتراه منه وسأل اولا
المدعي ثم الشهود فشهدوا بان البيت قد بيع امامهم وحلفوا على ذلك فالتفت
القاضي الى المدعى عليه وسأله فاجاب بان قول الشهود باطل وان قوله هو
الحق وحلف ثانيا بين يدي القاضي فقال له القاضي هل معك شهود فقال لا
فاخذ القاضي الكيس الذي كانت به الخمسمائة قرش ووضعه امامه
وقال له هؤلاء خمسمائة يشهدون عليك وامر حالا بحجز المدعي والشهود
واعلم الصدر الاعظم بذلك فاعرضه على ارباب الديوان فحكم عليهم بالقتل
واعطاء اموالهم لصاحب البيت المدعى عليه وعلقت رؤسهم عبرة لغيرهم
على باب البيت الذي ارادوا اخذه زورا من صاحبه * ولو فرض ان في القضاة
من هو ذو طوية خبيثة ونفس دنيئة لا تتأثر بوعظ ولا باحكام دينية تراه
في خوف ورعب من تفتيش حاكم الاقليم او القطر الذي هو به لان الحكام
بل والسلطان لا يغفلون عن مصالح الرعية وما فيه اصلاح حالها فان القاضي
يعزل ويقتل اذا ثبت عليه اختلاس او حكم بغير حق

وقد حصل كذلك في ايام السلطان محمد الثاني ان بعض القضاة كتم الحق ونصر

ولست صاحب مذهب وان ماقلته في تاليفي ليس الاعن يقين * وها انا ابرزه بقلب قوي لافرية ولامين * فلا اخشى مما اقوله في شأن ملة الاسلام قول مناقض * ولاراد ولا معارض * وبالجملة فيكفيني ان اقول ان كتابي ليس مشحونا بالترهات والخزعبلات * والاكاذيب والخرافات * كتأليف من سبقوني في هذا الشان * وكتبوا تاريخ بني عثمان * لاني اقمت خمسة وثلاثين سنة في مدينة القسطنطينية ومدينة ادرنه وازمير وحلب وجميع البلاد اليونانية التي في حكم الدولة العثمانية وبذلك امكن لي ان اعرف حكومة الاتراك بجزءياتها وكلياتها معرفة يقينية فاقول انها ترجح عندي على سائر الحكومات المطلقة ويوافقني على هذا القول اغلب اليونانيين ابناء جنسي فهم بقطع النظر عن دين الاسلام يوافقوني اذا قلت ما اسعد هؤلاء الناس بالنظر لقوانينهم المدنية واحكامهم السياسية

وتعلمت في صغري وانا بمدينة القسطنطينية اللغة العربية والتركية فاعانني ذلك كثيرا على مطالعة الشريعة المحمدية ومعرفتها حق المعرفة لما ان اصول هذه الشرائع محصورة كلها في كتاب واحد وهو القرآن فهو كتاب مقدس يستمدون منه عباداتهم ومعاملاتهم وفيه جميع الاحكام المحمدية التي لا يستطيع احد من المسلمين ان يتعداها في شئ انتهى

قال المؤلف غراسي الذي نقلت عنه فيما سبق رأي المؤلف سيلوستري رأي سديد * وعلى غاية من التعضيد والتأييد * وها انا اذهب اليه * واقتسم معه ما يرد عليه * فاقول كما قال اني لم اصنف كتابي لاجل اصحاب المذاهب الذين يحكمون على الشئ قبل تصوره فهم يأخذون بظواهر الاحوال * وظهور الحق مع ذلك محال * وانما جعلته لكل انسان خال عن الاغراض والظنون * والبدع والميول لا يعقد رأيه على شئ الا بعد البحث والتدقيق والفحص والتحقيق انتهى

واما السبب الثاني وهو احتمال جهل المؤلفين الذين ذموا الدولة العثمانية فقد نص عليه المؤلف دوسون ويكفيني في ذلك ان اذكر هنا نص عبارته وهو

الثانى فهو ناشئ عن عين الحقيقة

ومن المعلوم ان المؤلفين اصحاب المذاهب ليسوا كلهم مصيبين حيث انهم يتبعون آراء العامة و يكتبون عن لسانها ويتخذون اوهامها الكاسدة دليلا يسترشدون به وهو دليل لايؤدى الا الى سبيل الغى والضلال لاسيما اذا كان من يتبعه من المؤلفين ليس له معرفة خصوصية بالملة التى يريد ان يتكلم عليها او كان لم يجب قبل ذلك كل البحث عن معرفة عوائدها وشرائعها ودياناتها

وجميع المؤلفين من النصارى من غير ان تستثنى منهم احدا قد اتبعوا المذهب الاول لاسباب اكيدة منها ان من يقول الحقيقة فى شأن الدولة العثمانية يكون عند النصارى عرضة للوم والايذاء واستهزاء الناس به ومنها انهم اتخذوها فى تواريخهم لاجل انه اذا قرأها ارباب التفتيس من النصارى لايرون فيها مايدل على ان المؤلف يميل الى اهل دين اجنبى فيكون ذلك سببا فى تعويق كتابه وعدم نجاحه وقبوله لاسيما وهم يعلمون انه قد حصل عدة مرات ان قائل الحقيقة قد عوقب عقاب اهل الكبائر كما وقع ذلك مع من شذ عن دين الكنيسة وتجاسر على ان يكون من انصار مذهب رفضته ولم تقره بل حصل ذلك ايضا مع من هم بتعضيد بعض اشياء صحيحة من العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية كما عوقب الشهير غاليله بسجنه فى الديماس لتكفير ذنبه الذى جناه بقدح فكرته وتشغيل قريحته اذا ايد مذهب قوبرنيق دون مذهب بطليموس وقال ان الشمس هى القارة وان الارض دائرة حولها واخر سبب دعى المؤلفين النصارى الى ذم الدولة العثمانية هو انهم يعلمون ان الاتراك لايعتنون بقراءة تواريخ بلادهم التى يؤلفها النصارى فهم لايعتنون من باب اولى بمناقضتها ورد ماذموا به فيها * ولكن كان حق هؤلاء المؤرخين النصارى ان يصدقوا فيما ذهبوا اليه وان ينظروا بعين الاحتقار الى كل من اراد ان يتحزب عليهم فى الممالك المتمدنة من بلاد اوروپا

واقول هنا انى لم اصنف كتابى هذا لاجل اصحاب المذاهب من المؤلفين

والاصابة * فهو رونق تيجان تلك العصابة * مابارز فى ميدان التاريخ وغيره الاوسبق * ومارمى سهمه الافتك وفتق * خال عن الاغراض والبدع لايميل الى قول للترهات جمع * ومادرى ماالداعى له الى مخالفة كثير من المؤرخين * والعلماء الماهرين * فى شأن الدولة العثمانية * والالة المحمدية * وطالما قدمت رجلا واخرت اخرى * فى نقض رأى تلك الطامة الكبرى * حتى ثم عنتنى الحقيقة فلم يمكنى المخالفة * ومن نطق بالحق فما قال سفه *

وقد استنبطت ادلتى من تأليف الافرنج دون كتب الاسلام لئلا ينسبنى احد من اعداء الدين الى غرض يضعف قولى وتلك حجة اقوى فنقلتها بهذه المثابة وبينت من ذكرها من المؤلفين لكى يعلم ان من ذم الدولة العثمانية من النصارى لايخلو عن هذين الامرين الاخيرين

ونسأل الله ان يجعلنا من اهل

السعادة والسلامة

فى الدارين

تم

مع ان هذا العصر منور بمصابيح العلوم لا يعرف فى شان الدولة العثمانية سوى
مقدار اراضيها ووصفها الجغرافى واما فى غير ذلك فلم يقف لها احد على
حقيقة بل اقتصر الناس على معرفة ظواهرها ولم يجل بل ولم يشاهد نظر
احد من ارباب السياسة الوسايط التى بها انتظام حركات دولاب
سياسة هذه المملكة الكبيرة وانما اعتنى ارباب السياسة بمعرفة المسببات
دون الاسباب حتى ان اقوال المؤلفين فى شأن الدولة العثمانية كلها باطلة
اذ هى مبنية على ملحوظات ظاهرية بعيدة غير اكيدة فهى فى الاصل
اكاذيب وترهات ثم اخذت ونظمت فى سلك التواريخ الصحيحة وبذلك ضلت
بلاد اوروبا بتمامها عن سبل الرشاد فى معرفة عوايد الاتراك واخلاقهم
وقوانينهم وشريعتهم ودينهم

وفى الحقيقة يصعب رؤية احوال الملة التركية من خلف الضبابات الكثيفة
الحاجبة لها عن غيرها بسبب قلة مخالطتها للملل الاجنبية وذلك انها
لاختلاف دينها لا ترضى ان تعاشر غيرها فالدين حاجز حصين بينها وبين الملل
الافرنجية لاسيما وهناك اسباب اخرى طبيعية وسياسية تعضد عند الاتراك
تلك الاوهام الكاسدة الحائلة بينهم وبين الافرنج الى ان قال

ان من اطلع على شرائع الدولة العثمانية يرى فى احكام الاتراك واصولهم
ما هو بديع * ويرى فى معظم دياناتهم ما هو بعيد الشأو رفيع * وفى عباداتهم ما هو
جليل محكم * وفى شرائعهم ما هو مبنى على الحكم * وفى عوايدهم ما هو سهل
يحب * وفى اخلاقهم ما هو مألوف عذب * ومن قرأ فى تواريخ تلك الدولة
التى الفها المؤرخون الاتراك يرى فيها اناسا ذوى قريحة غزيرة * قد تولوا
السلطنة وظهر لهم رونق عظيم وبهجة كبيرة * ويرى ان الدولة العثمانية قد ظهر
من اهاليها على اختلافهم اناس ناجبون ذوو ذكاء وفطنة ويرى الوسايط
العظيمة التى بها انتظام ادارتها والوسائل الجسيمة التى بها ترتيب حكومتها
انتهى

ولكنه صعب على نقض قول مؤلف كتابنا لانه مشهور بين المؤرخين بالصدق
والاصابة

❊(قائمة)❊

فى شرح الكلمات الغريبة التى توجد فى كتابنا هذا مرتبة على حروف المعجم مضبوطة حسب الامكان ومفسرة على الوجه الاتم سوآء كانت اسماء بلدان او اشخاص او اشياء ليسهل النطق بها على قارئ الكتاب وتتيسر مراجعتها لمن ارادها من الطلاب

حرف الالف

ابروچه

بكسر الهمزة وسكون الموحدة اسم لمدينة عظيمة من بلاد الفلمنك موضوعة فى سهل لطيف على خليج ظريف ممتد من مدينة اوستندة الى مدينة غندة وهى بعيدة عن البحر بثلاثة فراسخ وعن شرقى اوستندة باربعة وعن شمال غندة الشرقى بثمانية بينها وبين مدينة باريس تسعة وسبعون فرسخا وهى فى الدرجة الحادية والخمسين من العرض الشمالى وفى الثانية عشر من الطول الشرقى وعلى ثلاث وخمسين من الطول الغربى وتجارتها عظيمة وبها فبريقات القطن والصوف والشيت

ابريطانيا الكبرى

بكسرتين بينهما موحدة ساكنة يطلق الآن على مجموع انكلترة وايقوسيا وارلندة والاراضى الواسعة التى اخذها الانكليز من الفرنساوية وهى الآن اوسع ممالك الدنيا بسبب حسن سياستها وتدبيرها وحدها من جهة الشمال البحر المحيط الاطلنطيقى ومن جهة الشرق بحر المانيا ومن جهة الجنوب بحر المنش ومن جهة الغرب خليج سنجيورج او بحر ارلندة

اخائية

بفتح الهمزة والخاء المعجمة وكسر الهمزة الثانية بعدها مثناة تحتية مشددة

بفتح الهمزة وكسر الرآء وسكون السين المهملة فمثناة فوقية فهو فى الاصل اسم للجيد القوى ثم نقل الى حكومة الاشراف والاعيان

ارشيدوق

بهمزة مفتوحة وراء ساكنة وشين معجمة مكسورة لقب لامرآء عائلة اوستريا

اسبانيا * اوايسبانيا

بكسر الهمزة وسكون السين المهملة فباء موحدة بعدها الف فنون فمثناة تحتية فالف هى ما كان يسمى سابقا جزيرة الاندلس وهى محدودة من جهة الشمال بجبال البرنات وجون غسكونيا ومن جهة الشرق والجنوب الشرقى ببوغاز جبل طارق الفاصل بينها وبين افريقية ومن جهة الجنوب الغربى بالمحيط الاطلانطيقى ومن جهة الغرب ببلاد البرتوغال وجبالها مملوءة بالغابات ومعادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والزئبق وغير ذلك وبها فبريقات الجلد والسختيان والسجادات ومعامل السكر والصابون والزجاج ومع ذلك تجارتها وصنايعها ضعيفة هينة

اسبرطه ويقال ميزتره اوميستره

بكسر الهمزة وسكون السين المهملة فباء موحدة وراء ساكنة وطاء مهملة مفتوحة آخرها هاء اسم لمدينة من مورة على البعد من آثار اسبرطة القديمة بنصف فرسخ وبينها وبين مدينة تربيوليزة تسعة فراسخ ويشرف عليها من جهة الغرب جبل تيجيت وفى شمالها جبل ميسترة الذى عليه قلعتها وهى مدينة حسنة المنظر

استاش * اواستاس

بهمزة مكسورة وسين مهملة ساكنة فمثناة فوقية فالف آخره شين معجمة اومهملة اسم لشاعر شهير لاطينى كان فى عصر الايمبراطور دومسيان

صفة لعصبة الاخائيين نسبة الى اخائه وهو فى الزمن السابق اسم للجزء الشمالى من مملكة المورة الذى كان على شرقيه مملكة بيسيونى فلما ادخل الرومانيون فى مصالح اليونان وكانت معاندة الاخائيين اعظم قوة اليونان اطلق الرومانيون هذا الاسم اى اخائى على جميع المملكة التى مبدؤها اقليم تساليه ومنتهاها الاقسام الجنوبية

اراغون

بفتح الهمزة اسم لاقليم عظيم من اقاليم اسبانيا كان سابقا مملكة مستقلة لها قوانين مخصوصة ثم صار من داخل مملكة اسبانيا وقاعدته مدينة سراغوسه واكبر انهره نهرابره ويكثر به معادن الملح وفيه معادن الحديد والذهب وحده من جهة الشمال جبال برنات الفاصلة بينه وبين فرانسا ومن جهة الغرب نهر نوار ومن جهة الجنوب مملكة ولنسه ومن جهة الشرق جزء من مملكة ولنسه وقتالونيا

ارتواس * اوارتوازه

بفتح فسكون فضم اسم لاقليم من اقاليم فرانسا وهو الآن جزء من اقليم باديكالس كان محدودا سابقا من جهة الشمال باقليم الفلمنك الفرنساوى ومن جهة الشرق باقليم الهينوت الذى يقال له الهينولط وباقليم كمبريس ومن جهتى الجنوب والغرب باقليم بيكاردى وكرسيه مدينة اراس

ارخبيله

بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وكسر الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية ساكنة فلام مفتوحة آخرها هاء معناه مجمع جزائر ويطلق بالغلبة على بحر جزائر الروم الموجود بين اوربا وآسيا واشهر هذه الجزائر جزيرة جريد وقبرص ونغريبون وردس ويقال ايضا ارشبيله

ارستوقراطى

وتقلد منصب البابية (سنة ١٤٩٢) ومات ميتة شنيعة (سنة ١٥٠٣) وذلك على ماقيل انه اراد هو وابنه بورجيا أن يرثا بعض الكرادلة الاغنياء لاحتياجهما الى الاموال اذ ذاك فصنعا وليمة ووضعا سما فى بعض قزازات ليسقيا منها من ارادا موته من الكرادلة فغلطا وشربا السم الذى كانا اعداه لغيرهما

آسيا

بهمزة ممدودة وسين مهملة مكسورة فمثناة تحتية فالف اسم لاحد اقسام الدنيا الخمسة وهى محدودة من جهة الشمال بالبحر المجمد ومن جهة الجنوب ببحر الهند ومن جهة الشرق بالبحر المحيط الاكبر الفاصل بينها وبين امريقه ومن جهة الغرب بجبال اورال الفاصلة بينها وبين اوروبا وبالبحر الاسود وبحر مرمرة والبحر الابيض وبرزخ السويس والبحر الاحمر ويكثر بها المحصولات المعدنية والحرير والقطن وغير ذلك

اغرغوار السابع

بكسر الهمزة وسكون الغين المعجمة فراء مكسورة فغين معجمة ساكنة فواو مفتوحة بعدها الف فراء اسم لرجل شهير من بابات رومة كان يقال له اولا هايدوبرند وكان ابوه نجارا فى مدينة يقال لها اسوانه من بلاد طوسكان وهى متخربة الآن وتربى هذا البابا فى مدينة رومة ثم ترهب فى ديركرلينة ثم عاد الى رومة مع اسقف مدينة طوله المسمى باسم برونون وهو الذى ولاه الايمبراطور هنرى الرابع بابا على رومة ثم صارت له الكلمة فى الانتخاب فلما مات هذا البابا خلفه اغرغوار المذكور وكان فيه غيرة شديدة حيث عزم على مقاصد جسيمة فيما يخص الديانة وترتب على شدة طمعه تعكيرات وتقلبات فى ايطاليا فلما رآى ان الرومانيين قد ضجروا منه لكونه هو السبب فيما حل بهم من المصائب والفاقة سئم من ذلك وذهب الى مدينة سالرنة بمملكة نابلى ومكث هنالك الى أن مات (سنة ١٠٨٥)

اغرغوار التورسانى ۞ او اغرغوار دوتورس

الذى اغدق عليه بالخيرات ومات هذا الشاعر فى نابلى بعد الميلاد بنحو مائة سنة وله قصائد مشهورة احسنها القصيدة المسماة بربوس وله قصيدة تسمى تيبايد ترجمها الى الفرنساوية كومبليول ترجمة حسنة

استريا ❋ اواستريا

بهمزة مضمومة فسين مهملة ساكنة فمثناة فوقية مكسورة بعدها راء ساكنة فمثناة تحتية آخره الف اسم لايالة من ايالات المانيا تنسب لايمبراطور النمسا وحدها من جهة الشمال اقليم موراويا واقليم بوهيمه ومن جهة الشرق بلاد المجار ومن جهة الجنوب دوقية ايستريا وقارنثى ومن جهة الغرب ايالة تيرول ومملكة باويره وبها من المعادن معادن الذهب والفضة والنحاس والحديد وغير ذلك وتوجد فيها المياه المعدنية

استوريس ❋ اواستريس

بكسر الهمزة وسكون السين المهملة بعدها مثناة فوقية مضمومة فواو ساكنة فراء مكسورة اسم لرجل من هولندة شهير بسياحاته فى بلاد الموسقو والتتار والعجم والهند وغيرها وكان اول سياحاته (سنة ١٦٤٧) من جزيرة مدغشقر الى جزيرة يابونيا وساح (سنة ١٦٥٥) من ايطاليا فى الارخبيلة وآخر سياحته كان (سنة ١٦٦٨) من بلاد الموسقو الى بلاد العجم ولم يعد الى وطنه الا فى (سنة ١٦٧٣)

اسقفيات

بهمزة مضمومة وسين مهملة ساكنة وقاف مضمومة ففاء مكسورة فمثناة تحتية مشددة جمع اسقفية وهى اسم للاراضى التى يحكمها الاسقف وتطلق على وظيفته القسيسية وعلى محل سكناه

اسكندر البساوس

هو اسم لرجل من بابات رومة ولد (سنة ١٤٣١) فى مدينة ولنسة باسبانيا

وستين سنة ولما بلغ من العمر ثماني عشرة سنة وكان في مدينة ابولونيا ببلاد
اليونان يتعلم العلوم والآداب اخبر بموت خاله القيصر جاليوس فذهب فورا
الى ايطاليا وطلب أن يخلفه لانه كان يعلم ان مشورة السنت تعينه على ذلك
ثم تولى ايمبراطورا على مملكة الرومانيين بعد حروب ومنازعات طويلة وسمته
المشورة باسم اغسطوس وكان يدعى اوّلا اوكتاو ولقبته ايضا بابي الوطن
ثم بعد مدة اراد ان ينزل عن منصبه فترجته المشورة أن يبقى عليه وسافر
الى بلاد الغلية وسيسليا واليونان وآسيا وكان محبوبا عند الجميع وتولى
منصب البابية قبل الميلاد بثمان سنين فحرق الكتب المدونة في مذهب
القديسة سبيلة وتمسك بمذهب تبير * مات بمدينة نولو وقد بلغ من العمر
خمسا وسبعين سنة

افرنك * ويقال فرنك وفرنقه

بكسر الهمزة وسكون الفاء وفتح الراء بعدها نون ساكنة فكاف اسم جنس
على طوائف متبربرين جاؤا في سالف الازمان من بلاد جرمانيا الى فرانسا
وكانت تسمى غاله وهجموا عليها في اوائل القرن الخامس عشر وطردوا
الرومانيين منها وتمكنوا بها الى الآن ومن ذلك الوقت سموا فرنساوية
وسميت بلادهم بلاد فرانسا ومعنى افرنك احرار سائبون ويطلق ايضا
على نوع من المعاملة الفرنساوية تساوي قيمته الآن اربعة قروش

افردريق الثاني

بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر الراء بعدها مثناة تحتية فدال مهملة
ساكنة فراء فمثناة تحتية ساكنة آخره قاف هو حفيد افردريق الاول وابن
الايمبراطور هنري الخامس ولد (سنة ١١٩٤) وولي ملكا على الرومانيين
(سنة ١١٩٦) فلما غضب البابا انوسان الثالث على الايمبراطور اوتون الرابع
وصار طريد الكنيسة انتخب مطران ميننسه افردريق هذا ايمبراطورا عوضا
عن اوتون المذكور وكان ذلك في (١٣) كانون الاول (سنة ١٢١١)

اسم لرجل تولى اسقفية مدينة تورس (سنة ٥٧٣) وكان مولده (سنة ٥٤٤)
وهو من عائلة مشهورة من اقليم اوبرنه حضر عدة مجامع قسيسية واظهر
الجزم والثبات فى عدة فرص والف تاريخا اثريا وبشريا من دخول دين
النصرانية فى بلاد الغالية الى (سنة ٥٩٥) وهو وان كان ابا التواريخ
الفرنساوية الاان المؤرخين بعده لم ينسجوا على منواله ذهب فى آخر عمره
الى مدينة رومة ومات بها (سنة ٥٩٥) فكان عمره احدى وخمسين سنة

اغزينفون * اواغزنوفون * اوزينفون

بهمزة مكسورة وغين معجمة ساكنة وزاى مكسورة بعدها نون مكسورة
اومضمومة هو اسم لعدة اشخاص لكن المقصود فى كتابنا هذا اغزينفون
المورخ الفلسفى وهو ابن اغريلوس ولد بمدينة اثينا قبل الميلاد باربعمائة
وخمسين سنة تخرج على سقراط فى الفلسفة والسياسة ثم اشتغل بالعسكرية
وذهب لاعانة الشاب قيروس فى غزوته مع اخيه أرتكزرسيس وكان
اغزينفون رئيسا على عشرة آلاف فهزموا عساكر ارتكزرسيس مع انهم
كانوا جيشا جرارا كثير العدد لكن مات فى هذه الواقعة قيروس المذكور
ثم عاد اغزينفون مع عساكره الى بوغاز كابيولى وارخ تلك الواقعة ومدح
قيروس واثنى عليه بما حواه من الفضائل ولم يذمه بشئ سوى طمعه فى تعديه
على اخيه فى ذلك القتال ثم لما رجع الى وطنه تعلق بملك لقدمونه المسمى
اجيزلاس وكان اذذاك حاكما على آسيا وتوجه معه الى معاونة اهل اسبرطة
وامتاز اغزينفون فى هذه الواقعة ايضا بالحزم والشجاعة وبعد انقضاء
الحرب ذهب الى مدينة قورنثه واشتغل فيها بالامور العقلية النفيسة
الى ان مات قبل الميلاد بنحو ثلثمائة وستين سنة

اغسطوس

بضمتين فسكون اسم لرجل اعجب واغرب بغزارة عقله وسعة علمه وفصاحة
عبارته وكان امره عجيبا فى استمالة الناس اليه ولد برومة قبل الميلاد بثلاث

لان اهل افريقة متولعون بها

افردريق الثالث

كان مطرانا في بريمه ثم تولى بعد موت ابيه كرستيرن الرابع ملكا على دانيمرقة سنة (١٦٤٨) ثم مات سنة (١٦٧٠) بعد ان جعل تاج دانيمرقة وراثيا وكان قبله انتخابيا

افلاق او ولاق

اقليم من اقاليم بلاد العثمانية في اوروبا واهله نحو ٩٠٠ مليون وهم ما بين ارناؤد وارمن ويهود وبلغار وسرب واروام ارضه كثيرة الجبال يخرج منها القمح والذرة بانواعهما والعنب وغيره من الفواكه والخضراوات والدخان وبها معادن الذهب والبارود والكبريت وحاكمها يتقلد المنصب من ديوان الدولة العلية تحت حمايتها او ...و يدفع للدولة العلية كل سنة نحو مليونين من الفرنكات ودين الافلاق هو دين الاروام ومثلهم في ذلك الموسقو وهذه الولاية كولاية بغدان بسبب المنازعة بين العثمانية والموسقوبية وقاعدتها مدينة بكراش بضم الباء الموحدة وسكون الكاف وفتح الراء بعدها الف فشين معجمة وقل ان يوجد مثل هذا الاقليم في خصوبة ارضه وحسن منظره وحده من جهة الشمال سلسلة جبال تفصله من بغدان ومن جهة الجنوب نهر دانوب الذي يرويه ويفصله من بلاد بلغار ومن جهة الغرب اقليم سروى المسمى بالتركية سرولايتي واقليم ترنساواني

افلندرة ويقال لها الفلمنك

بهمزة مكسورة ففاء ساكنة ولام مفتوحة ونون ساكنة ودال مهملة اسم لاقليم من اقاليم مملكة البلاد الواطية محدود من جهتي الشمال والغرب ببحر الشمال ونهر زيلندة ومن جهة الجنوب باقليم افلندرة الشمالي ومن جهة الشرق باقليم افلندرة الشرقي واهله ٥٢٠٠٠٠ واغلب اراضيه خصبة جدا فمن ثم كانت زراعته زاهية زاهرة وكذلك ما يصنع في ورشه ويخرج منه القمح والزيت والدخان والسمن وغير ذلك لاجل التجارة مع البلاد

لكن لم يحظ بهذا المنصب الايمبراطورى مع الامن والراحة الابعد موت اوثون (سنة ١٢١٨) ووقع بينه وبين ابنه الذى كان يحكم المانيا مشاجرة بسبب عصيانه عليه فذهب اليه وجمع مشورة الدينية فى مدينة مينسه للمذاكرة فى هذا الشأن فحكمت على الابن العاصى بالسجن الدائم (سنة ١٢٣٥) وبعد ذلك بمدة يسيرة انتخب ولده الثانى المسمى كونراد الرابع ملكا على الرومانيين ثم غضب على افردريق المذكور البابا اغرغوار التاسع (سنة ١٢٣٦) لكونه تغلب على عدة اقاليم من اقاليم ايطاليا وبعد ذلك بمدة عزله البابا انوسان على موجب ما حكمت به المشورة القسيسية التى اجتمعت فى مدينة ليون (سنة ١٢٤٥) وكانت ايامه مشحونة بالحروب مع الرعايا العاصين فسئم من ذلك وذهب الى مدينة فيورنزوله باقليم بويه ومات بها فى (١٣) كانون الاول (سنة ١٢٥٠)

افريقة ※ اوافريقية

هى احد اقسام الدنيا الاربعة وهى بحيث جزيرة محدودة من جهة الشمال بالبحر الابيض الفاصل بينها وبين اوربا ومن جهتى الجنوب والغرب بالبحر الاطلنطيقى ومن جهة الجنوب الشرقى ببحر الهند ومن جهة الشرق ببرزخ السويس والبحر الاحمر الفاصل بينها وبين آسيا واغلبها فى المنطقة المحترقة ومنظرها مختلف فتارة ترى فيها صحارى متسعة لاانيس بها وجبالا شاهقة ينزل منها سيول يتكون منها انهر كبيرة كجبال القمر التى ينزل منها النيل وتارة ترى قرى تكتنفها الاشجار المثمرة ومدنا حسنة الوضع والمنظر لها بساتين آمنة لطيفة يأتى اليها الناس من سائر الاقطار وطورا تجد بطائح تعجب الناظر وتروق الخاطر وسهولا خصبة واودية ظريفة كثيرة الغدران التى تروى اراضيها وتولد فيها الطراوة والخصوبة وبها معادن الذهب والفضة والملح وتكثر بها الحيوانات الاهلية والوحشية وبها طيور ظريفة حسنة الزغب والصوت يندر وجودها فى محل آخر وتجارتها زاهرة

وخربوها من نهر دانوب الى نهر الرين

الپه

بفتح الهمزة وسكون اللام جبال شاهقة ببلاد اوروبا فاصلة بين ايطاليا وفرانسا والنمسا والنمويسة والمانيا وهي ممتدة من خليج جنويزة الى البحر الادرياتيقي فيكون امتدادها ثلثمائة واربعين فرسخا ورؤسها مستورة بالثلج والجليد دائما وبمساعدة منابع منها منبع نهر تيزان ومنبع نهر الرين وانهار اخرى كبيرة

الچيه

بهمزة مكسورة ولام ساكنة بعدها جيم اعجمية تنطق بين الجيم والشين جمع الچي وهو الرسول المبعوث من طرف دولة الى اخرى بصدد مصلحة جسيمة كعقد صلح او حرب او نحو ذلك

الفريدوس او الفريد الاكبر

بفتح الهمزة وسكون اللام وكسر الفاء والراء بعدها مثناة تحتية ساكنة اسم ملك ولد سنة (٨٤٩) واستولى على مملكة انكلترة سنة (٨٧١) وهزم الدانيمرقيين واخذ مدينة لندره واحيى في مملكته العلوم والفنون والآداب والحرف والصنايع ومارس العلوم بنفسه والف عدة كتب وزهت في ايامه التجارة والملاحة وعظمت القوى العسكرية الحربية ودارت في زمنه انكلترة مأوى للعدل والراحة مات سنة (٩٠٠) من الميلاد وله عدة مؤلفات وقوانين عظيمة اسسها على الحكمة والحزم

الكنتره

بهمزة وكاف مفتوحتين بينهما لام ساكنة ثم نون ساكنة مثناة فوقية مفتوحة مدينة صغيرة من مدن اسبانيا على نهر تاجه يكتنفها اسوار مشحونة بالبروج والحصون اهلها ٣٠٠٠ وهي على البعد من مدينة مدريد بثلاثة وخمسين فرسخا وفي البرتوغال مدينة اخرى تسمى بهذا الاسم

المانيا

الاجنبية وتطلق هذه الكلمة ايضا على اقليم من اقاليم شمال فرانسا

اقلودس ويقال قلوديوس

بكسر الهمزة وسكون القاف والذال المهملة اسم لشاعر عظيم ولد بمدينة هرسيليا ومات سنة (٤٠٥) وترك من القصائد والاشعار ما يطول به ذكره

اكزرسة ويقال اكزرسيس

بهمزة وزاى مكسورتين بينهما كاف ساكنة والرآء ساكنة والسين المهملة بعدها مفتوحة اسم للملك من ملوك العجم وهو من اولاد دارا خلف اباه فى الملك قبل الميلاد باربعمائة وخمس وثمانين سنة وحارب مصر وانقادت اليه وترك فيها اخاه اكمين وتوجه الى بلاد اليونان بجيش يبلغ ثمانمائة مقاتل والف من السفن الحربية قال هردوط ان هذا الملك ثقب جبل اتوس ليفتح فيه ممرا لسفنه لكن اثبت متأخرو السياحين ان هذا الجبل لم يثقب قط وقتل هذا الملك قبل الميلاد باربعمائة وخمس وستين سنة وهو نائم قتله رجل من ضباطه يسمى ارتابان

اكلرمونت ويقال كلرمون

بكسر الهمزة وسكون الكاف وكسر اللام بعدها راء ساكنة اسم لمدينة من مدن فرانسا ذات تجارة عظيمة فى الغلال والاقمشة الطريفة وبها اورش كثيرة متنوعة واهلها ٢٤٠٠ وهى على شرقى مدينة بويس بالبعد عنها بستة فراسخ ونصف وعلى البعد من شمال مدينة باريس بخمسة عشر فرسخا ونصف

الان ويقال الالان

بفتح الهمزة الممدودة اسم لامة قديمة من الامم المتبربرة كانت تسكن اولا على نهر الهيبانى ثم اجلاها عنه الهونيون فتشتتت فى جبال كوكازة اوقوقازة وذهب بعضها الى نهر تنايس وشن الغارة على بلاد اوروبا فنعهم عنها البطل وسيپيان فكثوا فى ابريطانيا حتى استرضى سنجرمان دوكزير ملكهم وسكن غضبه ثم اجتمعوا بالوندالين قبل الميلاد باربعمائة وخمس سنين ونهبوا البلاد

وخربوها

اناطولى

هى شبه جزيرة من اسيا تحت حكم الدولة العثمانية وتسمى ايضا اسيا صغرى او السفلى وهى محدودة من جهة الشمال بالبحر الاسود ومن جهة الشرق بنهر دجلة ومن جهة الغرب ببحر مرمرة وبوغاز الدردنيل وبوغاز اسلامبول

أنجو

بفتح الهمزة وسكون النون اقليم قديم من اقاليم فرانسا وكانت قاعدته مدينة انجرس

انوسان الثامن

بكسر الهمزة وتشديد النون المضمومة اسم لبابة من بابات رومه ولد سنة (١٤٣٢) وتولى كرسى الاسقفية ثم رئاسة الاساقفة وبعد ذلك تولى بابوية سنة (١٤٨٤) ومات سنة (١٤٩٢) والف عدة شذرات تتعلق بدم عيسى عليه السلام وبالقدرة الالهية وبحمل مريم عليها السلام من غير ان يمسها بشر

اوتون الاكبر

بضم الهمزة والمثلثة ويقال له ايضا اوتون الاول وهو من امبراطرة المانيا ولد سنة (٩١٢) ولبس تاج الامبراطورية سنة (٩٣٦) وكان يحب محاربة الامراء جميعا ... ايطاليا ... على ... وكانوا ... ومات سنة (٩٧٣)

اوميروس

هو اقدم شعراء اليونان و... وهو ... وذهن غريب وكان موجودا قبل الميلاد بتسعمائة سنة والاصح انه ولد بمدينة ازميار بجزيرة ساقز وساح فى جميع بلاد اليونان قبل ذهابه من ... الى ... ولوفون وفقد فيها بصره ومن ثم لقب بالاعمى وساح ايضا بمصر وبلاد اناطولى وغيرها ولذا كان يعرف اخلاق الناس وعوايدهم واشعاره حماسية فلذلك ترجمت الى اكثر اللغات وكان اسكندر الاكبر تعتني بقراءتها بل امر بجمعها لانها

بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الميم وكسر النون وفتح المثناة التحتية مملكه عظيمة من ممالك اوروبا محدودة من جهة الشمال ببلاد دانيمرقة وبحر بلطق ومن جهة الشرق ببلاد پولونيا ومن جهة الجنوب ببلاد المجار و بلاد ايطاليا ومن جهة الغرب ببلاد الهلويسة و بلاد فرانسا ومملكة الپلاد الواطية يبلغ سطحها من الفراسخ المربعة اثنين وعشرين الفا ومائتين واثنين واهلها ثلاثون مليونا وهى منقسمة الى عدة ممالك صغيرة كل مملكة منها محكومة بملك مستقل عن الاخر لكنهم متعاهدون مع بعضهم ولذلك تسمى المانيا بالجمعية الجرمانية ثم ان الاداب وسائر العلوم حصل لها تقدم عظيم عند اهل المانيا ولهم اليد الطولى فى علم الطب البشرى وعلم الفلك وسائر العلوم الرياضية وغيرها وعساكرها ٣٠٢٥٣٧ منها لمملكه النمسا ٩٤٨٢٢ ولمملكه البروسيا ٧٩٢٣٤ ولمملكه باويرة ٣٥٦٠٠ ولمملكه ورتمبرغ ٢٣٩٥٥ ولكل مملكه من الممالك الباقية عساكر على حسب كثرة اهلها وقلتهم فمنها ماله عشرة آلاف ومنها ماله اثنا عشر ومنها ماله ثلاثة عشر ومنها ماله اقل من ذلك

امريقة ويقال امريكه او امريقية

بفتح الهمزة وسكون الميم هى احد اقسام الدنيا الاربعة او الخمسة يفصلها من اوروپا وافريقة البحر المحيط الاطلنطيقى و يفصلها من آسيا المحيط المعتدل الذي سماه بعضهم بحر الصلح او البحر الساكن لانه راكد غالبا ويكثر بها انواع النباتات والحيوانات وللانكليز فيها بعض املاك وكذلك اهل اسبانيا والبرتوغال وقد مكثت مدة طويلة مجهولة حتى كشفها كرستف كلمب فى ذهابه الى بلاد الهند سنة (١٤٩٢) من الميلاد الموافق ذلك لسنة ٨٩٧ من الهجرة ولهذا سميت بالدنيا الجديدة و ينقل منها الى البلاد الاجنبية من مواد التجارة الخشب والقطن والقطران والنيل والغلال والذهب والفضة ودود القرمز والنيلة وخشب الصبغ والسكر والبن وغير ذلك وهى منقسمة الى قسمين امريقة الشمالية وامريقة الجنوبية يفصل بينهما برزخ پنمة

حرف الباء

باپة او پاپا

هو اسم لاسقف رومة رئيس الكنيسة الكبرى واصله فى اللغة اليونانية پاپاس اى الاب وكان مطلقا على الاسقف اما كان لاسيما اسقف اسكندرية ثم خص باسقف رومة سنة (١٠٧٣) فى ايام اغرغوار السابع

بارون

هو فى الاصل لقب لاكابر الملتزمين ثم صار يلقب به كل ملتزم له ارض التزام وتنسب ارضه اليه فيقال باروية اى ارض البارون والانثى بارونة

بحر الخزر ويقال الخزر

هو من بحار اوروپا بين بلاد العجم والموسقو والتتار يكتنفه من اغلب جهاته جبال شاهقة وهو منقطع لا يتصل بغيره من البحور وان زعم بعضهم انه يتصل بالخليج الفارسى بواسطة عيون تحت الارض وعليه يكون بحيرة كبيرة

برغونيا

بضم الباء وسكون الراء وضم الغين المعجمة اسم لاقليم من اقاليم فرانسا القديمة محدود من جهة الشرق باقليم افرنشكنتة ومن جهة الغرب باقليم بربونة ومن جهة الجنوب باقليم ليونة ومن جهة الشمال باقليم شنبانيا وتختها وقاعدتها مدينة ديجون وهو الآن اربع مأموريات

پرلمان

بفتح الباء الفارسية وضم اللام بينهما راء ساكنة كان يطلق فى زمن قدماء الملوك الفرنساوية على الديوان الذى يجتمع فيه اكابر المملكة ليتشاوروا فى شأن المصالح الجسيمة وهو مأخوذ من پرلماتوم وهى كلمة لاطينية معناها محل المذاكرة او مجلس يجتمع فيه عدة اشخاص للمذاكرة فى المصالح البلدية ويطلق فى بلاد انكلتيرة على الديوان الذى تجتمع اربابه بطلب الملك وهو مجلسان مجلس للقسيسين والاعيان ويسمى المجلس العالى واخر لوكلاء الاقاليم والمدن وهو المجلس السافل

بحماستها تنعش قلوب العساكر وتبعثهم على الميل الى الحروب وله قصيدتان
نظميتان يعتبران كامهات اشعار اليونان

ايدوارد الثالث

هو ابن الملك ايدوارد الثانى ولد سنة (١٣١٢) بمدينة وندسور وخلف اباه
فى الحكم سنة (١٣٢٧) وكان ذلك بتحيل امه وتغلب على مملكة ايقوسيا
وعزم على عزل فيليبش دوولوه ملك فرنسا فاضطرمت بينهما نيران الحرب
سنة (١٣٤٦) وكانت النصرة لايدوارد فاخذ مدينة كالس وعدة مدائن
اخرى وممالك فيليبش وقع الحرب بين ايدوارد وابن فيليبش فهزمه ايدوارد
واسره سنة (١٣٥٧) وارسله الى انكلترة ولم يرجع منها الا بعد اربع سنوات

ايقوسيا

هى قسم من ابر يطانيا الكبرى فى شمالها محدود من جهة الجنوب الشرقى
بانكلترة ومن سائر الجهات بالبحر واهله مليون وثمانمائة الف وسهوله كثيرة
الخصب وكان يسمى سابقا قاليدونيا وقطره شديد البرودة فى الغالب لكن
هواؤه صاف ملايم للصحة وجباله مشحونة باشجار يخرج منها خشب
العمارات وفيها معادن الفحم والرخام وغير ذلك ولم تزل ايقوسيا مستقلة
برأسها فى الحكومة الى زمن ملكها ياكوس او جاكوس السادس الذى دعى
بجلوس على كرسى انكلترة ولم تنضم ايقوسيا الى انكلترة الا فى حكم الملكة آنة
اوحانة وتختها مدينة ايدنبورغ

ايلكتور

بكسر الهمزة واللام بينهما مثناة تحتية ساكنة وسكون الكاف وضم
المثناة الفوقية معناه منتخب بكسر الخاء والجمع ايلكتورس اى منتخبون
وهم جماعة من الامراء كان لهم ببلاد المانيا الحق فى انتخاب الامبراطور

امبراطورية

اسم لما عظم من الممالك وبلغ فى الاتساع والشوكة والسطوة درجة عالية
ويقال لمن تولاه امبراطور وذلك كدولة الرومان فى قديم الزمان

(١٧٤٠) وله مصنفات عظ

مينه و يقال بيدرس لوميط

ة وسكو الاراء العباد زاهد واشتهر به

وير نصارى بيت

خر القرن العاشر واوائل الحادى عشر طه وبين

واعتقادات المسيحية دعت نصارى

المقدس من كل فج عميق وذهب هذا الرجل ايضا

١٠٠) والمطرح احبران النصارى وكرت عسر

رت نفس الباب اوربان الثانى من ذلك وارسل

كي فيها ما شاهده فصار يدعو من الادنى الى آخر

عظم ميدان دون القائمين المشاة وعدد جسيم

ت المقدس فلما نظرهم المسلمون صاحوا الله اكبر

هم فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وقد حصلت

وس المذكور في اخذ بيت المقدس من المسلمين

الف وتسعه وتسعين

بغداد

بغداد يخترقها نهر دجلة ويكتنفها ... دق كبير

وبل عليه اسمها ... ابو جعفر المنصور رقم

لى هذه المدينة ... ستون الف

البلاد الواطية

المحدودة من جهة الشمال بحر المانيا وتمتد

بحر المانش ومن جهة الجنوب بمملكة فرنسا ودن

اسفل وارضها خصبة وتبلغ فيها الصنايع درجة

وش القماش والحرير وايرادها السنوى تخمينة

بروزسة

بضم الموحدة التحتية وسكون الراء وفتح الواو وسكون النون وفتح السين المهملة آخره هاء اقليم فى جنوب فرنسا بجانب البحر تغلب عليه الرومان ثم المسلمون ثم اجلاهم عنها الملك كرلوس مارتيل

البريطريانية

وجاق من العساكر كان بمدينة دروسة يخشى بأسه وسطوته وكان فيها بمنزلة الانكشارية فى القسطنطينية

پريووت

بكسر الباء الفارسية والراء وسكون المثناة التحتية وضم الواو ويقال له ايضا پريوست اسم لرجل من فرنسا ولد سنة (١٦٩٧) وكان فى مبدء امره ذا طيش فطرد بذلك من وطنه فكان تارة يذهب الى بلاد هولنده وتارة الى بلاد انكلترة وكان تعيشه من صناعة الكتابة وكان يسمى پريووت اكزيل اى المنفى لاخراجه من وطنه الى البلاد الاجنبية ثم دعى الى بلده سنة (١٧٣٤) ومات سنة (١٧٦٣) وترك مؤلفات عظيمة ومصنفات جسيمة اعظمها كتاب ذكر فيه اخبار رجل من اهل الفضل اعتزل الناس ولا يخفى ما فى ذلك من الاشارة لنفسه ومنها تاريخ كليولند وكتاب يسمى ما للمرء وما عليه وتاريخ ادبى جسيم وتاريخ السياحات التى حصلت من ابتداء القرن الخامس عشر وقد كمل هذا التاريخ المؤلف كرلون والمؤلف سرپجى واختصره المؤلف لاهرب ومنها تاريخ كرلوس اغرنديسون وله كثير من التاليف غير ذلك وقد ترجم تاريخ عائلة ستورد الملوكية ومجموع تآليفه الكاملة اربعة وخمسون مجلدا

بسوة

بضم الموحدة التحتية وسكون السين المهملة وفتح الواو آخره هاء اسم لمؤرخ شهير ولد بمدينة ديجون سنة (١٦٢٧) وهو عريق الحسب والنسب ذهب الى مدينة باريس سنة (١٦٤٢) وفاق الاقران بفضله وكثرة معارفه وشاع

بمثناة فوقية وسين مهملة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة آخره مثناة فوقية
مؤرخ شهير من مؤرخي اللاطينيين كان من اعظم اهل عصره حتى انه لمعارفه
وصل الى اكبر مناصب الامبراطورية فقد اتحفه الامبراطور وسپازيان
والامبراطور تيطس بالمناصب الجليلة وله تآليف عديدة مفيدة منها كتابه الذي
اودع فيه اخلاق الجرمانيين ومنها تاريخ الامبراطرة وعدة تواريخ اخرى
شهيرة غير ان بعضها اضاعته صروف الزمان والبعض الآخر موجود
ومرغوب الى الآن

التتار

اسم لعدة قبائل مختلفة كل قبيلة منها تسمى باسم يخصها الا انها متحدة
في الاخلاق والعوايد ولهم مهارة في ركوب الخيل وهم متوحشون
كاسلافهم ولما انقرضت الدولة الرومانية تركوا صحاريهم وساروا كالجراد
المنتشر فمنهم من تغلب على بلاد اوروبا وهم الهونيون ومنهم من استولى على
بلاد العجم ثم على معظم اناطولي وبعد ذلك تغلب على مدينة القسطنطينية
وهم التركمان

تتارستان

هي بلاد التتار وكانت في القرن الثاني عشر اوسع الممالك واعظمها شوكة
وذلك ان الامبراطور جنجيس خان جمع قبائل التتار وجعلها عصبية واحدة
فقويت بذلك شوكته وتغلب على بلاد الصين وبلاد العجم وجميع بلاد آسيا
من البحر الاسود الى بحر الهند ثم تغلب خلفه على بلاد الموسقو وبلاد بولونيا
وجزء من بلاد المانيا ولولم يقع انفشل بين هذه القبائل لتغلبت على بلاد اوروبا
بتمامها

توليده او طوليده ويقال طليطلة

مدينة على نهر تاجه شهيرة بما كابده اهلها من المشاق بعد خروجهم عن
طاعة الحاكم بن هشام ثالث خليفة من بني امية بالاندلس وكانت تخت
اسبانيا قبل مدينة مدريد

بليزنسة

مدينة عظيمة من مملكة ايطاليا بالبعد عن الشمال الغربي من دوقية برمة باربعة عشر فرسخا وعن الجنوب الشرقي من دوقية ميلان باحد عشر فرسخا وبها كثير من المباني الظريفة المشيدة والكنائس المرونقة المزخرفة واهلها عشرون الفا وتشتمل على فبريقات الحرير والبرانيط وغيرها

البندقية ويقال البنادقة

اسم لمدينة كبيرة ذات ثروة محدودة من جهة الشمال بالبحر الادرياتيقي ومبنية على مائة وثمان وثلاثين جزيرة صغيرة وحاراتها ضيقة ومبلطة بعضها بالحجر وبعضها بالرخام وبها مبان شهيرة منها كنيسة سنت مرق وهي مبنية بالحجر والرخام وحواليها مائتان وثمانية وثمانون عامودا من الرخام ويجلب الى هذه المدينة من البلاد الاجنبية القماش والسكر والبن وانواع الشراب والزيت والادوية والنيلة والصوف والزعفران والصمغ وغير ذلك وبها فبريقات يصنع فيها انواع الاقمشة النفيسة كالقطيفة واقمشة الحرير وغيرها وكان تأسيسها سنة (٤٢١) وهي تحت حكومة البنادقة

جمعيات بوليتيقية

بضم الموحدة التحتية منسوبة الى البوليتيقة ومعناها السياسة وذلك لان هذه الجمعيات تتذاكر في شأن ما يخص سياسة الدول والرعايا

بيزة

بكسر الباء الفارسية وسكون المثناة التحتية وفتح الزاي اسم لمدينة عظيمة من دوقية طوسكانة على البعد من مدينة ليورنة من جهة الشمال باربعة فراسخ وكذلك من جهة الشرق وبها مبان عجيبة اشهرها الكاندرال اي الكنيسة الكبرى وكذلك البغروي وهو دار عظيمة كالقبة في انحنائها مبنية بالرخام الابيض وارتفاعها مائة قدم

حرف التاء

تأسيت

بفتح الجيم وسكون النون وكسر الواو بعدها مثناة تحتية آخره زاى اسم لدوقية عظيمة كثيرة الجبال المشحونة بالغابات والاشجار وبها مروج وسهول لطيفة وقطرها معتدل وفيها بعض معادن من الرخام والمرمر الابيض وكانت سابقا جمهورية عظيمة ذات تجارة كبيرة ودخلت تحت حكم القوطيين ثم اخذها منهم اللمبرديون فهدمت من ذلك الوقت الى ان بناها الملك كرلوس مانوس واضافها الى مملكة الفرنسيس ثم فتحها المسلمون فى القرن العاشر وقتلوا رجالها وسبوا نساءها واطفالها ثم اخذت فى العمار ثانيا وصارت زاهية زاهرة بتجارتها وصنايعها حتى صارت تساعد ملوك النصارى فى الحروب الصليبية الان ثروتها جعلتها مطمح نظر الحاسد فصارت تنتقل من غزوة الى اخرى حتى وقعت فى اواخر القرن الرابع عشر تحت حكم كرلوس السادس ملك فرنسا ثم خرجت عليه بعد ذلك بمدة قليلة ودخلت فى حكم كرلوس السابع ثم قامت عليه ايضا وعادت الى ما كانت عليه من حريتها القديمة وصارت تحكمها العائلة اندروديه التى قتلت سنة (١٦٨٤) بامر الملك لويز الرابع عشر

حرف الدال

دلماتيا

بفتح الدال المهملة وسكون اللام وفتح الميم بعدها الف فمثناة مكسورة فمثناة تحتية مفتوحة اسم لولاية عظيمة فى شرقى خليج البنادقة وحدها من جهة الشمال اقليم بسنية ومن جهة الشرق اقليم سروية وبين جهة الغرب والجنوب البحر ويكثر بها النبيذ والقمح والمواشى والزيت والثمار وغيرها

دوفين

بضم الدال المهملة وسكون الواو وكسر الفاء بعدها مثناة تحتية ساكنة فنون اسم للابن البكرى من اولاد ملوك فرنسا ويقال لزوجة الدوفين دوفينة

ديت

تيتاوه

بكسر المثناة الفوقية بعدها مثناة تحتية ساكنة فمثناة فوقية ساكنة فلام مكسورة اسم المؤرخ لاطيني شهيرا ختلف في منشأته فقيل مدينة بندو وقيل مدينة ابونة وله تأليف مفيد اشهرها التاريخ الروماني من تأسيس رومة الى موت القيصر دروزوس في بلاد النمسا ومات هذا المؤرخ بمدينة بندو بعد الميلاد بسبع عشرة سنة

حرف الثاء

ثاليس

هو احد الاسفة اليونان المشهورين ولد بمدينة ميليطه قبل الميلاد بستمائة واربعين سنة تقريبا ساح في البلاد عدة سنوات وذهب الى مصر وتعلم فيها العلوم الرياضية ثم عاد الى وطنه وفتح مدرسة ومن تلامذته فيثاغورس وكان له باع طويل في علم الفلك وهو اول من برهن على كسوف الشمس والقمر وهناك ثاليس آخر وهو شاعر يوناني ولد في جزيرة كريد

حرف الجيم

جاليوس الثاني

هو احد بابات رومة ولد في قرية ألبيزالة وجعله عمه البابة سكستوا الرابع رئيسا على الجيوش القسيسية سنة (١٤٧١) وارسله الى اقليم اومبرى لتسكين اهله وكانوا قد خرجوا عن طاعة البابة فهزمهم وقمع البغي منهم وتولى بابة سنة (١٥٠٣) وهو الذي حرض ملوك اوروبا على جمهورية البنادقة فكان سببا في عصبة كبرية المشهورة ومات سنة (١٥١٣)

الجمعية الجرمانية

ويقال لها المعاهدة الجرمانية وهي كناية عن اتفاق ملوك المانيا على ان يكونوا جريدة واحدة بحيث يكون من تعدى على واحد منهم كانه تعدى على الجميع وكان رئيس هذه المعاهدة امبراطور النمسا

جنويز ويقال جنويزة

السنات ويقال السنت

بتشديد السين المهملة المكسورة وفتح النون وتسكين المثناة الفوقية اسم لمشورة كانت عند الرومان سابقا يجتمع بها اكابر الدولة للمذاكرة في شأن المصالح المهمة ويطلق في بعض البلدان على محكمة ملوكية تقام بها الدعاوى

سوابه

ضم السين المهملة وفتح الواو والموحدة التحتية اسم لقسم عظيم من بلاد المانيا محدود من جهة الشمال باقليم ران الاسفل واقليم فرنكونية او فرنكونيا ومن جهة الغرب بنهر الرين ومن جهة الشرق باقليم باويرة من جهة الجنوب ببحيرة كونستنسه ونهر الرن وجزء من ولاية تيرول

السويسة

مملكة في اوروبا محدودة من جهتي الشمال والشرق ببلاد المانيا ومن جهة الغرب بمملكة فرنسا ومن جهة الجنوب بمملكة ايطاليا وهي اكثر ممالك اوروبا جبالا وبها كثير من البحيرات والانهار الا ان ارضها في الغالب مجدبة وان كانت زراعاتها كثيرة

سسرون ويقال شيشرون

بكسر السين المهملة بعدها شناة تحتية ساكنة ثم سين مهملة مكسورة ثم راء مضمومة اسم لرجل عظيم من ادباء الرومان ولد بمدينة ارپينوم سنة (٦٤٧) من تاسيس رومة اشتهر بالخطابة والحزم والاصابة حضر على اشهر العلماء بمدينة رومة حتى انه في اول خطبة خطبها في المحافل العمومية اخذ بعقول الناس ومع ذلك سافر الى بلاد اليونان ومكث يمارس العلوم والآداب بمدينة اثينا عند علمائها الناجبين ولكن كان يرى في عبارته قرينا لهم لا تابعا او قد خطب خطبة في جزيرة رودس اودع فيها من الفصاحة والبلاغة ما جذب اليه القلوب حتى ان بعض معلميه المشهورين وهو ابولونيوس مولون قال في شأنه ما معناه واحسرتاه على بلاد اليونان قد هزمت بجند الرومان

بكسر الياء المهملة بعدها مثناتان تحتيتان اولاهما ممالة بين الكسرة والفتحة
والثانية ساكنة آخره مثناة فوقية اسم مشهورة وكلاء المملكة بلاد المانيا
وبلاد بولونيا وبلاد اسوج

حرف الراء

روسيلون

قليم من اقاليم فرنسا محدود من جهة الشرق بالبحر الابيض ومن جهة
الغرب باقليم سردانيا ومن جهة الشمال باقليم اغيد ومن جهة الجنوب
باقليم قتالونيا وقد ضم الآن هذا الاقليم اى اقليم روسلون الى اقليم سردانيا
وصارا اقليما واحدا يقال له البيرينة

رومة

بضم الراء اسم لمدينة شهيرة من بلاد ايطاليا وهى كرسى البابا ويقسمها نهر تبره
الى قسمين يتصلان ببعضهما بواسطة اربع قناطر عظيمة ولها سور حصين يبلغ
محيطه خمسة فراسخ وليس لها نظير فى حسن مبانيها القديمة وبهائها ويعسر
على الانسان ان يعرف مقدار الاعمدة والهياكل والكنائس والحفنات
المزخرفة والمحال الفاخرة القديمة الموجودة بتلك المدينة التى اسست قبل
الميلاد بسبعمائة واثنتين وخمسين سنة

رمولوس

ضم الراء والميم واللام اول ملوك رومة وهو الذى اسسها واتقن قوانينها
الداخلية واحكم ترتيبها مات قبل الميلاد بسبعمائة وخمس عشرة سنة بعد
ن حكم سبعة وثلاثين عاما

حرف السين

سقراط

ولد بمدينة اثينا قبل الميلاد بار بعمائة وتسع وستين سنة وكان فى مبدء امره
يشتغل بصنعة ابيه وهى النحت ثم تركها وتولع بالفلسفة حتى بلغ فيها درجة
الكمال حتى تخرج عليه فلاسفة مشاهير منهم زينوفون وافلاطون

كة ثم استولى على الشام و بلاد العرب و بلاد العجم وسار لاخذ بيت
قدس من النصارى فانتصر على جيوشهم نصرة عظيمة سنة (١١٨٧)
اخذ منهم بيت المقدس سنة (١١٨٨) ثم مات وله من العمر سبع وخمسون
نة حكم في مصر اربعا وعشرين سنة وفي الشام تسع عشرة واعقب
بعده عشر ولدا من الذكور تقاسموا ممالكه بعده

حرف الغين

اقليم غرناطة

و بلاد اسبانيا وهو آخر ممالك الاسلام بها وقاعدته مدينة غرناطة وقد خرج
نها عدة مؤلفين منهم صاحب ايجاز الطب وهو يوسف ابن الغرناطي
صاحب احكام القرآن وهو عبد المنعم بن محمد ابن عرس الغرناطي

غوتيون او غوطيون

سم لامم كانوا اولا بشمال اوروبا في بلاد اسوج و بلاد دانيمرقة ثم انفصلوا عن
منهم في القرن الرابع وصاروا قسمين احدهما يسمى اوستروغوطيين والثاني
سمى ويزيغوطيين او ويسيغوطيين وهم الذين تغلبوا على الامبراطورية
رومانية وسلبوا اموال رومة وخربوها

غودفروا دو بوليون

ضم العين المعجمة وسكون الدال المهملة وضم الفاء وسكون الراء وفتح الواو
عدها هو ابن اوستاش الثاني ولد قبل منتصف القرن الحادي عشر
وقد ظهر منه وفور الشجاعة والبراعة فقدر رياسة العسكر في الغزوات
صليبية

الغولة او الغلية

اسم لامة من الامم القديمة المتبربرة كانت مشهورة عند اليونان باسم السلت
وتغلبت على بلاد جرمانيا و بلاد ايليرية او ايليريا وكان الرومانيون يخشون
باسها لانها كانت تحب الحرب لا تبقي ولا تذر

حرف الفاء

وهاهي الآن قد اشرفت على الهزيمة في ميدان الفصاحة بخطابة فيقرون
نتهي مات قتيلاً قبل الميلاد بثلاث واربعين سنة ويوجد له الآن مؤلفات
جسيمة صحيحة

حرف الشين

شرلمانيا ويقال كرلوس مانوس

هو كرلوس الاول ملك فرنسا ولد سنة (٧٤٢) تقريبا وتملك بعد موت ابيه
على جميع بلاد فرنسا وهزم السكسونيين عدة مرات وجبرهم على التمسك
بدين النصرانية ثم انتقل الى ولاية لونبارديا وهزم ملكها المسمى ديديه
وصار ملكا عليها ثم انتقل الى اسبانيا وانتصر فيها واخذ منها عدة مدن واحيى
علوم الآداب وغيرها من الفنون ثم كان يلقب بمحيي العلوم والآداب مات سنة
(٨١٤) بعد ان قسم ممالكه بين ابنه لويز وحفيده برنارد

امارة الشوالري

بضم الشين المعجمة وفتح الواو وضم اللام وبعدها راء اسم لرتبة شريفة كانت
محترمة ذات خصوصيات ومزايا جليلة حتى ان الملوك كانوا يفتخرون
بانتظامهم في سلك اربابها كما فعل الملك فرنسيس الاول ولذلك لا يطلق الآن
لفظ شواليير الا على الاكابر والمتميزين العظام

حرف الصاد

صلاح الدين

هو الناصر يوسف بن ايوب سلطان مصر والشام واصله من الاكراد ثم دخل
مع اخيه في خدمة السلطان نور الدين سلطان الشام فلما طلب العاضد لدين
الله عبد الله بن يوسف احد خلفاء الفاطميين بمصر الاعانة من السلطان
نور الدين امده بجيش وجعل صلاح الدين واخاه رئيسين عليه فلما وصلا
بالجيش الى مصر جعل العاضد صلاح الدين وزيرا واميرا على عساكره ومات
العاضد بعد ذلك بيسير فتملك صلاح الدين على مصر ثم مات السلطان نور الدين
وكان له ولد قاصر فصار صلاح الدين وصيا عليه واخذ يرتب قوانين عظيمة

هو احد ملوك فرنسا ولد بمدينة قونياقة سنة (١٤٩٤) وتولى على المملكة بعد موت زوج امه لويز الثاني عشر ولما مات الامبراطور ... فرنسيس المذكوران يتغلب على مملكة ... ولم يمكنه ذلك ... فاصطرمت بينهما نار الحرب ... فرنسيس بعد ان كاد ... عطية واحدة ... يقول قد فقدنا كل شيء ما عدا الشرف ولم يخلص ... بشروط صعبة وكان موته سنة (١٥٤٧)

فرنكونيا

بكسر الفاء وفتح الراء وسكون النون وضم الكاف قسم من بلاد المانيا محدود من جهة الشمال بولاية ... ومن جهة الشرق بمملكة ... ومن جهة الجنوب بمملكة ... ومملكة باويرة ومن جهة الغرب باقليم ... ويخرج بارض ... الطيبة وكان عدد اهلها يبلغ ... سنة (١٨٠٦) ... الى ... ودوقية ... الكبرى وآخر الى مملكة ... واعطى جزء ... وهو ... وما بقي اضيف الى مملكة باويرة

فلسطين

اسم لولاية من بلاد اسيا محدودة من جهة الشمال ببلاد الشام ومن جهة الشرق بالجبال التي حاف نهر الاردن ومن جهة الجنوب ببلاد العرب ومن جهة الغرب بحر ... من العجائب الطبيعية والاصطناعية ... اسو رشي

فلورانسة

بضم الفاء واللام وفتح الراء وسكون النون اسم لمدينة هي قاعدة دوقية طوسكان ببلاد ايطاليا موضوعة في واد نضر ظريف وفيها اعدة كنائس وكتبخانات وقصور منيفة وبساتين انيقة ظريفة واهلها ... الفاء ... كثير من الفبريقات وتجارتها عظيمة

فلون

[illegible] زمان

[illegible] قبل [illegible]

[illegible]

[illegible] المشهورة [illegible]

[illegible] اسم [illegible]

[illegible] على [illegible] قسطنطينيا ايضا بعد موت

[illegible] الحروب [illegible] الالمانية [illegible]

[illegible] الصلح الا على شرط

[illegible]

فرمان الذهب

[illegible] مثلا الالمانيون

[illegible] الامبراطور كرلس الرابع فرمان الذهب وهو معنى قول [illegible]

[illegible] كان من جملة ما تضمنه ان الالمانيون [illegible] انتخاب الامبراطورة

فرنسا

[illegible] من ممالك اوروبا محدودة من جهة الشمال [illegible] البلاد

[illegible] ومن جهة الشرق بجبال الپه وجبل يوره الفاصل بينها وبين بلاد

[illegible] ومن جهة الجنوب ببحر سفيد ومن جهة الغرب بالبحر الاطلنطيقي

[illegible] خصبة واهلها ارباب نشاط وفطنة وشجاعة وفنون وصنائع و[illegible]

[illegible] من المدارس ودواوين العلوم ويكرم بها اهل الفضل ولكن طالما كابدت

[illegible] مصائب ومشاق في ايام الاشراف والحكومة الالتزامية حتى انها كانت

[illegible] في السابق اسوأ ممالك اوروبا صارت الآن اسعدها واحسنها ومنشأ

[illegible] تقدم اهلها في العلوم والحرف والصنائع

فرنسيس الاول ويقال فرنسوا

قونتيسة

اسم لزوجة القونتسة و يطلق ايضا على المرأة التى لها ارض تسمى قونتية بغير من القاب الامرآء يلقب به من هو فى المرتبة الثانية من مراتب الشرف

حرف الكاف

كرلوس السابع

هو ابن الامبراطور ليوبولد ولد سنة (١٦٨٥) وتولى امبراطورا على بلاد المانيا سنة (١٧١١) ومات سنة (١٧٤٠) وكرلوس السادس امبراطور خرج من عائلة اوسترسيا واخر امبراطرتها

كولونيا

اسم لمدينة فى بلاد البروسيا كانت سابقا تحت اقليم كرلونيا راقعة على شاطئ نهر الرين واغلب حاراتها ضيقة مظلمة و بيوتها رديئة البناء واعظم مبانيها الكنائس وفى ترسخاناتها عدة انواع من الاسلحة القديمة التى تشتاق النفس الى رؤيتها و يوجد فى المدينة معامل الدخان وورش القطن والقطيفة وغير ذلك واهلها تسعة وثلاثون الفا

حرف اللام

لوبيك

مدينة فى المانيا اسسها القونتة آدولف الثانى سنة (١١٤٠) محكمة البناء نظيفة الحارات كانت سابقا من اعظم مدن المانيا ثم نقصت عما كانت عليه وان كانت تجاراتها عظيمة الى الآن فقد كانت فى الزمن السابق كثيرة القلاع للمسلمين ثم انهدمت فى واقعة سنة (١٨٠٦) ولم يبق بها سوى الاسوار وبها معامل السكر واقمشة الصوف والحرير واقمشة الشراعات وبها ايضا معامل الدخان والصابون والسختيان وغير ذلك واهلها اربعون الفا

لونبرديه و يقال لمبرديه اولمبرديا

بضم اللام وسكون النون او الميم بعدها باء موحدة تحتية مفتوحة وراء ساكنة فدال مهملة مكسورة اسم لامة كانت فى الاصل بشمال اوروبا مقيمة بجزير

سر الفاء والنون وضم اللام اسم لاديب شهير ولد سنة (١٦٥١) ولما بلغ العمر تسع عشرة سنة صار في الخطابة والوعظ بمكان عظيم حتى شهد له الناس بالفضل والمهارة واستمال قلوبهم بحسن فصاحته وبيان بلاغته حتى ان الملك لويز الرابع عشر اختاره في سنة (١٦٨٩) لتربية حفيده وحتى غير ذلك من المناصب الشريفة وله تآليف عظيمة في الفلسفة وما وراء الطبيعيات والآداب ومن مؤلفاته الادبية كتابه المعروف بوقائع تليماكوس وهو كتاب نفيس عظيم الفائدة يحث على اتباع الفضيلة والتوحدة والمروءة وعدم الميل الى الشهوات النفسانية فهو عظيم لتعليم الصبيان وهداية لابناء الملوك الامراء وقد ترجم الى اللغات الاجنبية وكان موت فنلون المذكور سنة (١٧١٥)

فيليبش لو بيل

هو فيليبش الرابع ولو بيل لقبه ومعناه الظريف وكان ملكا على بلاد فرنسا وارولد سنة (١٢٦٨) وتولى على المملكة بعد موت ابيه سنة (١٢٨٥) واخذ بلاد غيينة من ايدوارد الاول ملك الانكليز سنة (١٢٩٥) وانتصر انتصارا عظيما على الانكليز والفلمنك سنة (١٢٩٦) ومات في اليوم التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة (١٣١٤)

حرف القاف

قانون ويقال قاطون

اسم لمؤرخ كان موجودا سنة (٢٠٠) من الميلاد واسمه الاصلي والريوس قاطون

قرطاجنة

مدينة شهيرة ببلاد افريقية كانت سابقا كمدينة رومة وصارت الآن خربة لم يبق الا آثارها وهي على البعد عن تونس باربعة فراسخ

قمبانيا وكمبانيا

بضم القاف وسكون الميم جمعية منعقدة للتجارة وتجمع على قمبانيات

وكان ... الثالث ...

ثم ... على ذلك ...

فافاده القديس برنارد ان مثل هذا الذنب لا ...

أن يعين المجاهدين النصارى على حماية ...

١١٤٧) ومعه جيش بلغ ثمانين الف ...

الى بلاده ومات بمدينة باريس سنة (١١٨٠)

لويز العاشر

ملك فرنسا ونوار خلف اباه فى الملك سنة (١٣١٤) ...

... مملكته ووقع بينه وبين ...

... وتسمية سنه (١٣١٦)

لويز او غروس اى الغليظ

... السادس ابن فيليبس الاول ملك فرنسا ولد سنة (١٠٨١) ...

١٠٩) وتولى المملكة سنة (١١٠٨) وفى مبدء حكمه اخذ فى ...

من الملتزمين كانوا خارجين عن طاعته ومكث ثلاث سنوات ...

ده فى اذلالهم حتى اخذ سنة (١١١٥) قلاعهم ...

و بين هنرى الاول ملك الانكليز وما زال الحرب بينهما الى ...

... وكان موت لويز المذكور سنة (١١٣٧) بعد ان مكث ...

ليزيتاجره

باللام وسكون المثناة التحتية وكسر الزاى ... مثناة تحتية ...

... فوقية مفتوحة ثم جيم ونون مكسورتان ...

... او مشورة وكلاء المملكة وهى مشورة ... فى ممالك اوروبا ...

... الرعايا وانما سميت بمشورة وكلاء المملكة لان اربابها ...

... بطريق الوكالة عن الاهالى

كنه ناوقه تركات بشواطى نهر الرين حتى دعاها برسطيانوس ... الى المقاتله العوطيين واعطاها فى نظير ذلك اقليم نورنبك ... ولى ولاازالت من يومئذ تزداد قوة وشوكة حتى تغلبت على بلاد المانيا ... ست فيها مملكة وجعلت كرسيها مدينة باويه ... ان الامبراطور الاصل من بلاد التتار

لويز التاسع وهو ... لويز اى لويز القديس

واحد ملوك فرنسا وهو ابن لويز الثامن ولد سنة (١٢١٥) وتولى المملكة سنة (١٢٢٦) وكان ابن العربكة محب اهل الفضل والمعارف وكان ... عظيمة فى الحرب واشتهر فى عدة غزوات ... الى مدينة دمياط سنة (١٢٤٩) غير انه غلب فى بندر المنصورة واسر هو ومن معه من الملتزمين ومعظم جيشه ففدى نفسه بتسليم مدينة دمياط وفدى من معه من الاسرى بمبلغ جسيم من الاموال ثم سار الى فلسطين ومنها الى فرنسا واجتهد فى اصلاح ما فسد فى ايام غيبته ونشر بين رعيته الوية العدل ... ذهب سنة (١٢٧٠) الى بلاد افريقة وحاصر مملكة تونس واخذ ... بعد ثمانية ايام ثم مات بتلك البلاد فى السنة المذكورة بمرض وباء ... اصابه كاد يهلك جيشه

لويز الحادى عشر

كان ملكا على فرنسا وابن كرلوس السابع ولد سنة (١٤٢٣) وتولى المملكة سنة (١٤٦١) وصار يظلم الفرنساوية ويكلفهم من الغرد والغرامات ما لا يطيقون حتى افتقر اكابرهم واعيانهم وتعصب عليه الناس ... عصبهم باعطائه لكل رئيس من رؤساء العصبة ما كان يطلبه وله حروبات عديدة مع الانكليز ومات سنة (١٤٨٣)

لويز السابع

هو ايضا من ملوك فرنسا وهو ابن لويز السادس الذى كان يلقب لوغروس اى الغليظ ولد سنة (١١٢٠) وتولى المملكة بعد ابيه سنة (١١٣٧) وكان

هي مشورة وظيفتها بت الحاكم في سائر ما يقام فيها من الدعاوى ومتى
حكمت بشيء فلا يمكن نقضه وتطلق ايضا على مشاور خصوصية لبعض
ملوك المانيا

مقدونيا

اقليم شهير ببلاد اوروبا محدود من جهة الجنوب باقليم تساليا وجزائر
الارخبيل ومن جهة الشرق باقليم تراسة ومن جهتي الشمال والغرب
سلسلة جبال فاصلة بينه وبين اقليم بلغار وهو جزء من بلاد روملي ويسمى
عند الترك فيليب ولايتي اى ولاية فيلب لانه وطن فيليبش ابي اسكندر
الرومي المشهور

مورة

شبه جزيرة في جنوب بلاد اليونان محدودة من جهة الشمال بجون ليبنته
ومن جهة الشرق بجون اثينا وجون ناپولي ومن جهة الجنوب بجون
كولوشينة وجون قورون ومن جهة الغرب بخليج اركاديا وكانت تشتمل
سابقا على عدة ايالات كثيرة العمران ومعظم ارضها جبلية الا ان فيها كثيرا
من السهول اللطيفة والاودية النضرة الخصبة ويزرع بها القمح والعنب
والثمار وهي من اصلح البلدان واحسنها وضعا بالنظر للتجارات البحرية
وبها عدة مينات لطيفة كمينا پتراس ومينا قورون ومينا ناوارين الشهيرة
بالواقعة العظيمة التي حصلت عن قريب بين السلطان محمود وملوك الافرنج
الذين استعان بهم اهل مورة بعد ان كاد أن يواهم بجيوش صاحب السعادة
مصر وشبله ابراهيم ضرغام العصر ومفتاح النصر

مونتسكيو

بضم الميم وسكون الواو والنون وكسر المثناة الفوقية وسكون السين المهملة
بعدها كاف مكسورة فمثناة تحتية مضمومة اسم لمؤلف شهير ولد
سنة (١٦٨٩) وتعلقت اماله بالتأليف حين بلغ من العمر عشرين سنة فألف
تآليف نفيسة منها كتابه المسمى روح الشرائع وكتابه المسمى بالمراسلات

حرف الميم

ميلون و يقال مايلون

بميم مفتوحة فموحدة تحتية مكسورة ولام مضمومة اسم لمؤلف شهير ولد سنة (١٦٣٢) و بعث الى بلاد النمسا سنة (١٦٨٣) ليبحث عما يستمد منه تاريخ فرنسا وساح في ايطاليا سنة (١٦٨٥) وكانت مصاريفه على طرف الملك ثم عاد الى فرنسا بفوائد عظيمة وثمرات جسيمة ومات بمدينة باريس سنة (١٧٠٧)

المجار

بفتح الميم والجيم اقليم كبير في بلاد اوروبا محدود من جهة الشمال باقليم غاليسه ومن جهة الشرق باقليم الوالاشي ومن جهة الجنوب ببلاد الترك ومن جهة الغرب ببلاد المانيا واهله ملاح القدود شجعان محرصون على الانتقام والاخذ بالثار متدينون بالدين القاثوليقي غيران دائرة العلوم والمعارف عندهم ضيقة وقاعدة هذا الاقاليم مدينة بستة

السلطان محمد الثاني

يقال له السلطان محمد الاكبر ولد بمدينة ادرنة سنة (١٤٣٠) من الميلاد وخلف اباه وهو السلطان مراد الثاني سنة (١٤٥١) و بمجرد تسلطنه تعلقت آماله بقتال اليونان فحاصر القسطنطينية وفتحها عنوة سنة (١٤٥٣) وحاصر ايضا بلغرادة واستولى على قورنثة وضرب الجزية على بلاد مورة وفتح ايضا مدينة طرابوزان وغيرها واغار سنة (١١٧٠) على جزيرة اغر بوزة التي يقال لها في بعض الكتب العربية نقر بنت واستولى على قاعدة مدنها و بعد ذلك بعشر سنوات ارسل عمارة سفن كبيرة الى جزيرة رودس وفزعت منه بلاد ايطاليا و بلاد اوروبا وآسيا لم ينقذها منه الا موته فانه كان يضاهي اسكندر الاكبر وكان موته سنة (١٤٨١) من الميلاد واستغرقت مدته احدى وثلاثين سنة

المشورة الاوليقية

مدينة في بلاد المانيا ذات تجارة عظيمة وحاراتها ضيقة وبيوتها عالية جدا
اسمها الاهبراطور كرلوس مانوس

هنري الاول

هو ابن هوتون دوق سكس ولد سنة (٨٧٦) وخلف كونراد ملك جرمانيا سنة (٩١٩) وكان ذا مهارة ونشاط حتى انه رتب قوانين بديعة النظام وانشأ عدة مدن حصينة وهزم البوهيميين والاسكلاوونيين والدانيمرقيين وكذلك المجار سنة (٩٣٤) بمدينة مرسبورغ وشن الغارة على مملكة لورين ومات سنة (٩٣٦)

هنري الثالث

هو ابن الايمبراطور كونراد الثاني ولد سنة (١٠١٧) وخلف اباه في الايمبراطورية سنة (١٠٣٩) ووقعت له حروب مع اهل بولونيا وبوهيمة والمجار ومات سنة (١٠٥٦) بمدينة بوتغلدة في مملكة سكس

هنري الخامس

لبس تاج الملك سنة (١٤١٥) وتغلب على بلاد نورمنديا ومات وعمره ست وثلاثون سنة

هنري السادس

هو ابن هنري الخامس خلف اباه في ممالكه سنة (١٤٢٢) وهو ابن عشرة اشهر وكان وصيه على فرنسا الدوق بدفورد ووصيه على بلاد انكلترة الدوق غلوستير لكن فيما بعد ضاعت منه هاتان المملكتان واخذ اسيرا وسجن في برج بمدينة لندرة حتى قتله غلوستير في السجن سنة (١٤٧١)

هوغس كابيه

هو اول ملوك الدولة الثالثة من دول فرنسا فلذا انتسب اليه فيقال الدولة الكابيتية وتملك على فرنسا لما حازه من وفور الشجاعة وحميد الخصال ومعنى كابيت الرأس الكبير قيل لقب به لكبر رأسه وقيل لعظم قريحته وحدة ذهنه ولد سنة (٩٤٢) وتولى ملكا على فرنسا سنة (٩٨٨) ومات سنة (٩٩٦)

الفارسية والكتاب الذى بين فيه اسباب تقدم دولة الرومان واضمحلالها وقد ساح فى بلاد اوروبا ولاحظ فى سياحته ما يلايم كل مملكة من الممالك التى سافر اليها فقال ان بلاد المانيا تليق للسياحة و بلاد ايطاليا للاقامة و بلاد الانكليز تصلح لقدح الذهن واعمال الفكرة و بلاد فرنسا للمسرة وطيب العيش

مونرشيكى

بضم الميم وسكون الواو وفتح النون وسكون الراء وكسر الشين المعجمة والكاف بينهما مثناة تحتية يقال حكومة مونرشيكية اى ملوكية اى مملكة يحكمها ملك ويقال حكومة ديموقراطية اى جمهورية يحكمها اهلها من غير ان يكون لهم ملك ويقال ايضا حكومة ارستوقراطية وهى التى يكون الحكم فيها للاكابر والاعيان

دوقية ميلان ويقال ميلانيس او ميلانيز

اسم لقسم عظيم من بلاد ايطاليا تنازع عليه امراء عائلة سفورس والملك لويز الثانى عشر مدة مستطيلة فى اوائل القرن السادس عشر وبعد لويز المذكور حصل النزاع عليه بين الامراء المذكورين والملك فرنسيس الاول ولم ينجح فى ذلك لما ان الايمبراطور شرلكان اخذ هذه البلاد تحت حمايته لانها كانت من جملة التزامات ايمبراطوريته ثم آل امرها الى ان صارت من جملة اراضى شرلكان .

الحرف الهاء

هزيودوس ويقال هزيود

هو رجل شهير من شعراء اليونان ولد بمدينة كومة وهو اول من نظم فى علم الزراعة نظما لطيفا حتى ان فيلارون اشار عليه بان يامر تلامذته بحفظ تلك المنظومة والف عدة تآليف نفيسة قيل انه مات قتيلا قتله اللوكريانيون والقوه فى اليم

هنبورغ

عن وطنه وعن كل موضع اراد النزول به ومع ذلك فلم يزل يسخر من الناس ويعيب عوائدهم واديانهم مات سنة (١٧٧٨) وله مؤلفات عديدة منها كتاب تاريخ كرلوس الثانى عشر الذى ترجم الى العربية وسمى بمطالع شموس السير فى وقائع كرلوس الثانى عشر ولكن قل من كان يثق بتاليف هذا الرجل العجيب

الوندال

بفتح الواو وسكون النون اسم لامة من الجرمانيين كانت على شواطئ بحر بلطق ثم اغارت على بلاد العلية وطردت الرومان من اسبانيا واسست فيها مملكه الاندلس ثم اجلاها عنها الغوطيون فنزلت كالجراد المنتشر على مملكه الرومان فخربتها ومحت منها الفنون عن آخرها

وقد يسر الله سبحانه وتعالى تميم ترجمة هذا الكتاب وتعريبه وتحريره حسب الامكان وتهذيبه * على يد ناظر مدرسة الالسن ورئيس قلم الترجمة فجاء بحمد الله تعالى من كتب التواريخ المهمة * وكان حريا بالظهور فى دولة الداورى ولى النعمة

وقد طبع بمطبعة صاحب السعادة الابدية التى انشاها ببولاق مصر المحمية لثلاث خلت من صفر الخير سنة ١٢٥٨

هوم

بضم الهاء وسكون الواو رجل شهير يسمى داود هوم ولد سنة (١٧١١) في مدينة ايدمبورغ بمملكة ايقوسيا وهو من عائلة فقيرة اشتغل اولا بالفقه والاحكام ثم تعلق بالآداب والفلسفة وصرف همته في السياسة حتى انه استخدم فيما بعد بوظيفة كاتب سر الجية الامير سنت كابر وغيره ثم تخلى بالكلية عن المصالح العمومية ومات سنة (١٧٧٦) وله تآليف عظيمة في الفلسفة والآداب والسياسة والتواريخ بل وفيما فوق الطبيعيات وترجمت جميع كتبه من لغته الانكليزية الى غيرها من اللغات الاجنبية لكونها كثيرة الفوائد نفيسة الفرائد

هيلانيكوس

بكسر الهاء اسم لمؤرخ شهير من اليونان ولد قبل الميلاد بار بعمائة وواحدى عشرة سنة وله مؤلفات عظيمة تكلم عليها المؤلف هورز

حرف الواو

ورجيل

بكسر الواو وسكون الراء وكسر الجيم اسم لشاعر لاطيني شهير ولد قبل الميلاد بسبعين سنة ومارس العلوم والآداب وسافر لتحصيلها في عدة مدن ثم ذهب الى مدينة رومة فتلقى فيها بالترحيب والاكرام من فضلائها واعيانها لاسيما القيصر اوغسطوس وكان من شيمته التواضع والخمول مع انه كان من عظماء اهل عصره وكان بمكانة جليلة عند الرومان مات بعد الميلاد بتسع عشرة سنة

ولتير

بضم الواو وسكون اللام وامالة المثناة الفوقية بين الفتحة والكسرة عالم فلسفي شهير ولد سنة (١٦٩٤) لكن الشيء اذا تجاوز الحد رجع الى الضد وكما ان الجهل مضر فكذلك مقابله اذا صاحبته اساءة الغير وذلك ان هذا العالم افضت به غزارة علمه الى القدح في الاديان بل وفي كثير من ملوك عصره فعوقب بالطرد